Mngool.com

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (١٩٤) - شعبان ١٤١٣ (فبراير) ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGASINE ISSUE (194) FEB. 1993

رعاية الملك عبد العزيز للعلماء

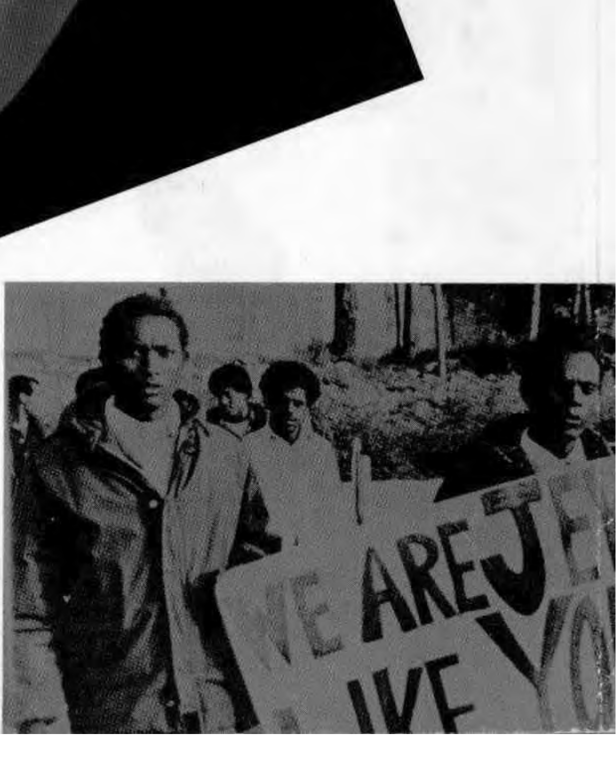
التحليل السياسي للأدب

الصحوة الإسلامية ومخاوف الغرب



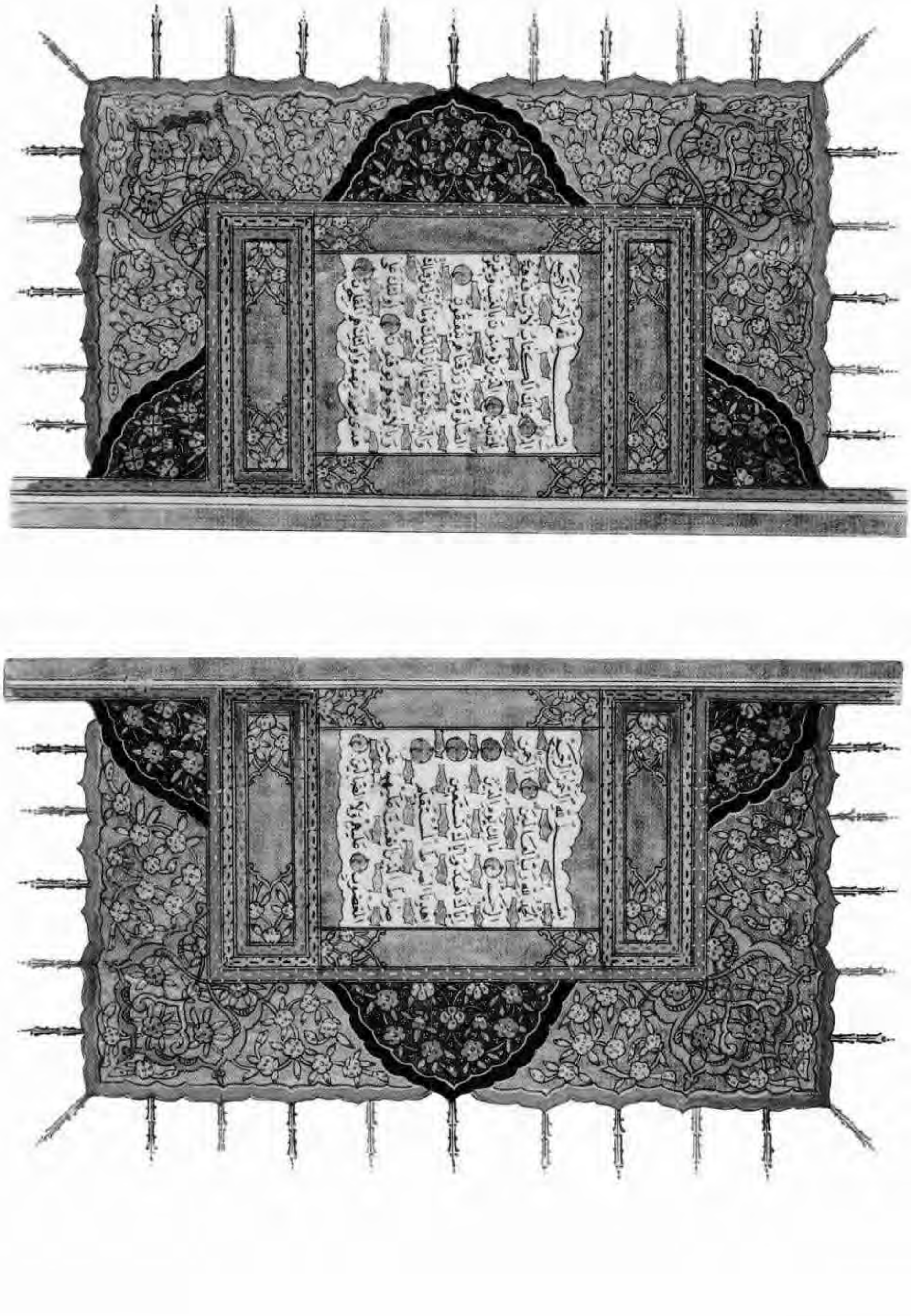
المغناطيس البشري

دعاوى اليهود في النقاء العرقي



علي الجارم
«ملف خاص»

مخصص للبيع



إطلالة

هويتنا الثقافية والوعي بالذات

إذا كانت هويتنا الثقافية ـ بما لها من خصوصية متفردة ـ تعد أساسًا لكل ما يتصل بأمتنا الإسلامية من أنظمة وبرامج وعلاقات ومعطيات في مناحي المعرفة جميعها وفي التطبيقات التقنية لهذه العلوم والمعارف، فاستجلاء هذه الهوية والوعي بالذات بداية حقيقية لإدراك واقعنا المعاصر وهو الإطار الحقيقي الذي يجاب من خلاله عن هذه الأسئلة:

ـ من نحن؟

ـ وأين موقعنا الحقيقي على خريطة الدنيا؟

ـ وماذا نريد؟

ـ وما رسالتنا وإسهاماتنا الممكنة لهذا العالم؟

خصوصا وأن القاعدة الإيمانية الراسخة التي أفاض الله بها علينا وميّزت مجتمعاتنا الإسلامية على مدى أربعة عشر قرنا، قد أسقطت أمامها ـ أي القاعدة الإيمانية ـ جميع الأيديولوجيات والأنظمة التي انفصلت بالإنسان بعيدًا عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وأحدثت شرخًا بينه وبين نفسه، وأوقعته في متاهات المادة والمادية المهلكة.

إن معرفة الذات والوعي بها لا يتأتى إلا من خلال استكشاف تراثنا في المجالات المختلفة والمتعددة، واستيعابه واتخاذه مصدرًا معرفيًّا خاضعًا للبحث والدراسة والتقويم والاستنباط، على ضوء ما تمليه الضوابط والقيم الشرعية، واستيعاب هذا الموروث الكبير واستثمار نقاطه المضيئة ــ وما أكثرها ــ والانطلاق منها للتواؤم والتواصل مع معطيات الحضارة المعاصرة، فهذه المعرفة بالذات والمنطلقة من الذات نفسها، تجعل معرفتنا لأنفسنا معرفة حقيقية لا تهويل فيها ولا تهوين منها، ولا تجعلنا عُرضة لمعرفة أنفسنا من خلال تصورات الآخرين عنا وعلاقاتهم بنا، هذه التصورات التي تراكمت في داخلنا وتركت بصماتها على كثير منا ـ حتى من مفكرينا ـ لإلحاحها علينا على المدى الطويل، برغم اختلاف الآخرين عنا ثقافةً وتصورًا.

إن البداية الحقيقية لمعرفة الذات والوعي بها هي التسلح بمقومات الهوية ومعرفة جملة منتجها الثقافي والمعرفي في مجالات اللغة والفكر والأدب والعلوم المختلفة، وهذه المعرفة ستقودنا بالضرورة إلى تحديد موقعنا على خريطة الواقع، والتعامل مع عالمنا المعاش انطلاقا من إمكانياتنا الحقيقية، بدلاً من أن تراوح بنا تيارات عاتية تساعد على تذويب شخصيتنا وسط تغيراتها العاصفة. ووقتذاك ـ فقط ـ ستكون حياتنا تعبيرا حيا عن هذه الهوية في التفكير وتطبيقاته، بحيث تكون هذه الحياة صياغة واقعية لثقافتنا المتميزة والمتفردة، حتى في أبسط مكونات معيشتنا من أنماط معمارية في بيوتنا ومكاتبنا وأسواقنا وكل ما يتعلق بها من مشكلات وغيرها من أوجه الحياة ومجالاتها.

والله من وراء القصد.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (١٩٤) شعبان ١٤١٣هـ السنة (١٧) شباط (فبراير) ١٩٩٣م

ملاحظات عامة

- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك
- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة
- أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم
- حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها
- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة
- تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية

- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة
- يجوز الاقتباس من موضوعات المجلة أو إعادة النشر دون إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر
- ترحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشاتهم لما يُنشر فيها

في هذا العدد



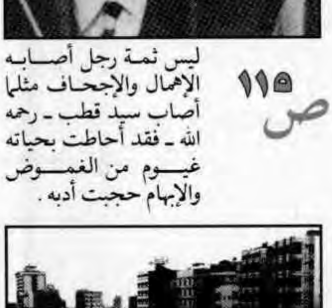
ص ٧٦
حصن عجمان من أكبر حصون دولة الإمارات مساحة وأقدمها تاريخًا، وقد تحول - مؤخرًا - إلى متحف شامل.



ص ٨٨
الربو الشعبي مرض يعتقد بعضنا أنه يحول دون ممارسة الرياضة، إلا أن الحقائق تثبت أن مرضى الربو يحرزون الميداليات الأولمبية !



ص ١١٥
ليس ثمة رجل أصابه الإهمال والإجحاف مثلما أصاب سيد قطب - رحمه الله - فقد أحاطت بحياته غيوم من الغموض والإبهام حجبت أدبه.



ص ١١٩
لماذا سميت الزلفي بهذا الاسم، أو سدير بذلك ؟ في هذا العدد نستكمل دائرة المعارف عن المدن السعودية وأصل تسمياتها.

الفيصل

● المراسلات
مجلـة «الفيصل» ص. ب : (٣) الرياض : ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية.
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ - فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية :
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة - الأردن ٤٠٠ فلس - الجمهورية اليمنية ٦ ريالات - مصر ١٠٠ قرش - السودان ١٠٠ قرش - المغرب ٥ دراهم - تونس ٥٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ١٠ ليرات - ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية :
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150 - Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

ملف العدد:
علي الجارم

شارك في الملف:

- أحمد العوامري
- مصطفى عبد الله
- د. جواهر عبد العزيز آل الشيخ
- د. عبده بدوي
- د. حسين علي محمد
- د. عبد الحميد إبراهيم
- د. حسين نصار
- د. صلاح الدين حسنين
- د. محمد سيف الدين فهمي
- د. مهدي علام
- د. فاطمة نصر



(الصور خاصة بمجلة «الفيصل» وقد حصلت عليها من أسرة علي الجارم).

يُعد علي الجارم أحد أعلام نهضة الأدب العربي في العصر الحديث بلا منازع، باعتباره أديبًا وشاعرًا وعالمًا في اللغة والنحو وكاتبًا قصصيًا ورائدًا من رواد التربية والتعليم في عالمنا العربي، وقد كان - يرحمه الله - في كل إنتاجه ابنًا مخلصًا لأمته أفنى حياته مدافعًا عن لغة الضاد مضيفًا إلى من سبقوه ومؤسسًا لمن لحقوا به، ويكفيه أن الكثيرين على امتداد العالم العربي والإسلامي قد تعلموا من كتبه التاريخ الصادق والأسلوب الراقي، واللغة النقية. وكان الجارم في هذا كله ابنًا وفيًا لمدرسة «دار العلوم» التي حافظت على اللغة وآدابها، والإسلام وقيمه. وفي هذا الملف تقدم «الفيصل» مجموعة من الدراسات والمقالات التي تتناول الرجل وأدبه، وقد تركنا لأصحابها الحرية الكاملة في التقويم الفني لأعماله حتى أولئك الذين لم ينظروا إليه في إطار عصره، تاركين الكلمة الأخيرة للقارئ وحده وللملايين الذين تتلمذوا على كتبه.

ملف العدد:

الجارم إنسانًا وصديقًا وأديبًا *

بقلم: أحمد العوامري

أول عهدي بعلي الجارم بدأ عندما رجعت من إنجلترا عام ١٩٠٧م، وأسند إليّ تدريس التربية وعلم النفس بدار العلوم، وكان هو بالسنة الرابعة ــ أو النهائية ـ بهذه المدرسة. وكان بتلك السنة نحو ستة عشر طالبًا، على ما أذكر. فجعلت أتفحصهم، وأسبر غورهم، فلم ألبث أن تبينت من بينهم طالبين، امتازا بسعة الأفق، ودقة الحس، وكمال الاستعداد الأدبي، كان هذان الطالبان: علي الجارم، وأحمد ضيف.

كان علي الجارم زعيم هذا الفصل علما وذكاء ولسانًا، حاضر البديهة، قوي المنطق، حتى لقد كنت أعهد إليه أحيانا ـ وأنا مطمئن النفس ـ أن يلقي بعض دروسي وأنا حاضر بعد أن أكون قد دفعتها إليه من قبل مذكرات مكتوبة على عجل. فكان يعدها إعداد الفطن ويلقيها إلقاء من درب بالتدريس. ولم يكن الجارم بعد قد مارس منه شيئًا، اللهم إلا ما كان على سبيل التمرين في المدارس الابتدائية.

عاد الجارم من إنجلترا، وعين بمدرسة التجارة بالقاهرة. ثم نقل إلى دار العلوم سنة ١٩١٤م، وهي ميدانه الذي تأهل له، ومعهده الذي نبت فيه ومن أجله تخصص في التربية وعلم النفس.

ونشط الجارم في دار العلوم، واستغل حيويته وشبابه، وما حصله من خبرة وتجربة في نفع طلابه. فتخرج به في السنوات الثلاث التي قضاها هناك طائفة صالحة من المعلمين. برز منهم ـ فيما بعد ـ صفوة يفخر بها. ولم يطل لبثه بدار العلوم. فنقل سنة ١٩١٧م إلى وزارة المعارف مفتشًا للغة العربية.

ورجل كالجارم لا يقنع بدورة التفتيش الآلية، ولا يشبع مطامعه عمل كهذا. بل هو رجل همه الدأب والإتقان، وهو بصدد خدمة اللغة، وتخليصها من شوائبها، وما علق بها من العامي والدخيل.

نهض ــ يرحمه الله ــ باللغة نهضة قوية، بما أسداه للمعلمين من إرشاد، موقنًا أن ذلك هو مبدأ الإصلاح، وأن المدارس هي الحقل الأول بعد المنزل الصالح لاستنبات اللغة الصحيحة التي لا تقوم حضارة إلا عليها. نحا الجارم إذًا هذا النحو، وسار على ذلك الدرب، وساعفته ملكة عربية سليمة، وولوع بالبحث والاطلاع. وكان له في هذا الباب وغيره جولات موفقة، في مجلة المجمع والصحف والمجلات، وعلى منبر المذياع.

ثم نظر نظرة في النحو والبلاغة في المدارس وما يقوم في سبيل تعليمها من عقبات شداد كلنا أحسها، وكلنا كابدها، ولا يزال أبناؤنا حتى الآن يتعثرون في بقاياها، برغم ما بذل في تذليلها من جهود، وما أنفق من وقت.

وكان بأيدي الطلاب حينذاك (كتاب قواعد اللغة العربية) الذي ألفه حفني ناصف ــ رحمه الله ـ مع آخرين. وهو كتاب جيد التأليف، ولكنه مدمج مجمل، في حاجة شديدة إلى تفصيل وتبسيط، وإلى أمثلة مما يسيغه التلميذ، ويدخل في معلوماته وتجاربه.

ومضينا في سبيلنا على مضض، حتى قال لي الجارم يومًا إنه اعتزم أن يضع مع صديقه مصطفى أمين، كتابًا يسهل بعض الصعب، وييسر بعض العسر، فشجعته. فعكفا على العمل. فكان كتاب (النحو

علي الجارم في سطور

● ولد في مدينة رشيد في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨١م.

● تلقى تعليمه الأولي في الكُتَّاب، وحفظ القرآن الكريم برعاية والده اللغوي الأديب محمد صالح عبد الفتاح الجارم الذي كان يشغل ـ وقتذاك ـ منصب مفتي المديرية.

● ظهر ميله للأدب واللغة والشعر مبكرًا، فنهل من مكتبة والده واستوعب الكثير من كتب التراث.

● نظم الشعر وهو في سن الخامسة عشرة من عمره، وكانت أول قصيدة له عن الوباء الذي اجتاح مدينة رشيد وقتها.

● درس بالأزهر ونهل من العلوم الدينية على أيدي أساتذة أجلاء مثل الإمام محمد عبده، وكان ذلك في الفترة ١٨٩٦ـ١٩٠٤.

● التحق بدار العلوم وكان من خيرة تلاميذها طوال حياته.

● ابتعث سنة ١٩٠٨ إلى إنجلترا لمدة أربع سنوات درس فيها التربية وعلم النفس في جامعة نوتنجهام.



● عاد من إنجلترا سنة ١٩١٢ ليعمل في ميدان التدريس.

● انتقل سنة ١٩١٤ إلى دار العلوم ليصبح عميدًا لها.

● ونقل سنة ١٩١٧ إلى وزارة المعارف مفتشًا للغة العربية.

● كان من أبرز أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر حيث أثراه بأبحاثه العميقة دفاعًا عن اللغة العربية التي عشقها وعاش من أجلها.

● كتب الشعر والرواية والمقالة والترجمة فكان بنصاعة لغته ومهارة بيانه ورصانة أسلوبه يكاد يزاحم كل فن من الفنون الفنَّ الآخر.

● توفي في ٨ شباط (فبراير) ١٩٤٩ ـ يرحمه الله ـ.

○ ○

الواضـح) في ثلاثـة أجزاء للمدارس الابتـدائية ثم تـلاه (النحو الـواضح) للمدارس الثانوية، في أربعة أجزاء. وصدر بعدهما (البلاغة الواضحة) في جـزء واحـد كبير. كل ذلك على نفس المنهج القـائم إذ ذاك، لم يتغير فيـه شيء ولم يتبدل، ولم ينقص منه شيء، ولم يُزَد عليه.

وأقبل المدرسـون والطـلاب على هـذه الكتب أيما إقبـال، لما فيهـا من وضـوح في الصـوغ، وجمال في الوضع، وتجديـد في الأمثلـة. حتى ليمكن للطالب أن يخلو إليها من تلقاء ذاته، ويراجعها في غير استكراه.

إذًا فقد خـدم الجارم التعليم، وخدم العربيـة، وظل عهده بـالوزارة، عضـوًا عامـلا بارزًا، مـرموقًـا بالتجلـة، لمكانتـه في العلم، وحصافتـه في الرأي، وجلده على العمل.

لقد ضرب للمعلمين المثل الحيّ فيما ينبغي أن يكـون عليه الأستاذ من صفات، تـربط بينه وبين تلميـذه، وتحكم بينهما أواصر الإلف. ولم يكن الجارم في كل أولئك بمتعمل ولا متكلف. بل كانت هكذا فطرته، فالذين عاشروه من غير المعلمين والمتعلمين، يـرون فيه الإنسـان الوادع السلس، الـذي لا يـريـد أن يعقـد حبل الحيـاة، ولا أن يخلق المشـاكل، أو يثير الخصومة.

عضو المجمع اللغوي

أتيح للجارم في المجمع اللغـوي نوع آخر من الحياة، وتهيأ لـه فيه جو متسع من التفكير.

كـان عضوًا نـاشطًا في مـؤتمر المجمع ومجلسه ولجانـه، قوي الحجـة، ساطع البرهان، تسعفـه ذلاقة لسان، وقوة بديهة، وشدة عـارضة. وتزينه تؤدة في القول، ورزانة عند الجدل، وهدوء في النقاش.

والمتتبع لمحاضر المجمع منذ إنشائه، يعجب مما للجارم فيه من نشاط متصل، وما لـه من جهد دائب، في كل مـا تناوله من بحـوث، وما انتهى إليه من قرارات.

وبينما كـان العضـو المحترم الأستـاذ عبد العـزيـز فهمي يعـرض على المجمع مقترحه المشهور في تيسير القراءة والكتابة، إذا الجارم يطلع بمقترح آخر في التيسير، وكـانت له فيه دراسـة سابقة. وقـد أبقى فيه على الحروف العـربية كما هـي، وعلى ما لها من اتصـال وانفصـال في الكتـابة، إلا أنـه أضاف إليها علامات متصلة بها، تقـوم مقام الشكل. وهي طريقة سهلة المتناول، قريبة المأخذ، لا تبعد كثيرًا عن الكتابة الحاضرة.

تجربة القصة

وهذا الـرجل المرهق بالعمـل، المحلق ليلاً ونهارًا في شعـره وقصيده، يخرج علينـا في الأعوام الستـة الأخيرة ـ وهـو أحوج مـا يكـون إلى الـراحة والجمام ـ بثماني روايـات، هي من مفاخـر ما كُتب في القـصص التاريخي بالعربية.

وقد قصـد في كل رواية إلى قطعـة بارزة من التـاريخ العربي أو المصري فدرسهـا وبلغ إلى أعماقها، وتغلغل في طبائع أشخاصهـا وبيئاتهم، حتى إذا اكتملت في نفسه هذه العناصر واستقام له سننها، عمد لها فحاكها من غير تكلف ولا معاناة، في لفظ مترقرق، وسرد محكم. وتصوير بارع.

وإني لعلى ثقـة أنـه لـو أفسح لنفسـه الـوقت ولم يعجل ولم يتقيـد بصفحـات معـدودات، وأطلق قلمه على سجيتـه لجاءت هـذه القصص أعظم شأنًا، وأبلغ بيانًا وأدق نسجًا.

وللجـارم قبل عهده القصصي ــ بل وفي أثنـائه ـ جـولات في التأليف واسعة المدى. فقد حقق وشرح مع الأستاذ أحمد أمين «**كتاب المكافأة**» لأبي جعفر حمد ابن يوسف الكـاتب وأخرج مع أحمد العوامري «**كتاب البخلاء**» للجاحظ مشروحًا مضبوطًا محققًا.

وكان منـذ سنوات يعمل مـع الأستاذ شفيق معـروف، في شرح ديوان البارودي، وقـد نَجز منـه جزءان، وفي سنـة ١٩٤٤م ترجـم كتاب «**قصة العرب في أسبانيا**» عن الإنجليزية لاستانلي لين بول. دفعه إلى ترجمته غيرته على مجد العرب بـالأندلس فـدرسه وأعجب بما فيه مـن بحث محقق. وقد قال في مقدمة الترجمة: وهذا كتاب «**نفح الطيب**» ـ وهو خير كتاب ألف في تاريخ الأندلس ـ كله اضطراب واستطراد وتكرار، والتواء وتشتت. . . ثم قـال: فأحسست بـدافع نفسي يلح بوجـوب تـرجمتـه إلى لغة العـرب وشعـرت بأن النكـول عن هـذه الـرغبـة عقـوق لحسبي وقـومي وتـاريخي . . . إلخ.

الجارم شاعرًا

يبهـرك من الجارم عمق معـانيه وصفـاء ديبـاجته في فخـامـة وجزالـة وفحولة، تقـرؤه فكأنما تقـرأ لمهيـار وعلي بن الجهم والبحتري وأضرابهم من أمراء الشعر، في العصور المزدهرة بالعلم والأدب.

ولا غرو فقـد آثر الجارم هـؤلاء، وتوفر عليهـم، وأشرب في قلبه فنهم. فتأثر بأساليبهم في القول ومناحيهم في تصريف المعاني.

فجـاء نتـاجـه على غـرارهم. فمـــدح وتغـزل، ووصف ورثى. وأتى بـالحكمـة البـاهـرة، وضرب الأمثـال البـارعـة، كل ذلك على سننهم ومنهجهم. فلم نر في شعره ـ على كثرته وتعدد فنونه ـ نزوعًا لما يسمونه الآن بالتجديد في أي صورة من صوره، وأي مظهر من مظاهره.

وإنما كنا نود حقًّا لو أنه قد أتيح له أن يقبس من أدب الغرب في بعض شعره، وهـو الذي حـذق الإنجليزية، وتخرج في بـلادها، ولـو أنه أتحف العربية، بـروائع من قصص القوم أو شعرهم، إذًا لرأينا في مرآتـه الصافية من تفكيرهم، وقبسًا من أخيلتهم وتصورهم للحياة.

ولعله كان يضمر شيئًا من هذا، فيما أضمر من آماله الكبار في خدمة العربية ورفع منارها.

وإني إذ أختتم كلمتي هذه أستعير من الجارم في رثاء شوقي قوله:

أيها الراحلُ الكريمُ لقد كنـ ـتَ سَوادَ العيون أو إِنسانَه
نم قَريرا في جنة الخلد وانعم برضا الله، واغتنم غفرانـه

* «كلمة الأستاذ أحمد العوامري ـ يرحمه الله ـ أستاذ الجارم وزميله في الإشراف على العناية باللغة العربية وتدريسهـا في وزارة المعارف آنـذاك. ألقاها في حفل التأبين الـذي أقامـه المجمع في ذكرى الأربعين لوفاة الشاعر علي الجارم في ٢٠ مارس ١٩٤٩م بقاعة الجمعية الجغرافية في القاهرة.

ملف العدد:

ابن علي الجارم يتحدث عن والده

حوار : مصطفى عبد الله

الدكتور أحمد علي الجارم كان أكثر أبناء الشاعر العربي الكبير علي الجارم اقترابا منه، بل التصاقا به، وقد كان سكرتيره الذي أملاه وقرأ عليه الكثير مما كتب. ولم تجعل الحيـاة ـ بمشاغلها ومتاعبها ـ الابن ينصرف عن الاهتمام بتراث والده الذي أحبه كل الحب، فنجده يسعى لإعادة طبع كتبه ونشرها ويجمع ما كتبه معاصروه عنه في حياته وبعد مماته على الرغم من أن الجارم الابن قد سلك طريقا يختلف تماما عن نهج والده، إذ تخصص في الطب وأصبح واحدا من أعلامه المعاصرين، وعليه درست الأجيال المختلفة من الأطباء الذين تخرجوا في القصر العيني.

لقاء وحوار

التقيت به بضاحية المعادي حيث يقيم وبميدان الفلكي أو (بـاب اللوق) ـ كما يطلق عليه البعض ـ حيث تقع عيادته، وعلى الرغم من ذلك لم يخرج الحوار عن إطاره المحدد.. ذكرياته مع والده علي الجارم، قال لي:

ـ لقد كنت فعلا ملاصقا للوالد في حياته في السنوات الخمس عشرة الأخيرة من عمره. وفي الحقيقة كنت أعشق علمه وأعشق نبوغه وأدرك قيمة هذا برغم أنني كنت بعد في مقتبل العمر.

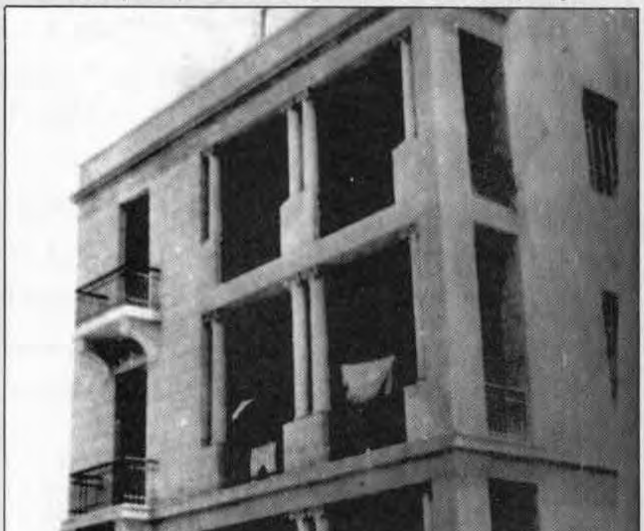
لقد كنا نعيش في مجتمع أدبي رائع في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات، فقد توفي والدي في يوم ٨ شباط (فبراير) ١٩٤٩. وحادث وفاته يعد حادثا دراميا لا نظير له.

وقد تعجب إن قلت لك إن والدي سجل قصة وفاته في ديوانه وفي شعره.

ـ وكيف ذلك ؟

ـ دعني أروِ لك.. إن والدي بصفته عضوا في مجمع اللغة العربية منذ إنشائه في سنة ١٩٣٤م، كان يزامله القانوني الضليع **السنهوري باشا** الذي كان يشغل في ذلك الوقت منصب رئيس مجلس الدولة. **وقد كان صديقا لوالدي منذ تولى منصب وزير المعارف، وقد أمضى والدي حياته كلها في وزارة المعارف يعلم النشء ويفتش على المدرسين ويهديهم ويؤلف لهم الكتب الدراسية.**

دار علي الجارم بك في جزيرة الروضة بالقاهرة وقد سكنه منذ عام ١٩٢٧م وحتى وفاته



الجارم الابن في سطور



ولد الدكتور أحمد علي الجارم في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٢٨ بالقاهرة، وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥٠ ودبلوم طب المناطق الحارة وصحتها من طب القاهرة عام ١٩٥٤ ثم دبلوم الباطنة العامة عام ١٩٥٥ فالدكتوراه في الأمراض الباطنة العامة ١٩٥٨، وقد عين معيدا بكلية طب القصر العيني في عام ١٩٥٥ وأخذ يتدرج في الوظائف الجامعية حتى حصل على درجة أستاذ في عام ١٩٧٢ وأصبح الدكتور أحمد الجارم مديرا لمعهد تيودور بلهارس، وعضو اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة بالجامعات المصرية، وعضو اللجنة العليا لمكافحة مرض البلهارسيا بوزارة الصحة المصرية، وعضو لجنة الأدوية بها، إلى جانب رئاسته لتحرير مجلة البلهارسيا التي يصدرها مركز التوثيق والإعلام بأكاديمية البحث العلمي في مصر.

وهو الذي أشرف على إنشاء وأداء معهد تيودور بلهارس بأكاديمية البحث العلمي، كما أشرف على إنشاء وأداء قسم طب الأمراض المتوطنة بكليتي طب القاهرة وطنطا.

وله عدة مؤلفات بالعربية والإنجليزية منها: (الأمراض المتوطنة في أفريقيا وآسيا)، وله أيضا العديد من البحوث في مجال تليف الكبد والبلهارسيا، وقد حصل على جائزة بلهارس من ألمانيا الغربية.

وقد ربطت الصداقة بين السنهوري باشا ووالدي حتى من قبل أن يدرس السنهوري الحقوق .

ويستطرد الدكتور أحمد الجارم قائلا :

ـ لقد رأى السنهوري باشا أن يستقيل من الحزب السعدي ويستقيل من الوزارة ليتولى منصب رئيس مجلس الدولة، وفي ذلك الوقت كانت هناك معركة رهيبة بين السعديين والإخوان المسلمين، بدأت باغتيال **أحمد ماهر** رئيس الوزارة، وتولى مكانه **محمود فهمي النقراشي** الذي كان نائبا لرئيس الحزب السعدي، فاغتيل هو الآخر، واغتيل **حسن البنا** المرشد العام للإخوان المسلمين، وكان الجو السياسي مضطربا للغاية . **وكان والدي ـ بشكل عام ـ يفضل الابتعاد عن هذه المشكلات السياسية . على الرغم من أنه في بداية حياته كان على علاقة وثيقة بسعد زغلول عندما كان ينادي باستقلال مصر، وقد أشاد بهذا الزعيم في قصائد كثيرة في ديوانه، كما رثاه بعد وفاته .**

الابتعاد عن السياسة

وقد لعب **سعد زغلول** دورا مهمًّا في حياة والدي، فهو الذي اختاره حين كان وزيرا للمعارف في ذلك الوقت ضمن أوائل خريجي الكليات في مصر، حيث كان أول دفعته بدار العلوم، وكان النقراشي من أوائل مدرسة المعلمين العليا، **فتزامل النقراشي وعلي الجارم في البعثة لإنجلترا من ١٩٠٨ إلى ١٩١٢ ومن هنا جاءت العلاقة بين الاثنين**، بعدها انضم **النقراشي** للحياة السياسية، في حين **اتجه والدي للغة والأدب والتفتيش والتعليم** .

واشتغل النقراشي وزيرا للمعارف وكان والدي يعمل بها واستمرت الزمالة

"فضل والدي الابتعاد عن السياسة بالرغم من أنه بدأ حياته بعلاقة حميمة مع سعد زغلول."

بينهما، وبعد اغتيال النقراشي تقرر إقامة حفل لتأبينه وكان والدي في هذا الوقت يعد شاعر مصر الرسمي فضلا عن أنه كان شيخ الشعراء بعد وفاة حافظ وشوقي، وقد كان خير من يلقي الشعر العربي في مصر لدرجة أن شوقي عندما كان يريد إلقاء قصائده كان يختاره لإلقائها .

هكذا مات الجارم

ومن هذا اختير والدي بواسطة السنهوري باشا رئيس لجنة تأبين النقراشي ليلقي قصيدة في رثائه، وبالفعل كتب القصيدة وكانت ظروف مرضه تمنعه آنذاك من الاشتراك في الأمسيات والندوات، ولكنه أصر على الذهاب للحفل وأشفقت عليه لأنه كان ينفعل مع قصائده جدا . واقترحت أن يلقي القصيدة أخي بدر بدلا منه لأنه كان يجيد تقليده في إلقاء القصائد . وجلست أستمع للحفل من الإذاعة حيث كان **العقاد ـ**



في احتفال مصر بيوبيل دار العلوم، الرئيس مبارك يسلم الدكتور أحمد الجارم وسام والده علي الجارم

السنهوري باشا ـ توفيق دياب ـ إبراهيم عبد الهادي (رئيس الوزراء) وكثير من الكبار يرثون **النقراشي**، وحينما جاء دور قصيدة **علي الجارم** كان يجلس هو في الصف الأول، وأخذ يلقيها أخي بدر وفي أواخرها :

نم هادئا إن الغراس وريفة تزهو بأكرم تربة وقطاف

عند هذا البيت توقف أخي عن الإلقاء وأطال الوقوف ؛ لأن رأس والدي كانت قد مال إلى الأمام وتصور «**الدكتور العراقي**» الذي كان يجلس بجواره أن غفوةً قد غلبته وأخذ يوقظه ولكنه لم يفق حيث فارق الحياة . أثناء ذلك كنت أحس وأنا في المنزل بأن حادثا عميقا يمسني قد وقع، وبعد نصف ساعة جاؤوا وهم يحملونه وكان ذلك في يوم ٨ شباط (فبراير) ١٩٤٩ .

** ويبدو أن استدعاء هذه اللحظات المأساوية الأخيرة من حياة والده قد نكأت جرحه الغائر القديم فراح في صمت طويل . ثم استأنف حديثه قائلا :

هاجم الشعر الحديث

لقد حمل الجارم لواء الشعر العربي الأصيل الذي يحافظ على الوزن والقافية والرويّ، وكانت هجمة الشعر الحديث قد بدأت في ذلك الوقت فأخذ يتصدى لها في كل مناسبة . وأذكر أنه ضمن قصيدته في رثاء **حافظ إبراهيم** أبياتًا هجا فيها هذه الفئة التي أرادت أن تحول الشعر العربي الحقيقي إلى شعر منثور.

ونتيجة لهذا الهجوم مضى كثير من الوقت والآثار الأدبية لعليّ الجارم محجوبة عن المكتبة العربية شعرا ونثرا، وتأثرت بذلك الدراسات المكتوبة عنه، وحينما كنت أزور مكتبة دار المعارف حيث كانت تطبع دواوينه قبل التأميم وجدت أنها لم تعد تطبع أيّ كتاب له وتقاعست تماما . .

ـ ولكن ما الدور الذي أديته أنت للحفاظ على تراث والدك علي الجارم؟

ـ في الواقع بعد ملاحظتي ندرة كتبه في المكتبة العربية وكثرة الهجوم عليه . . أخذت على نفسي عهدا أن أخرج كل شعره ونثره وأدبه إلى المجتمع

ملف العدد: ابن علي الجارم يتحدث عن والده

الأدبي بنفسي. والحقيقة أن اشتغالي كسكرتير لوالدي قبل وفاته ساعدني كثيرا في إصدار أعماله الشعرية في جزأين في مجلد واحد سنة ١٩٨٦ وأعيد طبعه ١٩٩٠.

سلاسل الذهب

- وما رأيك فيما أنتجه الجارم من قصص وروايات؟

- لقد أنتج العديد من القصص النثري وأطلقوا عليه (غرائب القصة التاريخية في العصر الحديث) وهناك دراسة تعقد المقارنة بين **الجارم وجورجي زيدان** في مجال القصة التاريخية، وقد انتهت إلى أن الريادة إنما هي لعلي الجارم الذي تمسك بالتاريخ الحقيقي، وأخرج للمكتبة العربية قصصا تمجد العروبة، وآثار الشعراء العرب مثل تصويره للمتنبي في رواية **(خاتمة المطاف)**، ورواية **(فارس بني حمدان)** التي يحكي فيها قصة أبي فراس الحمداني. كما أنه ترجم فقه العرب في أسبانيا من واقع العروبة، وكتب يرد على المفترين على تاريخ العرب، كل هذا يجده القارئ في مجلد واحد اسمه **«سلاسل الذهب»**.

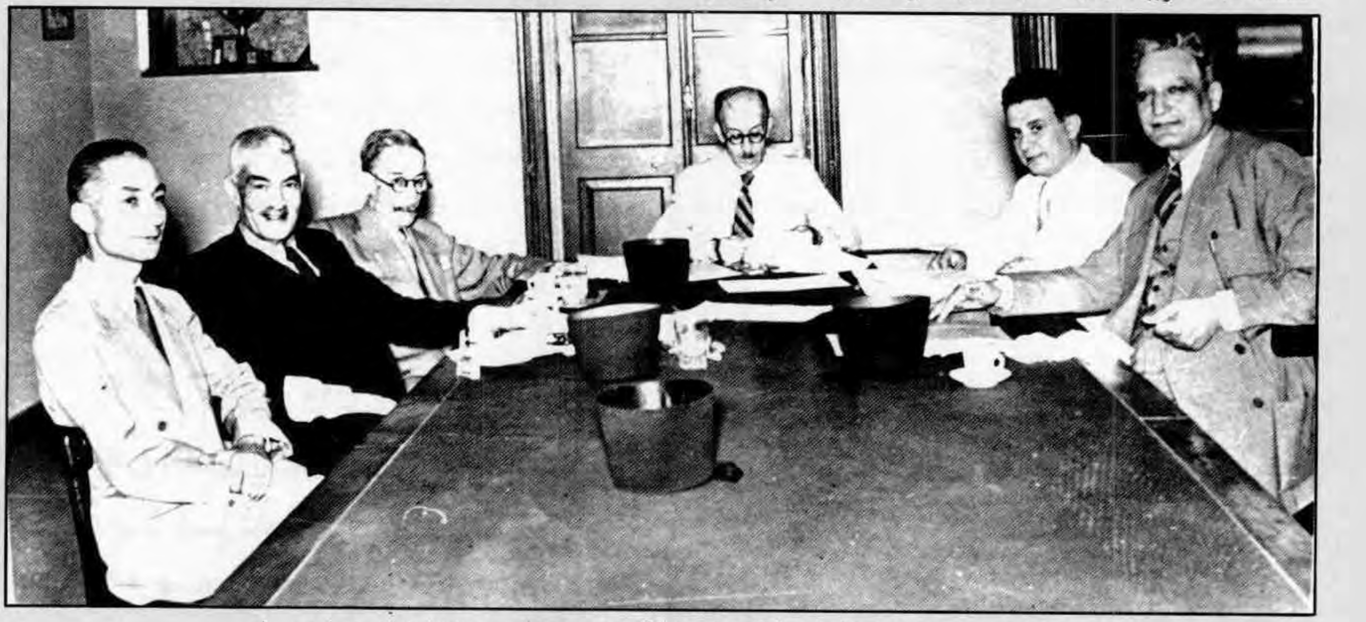
وسميته **«سلاسل الذهب»** لما قال عنه **الأستاذ عباس حسن** في كلية الآداب جامعة الأسكندرية: **(.. وما أحسبني مغاليا إذا قلت إن النثر الأدبي البليغ والنثر العلمي المتأدب الرفيع لأديبنا المرحوم علي الجارم ليمتاز به الجارم على المتنبي وشوقي وسائر شعراء العرب قديما وحديثا كما تنطق بذلك كتاباته النثرية الصادرة عن موهبة فنية أصيلة جعلت منها جميعا «سلاسل الذهب» لا «أسواق الذهب»)**. وحينما أخرجت هذا الكتاب بدأت في جمع بحوثه الأدبية المنشورة لأنها كانت مهملة وغير متوافرة في العديد من المكتبات وظللت مدة سنتين في دار الكتب أراجع مجلات **(الهلال والمقتطف ومجلة دار العلوم ـ مجلة مجمع اللغة) وأخرجت ٣٥ بحثا منشورا لعلي الجارم خلال حياته الأدبية من ١٩٠٤ عندما كان طالبا في الأزهر إلى أن توفي ١٩٤٩**. لكي يكون الكتاب الثالث لتراث علي الجارم في المكتبة الأدبية تحت اسم «جارميات» والذي سيوضح كيف كان علي الجارم عالما أديبا لغويا شاعرا ناثرا قصاصا. ممثلا لمصر وللعروبة، هذا العملاق كان إنتاجه محجوبا عن القارئ العربي وهذا ما جعلني أحرص على إظهاره.

- وماذا تبقى في جعبتك بعد ذلك؟

- حاليًا أجمع البحوث التي نشرت عن علي الجارم لإصدارها في مجلد بعنوان: «الجارم في ضمير التاريخ» لكي يستقر علي الجارم سواء بإنتاجه أو بالبحوث التي أعدت حوله في المكتبة العربية.

استشهاد العقاد بالجارم

**** وكيف كان للبيئة أثرها في علي الجارم؟**



اجتماع لجنة الإشراف على النشاط الثقافي والأدبي لدار المعارف، ونجد علي الجارم وعن يمينه صاحب دار المعارف (شفيق متري) وعن يساره الشاعر خليل مطران، ثم أنطوان الجميل باشا رئيس تحرير الأهرام آنذاك، وعادل الغضبان، وأخيرًا عباس محمود العقاد (يونيو ١٩٤٧م).

- والدي من أسرة أدبية دينية، فلقد كان والده شاعرا وأديبا وعالم دين، وكان قاضيا لمديرية الشرقية، وله ثمانية من الأبناء، وكان يوفد أولاده إلى الأزهر من رشيد إلى القاهرة لدراسة علوم الأزهر. وقد اكتفوا من دراساتهم أن أصبحوا مشايخ، أما والدي فقد التحق بدار العلوم بعد أن تخرج في الأزهر.

وكان لحفظ القرآن أثره في أن جاء شعره رصينا قويا. حتى إن العقاد استشهد بأحد أبياته التي نظمها وهو في سن الثالثة عشرة. وقد عُنِيت دار العلوم بموهبته وثقفتها وصقلتها.

ثم يقول الدكتور أحمد الجارم عن نشأة والده:

- وتوضح المدرسة الخلقية مثلا التي ينتمي إليها والتي تحدث عنها

”

كان الجارم خير من يلقي الشعر في مصر لدرجة أن شوقيًا كان يطلب منه إلقاء قصائده

“



أحمد شوقي

الأستـاذ محمـــد الغـزالي حـرب في كتــابـه عن والـدي كيـف أنـه تمسك بالأخلاقيات أكثر من أي شيء آخر.

والناحية الدينية متعمقة فيه جدا نتيجـة طبعا لتربيته الأزهرية وعائلته المتدينة.

الجارم يرفض نجيب محفوظ

ويروي لي **الدكتور أحمد الجارم** أن والده **علي الجارم**، عندما كان كبير مفتشي اللغة العربية وعضو مجمع الخالدين، اختير عضوا في لجان تحكيم المسابقات الأدبية في القصة والرواية والشعر. **واتفق أن تقدم نجيب محفوظ ــ في أول حياتـه ــ بـرواية (بين القصرين)، و(زقـاق المدق) فأشـار بعض أعضاء اللجنـة إلى أن (زقاق المدق) تستحق الجائزة الأولى، ولكـن والدي اعترض اعتراضا شديـدا لأن نجيب محفوظ يصور فيها انحـرافات خلقية لم تعجبه ورفض أن تتوجه جائزة وزارة المعارف لرواية تحتوي على شخصيات من عديمي الأخلاق. وحدثت مشكلة بين أعضاء اللجنة ووالدي، وهدد بالاستقالة مـن رئاسة اللجنة. وكان الحل الذي توصلـوا إليه هو أن أعطوا نجيب محفوظ الجائزة ولكن عن رواية أخرى غير (زقاق المدق).**

فوالدي رغم سفره لأوربا ظل متمسكا بأصالته ودينه وأخلاقه، وكل شعره يعكس ذلك. ووالدي لم يقل مثل شوقي:

رمضان ولّى هاتِها يا ساقي　　　مشتاقةً تسعى إلى مشتــاق

ـ وأســأل الدكتور أحمد الجارم عن البصمة التي تركها عليه والده علي الجارم، فيقول:

ـ لقد طبع والدي بصمته علينـا جميعا نحن أبناءه السبعة. وأنا لم أكن أولهم ولا آخرهم. بل إنني جئت في الوسط. لكن ربما أكون أكثرهم تعلقا به وبإبداعه الأدبي. فعندما بلغت الشباب كان والدي يحتل مكانا مرموقا جدا في السـاحة الأدبيـة، وبهرتني شهرتـه وقوة أدائه، وخصـوصا عنـدما سافرت معه إلى لبنان ورأيت كيف يحترم علماء العرب علي الجارم ويجلسون للاستماع إليه استماع التلميذ للأستاذ.

وقد بـادلني والدي ـ رحمه الله عليـه ـ كل هذا الحب لثقتـه بي، وكان يعاملني لا كـابن له فقط ولكـن كسكرتير لصيق به. وكنـت أول من يقرأ عليه مسودات قصصه وقصائده، وكنت أنا رسوله إلى المطبعة الذي يحمل ما كتبه إلى القارئ وكنت أراجع (البروفات). ولذلك تأثرت بوالدي تأثرا عميقا جدا.

ـ وماذا بهرك في علي الجارم خلاف شخصيته وشاعريته وتفوقه ونبوغه في اللغة الغربية؟

ـ أخلاقه الشخصية لأنه كـان شـديد التمسك بالفضائـــل كالصدق والاعتـزاز بالكـرامـة ومبـادئ الشرف والديـن. وكان يحرص على الصـلاة والصيام، وكـان يقبل على العمل بـدأب ومثابـرة. وحتى بعد إحـالته إلى المعاش كان يسهر الليالي يقرأ ويكتب بعد أن يغلبنا النعاس نحن جميعا.

ـ سؤال أخير: ألم تنبت بذرة الإبداع فيك قصصا أو شعرا؟

ـ لا. لأنني وجهت ملكاتي منذ البداية إلى الطب لاقتناعي أن الطب بحر يجب أن أتفرغ له وأن أكون صادقا في هذا التفرغ.

وأعترف أنني قــرأت كثيرا في الأدب وأمتلك الحاســة الأدبيـــة ولكني تفرغت للطب، ولكن على نفس الأسس التي سار عليهـا الوالد في الأدب والشعر.

مؤلفات الجارم

في الشعر:

ـ «ديوان علي الجارم» ـ ١٩٣٩

في الرواية:

ـ «فارس بني حمدان» ١٩٤٥

ـ «الشاعر الطموح» ١٩٤٧

ـ «خاتمة المطاف» ١٩٤٧

ـ «شاعر ملك» ١٩٤٣

ـ «هاتف من الأندلس» ١٩٤٩

ـ «الفارس الملثم» ١٩٤٩

ـ «مرح الوليد» ١٩٤٨

ـ «سيدة القصور» ١٩٤٤

ـ «غادة رشيد» ١٩٤٥

في الترجمة:

ـ «قصة العرب في إسبانيا» تأليف لين بول ستانلي ـ ١٩٤٤

في الدراسات الأدبية:

ـ «جارميات» (مجموعة بحوثه ومقــالاتـه التي جُمعت مؤخـرًا بهذا العنوان)

في النحو واللغة:

ـ «النحو الواضح» بالاشتراك مع مصطفى أمين ـ ١٩٤٦

ـ «البلاغة الواضحة» بالاشتراك مع مصطفى أمين

ـ «دليل البلاغة الواضحة» بالاشتراك مع مصطفى أمين

في علم النفس:

ـ «علم النفس وآثاره في التربية والتعليم» بالاشتراك مع مصطفى أمين ١٩٢٧

الشرح والتحقيق:

ـ «ديوان البارودي» بالاشتـراك مع محمد شفيق معلوف ـ ١٩٤٠

ـ «البخلاء» للجاحظ بالاشتراك مع أحمد العوامري ـ ١٩٣٩

ـ «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية» تأليف ابن طباطبا، فخر الدين محمد بن علي ابن الطقطقي مراجعة مع محمد عوض إبراهيم ـ ١٩٣٨

ـ «المكافأة» لابن الداية، أبو جعفر ابن يوسف الكاتب، تصحيح وضبط وشرح بـــالاشتراك مع أحمد أمين ـ ١٩٤١.

ملف العدد:

من خلال ديوانه:

آراء الجارم النقدية في الشعر

بقلم: د. جواهر عبد العزيز عبد الرحمن آل الشيخ

كان علي الجارم - رحمه الله تعالى - مجموعة عقول في جسد واحد، فلم يكن شاعرًا مجيدًا فحسب، بل كان باحثًا لغويًا، وأديبًا ناقدًا. ومما يلفت النظر في شعره احتواؤه على كثير من الآراء النقدية حول الشعر والشعراء، فبذلك يكون شعره قد جمع بين مزايا النظم والنقد معًا، وهذه زاوية أغفلها كثير من الدارسين لشعر الجارم.

وعلى الرغم من أنه أحد شعراء عصر النهضة الذين ساروا في الاتجاه التقليدي وأناخوا مطاياهم في ساحته، سواء في ميادين الشكل أو المضمون، إلاّ أنّ شعره حوى الكثير من الرؤى النقدية الفنية والأفكار التأملية الجمالية، وهذا ليس بغريب على الجارم الذي زاوج فكره بين العقل والروح، فسار في طريق البحث العلمي إلى جانب تحليقه في عالم الشاعرية والخيال، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على «منبت الشاعر» الذي غرس فيه أمثال تلك الجذور الخيّرة البنّاءة، حيث يقول هو عن نفسه: «نشأت في أسرة فُتنت بالأدب، وأغرمت بفطرتها وباستعدادها الموروث بروائع الشعر على اختلاف ألوانه وفنونه، وكان أبي إذا جلس بعد العشاء التفّ حوله أبناؤه فتنقّل بهم من أدب إلى تاريخ إلى بحوث سهلة في اللغة، ثم إلى شعر جزل رصين، ولقد كان عليه الرحمة كثير القراءة، قوي الحافظة، حسن العرض والأداء، فكان متاعًا أن نستمع له، وأن ترفّ نفوسنا حوله طليقة مرحة في هذا الجوّ العجيب»(١).

إذًا لا غرو في أن يتحفنا الجارم بآراء نقدية تدور حول الشعر، أبرزها في شعره نفسه، وليس في نثره فحسب كما هو المعتاد عند النقاد، لقد جعل هذا الشاعر الأديب من الشعر كائنًا حيًّا يسامره ويخاطبه ويشكو إليه مرارة همومه، بل وتكاد لا تخلو كثير من القصائد الجارمية من ذكر للشّعر ووصف له وتبيان لحقيقته ودوره في الحياة، ورأيه في بعض الأغراض الشعرية، مستخدمًا في ذلك التعليلات الطريفة المستندة إلى فكر ثاقب وحسن رؤية.

ولكن ليس معنى ذلك أنّ علي الجارم قد اختطّ في شعره طريقة الشعر التعليمي الجاف المعتمد على القوانين المتتابعة، بل إنّ أشعاره كانت مملوءة بالعواطف الجيّاشة، والرؤى الفلسفية والواقعية على حدّ سواء، وظلت أساليبه زاخرة بالجمال الفني الأخّاذ.

لذلك نرى أنه من المنفعة الفكرية والتذوقية أن نقطف ثمارًا جنيّة، ونجمع زهورًا خلاّبة من حديقة شعر علي الجارم، ولتكن طريقة قطفنا وجمعنا مبنية على الترتيب والموالاة. حيث نرى بادئ ذي بَدء الشاعر المتذوق ذا الحس النقدي يعرّف لنا الشعر كما خبره حيث هو فكرة تفوق سواها من الأفكار لأنه الأشدّ إقناعًا للمتلقي بسبب صدوره من أعماق الملقي(٢).

الشعـــرُ عـــاطفـــةٌ تقتـــادُ عـــاطفـــةً
وفكـــــــرةٌ تتجلّى بين أفكـــــــارِ
الشعـــــــرُ إنْ لامسَ الأرواحَ ألهبَهـــــــا
كما تَقَـــــابلَ تيـــــارٌ بتيّـــــارِ

فكر وعاطفة

يرى الجارم أن الشعر فكر وعاطفة على حدّ سواء، فكرة تغذي العقول وتنير بصائر الناس، وعاطفة تحيي الأرواح الميتة وتسقي المشاعر الجدباء، كما أنّ الشعر هو تلك الموسيقى المطربة للنفوس التي تعمر القلوب بنبيل الشعور ورقة الوجدان، بل هو الجمال الأخاذ بعينه.

ليس ذلك فحسب، بل نرى الشاعر يعود لمثل هذا الحديث عن الشعر في موضع آخر، يسامره فيه ويخاطبه، ويتغزل بجماله وفنيّته وتأثيره معدّدًا لخصائصه الفنية والمعنوية، قائلاً:

كمْ ثملْنا برشفةٍ منكَ يا شعْـ ـرُ فصرنا روحًا بلا أشباحِ
ورأينا من الحقائق ما عزَّ على كلّ باحثٍ كدّاحِ
وقرأنا في كل شيءٍ رموزًا فوق طَوقِ البيانِ والإيضاحِ

واضح هنا أنّ الشاعر يتحدث عن مزايا الشعر وخفته وتحليقه بقائله

من كتاب العدد

● د. جواهر عبد العزيز عبد الرحمن آل الشيخ

- كاتبة وباحثة لها مقالات وأبحاث في القضايا الاجتماعية والأدبية منشورة في الصحف والمجلات.

- دكتوراه في الأدب العربي القديم وماجستير في الأدب الحديث ونقده.

- تعمل حاليًا أستاذًا مساعدًا بكلية التربية للبنات الأقسام الأدبية وتتولى رئاسة المجلس التنفيذي للنشاط الثقافي بالكلية.

إلى عالم لا يستطيع الولوج إليه إلا من سمت نفسه نحو الشاعرية التي تغوص في جميع الحقائق مهما دقّت وخفيت، وهذا هو سرّ الإلهام الذي لا يستوعبه إلا من أنعم الله به عليه إلى الحد الذي يجعله يفهم لغات الطيور وهمسات الزهور، بل إنّ رهافة حس الشاعر تجعله يفهم كثيرًا من الحقائق التي عزّ إدراكها على الباحثين الماديين.

لقد اتخذ علي الجارم من الشعر حبيبًا وأنيسًا يلجأ إليه إذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولِمَ لا؟ وهو رفيقه الذي يتنقّل به وبكل شاعر إلى عوالِمَ رحبةٍ أطلق عليها النقاد ودارسو الأدب مسمّى الأغراض الشعرية، واختار لنا الشاعر منها أجملها:

إيهِ ياشعرُ أنت سلوايَ في الدّنْـ يـا إذا ضاق بي فسيحُ البراحِ
كم عناءٍ كشفْتَ بعدَ نضالٍ وجبينٍ مسحْتَ بعد كفاحِ
لا تدعني ياشعرُ في ليلةِ الذكْـ رى وأطلقْ إلى الخَيال سراحي
غنّني بالمنى ترفُّ حنانًا بعدَ نأيٍ وبعد طولِ جماحِ
غنّني باللقاءِ بعدَ شتاتٍ وبعطفِ الزمانِ بعدَ شياحِ
غنّني بالربيع يخطِرُ في الروْ ضِ وَيَعْطُو بمئزرٍ ووشاحِ (٣)

الأثر الروحي والنفسي

لا يكتفي الجارم في شعره بتبيان الأثر الروحي والنفسي في القائل والمتلقي للشعر، بل إنه أيضًا قد بيّن دوره الخطير من الناحية الاجتماعية والسياسية، ذلك الذي يتمثل في خوضه الحروب وقيادته المعارك على مدار التاريخ، فهو خير مثير وخير محرّض يشعل الحميّة والنخوة في نفوس القادة والجنود على حدّ سواء:

الشعرُ للمُلكِ جيشٌ لا يصاولُهُ جلادُ مُرْهَفَةٍ أو فتكُ بتّارِ
يغزو وينصرُ، لا أشلاءُ معركةٍ تُرى ولا وثباتٌ حول أسوارِ

ثم يهزأ ابن النيل ممن يعظمون شأن الأهرامات ويعتقدون أنها هي السبيل الوحيد إلى الخلد، بينما هي مجرد أحجار مرصوفة، لأن هناك ما هو أهم منها لتخليد الأمم، ألا وهو الشعر الذي يهزّ العاطفة، ويسيطر على النفوس، ويخلد المآثر والأمجاد، حيث نراه يقول:

فقلْ لمن راحَ للأهرامِ يرفعُها الخلدُ في الشعر لا في رصف أحجارِ
كم حكمةٍ فيه لا تفنى بشاشتُها ومن حديثٍ على الأيام سيّارِ

الشعرُ للمُلكِ مرآةٌ مخلَّدةٌ على تعاقبِ أجيالٍ وأدهارِ

ثم إننا نرى الشاعر في مواضع أخرى من شعره يضع النقاط على الحروف مبينا صفات الشعر الجيد، وكأنه بذلك يرسم لنا الأسس النقدية للشكل الشعري من لفظ وقافية وحسن سبك وجودة بناء عضوي متكامل، حيث يوضح ذلك قائلاً:

واحرصْ على سحر البيان ووحيهِ وارفق بآيٍ في القريضِ فصاحِ
جمعَتْ من الزهرِ النديِّ قوافيًا تسبي النهى بعبيرها الفوّاحِ
دررٌ صحاحٌ لو تقاسُ بشبهها لبدتْ دراري الليلِ غيرَ صحاحِ
ما السيفُ في كفِّ المفزَّعِ قلبُه كالسيف في كفِّ الفتى الجحجاحِ (٤)
الشعرُ من سرِّ السماءِ فهمسُهُ وحيُ النفوسِ وراحةُ الأرواحِ

إن شاعرنا يبيّن أنّ أسس الشعر الرائع تتمثل في القول البليغ، والبيان الساحر، والهدف البنّاء، والقوافي النديّة، والألفاظ الموزونة المبرّأة من الكسر والعيب، وقبل كل شيء وبعده الإلهام الذي هو سرّ الشعر والشاعرية معًا.

ومادام علي الجارم قد تحدّث شعريًّا عن آرائه النقدية حول الشاعر «شكلا» ونبضًا وروحًا، فقد أدلى بدلوه أيضا في آبار «المضامين» المتعددة، حيث أبدى رأيه في أهم الأغراض الشعرية، ولقد لاحظنا أنه كانت للشاعر وجهات نظر جديدة سديدة، كرأيه حول «فنّ المديح» الذي سبق كثيرًا من آراء النقاد المحدثين الذين اتهموا كثيرًا هذا الفن بأنه خير مجال للتكسّب فحسب، وأنه ليس إلا شعر مناسبات خالية قصائده من الصدق الفني والعاطفة الجياشة. إلا أن الجارم امتاز عن هؤلاء بواقعية الرؤية وطرافة المقولة، حيث ينشر في قصيدة تُعدّ من غرر قصائده:

قد حبسْنا المديحَ عن كلّ مستا مٍ، وأَجْدِرْ بشعرنا أن يصانا
لا تزينُ العقودُ جيدًا إذا لمْ يكُ بالحسنِ قبلها مزدانا
ربَّ درّ لاقى من الصدرِ دُرًا وجمانٍ في النحر لاقى جمانا
لو مدحنَا من لا يحقُّ له المد حُ لوى الشعرُ رأسه فهجانا

فالجارم يرى أن المدح لمن لا يستحقه إنما هو هجاء لقائله، وهو نفسه قد اتبع هذا القانون، لأن المديح سيصبح حينئذ نفاقًا ومجاملة، فالكلام الجميل يقابل زين الأفعال وجمال الأعمال.

ثم يبرهن على ذلك بنماذج شعرية تاريخية قائلاً:

«الشعر عاطفة تقتاد عاطفة وفكرة تتجلى بين أفكار». الجارم



الجارم (الثالث من اليمين في الصف الأول) ممثلا لمصر في المؤتمر الطبي العربي الذي عقد في العراق ويتوسط الصورة العشماوي باشا وزير المعارف المصري وقتئذ وإلى جانبه د. علي إبراهيم باشا رئيس المؤتمر (١٩٣٨م).

ملف العدد: **آراء الجارم النقدية**

الـرسـول الكـريمُ أنطق حسّـا   نـا، ولـولاه لم يكـن حسّـانـا
وابـن حمدانَ لقَّـنَ المتنبـي   غـررَ المدح في بني حمدانـا
يصدق الشعرُ حينما يصدقُ النا   سُ فيشـدو بمـدحهم نشـوانـا

أما الغـزل فإنّ شاعـرنا كان يـراه برؤيـة متفائلة مبـديا رأيـه في الشعر العاطفي:

غـزلٌ كـالشبـابِ ينضحُ آمـا   لاً ويهزُّ في حلّى فتـانَـهْ
تسمعُ الحبَّ في نـواحيـه همسًـا   يتنـاجى، ويشتكي أشجـانَـهْ
وتحسُّ الهوى يـرفُّ حنـانًـا   شَرَكُ الحبِّ أن تُحِسَّ حنـانَـهْ

لقد أتى الشاعر في غزلياته بمعان مستحدثة نابعة من أعماق وجدانه وشفافية شاعريته وتفاؤل الشباب ودقّة المجرّب.

دفاع عن الشعر

ولم يكتف علي الجارم بنشر رؤاه الفنية والنقدية حول الشعر شكلاً ومضمونًا، بل لقد تجاوز ذلك إلى كثير من القضايا الحديثة التي تهم فن الشعر، كقوله ينعي ما وصل إليه الشعر من اللامبالاة العصرية وتقديم الثانويات عليه، حتى لكأنه أصبح من الكماليات لدى بعضهم، بل إن بعضهم الآخر رآه من المهملات التي لا حاجة لها البتة:

أنـا في أمـةٍ بها جـدولُ الضرْ   بِ طغى سيلُـهُ على الأذهـانِ
إنْ رأوا صفحـةً بها بيتُ شعـرٍ   تـركـوه يبكي على كلِّ بـاني
صحتُ فيهم فعادَ صوتي مع الريـْ   حِ، وعـادتْ حـزينـةً ألحاني
في كسـادِ القـريضِ أخفيتُ دُرّي   وخـزنْتُ الغـريبَ من مـرجـاني
وتمنيـتُ كـلَّ شيء على اللـ   ـهِ سـوى أن أعيشَ من أوزاني

إن مشاعـر الجارم الحزينة تفيض من بين ثنـايا الأبيـات في زمن لم يعد للشعر والفن والـذوق مكان لائق كتلك المكانـة التاريخية السـابقة، حتى أصبح الشعر بضاعة كاسدة لا تجد من يقدّرها، ولو علم الشاعر ما وصل إليه الشعر في زمننـا الحاضر لتضاعف حزنه، ولكن حسبـه أنه أدى واجبه وأطلق صيحات التحذير التي لم تؤدِّ النتائج المرجوة منها.

ويناقش الشاعـر قضية أخرى مهمة من قضـايا الفكر الأدبي، حيث يوضح اتجاهه البيّن المنحـاز إلى التراث شكلا وموضوعًـا حسب ما يتلاءم مع روح العصر، بل ويصرّح بمعاداته لكل وافد فكري وأدبي من الغرب، حيث ينادي بصوت مجلجل:

سكتَ العنـدليبُ في وحشـةِ الـرَّو   ضِ، وغنّتْ نـواعـقُ الغِـربـانِ
فسمعْنـا من النشـوزِ أفانيـْ   نَ يـروِّعْنَ صـادحَ الأفنـانِ
جلبـوا للقـريضِ ثـوبًـا من الغـرْ   بِ، ولم يجلبـوا سـوى الأكفـانِ
ثم قـالـوا: مجدِّدون فـأهـلاً   بصنـاديـدِ أُخـريـاتِ الزمـانِ
لا تثـوروا على تـراثِ امـرئ القيـ   ـسِ، وصـونـوا ديبـاجـة الـذبيـاني
واتـركـوا هـذه المعـاولَ بـاللـ   ـهِ، فإني أخشـى على البنيـانِ
واحفظـوا اللفظ والأسـاليبَ والـذو   قَ، وهـاتـوا مـا شئتمُ مـن معـانِ

ما الشعر المثالي ـ إذًا ـ في نظر علي الجارم؟ إنه ذلك الشعر المتخضّب بخضاب التراث، الضارب في عمق الأصالة العربية، سواء أكان ذلك في الشكل أم في المضمـون، فكـلاهما متمم لـلآخر، فيقـول في رثـاء أستـاذه إسماعيل صبري الشاعر المعروف:

أين ذاك الشعـر الذي كنـت تزجيـ   ـه فيسري في الأرض عـرضا وطـولا
قـد سمعنـاه في المزاهـر لحنًـا   وسمعنـاه في الحمام هـديـلا
تنهبُ الـدرَّ من عقـود الغـواني   ثم تـدعـوه فـاعـلاتُن فعـولاَ
خطـراتٌ تسيرُ سير الـدراري   أبيـاتٍ على الـزمـانِ أُفـولا

إنه لا يستطيب الجلوس إلا على مائدة ذلك التراث العظيم الذي لا ينضب مهما حاول دعاة الهدم، وإن لم يعارض الشـاعر التجديد في المعاني والأفكار، لأن هذا هو ديدن الحضارات المتجددة.

لقد نمّت شاعرية الجارم وحسه المرهف عن آراء عديدة في عالم النقد والأدب أفاد منها ـ بلا شك ـ النقد الحديث والدراسات الأدبية المعاصرة، وتلك الآراء وإن صـاغهـا الشاعـر شعـرا فإنها لا تمتّ إلى الشعـر العلمي الجاف بأية صلة، فهي آراء ثرية متأدبة دلّت على قدرات الشاعر الإبداعية والنقدية الدقيقـة التي لم تخل من العمق والفلسفة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يـدل على أننـا أمـام أديب متسع الثقـافـات، ولـو بحثنـا في أصل اختصاصه العلمي الأول لوجدناه ميدان الدراسات النفسية التي أصبحت في عالمنا اليوم مرتبطة بالدراسات الأدبية والنقدية كأشدّ ما يكون الارتباط، وكأن الجارم بذلك يكون سابقًا لعصره. يقول أحد الأعلام المعاصرين لهذا الأديب المفكر حـول هذا الأمر: **«وكما أن أثر الأدب والشاعـرية قد جمّل العبارات العلمية في أسلوب الجارم، إلا أنـه من الملاحظ أيضا أن تخصصه الأول، وهو علم النفس لم ينعزل عن طبيعته الأدبية حين يكتب في موضوع علمي أدبي، فبحوثه وآراؤه دائما يحتضنها علم النفس...»**(٥).

وبعد، فإن تلك الآراء النقـدية الأدبية التي تدور حـول فن الشعر في شعر علي الجارم لهي غيض من فيض هـذا الأديب النـاقـد اللغوي النفسي الذي لا ينضب، أتحفنا به في مطلع نهضتنـا الأدبية الفكرية الحديثة ليبقى نبراسًـا ينير مع غيره من مشـاعل الفكـر طـريق الـدارسين المخلصين لعربيّتهم.

الهوامش

(١) عن كتابة «جارميات»: بحوث ومقالات الشاعر والأديب اللغوي علي الجارم. جمع أحمد علي الجارم.
(٢) ديوان الشاعر ويقع في أربعة أجزاء، ط دار المعارف، ١٩٤٧م.
(٣) العطو: رفع الرأس.
(٤) الجحجاح: السيد الشجاع.
(٥) مقدمة كتاب جارميات لمهدي علام، ص ١٢.

الجارم.. ومدرسة دار العلوم في الشعر

بقلم: د. عبده بدوي

كان علي الجارم من أسرة متدينة، فوالده كان قاضيًا شرعيا، ومن ثمَّ أعدَّهُ للالتحاق بالأزهر الشريف، ثم كان التحاقه بدار العلوم، وكان من الطبيعي أن يلمع في دار العلوم باعتباره شاعرًا جَزْلا، محافظا على اللغة. ولمّا كان ترتيبه الأول في التخرّج، فقد هيَّأه هذا إلى أن يُبْعث إلى إنجلترا عام ١٩٠٨م، وأن يظل بها حتى عام ١٩١٢م، ولمّا لم يكن قد حصل على درجة علمية، كان من الطبيعي أن يلتحق بالتربية والتعليم مفتشا، فكبيرًا للمفتشين، وعضوًا بمجمع اللغة العربية. ولعلّ دار العلوم والعمل بها كان ممّا يشغله، ولهذا رأيناه يختم حياته عميدًا بها حتى وصل إلى سن الستين، ثم كان الموت عام ١٩٤٩م.

والذي يهمُّنا هنا هو أنّه كان عضوًا بارزا في تيّار جديد لم ينلْ نصيبًا من النّقاد، هذا التيّار هو التّيار الدّرعميّ في الشعر، فقد كان عَلاَمَةً واضحةً عليه، فهو لا يدخل في دوائر البارودي أوصبري أو شوقي أو حافظ، أو في الشعراء السّابقين لجيله، وإنما كان ينتمي - كما يرى العقاد - إلى مدرسة دار العلوم، حيث كان من أركانها في هذا العصر، حفني ناصف في لباقته، ومحمد عبد المطلب في بداوته، وعلي الجارم في رقّته. وحين نرى هذه المدرسة قد انقسمتْ إلى مدرسة «الأفندية» ومدرسة «المُعَمَّمين» نرى أنّ مّما يجمعهما معا تلك الأسرة الفكرية النفسيّةُ، التي خلقَتْها طبيعةُ الدّراسة التي انْفردتْ بها، ومن ثمّ كان يمكن أن يُطلق على كل واحد أنه «لغوي عربي سلفي عصري». ونحن يهمنا أن نكمل هذه الملامح للمدرسة الدرعمية في الشعر، فالدراسة كانتْ تهتمّ بالجانب النظري، والتركيز على القول بأن الشعر مستطيع بنفسه، ومن ثمّ فلا داعي لاقترابه من الملحمة والمسرحية، أو بأي شكل من أشكال الفنون الجميلة، أو بعددٍ من درجات السُّلّم الموسيقي خارج السُّلم الخليلي، هذا بالإضافة إلى الجزالة النجْدية، وإلى التناغم أكثر مما يقوم على التناقض، وإلى الجمال واضحًا وصريحًا.

فهناك عالمٌ عربي خاص بالمفردات، والجمل، واللقطات، والصُّور، والدّعابة، والبُعد عن المواقف الحَدِّية، والاقتراب من عالم المثال، فالشعر مثلا عنده يقوم أكثر ما يقوم على الموسيقى، وعلى الذّوق، وعلى العالم السحري الذي لا تستطيع أن تفضَّ خاتم سحره، وإماطة اللثام عن مكنون سرّه، ولنتأمل قوله: «إن جمال الشعر في نظمه وجَرْسه ورنينه، وفي انتقاء ألْفاظه وتجانسها، وفي ترتيب هذه الألفاظ ترتيبًا يُبْرِزُ المعنَى في أروع صُورةٍ وأبدعها، وفي اختيار الأسلوب الذي يليق بالمعنى ويَلْبَقُ به، فمرةً يكون إخبارًا، ومرةً يكون اسْتفهاما، ومرةً يكون اسْتنكارا، ومرةً يكون نَفْيًا، ومرةً يكون تَعَجّبًا، كلّ ذلك يكون مع المحافظة على الأسلوب العربّي الصّميم؛ ثم في المعاني وابتكارها أو توليدها من القديم في صورةٍ جديدة رائعة؛ ثم في الخيال وحُسْن تصويره والْتزام الذوق العربيّ فيه، ثم في إحكام القافية والتّمهيد إليها؛ ثم في انتقاء البحر الذي يلائم موضوع القصيد، ثم في التّنَقّل في القصيدة في فنُونٍ شتّى من القول، مع المحافظة على الوحدة الشّعرية؛ ثم في روح الشاعر وخِفَّة ظله، وانسياقه مع الطَّبع، وتعمده لمس مواطن الشعور (١)». ونراه يقول: «فليس الشعر الوزن وحده ولا القافية وحدها، ولا الكلمات التي تملأ فراغ التّفاعيل، وإن عذبتْ ولطفت، وإنما الشعر ما وراء كل بيت من ضوءٍ روحاني وجدَلهُ بين ألفاظه منفذًا، ومن سحرٍ سماويّ زحزح البيتُ دونه طرف الستار(٢)»، ووراء هذه النظرة الانطباعية نجد عددًا من المفاهيم التي نجدها في عدد من المصادر العربية مثل: طبقات فحول الشعراء، والشعر والشعراء، والبيان والتَّبيين، والبديع، وأسرار الفصاحة، ودلائل الإعجاز، وعيار الشعر، والعمدة ... إلخ.

فنحن نجد عنده رعاية المفتتح والمختتم مع الحرص على التَّصْريع.

صَفَا وِرْدُه عَذْبًا وطابت مناهِلُهْ　　　وَجلَّتْ يَدُ الدّهْر الذي عَزَّ نائِلُهْ

كما نجد عنده التكرار في أوائل الأبيات، فقد كرَّر كلمة «دعاهم» عشر مرات في قصيدة أبي الزهراء وكرَّر كلمة «هذا» سبع مرات في قصيدة أبي الأشبال، وهو يعتمد على هذه الخاصية في كثير من شعره للتأثير في السَّامع، كما أنّه يضع الاقتباس في موضعه، ومن هذه الاقتباسات نعرف اهتمامه بمن يقتبس منه على حدّ ما نعرف من اقتباسه من البحتري، كقوله في رثاء إسماعيل صبري:

لوْ وعاها ما اهتزّ يُنْشد يوما　　　«ذاك وادي الأراك فاحْبِسْ قليلا
قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أو حزينا　　　أو مُعينا أو عاذرًا أو عذولا»

بل إنه كثيرا ما يقتبس من القرآن الكريم كقوله في القصيدة نفسها:

هبطتْ حكمة البيان عليه　　　فاذكروا في الكتاب إسماعيلا

فهنا اقتباس جميل من قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعْد وكان رسولاً نبيا﴾ مريم ٥٤.

الاهتمام الدرعمي باللغة

وقد كان من الطبيعي أن يقدم صورًا جزئيةً تعتمدُ أكثر ما تعتمد على

ملف العدد: الجارم ومدرسة دار العلوم

التّشبيه والاستعارة والتمثيل، ليستطيع أن يُجسّم ويشخّص، وليقترب من مقولة ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر: «إن الشاعر المتمكن كالنّقاش الرّقيق الذي يصنع الأصباغ في أحسن تقاسيم نَقْشه، ويشيع كلّ صَبْغ منها حتى يتضاعف حسنُه في العيون»، فإذا كانتْ العربُ تُشبّه إعجابًا بحسن التشبيه، فأروع الاستعارات ما تتّضح فيه العلاقة بين الأطراف أو ما يتبادل طرفاها على حدّ ما قيل في هذا الجانب.

من كلّ هذا نعرف الاهتمام الدّرعمي باللغة، والغوص في خصائصها، ونحن حين نقلّبُ ديوان الجارم الذي يصل إلى ٥٩٥ صفحة من القطع الكبير، لا نجده يبعد كثيرًا عمّا جاء في التراث. ومع أنه قضى أربع سنوات في بعثته إلاّ أننا لا نجد أثرا واضحًا لعيشه في هذا العالم الجديد، ماعدا لَقْطَةً عابرةً رأى أن يسجلها بخفة دم، فقد زار لندن في فصل الشتاء، ومن العجيب بها ـ كما يقول ـ أن الضّباب يتكاثف أحيانا فيحجب الأضواء، ويجعل المدينة في ظلام دامس، وحينئذ يحارُ البصرُ ويضلّ الطريق، وقد يهدي العُمْيُ المبصرين في هذه الحالة لاعتيادهم الضرب في الأرض على أي حال، ومن ثمّ قال:

أبْصَرْتُ أعْمى في الضّباب بلندن ... يَمْشي فلا يشكو ولا يتأوّهُ
فأتاهُ يَسْألُه الهدايةَ مُبْصرٌ ... حيرانُ يخبطُ في الظّلام ويَعْمَهُ
فاقتادَهُ الأعمى فسار وراءه ... أنّى توجَّه خَطْوهُ يتوجَّهُ

ونراه يكتب خمسة أبيات أخرى عام ١٩٠٩ حول اشتداد البرد بعنوان «يوم عبوس»، وسرعان ما تفد على ذهنه حرب البسوس بعد التأثر القرآني فيقول:

ويلاهُ من يوم الخميـ ... س فإنّه يوم عَبُوسْ
فيه تحارَبتْ الرّيا ... حُ فلا تَقُلْ حَربَ البَسُوس
خافتْ غوائلَه الغزا ... لةُ، فالغمامُ لها تروس
يوم أحطْنا باللّظى ... فيه، ونكّسْنا الرؤوسْ
فكأننا قُمْنا نؤيّـ ... ـدُ فيه مُعْتَقَدَ المجوسْ

ثم نراه يكتب ذكرى الغرب بعد عودته عام ١٩١٢، وأخيرا نرى بعض أصدقائه يعرض عليه قطعة نثرية باللغة الفرنسية، يوصي فيها كاتبُها ابنتَهُ بالتّحلي بكريم الصّفات، ثم طلب إليه أن يقول شعرا على مثالها فنظم قصيدة بعنوان «وصيّة» عام ١٩١٨، لا نحسّ منها روح الفرنسية، وإنّما الرّوح العربية في البُعد عن التّبرّج، ولبس الخمار، والدموع اللاتي «يَهْطلن هَطْلاً!»، وقد وجدنا شرحا لكلمة «وردة» في قوله ببلدة رشيد:

حين سمّوك وردة زُهِيَ الحسنُ ووَدَّ الخدود لوكُنَّ وردا

وقال وردة: إشارة إلى اسمها في اللغة الإنجليزية.

ثم إن من السمات الدّرعمية البعد عن المواقف الحديّة، فجهده أن يكون له موقف وسط، أو موال بحماسة لشرعية الحكم، فلم يكن كالعقاد الذي خاصم الملك فؤاد، لأنّه والى الإنجليز الذين أتوا به إلى الحكم، وتآمر على دستور عام ١٩٢٣، وجعل نفسه مصدر السلطات، ومال إلى

قالوا في علي الجارم


العقاد

إن للجارم مدرسة خاصة من مدارس الشعر الحديث تقوم على قواعد غير تلك القواعد كلها عند إجمالها أو إفرادها وتخصيصها باسم كل شاعر معدود في أولئك الشعراء، إن الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بملامحها وأن تستقل بعنوانها فلا تلتبس بمدرسة أخرى تنسب إل عَلَم من أعلام الشعر المخضرمين بينَ القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

إنها مدرسة يجوز لنا تسميتها بمدرسة: «دار العلوم» ونعجب لأنها لم تتميز بهذه الميزة الواضحة وهي أدل عليها من كل جامعة أخرى تفرقها ولا تقارب بين أوصالها.

عباس محمود العقاد

هو أستاذي وأستاذ غيري في النحو والصرف ورسم الكتابة غير منازع والطاعة والتسليم واجبان له.

عبد العزيز فهمي

أراحت كتب (النحو الواضح) مئات من المعلمين ويسرت على ألوف من المتعلمين وأزاحت عن هذا العلم ـ علم النحو ـ سحبا من النفور والكراهية كانت تحيط به وتصد المتعلمين. ثم شاعت في البلاد العربية وصارت كالمنهاج لتعليم النحو، وأحدث أسلوبها في الشرح والتأليف مدرسة أخذ المتعلمون يتبعونها ويؤلفون على مثالها محاكين أو مقلدين.

إبراهيم مصطفى


أحمد أمين

كان علي الجارم ذواقا طروبا يتذوق المعنى الجميل والفكرة البديعة والنكتة الرائعة، فيطرب لها أشد الطرب ويشيع طربه في كلّ من يجالسه. وله حكم صائب على ما يقرأ وما يسمع، يقوّمه تقويما دقيقا وينقده نقدا صحيحا. ثم هو لا يتعصب لرأيه، فإذا سمع ما يخالفه أصغى إليه في أناة وفكّر فيه في سماحة، وإذا اقتنع بصوابه أعلن عدوله عنه في صراحة. له أثر كبير في كل هيئة ينتسب إليها، وفي كل عمل يتجه إليه. اتجه إلى تبسيط النحو والبلاغة فبسطها فيما ألف من كتب. وكان حركة دائمة في المجمع اللغوي يشترك في وضع المعجم الوسيط، ويشرف على إخراج مجلته، ويسهم إسهاما فعّالاً في أكثر لجانه.

أحمد أمين



الجارم جالسًا في حفل استقبال مجمع الخالدين في القاهرة للأديب الفرنسي جورج دو هامك أثناء زيارته للقاهرة، ويلقي د. طه حسين خطاب التحية للضيف باسم المجمع (١٩٤٨م).

أحزاب الأقلية، وهو صاحب المقولة التي كانتْ وراء سجنه: « إن الأمّة على استعداد لِسَحْق أكبر رأسٍ في البلد، يُحاوِلُ أن يعبث بدستور البلاد!». أما الجارم فقد تعاطف مع الأسرة الحاكمة ابتداء من محمد علي، ثم تكلم عن إبراهيم باشا بمناسبة مرور مائة عام على وفاته، ثم تكلّم عن إسماعيل العظيم بمناسبة مرور خمسين سنة، ثم تكلم عن السلطان حسين، ثم تكلم في ثلاث قصائد عن الملك فؤاد، ثم واكب سيرة الملك فاروق ميلادًا، وتهانيَ بالعيد، وبالزّفاف الأول ثم الزفاف الثاني، ثم زواج الأميرة فوزية بشاه إيران وذكرى هذا الزواج، وأخيرا لاينسى الأميرة فادية. ويبدو أن هذا الأمر كان مفروضا عليه، فهو كلام مجرّد، لا نجد فيه رسما للشخصية المُحْتفى بها، ولا ملامح للشخصية القائلة في الديوان. كما نجده قد ارتبط بعدد من الشخصيات في عصره كالإمام محمد عبده، وسعد زغلول، ومحمد محمود، والنحاس، والنقراشي، وبعض الأصدقاء.

المبالغة الشعرية

وكل هذا يسوقنا إلى قضية «المبالغة» في شعره، باعتبارها إفراطا في الإغراق، وإفراطا في الصّنعة، ولعل «قُدامة» قد دافع عن هذه القضية بحماسة شديدة؛ فبراعة الشاعر تظهر في الإفراط في وصف الممدوح، وجعله في مستوى فوق مستوى البشر، وليكون هناك مبرِّرٌ لبذل العطاء، ولإظْهار الفَرْق بين الحاكم والمحكومين، وما أكثر ما عيب على بعض الشعراء ـ كالأحوص والأخطل وكثيّر ـ لأنهم خاطبوا الحكامَ بما تُخاطَبُ به العامّة، وقد قيل إن الكناية ترجع في حسنها إلى ما يتوقّع من المبالغة، والإغراق في صفة الممدوح، ولهذا قال ابن رشيق في العمدة: **«ولو بطلتْ المبالغةُ كلُّها وَعِيبتْ لبطل التَّشْبيه، وعيبتْ الاستعارة إلى كثير من محاسن الكلام[٣]»**. وعلى كل فهناك مراعاة لظروف اجتماعية شاذّة، تباعدتْ فيها الشّفقةُ بين الحكّام والرّعية، وانعدمتْ فيها الصِّلة بين ذات الشاعر، وما يصطنعه من شعر، ولا مفر من أن ترتبط الصورة ــ نتيجة لذلك ـ بالتحسين والتقبيح(٤)، فحين يصل الأمر إلى الحديث عن فرار جمل من جزاره، والتجاء هذا الجمل إلى قصر عابدين عام ١٩٤٤، فإن الأمر يبدو غثا، والمبالغة تُصْبح مُضْحكة حين نقرأ:

عابدين كعبة مصر رُكْنُها حَرَم ... للخائفين إذا خَطْبٌ بهم نزلا

تهوي إليها وُفودُ الأرض ضارعةً ... ترجو بها الأمْنَ أوْ تُحيي بها الأملا

أمرٌ وعاهُ بنو الإنسان وحدهمُ ... فمن بربك قل لي أَخْبر الجملا؟!

ولعلنا نستثني من المبالغة المقيتة ما كتبه الشاعر أكثر من مرَّة في كلية دار العلوم، وفي مدينة رشيد، وما كتبه عن رسول الله ﷺ في مفتتح الجزء الأول، والجزء الثاني، وبخاصّة حين يمزج رسالته بالعروبة.

حَننّا إلى مجْد العروبة سامقا ... وما نحن في ساحاتِه غُرباءُ

زمان لواء العُرْبِ يُزْهَى بقومِه ... وما طالهُ في العالمين لواء

زمان لنا فوق الممالك دولةٌ ... وفي الدَّهر حُكْمٌ نافِذ وقضاء

نناجيك هذي راية العُرْب فاحمها ... فَمِن حولها أجنادك البُسَلاءُ

أعِزْنا بحق المصطفى منك قوةً ... فليس لغير الأقوياء بقاء

كمال الاتصال

بقي أن نعرف أنه ركّز على ظاهرة دَرْعمية، حرص عليها الدرعميون من قديم حين انتفعوا من وصية **أبي تمام للبحتري**، والتي يقول فيها: **«يا أبا عبادة تخيّر الأوقات.. وتَغَنَّ بالشعر، فإن الغناء مضماره الذي يجري فيه، واجتهد في إيضاح معانيه... إلخ»**، ومن ثم رأينا الجارم يقول: **«اعتدتُ حين أنظم الشعر ألاّ أستعين عليه بالكتابة، بل بالحفظ والترجيع، فإذا خطرت لي الفكرة، وألهمتُ بيتًا، أخذت أتغنّى به، حتى إذا ارتحتُ إلى معناه ومبناه، نظمت غيره، وتغنّيت به إلى أن تتم القصيدة، وقد حفظتها جيدا، فأعيد إنشاءها بين نفسي لأقف على مواضع قوّتها وضعفها»**(٥). ويمكن أن تسمّى ظاهرة الإنشاد، بحيث تعطى الكلمة ما تستحقه من مفردات علم الأصوات، أو ما يسمى تراثيًّا علم الإلقاء والتجويد، وكثير من الذين سمعوه كانوا يقولون إن في إلقائه شعرًا أكثر ممّا في شعره.

تلك ملامح دَرْعمية يمكن أن نجدها في «كمال الانفصال» عند محمود حسن إسماعيل، ومحمود غنيم، وعلي الجندي، وأحمد مخيمر، والعوضي الوكيل، ومحمد عبد الغني حسن، وعبد العزيز عتيق، وسعد دعبيس، وأحمد هيكل، وفاروق شوشة، وعبد اللطيف عبد الحليم، ومحمد حماسة، وغيرهم.

أما أن نجدها في «كمال الاتصال» فعند علي الجارم.

الهوامش

١ ـ ديوان علي الجارم، ط ٢، دار الشروق، ص ١٤.
٢ ـ السابق، ص ١٥.
٣ ـ العمدة ٢/ ٥٥.
٤ ـ الصورة الفنية في التراث النقدي لجابر عصفور، ط ٣، ص ٣٥٣.
٥ ـ مجلة الهلال جـ ٣، المجلد ٥٣، مارس ١٩٤٩.

ملف العدد:

شاعرية الجارم

بقلم: د. حسين علي محمد

ينتمي علي الجارم فنيا إلى الاتجاه البياني المحافظ في الشعر العربي الحديث، هذا الاتجاه الذي كان من أعلامه: أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢)، وحافظ إبراهيم (١٨٧٢ - ١٩٣٢)، ومحمد عبد المطلب (١٨٧١ - ١٩٣١)، وأحمد محرم (١٨٧٧ - ١٩٤٥)، وعلي الغاياتي (١٨٨٥ - ؟) وغيرهم.

وقد ظهر هذا الاتجاه أولاً على يدي البارودي (١٨٣٨ - ١٩٠٤) ثم نما وازدهر على أيدي هؤلاء الذين «التفتوا إلى مجد الماضي وتراث الأمس، للاتكاء عليه ومواجهة تحدّي الحضارة الغربية به» (١). ومن تجليات ذلك عند الجارم:

١ - احتفاؤه بتناول الموضوعات الإسلامية في قصائده، وبخاصة تلك التي تومئ إلى الإسلام، وإشراق الحضارة العربية به، التي وحدت بين شتات العرب يوم أعزّهم الله بالإسلام:

أطلَّتْ على سُحْب الظلام ذُكاءُ	وفُجِّر من صخر التنوفة ماءُ
وخُبِّرتِ الأوثانُ أن زمانَها	تولَّى وراحَ الجهلُ والجهلاءُ
فما سَجدت إلّا لذي العرش جبهةٌ	ولم يرتفع إلا إليه دُعاءُ
تبسَّم ثغرُ الصبحِ عن مولدِ الهُدى	فللأرض إشراق به وزُهاءُ
وعادتْ به الصحراءُ وهْي جديبةٌ	عليْها من الدين الجديد رُواءُ
ونافست الأرضُ السماءَ بكوكبٍ	وضيءِ المحيّا ما حوتهُ سماءُ (٢)

لقد كانت الأخطار التي تحيق بالأمة العربية والإسلامية في النصف الأول من القرن العشرين كبيرة، فلقد تفككت عُرى دولة الخلافة الإسلامية «فاحتلت روسيا بعض أملاك تركيا على البحر الأسود، واضطرت تركيا إلى التخلي عن رومانيا والصرب، ثم احتلت فرنسا تونس سنة ١٨٨١، واحتلت إنجلترا مصر سنة ١٨٨٢، ثم هاجمت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١، وحملت تركيا على التخلي عنها سنة ١٩١٢ لتتفرغ للثورات المتأججة ضدها في البلقان» (٣). ومن ثم رأينا الجارم كغيره من شعراء مدرسة الاتجاه البياني المحافظ يعود بشعره ورؤاه إلى العصور المضيئة يحتمي بها من الواقع المتردّي الذي كان يحاصره من كل جانب.

الإكثار من قصائد المديح

أكثر علي الجارم من مدح حكام مصر بدءًا من محمد علي الكبير صانع نهضة مصر الحديثة حتى فاروق الأول.

ولا يكتفي الجارم بقصائد المديح - وهي أكثر من ثلث قصائد ديوانه - بل نراه في معظم قصائده يتطرق إلى المديح في نهاياتها.

ففي قصيدة «العيد المئوي لوزارة المعارف» وهي في مائة بيت، نراه يجعل الأبيات العشرة الأخيرة لمدح فاروق (كتبت القصيدة عام ١٩٣٧). يقول فيها:

إن عيد المعارف اليومَ عيدٌ	للنُّهى والجودِ والذكرياتِ
عيد يمنٍ لمصرَ، فالدهرُ دانٍ	خاضع الرأسِ، والزمان مواتِي
بلغت مصرُ ما ترجي، وفازتْ	بعد طولِ الأسى وذُلِّ الشكاةِ
وأطاحت قيودها فاستقلتْ	وامّحى ما تركن من ندباتِ
واسْتَعَزَّتْ بطلعة الملك الفا	روقِ، زيْن الحمى وفخْرِ الحماةِ
يُشرقُ الملكُ بالمليكِ ويُزهى	بمجالي آلائهِ المشرقاتِ(٤)

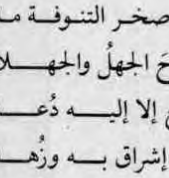
ولعل مرجع ذلك إلى أن شعر الجارم شعر محفليٌّ، كان يلقى في محافل، وكان يرى لزاما عليه كموظف من كبار الموظفين في الدولة، أن يحيي أصحاب الحكم، كما نرى الخطباء المحفليين الآن، يتوجهون بالشكر إلى القائمين بالأمر.

ولكنك إذا بحثت عن شعر يخاطب حاكما كعباس يقف الناس منه موقفا مضادًّا بعد أن تنكّر للوطنيين وهادن الإنجليز، مثل قول الغاياتي:

أعباس هذا آخر العهدِ بيننا	فلا تخش منا بعد ذاك عتابا
أيرضيك منا أن نكون أذلّة	ننال إذا رمنا الحياة عقابا ؟
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها	وأصليتنا بعد الوفاق عذابا (٥)

إذا بحثت عن ذلك عند الجارم، فإنك لن تجده. والجارم ليس بدعًا في ذلك. ويعلل الدكتور أحمد هيكل اتجاه ذاك النفر من الشعراء إلى المهادنة بقوله: « **إذا كان بعض الشعراء قد استمروا على الاتصال بعباس، ومدحوه حتى بعد انقلابه على الوطنيين، ثم مدحوا من جاء بعده من حكام أسرة محمد علي، فإن ذلك لا يطعن في شعر المحافظين جملة، ولا**

من كتاب العدد



● د. حسين علي محمد

- من مواليد محافظة الشرقية ١٩٥٠م.
- حصل على الدكتوراه سنة ١٩٩١م في الأدب العربي.
- شاعر وناقد له مجموعة دواوين ودراسات نقدية ومسرحيات شعرية.
- أهم أعماله «السقوط في الليل» و«الرحيل على جواد النار» و«شجرة الحلم».
- يعمل حاليًا أستاذًا مساعدًا بكلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامي بالرياض.

يغض منه بسالته ونضاليته، وهؤلاء النفر من الشعراء الذين استمروا على صلة بالقصر أو مدحوا حكامه، فقد كانوا ممن خضعوا لظروف شخصية وانحرفوا معها عن طريق التضحية والفداء . . . فقد كان منهم الطامح إلى منافسة شوقي ونيل شيء من جاهه الذي ناله عن طريق القصر، كما كان منهم المتّقي للأذى في الرزق أو المنصب أو البدن ثم كان منهم الآمل أن يقدّم هؤلاء الحكام للبلاد شيئا من الخير باعتبارهم القابضين على السلطة في تلك السنين» (٦).

الإصلاح الاجتماعي

وإذا كان الجارم بوصفه واحدًا من كبار الموظفين افتقدنا شعره السياسي المؤازر لخطوات الأمة في الثورة والتمرّد، فإننا لم نفتقد صوته في الإصلاح الاجتماعي.

فحينما تقيم جمعية رعاية العميان بمصر في ١٥ من نيسان (أبريل) سنة ١٩٣٧ حفلة بدار الأوبرا لحض المحسنين على مدّ يد الإحسان إلى هذه الطائفة لتتمكن الجمعية من توسيع نطاقها وتثقيف عدد كبير من هؤلاء المكفوفين ليستطيعوا العيش وحدهم، وليستغنوا عن ذل السؤال، يكون هناك علي الجارم بقصيدة عصماء في سبعة وسبعين بيتا فيقول:

أيها الأغنياء أين نَداكم؟ ... بلغ السيل عاليات القِلالِ!
همْ عيالُ الرحمن ماذا رأيتم ... أوْ صنعتم لهؤلاء العيالِ؟
أنقذوا العاجزَ الفقير وصونوا ... وجهَهُ عن مذلّةٍ وابتذال (٧)

وهو لا يروقه أن يرى بعض النساء متبرّجاتٍ، فيدعو ابنته في قصيدة «وصيته» ألا تقلّدهن:

يا بنيتي، إن أردْتِ آيةَ حسْنٍ ... وجمالاً يزينُ جسمًا وعقْلا
فانبذي عادة التبرّج نبْذا ... فجمال النفوس أسمى وأعلى
يصنعُ الصانعون وردًا ولكنْ ... وردةُ الرَّوْضِ لا تضارَعُ شكلا (٨)

ملامحه الفنّية

كان الجارم - كما قلنا - من شعراء الاتجاه البياني المحافظ الذين «وقفوا بالفن الشعري عند اتخاذ النماذج القديمة الجيدة مثلاً أعلى» (٩)، ونجد ذلك في الآتي:

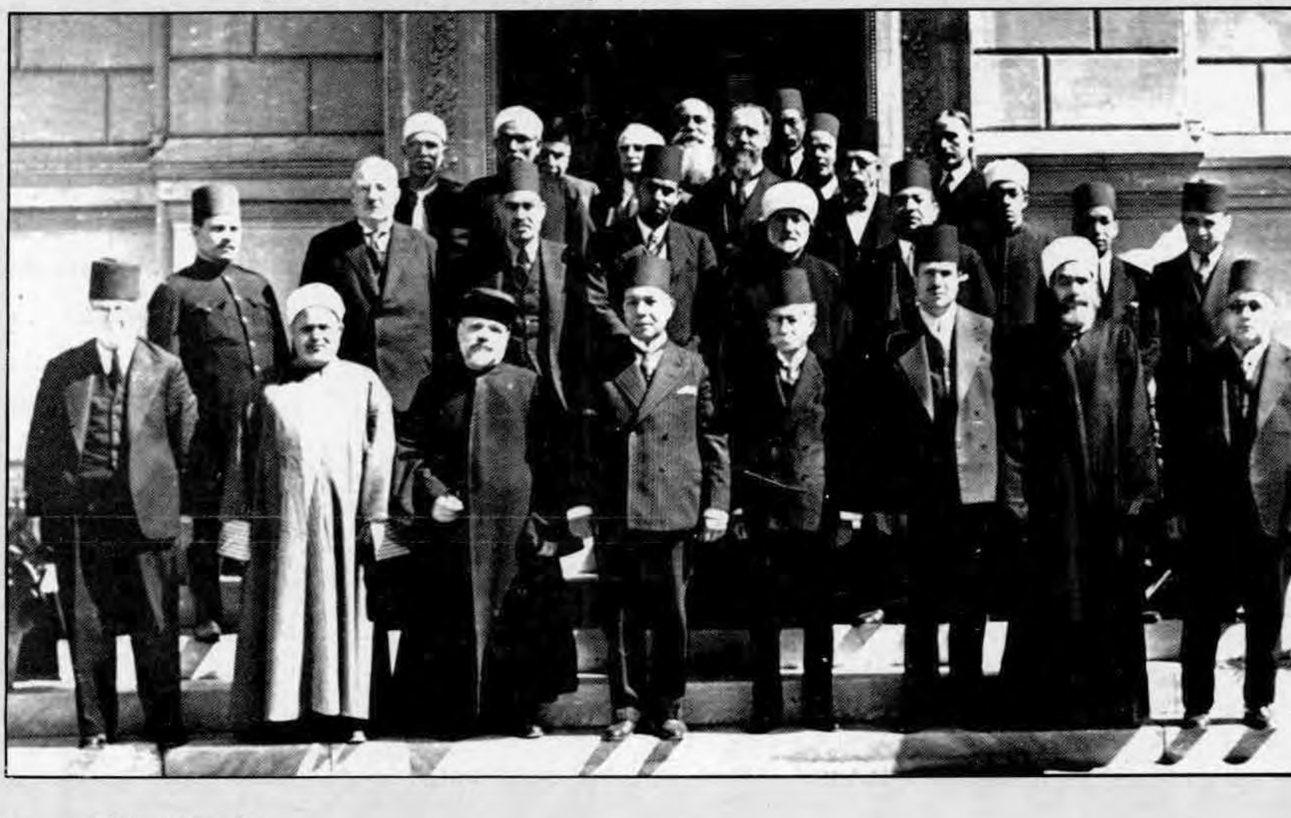
١ - المعارضات الشعرية:

ونعني بها تلك القصائد التي احتذى فيها الشعراء السابقين في قصائد شهيرة لهم، فكتب قصائد في بحرها ورويّها، مع اختلاف في الغرض. وهذا ما يسميه النقاد «بالمعارضة الناقصة» (١٠) ومن هذه المعارضات، قصيدته «فلسطين» التي مطلعها:

تألّق النصرُ فاهتزّت عوالينا ... واستقبلت موكب البشرى قوافينا
غنّى لنا السيفُ في الأعناقِ أغنيةً ... عزّت على الأيك إيقاعا وتلحينا

«مال إلى البحور الطويلة والكلمات الجزلة والمبالغات التي درج عليها الأولون»

أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة بمناسبة انعقاد إحدى دوراته، ويظهر علي الجارم في الصف الثاني وعن يمينه المستعرب ماسينيون، وعن يساره محمد حسن العشماوي والشيخ المغربي، وفي الصف الأول وزير المعارف في ذلك الوقت محمد علي علوبة وعن يمينه حاييم ناحوم أفندي ثم الشيخ السكندري فالأستاذ محمد كرد علي، وعن يساره محمد توفيق رفعت باشا رئيس المجمع عند إنشائه ثم د. منصور فهمي



ملف العدد: شاعرية الجارم

هـزّتـه كفٌّ مـن الفـولاذِ قبضتُهـا   في الهول ما عرفت رفقا ولا لينا (١١)

فهو هنا يعارض ابن زيدون في قصيدته في ولّادة التي مطلعها :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا (١٢)

٢ ـ احتذاء عمود الشعر :

نجد الجارم يبدأ قصائده بالغزل، حتى ولـو كان موضوعها بعيدًا عن الغزل بُعـد المغرب عـن المشرق، فنراه يشـارك دار المعارف احتفـالها بمرور عامين على سلسلة «اقرأ» في قصيدة «ذكرى وتاريخ» فيستفتحها بالغزل :

لست من شأنِـهِ ولا بعض شـانـه   كبح الشيب والنُّهى مـن عنَـانـه
فـاذهبي، مـا سـلا الفـؤادُ ولكنْ   سـاقَـه بأسُــه إلى سلـوانــه
وبدار الفـردوسِ مَنْ جانبـوا الإثـ   ـم، لعجـز النفـوس عن إتيـانـه
قـد تـولى الشبـابُ ريحانـة الحبِّ   فمن لي بـالحبِّ أو ريحانِـه (١٣)

ويلْقي في افتتاح المؤتمر الطبي ببيروت قصيدة بعنوان «لبنان»، فيقول في مطلعها :

ألقيت للغيـدِ الملاحِ سـلاحي   ورجعتُ أغسلُ بالـدموع جراحي
ولمحت ريحان الصِّبَـا فـرأيتـهُ   ذبلت نضـارتـه على الأقـداح !

وأحيانا أخرى نـراه يصف الأطلال في مطلع قصائده، ويتحدث عن الرسوم والديار كما كان يفعل القدماء، ولكن ذلك قليل في شعره.

٣ ـ المبالغة التي لا تظهر فيها الخصوصية :

من باب الصنعـة في شعر الاتجاه البياني المحـافظ مبالغـاتهم التي يعدونها من باب «إتقان الصنعة». يقول في قصيدة «تحية إياب» التي استقبل بها الملك فؤاد عند عودته من أوربا في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٧ :

ذاك لألاؤه، وهـــذا رُواؤهْ   والضيـاءُ الـذي تَـروْن ضيـاؤهْ
وبهاءُ الـريـاض كللهـا الغيْـ   ـثُ، فتـاهتْ بنـورهنَّ بهاؤُهْ
والنسيمُ الـذي جَـرَى طيب النَّـ   ـشْرِ جـرى ذكـره بـه وثنـاؤهْ
ذاك وجـهُ المليكِ وجـهُ أبي الفـا   روقِ، هذا سنـاه هذا سنـاؤهْ (١٤)

وتقرأ القصيدة فلا ترى فيها خصوصية الممدوح، بل هو كلام مما يقال في كل ممدوح (١٥).

ماذا يبقى من الجارم شاعرًا؟

مـاذا يبقى من علي الجارم الشاعـر صـاحب الـديوان الضخم الـذي يتكون من عدة آلاف من الأبيات؟

تبقى أشعاره التي يكـون فيها صوت نفسه، لا صـوت غيره. ونقصد بها تلك الأشعار التي تتناول ذات الشاعر، وتحمل ذوب قلبه. وستكشف لنـا عن نفس صـاحبهـا التي «تجمع بين جـدّه البـاسم وفكاهاتـه الصادقـة» (١٦) كما يقول العقاد. ومنها مقطوعـة «قبعة بعد عمامة»، فقد كان الشـاعر في بعثـة أرسلتها الحكـومة المصريـة إلى إنجلترا سنة ١٩٠٨ ،

لبستُ الآن قبّعـــةً بعيـــدًا   عن الأوطـان، مُعتـاد الشجـونِ
فـإن هـي غيَّرت شكلي فـإنّي   «متى أضع العمامـة تعرفـوني» (١٧)

وخلاصة القـول في شعر علي الجارم، إنه شاعرية ضخمـة من مدرسة الاتجاه البياني المحافظ، لكنه ـ كغيره من شعـراء هذا الاتجاه ـ أضاعوا هذه الشـاعـريـة لأنهم «لم يتجهـوا في شعـرهم غـالبـا إلى تصـويـر عـواطفهم وانفعالاتهم الذاتية الخاصة، إذ كانوا يرمون إلى اتخاذ شعرهم أداة للوعظ أو الحث على عمل معين، أو تقـريـر حقيقة مـن الحقائق. ولـذلك لم يتجـه الشاعر منهم في قصيـدته إلى إبراز انفعال خاص أحسه وعـاناه إزاء ظاهرة معينة من ظـواهر الحيـاة، بحيث تكون قصيـدته صورة صـادقة لتجـربته الذاتيـة وانعكاس أحداث الحياة على وجـدانه، وتتعاون كل أجـزائها على تصوير هذا الانفعال وتوضيحه إلى القـارئ. وإنما كان الشاعر يعمد بدلاً من ذلك إلى خنق تجربتــه بأن يقـدم إلينـا خـلاصتهـا أو النتيجـة التي استنتجها منها» (١٨).

وتبقى من أشعاره الأشعار التي تكشف لنا عن خلجات ذاته المتأملة، الساخرة، المستوعبة للتراث العربي والإنساني.

الهـــوامش

(١) أحمد هيكل : تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ط ٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧، ص ١١١.
(٢) علي الجارم : ديوان علي الجارم (للأعمال الكاملة)، ط ٢، دار الشروق، القاهرة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص ١٧.
(٣) أحمد هيكل : المرجع السابق، ص ١١٣.
(٤) علي الجارم: ديوان الجارم، ص ١٠٢، ١٠٣.
(٥) علي الغاياتي : وطنية، ط ٣، القاهرة ١٩٤٧، ص ٤٣.
(٦) أحمد هيكل : السابق، ص ١١٧.
(٧) ديوان الجارم، ص ٥٩، ٦٠.
(٨) السابق، ص ١٠٨.
(٩) أحمد هيكل : السابق، ص ١٣٦.
(١٠) محمود محمد قاسم نوفل : تاريخ المعارضات في الشعر العربي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣، ص ١٣.
(١١) ديوان الجارم، ص ٢٨٧.
(١٢) ابن زيدون : ديوان ابن زيدون، شرح كرم البستاني، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٥، ص٩.
(١٣) ديوان الجارم، ص ٥١١.
(١٤) السابق، ٩٣.
(١٥) السابق، ٩٣، ٩٤.
(١٦) عباس محمود العقاد : تقديم «ديوان الجارم»، ص ٨.
(١٧) ديوان الجارم، ص ١٢٥.
(١٨) عبد المحسن طه بدر : التطور والتجديد في الشعر المصري الحديث، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١، ص ٢٣٣ (بتصرف).

الشعر والبطولة وفارس بني حمدان

بقلم: د. عبدالحميد إبراهيم

يبدأ علي الجارم روايته «فارس بني حمدان»، والسيدة سخينة تقول لجاريتها ليلى :

بالله عليك لا تطيلي يـا ليلى، فإنه مما يثير شجـون النفس، ويزيد في ألم الحزين، أن يُـدفَعَ إلى العزاء والصبر بكلمات خاوية متخاذلة، حفظها الناس لينثروها في كل مأتم. إن كـل كلمة من هذه يا ليلى شعلة تؤجج وَجدي، وتضطرم في فؤادي، إنّ الحزن حرم قدسيّ، يجب أن تخشع أمامه الرؤوس بالصمت والإطراق.

وترد عليها ليلى من نفس المستـوى اللغويّ، وتدفعها إلى الصبر والتأسّي بمصائب الآخرين، وتنبههـا إلى حكمة الأيام وصروف الدهر، وتنهي كلامها بأبيات من الشعر تعود إلى العصر الجاهلي.

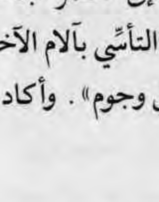
ويدور بينهما حوار فكري، سخينـة ترى التأسّي بآلام الآخرين شماتة، وليلى تراه من طبيعـة البشر، وينتهي الحوار، وقد أطرقت سخينة «إطراقة طويلة، وأخذت تهز رأسها في وجوم». وأكاد أضيف «وفي جلال أيضا».

مفتاح الرواية

منذ هذه البداية ونحن في جـو مثالي، لا يثير الوجوم فحسب، ولكن يثير الجلال أيضا، وينقلنا من المستوى الواقعي إلى مستوى مغاير.

الموقف مستواه الواقعي في غاية البساطة، سيدة أصيبت بوفاة زوجها، وهي في الأصل جارية ترتد إلى جذور يونانية، وتحاول جارية أن تهدئ من حـزنها، والجاريتـان قـد لا تعـرفـان اللغـة العـربيـة أو على الأقل قـد لا تستطيعان أن تتحدثا بهذه اللغـة الجزلة، ولا بهذه الأفكار الفلسفية، ولا بهذه المعارف المتنوعة.

من كتاب العدد



- **د. عبـد الحميـد إبـراهيم محمد**

- عـميد كـلية الـدراسات العـربية - السابق - بجامعة المنيا.
- لـه أكـثر مـن ٣١ كتابا حول الأدب ونقده والحضارة العربية والإسلامية من أهمها : الـوسطية العربيـة (٤ أجزاء)، قصص العشـاق النثـريـة في العصر الأمـوي (مـاجستير)، القصـة القصيرة وصورة المجتمع الحديث (دكتوراه)، القصـة اليمنيـة المعـاصرة، لقطـات (ترجمة)، مقـالات في النقد الأدبي (١٢ جزءا)، قاموس الألوان عند العرب.
- له نحو ستة مؤلفات مع آخرين.
- له دراسات متعـددة في مجلات منهـا : الـرسـالـة، الثقـافـة، المجلـة، الأدب، الحكمـة، الهلال، الموقف الأدبي، اليمن الجديـد، الأقـلام، الطليعة، إبداع، الكاتب، الدوحة.
- قام بالتـدريس في كثير من المعـاهـد الأكاديمية والكليـات الجامعية، سواء في مصر أو العالم العـربي أو الأفريقي أو أوربا.
- عضو العديد من المؤسسات والهيئات الثقافية في مصر.

ويمكن لهذا الموقف في مستـواه الـواقعي، والحزين أيضـا. أن يتم في لغة غير هذه اللغة، وفي مستوى غير هذا المستوى.

ولكننا هنا إزاء رواية تاريخية، تمجد البطـولة، وتتعامل بلغة البطولة، وليست بلغة الجارية، وتنقل الموقف كله من مستواه الواقعي البسيط، إلى مستوى مثالي.

ذلكم هـو المدخل الـرئيـس لفهم روايـة «فـارس بني حمدان»، وهـو مدخل ترتد إليه جميع الأبواب والمنحنيات.

مفتاح تلك الـرواية هـو ذلك الجو المثاليّ، الـذي يمكن أن نلتمسه في مختلف الظواهر الفنية في تلك الرواية : في تصوير الشخصيات، في نسيج اللغة، في نقل الموقـف، في الحوار، في الحديث النفسي، في الأحلام، وغير ذلك من ظواهر قيمة وموضوعية تنتشر في ثنايا الرواية ولا يسعى المؤلف من خلالها أن يضاهي الـواقع النفسي أو البيئيّ. وإنما يحرص أن ينقل كل هذا من مستوى واقعيّ، إلى مستـوى مثالي، يتغنى بـالبطولة، وينشـد أشعار الفخر والحماسة والحب والغرام.

إن كل هذا يبرر مواقف المبـالغة، التي تتناثر خـلال الرواية، وتشمل التصوير واللغة والصور الفنيـة، هي مبالغة لا تنفلت من المؤلف، وتدل على الانسياق مع مشـاعره الفياضـة، ولكنها مبـالغة متعمدة ومحسـوبة، وتناسب الجو المثاليّ.

إنّ حوارًا بين أبي فراس وحبيبته ليلى يدور على النحو التالي :

- إن الله خلق فريقا من النـاس يوم خلق الأفاعي، وإن بعض الناس لا يستطاع الفـرار من كيدهم وخبثهم ولو سكنّا فـوق متن الهواء، وعشنا في قرارة الماء، هم كالموت يدركوننا أينما كنا، ولو كنا في بروج مشيدة.
- ما هذا التهويل يا سيدي.
- قد يكون تهويلا، ولكني لا أحب الدناءة، ولا أتحمل الأدنياء».

ملف العدد: الشعر والبطولة

إن موقف نجلاء من التهويل، يمثل موقف المؤلف الذي يرى أنّ المبالغة أو التهويل على حد تعبير أبي فراس، هو خير من الدناءة والأدنياء، إنه موقف يتناسب والجو المثالي، الذي لا يقدر عليه إلا أصحاب البطولة والعزائم.

ودون هذا المدخل لا يمكن فهم الرواية حق الفهم.

إنها بمنطق المستوى الواقعي مجرد زاعقة، خطابية، تعليمية، نمطية، تلجأ إلى لغة جزلة، تحول بين المرء ونجواه الداخلية. وتقف جدارًا سميكا دون التسلل إلى داخل الشخصية، وتحليل نوازعها النفسية.

وهي بهذا المنطق تفتقد الكثير من العناصر الفنية التي توهم بالواقع، فلا أثر للمكان، ولا تحليل للشخصية، ولا تصوير للمواقف، ولا محاولة للاقتراب من القارئ وإشراكه في العملية الفنية، أو على الأقل دمجه في تلك العمليةالفنية.

ولكنها بمنطق المستوى الآخر، وهو المستوى المثالي، رواية تقليدية، تمجد الحسَّ القوميّ، وترفع من شأن البطولة، وتستخدم الإمكانات الفنية كافة لتصوير ذلك الجو المثالي. فلابأس من لغة جزلة، ولابأس من تهويل بعض المواقف، ولابأس من تصوير الشخصيات تصويرا يصل بها إلى حد الملحمة. لابأس من ذلك كله وغيره مادام يساعد على «ضفر» ذلك الجو المثالي، الذي يقتحم عالم القارئ منذ البداية.

وهذه الرواية قد ارتضت لنفسها ذلك الجو المثالي، فمن حقها أن نحاكمها داخل هذا المستوى، ونحكم إذا كانت قد استطاعت أن تقيم عالما فنيا، له وجوده الخاص، الذي يحس القارئ ويتفاعل معه. كما يتفاعل مع الكائنات الأخرى، حتى لو كانت خارج عمله الفني.

وما كان لي أن أشير إلى المستوى الواقعي، وأن ألقي ظلالا من الشك حول هذه الرواية، لولا أن موجة من النقد، وبخاصة في الرسائل الجامعية، ترى في روايات الجارم وباكثير والعريان وغيرهم من رواد الرواية التاريخية، هبوطا في المستوى الفني، ثم يتلمسون مظاهر ذلك الهبوط، حين ينظرون إلى هذه الروايات بمنظار لا يتناسب مع طبيعتها المثالية.

يخيل إليّ أن الرواية التاريخية منذ جورجي زيدان، قد وقعت تحت قبضة قالب صارم يتلخص في وقائع تاريخية، تصاحبها علاقات غرامية، الأبطال الرئيسة فيها لا تعدو الشخصية أو الشخصيتين، وتأتي الشخصيات الثانوية لتدور في فلك الشخصيات الرئيسة. والشخصيات الثانوية معدودة، ولا تخرج عن التابع الأمين، أو الصديق الخائن، أو المنافس الحقود، أو العجوز النحس.

وتختلف مناهج الأدباء إزاء هذا القالب، من طرفٍ يركز على الأحداث الغرامية، ويجعل الوقائع التاريخية تضيع بين حديث النجوى والغرام، وهو طرف يمثله جورجي زيدان، وطرف آخر يركز على الوقائع التاريخية، ويجعل من الأحداث الغرامية مجرد «ديكور» لتسخين القارئ، وهذا الطرف يمكن أن يمثله علي الجارم.

بين الجارم وزيدان

وكل هذا يتوقف على الباعث وراء التأليف عند هذا الكاتب أو غيره.

فجورجي زيدان يرمي إلى التسلية ولو كانت على حساب الأبطال، وقد انعكس ذلك على القالب التاريخي عنده، فمالت رواياته إلى حديث الحب وتدبيج الرسائل الغرامية، وبدا الأبطال وكأنهم مسخرون وراء النزوات، أو مدفوعون للكفاح من أجل النساء.

أما علي الجارم فهو يرمي إلى تمجيد البطولة في صورتها المثالية، ومن هنا تأتي الأحداث الغرامية عارضة، لتكملة خطوط صورة الفارس العربيّ القديم.

وهي صورة يتجاور فيها العنصران داخل نفسية البطل، عنصر البطولة مع عنصر الحب، فالفارس العربيّ قويّ وشجاع، وهو في الوقت نفسه رقيق وحساس.

وإذا قلت إن هذين العنصرين يتجاوران داخل نفسية البطل، فإنني أضيف «أنهما لا يتساويان»، فالحب هو تأكيد لنزعة البطولة، إنه يدخل المعارك لكي يبرهن للحبيبة ولقومها أنه أهل للاعتماد عليه، وأنه بطل يتصف بالشهامة والشجاعة، فعاطفة الحب عند الفارس العربيّ هي عاطفة دافعة بناءة، تؤكد سمات الرجولة والبطولة.

واذا كانت المقدمة الغزلية في بنية القصيدة العربية، إنما هي تهيئة لموضوع المدح والفخر، فما من امرئ إلا ويضرب بسبب إلى النساء كما يقول النّقاد القدامى، وهذا السبب هو الذي يُعِد القارئ ويهيئه للانغماس في جو القصيدة، إذا كانت المقدمة الغزلية ترمي إلى تأكيد الموضوع الرئيس، فكذلك جانب الحب عند الفارس إنما هو تأكيد لصفات البطولة، التي تدور حول الشهامة والشجاعة والدفاع حتى الموت عن المقدسات.

ومن هنا كان للشعر، وكان للحب، مفهوم خاص عن الفارس العربيّ، فالحب هو حب الأقوياء الذي يدفع إلى الصفات المثالية كالشهامة والشجاعة، والشعر هو شعر الأقوياء، الذي يضيق بالشكوى والنحيب والتذلل.

القيم المعنوية

وهو مفهوم يتبناه علي الجارم في رواية «فارس بني حمدان».

فالشعر عنده فوق المال والجاه. يدور بين أبي فراس وبين المتنبي في بلاط سيف الدولة ذلك الحوار الآتي:

يقول المتنبي:

ـ وددت لو بعت نصف شعري بولاية في أقصى الأرض.

ويجيبه أبو فراس:

ـ الشاعر له في دنيا شعره ما هو خير من الولايات والمناصب، لو استطاع أن يرفع شعره عن شهوات النفوس.

فـالشعـر في نظـر بطل الروايـة قيمـة تعلـو الكثير من القيم المتعـارف عليها، ومن هنـا نجد شعـر الحماسة والفخـر يتناثر خـلال هذه الـرواية، فيزيد من الإيهام بالجو المثاليّ، ونحن ما دمنا في عالم المثاليات، فلابأس من أن يـرد شعر الحماسـة والفخر، حتى في مـواقف الغرام والحب، أو مـواقف اللهو والطرب.

يلتقي أبـو فـراس ونجـلاء لأول مـرة، فـلا يتـذاكـران شعـر الحب والعواطف. ولكنها تروي له شعره في الحماسة والفخر، تنشده قوله:

إذا خلق الأنام لِحسْوِ كأس ... ومزمار وطنبـور وعـود

فلـم يخلـق بنـو حمـدان إلا ... لمجد أو لبأس أو لجود

فالفخـر في هذه الأبيـات وفي غيرها من أبيات تتنـاثر داخل الـرواية، ليس فخرا فـرديا شيطانيـا، وإنما هو فخر يؤكـد الصفات المثاليـة النبيلة، والتي يحرص المجتمع على إشاعتها بين أفراده.

أمـا الحب فهـو ذلك الحب النبيل، الـذي تشرحـه نجـلاء للعجـوز النحس، فتقول لها:

«إن حبنا سماويّ قدسيّ، جفا هذه الأرض المظلمـة الدنسة، وطار مع الملائكة في أفـق كله طهر ونـور، إنني لا أحب إلا النفس الكريمـة والخلق النبيل».

فمفهوم الحب عنـد علي الجارم هو مفهـوم مثاليّ، يمـد أصحابـه بقوة تقتحم الصعاب، ومن هنا نرى أبا فراس يغامر من أجل حبيبته، ويستهين بكل المشاق، ومـن هنا نرى نجـلاء في نهاية الـرواية، تتـزيّا بـزيّ فارس، وتذهب إلى بلاد الروم لإنقاذ حبيبها.

وهكذا نجد أنفسنا كلما توغلنـا في باب يفضي بنا إلى المدخل الرئيس، وكل هذا يدل على قدرة المؤلف على الإمساك بكافة الخيوط، وتحريكها نحو هدفه الأساسي، وهو خلق جو من البطولة والمثالية.

المنطق التاريخي للرواية

الحوار بين سخينة وليلى أول الـرواية لا يدور حول بطل الـرواية، وإنما يدور حول والد البطل.

يخيل للقـارئ منذ بـداية هـذا الحوار. أن الحديث يدور حـول البطل الـرئيس كما يقتضي المنطق الفني للروايـة، وهـو منطق يقحم القارئ منـذ البداية في الأحداث الرئيسة، ولا يشتته بين بواعث مختلفة.

ولكن القارئ يكتشف بعـد قليل أن تخيله خـاطئ، وأن هذه البـداية المشوقة التي ترتفع بالقـارئ من مستواه العادي إلى مستوى مثالي، إنما هي من أجل شخص آخر.

قد يقال إن هذا الشخص الآخر إنما هو والد للبطل، وإن المؤلف إنما يتبع جذور هذا البطل عند آبائه وأجداده.

وهذا حق إذا كنا في مجال بحث تاريخي، يتبع الجذور والنشأة، وليس حقـا بمنطق الفن، الذي يـرى أن تكـون الأحداث مـوجهـة لخدمة بـؤرة ارتكازية، وليس لخدمة معلومات تاريخية مسلسلة.



علي الجارم في إحدى زياراته لبغداد لحضور أحد احتفالات تكريمه، وعن يمينه د. عبد الوهاب عزام وعن يساره وزير المعارف العراقي آنذاك، وفي أقصى يسار الصورة د. زكي مبارك الذي كان يعمل أستاذا في العراق في ذلك الوقت (١٩٣٩م).

والتطـور التاريخي في تلك الـروايـة يسير في خط مستقيم وفي بساطـة تصل إلى حد السذاجة، فلا تعقيد ولا خطوط متقاطعة أو متداخلة، وكل شيء يجري في فلك البطل الـرئيس، فـالشخصيات الأخـرى لا تمثل دورا رئيسًا في الصراع، هي مجرد ظل باهت أو إطار يبرز مغامرات ذلك الفارس البطل.

وهذا التبسيط في الأمور حَوّل الشخصية الرئيسة إلى مجرد فارس مغامر يجري وراء طمـوحـه الشخصي، دون أن تحركه عقيـدة أو مبـدأ، ودون أن نجد أثرًا لثقافته التي تحدث عنها المؤلف أول الرواية بطريقة سردية.

فـالروايـة إذن تبدأ بمشهـد جنـازي، وتنتهي بمشهد جنـازي، وبين المشهـدين، صـورة لحياة فـارس مغـامـر، تنتهي وكأنها هبّـة ريح بمنطق التاريخ، لأنها لم تعتمد على مبدأ أو عقيدة، يحفظ لها الخلود.

إن فـارسنـا المغـوار علي الجارم يحمل عنـاصر هـزيمتـه من حيث لا يحتسب، هـو فارس مغـوار، يجيد الكلمـة الجزلـة والعبارة القـوية، وهـو يتعامل مع شعر الفخر والحماسة كما يتعامل مع الرماح المشرعة، يبدو كأنه يمتطي جوادا أشهب، يلفت الناظرين، ويثير الحاسدين.

ولكنه في الـوقت نفسه يقع في قبضة قـالـب صارم لا يستطيع تجاوزه، وتحت أسر خط تاريخي يمسك عليه خناقه.

وهنـا العبرة التي نأخـذهـا مـن التـاريخ، كما تقـدمهـا لنـا روايـة في التاريـخ، هي عبرة لا تقف عند حـد الظاهـر الخادع، قد يكـون الفرس مطهما، وقد يكون الفـارس مغوارًا، ينشد أناشيد الفخـر والحماسة. ولكنه في الوقت نفسه قد يقع أسيرا لأخطاء، تعمل عملها في جسد ذلك الفارس النبيل، فيسقط سقوط الأبطال، ويثير مشاعر الخوف والإشفاق، كما يقول النقاد وهم يتحدثون عن المأساة أو الدراما التي يسقط البطل في نهايتها.

ملف العدد:

أثر الجارم في الدراسات اللغوية

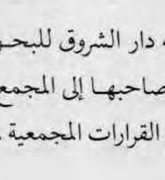
بقلم: د. حسين نصار

اجتمعت في علي الجارم عوامل جعلت منه أحد العلماء باللغة العربية. فقد تلقى العلم في الأزهر ودار العلوم، وهما حصنا تلك اللغة المنيعان. ثم اشتغل بتدريسها في التعليم ودار العلوم، إلى أن صار كبير مفتشي اللغة العربية في وزارة المعارف، ووكيل دار العلوم. وكان تاسع عشرين عضوا. صدر مرسوم ملكي بتعيينهم أعضاء عاملين في مجمع اللغة العربية الملكي الوليد، في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ الموافق ٦ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٣٣م. وقد جاءت أسماء أكثر الأعضاء الثمانية سابقة على اسمه مراعاة لمناصبهم ومكانتهم الاجتماعية لا مراعاة لأقدارهم في العلم بالعربية. ثم كان الشاعر الإحيائي المعروف.

ولم يكن الجارم العضو الخامل أو الصامت في المجمع بل كان نشيطا كل النشاط، شهد بذلك زملاؤه فيه.

ولحسن الحظ أعطانا المجلد الذي خصصته دار الشروق للبحوث والمقالات من «الجارميات» ثلاثة بحوث قدمها صاحبها إلى المجمع في جلسات مختلفة، وبحثين آخرين أدارهما حول أحد القرارات المجمعية.

من كتاب العدد



● د. حسين محمد نصار

- ناقد وأديب ومحقق ومترجم.
- شغل العديد من المناصب الأكاديمية آخرها مدير أكاديمية الفنون بالقاهرة.
- عضو بارز بمجالس الثقافة والصحافة ومجمع اللغة العربية في مصر.
- له أكثر من ١٥ كتابًا في النقد والتاريخ الأدبي، و١٨ كتابًا محققًا. كما ترجم ما يقرب من ١٠ كتب.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب بمصر سنة ١٩٨٦.

وقد درس الجارم في البحوث الثلاثة الأولى: **الترادف، ومصطلحات الشؤون العامة، والجملة الفعلية** أساس التعبير في اللغة العربية. ويمكن أن نقول إن **منهج الجارم** فيها يقوم على الدعائم التالية:

أولاً: التوسع في النظر، وتفتيت الموضوع أو الظاهرة التي يدرسها إلى عناصرها المتنوعة، والتمييز بين هذه العناصر، وعرض كل منها على حدته. فنجد تحت بحث الترادف عناصر:

- اهتمام القدماء به.
- تعريفه.
- حجج مانعيه.
- حجج مؤيديه.
- فوائده.
- رأيه الشخصي، غير أنه يوزعه في أماكن مختلفة.
- الفصل الذي عقده السيوطي في كتابه «المزهر» له.
- أسبابه.

ثانيًا: الاعتماد على أقوال القدماء ودراساتهم، والتوسع في الاقتباس منهم وكان يختار أبرز من كتب عن الظاهرة التي تشغله، كما فعل في حديثه عن التقديم والتأخير في بحث الجملة الفعلية، فقد اعتمد فيه على **عبد القادر الجرجاني**، وكانت تلك الظاهرة إحدى قواعد كتابه المعروف **«دلائل الإعجاز»**. فلم يكن الجارم يريد الاستقصاء، وإنما عرض أهم أو أدق أو أشهر ما مَنَحَناهُ القدماء.

ثالثا: نقد القدماء والاعتراض على ما لم يرض عنه من أقوالهم. مهما كانت أقدارهم العلمية. فقد نقد عامة العلماء فقال: **المطلع على كتب اللغة، وعلى ما عدّه علماؤها من المترادف، يرى كثيرا من التساهل في هذه الناحية**. فالتشابه في المعنى كاف عندهم للحكم بالترادف، من غير نظر إلى حقيقة أو مجاز أو وصف. وقال ينقد مؤيدي الترادف ومنكريه: نرى أن نبين هنا أن كلا الفريقين تجاوز الحد، وركب متن الشطط: هؤلاء في البحث عن الفروق جاهدين مشابرين، وهؤلاء في تسمية كل متشابهين في المعنى مترادفين غير ناظرين إلى ما بينهما من فروق في المعنى، أو اختلاف في الوضع. . وربما كان الدافع لهم ميلهم الشديد إلى التباهي بالعربية، والزهو بسعة مداها، والإشادة بثروتها وغناها.

وقال ينقد واحدا من أكبر علماء العربية: فابن جنى لا ينكر المترادف في لغة قبيلة واحدة، ولكنه يضع ميزانا للحكم على المترادفات، والنظر في

كونها من وضع قبيلة واحدة أو عدة قبائل . هـذا الميزان هو مقدار شيوعها واستعمالها . ولكنه لم يترك لنا مدخلا للانتفاع بهذا الميزان . فقد حَفَّه بالشك والتردد ، ولم يجهر برأي حاسم .

رابعًا : إيراد آرائه الخاصة على شكل تعليق على بعض الآراء الجزئية ، وشكل تلخيص لما سبق وتعليق عليه ، وإجمال ينهي بـه البحث . ولذلك نرى هذه الآراء مبثوثة في أرجاء البحث ، ومجتمعة في ختامه .

خامسًا : الاستفادة من قدرته في اللغـة الإنجليزية ، والرجـوع إلى ما

> تكمن القيمة الحقيقية لعلي الجارم في مواضع الصعوبة في اللغة العربية وتبسيطه ذلك للناشئين

> اجتمع فيه الدرس اللغوي والتخصص التربوي والملكة الأدبية فهدته إلى الطريق السليم

كتب بها عما يشبه الظاهرة التـي يتحدث عنها . فقـد رجع في الترادف إلى الأستاذ ترنش Trench ، وأبان ما التقى فيه مع المؤلفين العرب وما اختلف فيـه عنهم . ولكنه لم يفعل شيئـا من ذلك في بحث الجملـة الفعلية ، وهـو بحث يدعو إلى المقارنة .

دقته وحسه اللغوي

ولما كان مجمع اللغة العربية قد وضع في دورته الثانية قرارا بإكمال صيغ المادة اللغوية التي ورد بعضها في المعجمات ونحـوها ، ولم ترد بقيتها ، فقد اتخذ الجارم من هذا القـرار قاعدة لاثنين من بحوثـه ، هما : طريق تكميل المواد اللغوية ، والمصادر التي لا أفعال لها .

فلما كان العمل بهذا القـرار يتطلب ـ في نظـره ـ دقة في النظـر ، وذوقا حساسا في العربية ، وبصرا بعلم الصرف ، وحيطة وأناة في العمل ، أراد أن يعرض أمثلة تبين طريق العمـل به . فدرس في البحث الأول (٥٨) مادة ، وانتهى في كل منهـا إلى حكم . ونقل في البحـث الثـاني مـن «محكم» ابن سيده بـابًا كـان قد عقده للمصـادر التي لا يشتق منها أفعـال ، أورد فيه (٥٩) مصدرًا . وقد عرض الجارم مـادة ابن سيده على المعاجم ، فظهر أن لجميع هذه المصادر أفعالا عدا سبعة منها .

كذلك أعطانا هذا المجلد الذي أشرت إليه ثلاثة مقالات ، كان الجارم قد بثها أحاديث في الإذاعة المصريـة ، ثم نشرها في مجلة (الراديو) المصري . ودار مقالان منهـا حول إصلاح الأغلاط الشـائعة في اللغة العربيـة ، وكان الثالث شرحا لقصيدة نهج البردة للبوصيري .

وكشف الرجل عن منهجه في التخطئة والتصويب . فذكر أنه أخذ على نفســه ألا يحكم بخطأ كلمة لها في العـربية وجـه مقبول ، وألا يتجـاوز عن غلط يأباه ذوق العربية ، وتنبذه نصوصها ، وتتجافى عنه أصولها .

والتعرض للحكم بأن كلمـة غير صحيحة وأن أخـرى صحيحة ليس بالأمـر السهل . وإنما يجب أن يصدر عن نضج في اللغـة والأدب ، وتمكن من طـرائق العـرب في تصريف الأبنية ، ومنـاحي استعمال الكـلام . ورب كلمـة لا تجد لها نصـا في معجمات اللغـة ، ولكنهـا جـاءت في أشعـار المتقـدمين ، وعبارات كبـار الكاتبين الـذين يحتج بهم لمكانتهم في اللغـة . فللجـاحظ مثـلا كلمات لم نظفر بها في المعجمات . ولـلإمـام الشـافعي في مـؤلفاته ألفـاظ لم تقع بأيدي اللغـويين ، وهـو الذي يقول فيه الأزهري : **«وقول الشافعي نفسه حجة ، لأنه عربي فصيح اللهجة . وقد اعترض عليه بعض المتحذلقين فخطأه . وقد عجل ولم يتثبت فيما قال . ولا يجوز لحضري أن يعجل إلى إنكار ما لا يعرفه من لغات العرب» .**

ولا شك أن الدراسـات اللغويـة الحديثة قد تجاوزت هـذه البحوث . ولكن يبقى للرجل السعي إلى التجديد . ويبقى له بعض الأفكار التي بثها فيها ، مثل حديثه عن حيوية اللغـة العربية ، وأهمية الدقة في التعبير .

ويبقى له التوجيهات التي بثها في مقالاته إلى افتقار بعض الموضوعات إلى الـدراسـة ، أعلن ذلك عن اللهجـات القبلية ، والفـروق بين الألفـاظ المترادفة ، والكلمات المهجورة ، وغير ذلك .

وعلى الرغم من كل ذلك أعتقـد أن القيمة الحقيقية لعلي الجارم تكمن في إحساس الرجل بمواضع الصعوبـة في اللغة العربية ، أو في تدريسها ، وفي سعيه ـ مع رفاق له ـ في مـواجهتها والتغلب عليها ، وتيسير الأمر أمام الطلاب الناشئين :

ـ فعل ذلك فيما سماه أحمد أمين **«مناداته القوية في إصلاح الإملاء»** .

ـ وفعلـه في تيسير النحو والبـلاغة ، بإصـدار كتب النحو الـواضح ، والبـلاغة الـواضحة ، تلـك الكتب التي صارت عماد التـدريس في مصر وبعض الأقطار العـربية الأخـرى سنين طوالا . وقـال فيها **الأستاذ إبراهيم مصطفى** ـ وهو أشـهر رواد التـجديد النـحوي في العـصر الـحديث ـ : **«أراحت كتب النحو الواضـح مئات من المعلمين ، ويسرت على ألوف من المتعلمين ، وأزاحت عن هـذا العلم ـــ علـم النحـو ـــ سحبـا من النفـور والكـراهية كـانت تحيط به وتصـد المتعلمين» . وأشاد بها الـدكتور حـافظ عفيفي ، وهنأ مؤلِّفَيْهـا ـ الـجـارم ومـصطفى أمين ـ على طـريقتهما الفذة المبتكرة في التأليف والبحث ، لأنها طـريقة تربـوية مشوقـة ، عمادها الأول إيراد الأمثلة الحديثـة التي يجدر بالتلميذ أن يستعملهـا في أحاديثه ، وشرح هـذه الأمثلة ، ثم استخـلاص القـاعدة أو القـواعـد منهـا ، وهي طريقـة (بيداجوجية) ـ أي تربوية ـ حديثة .**

فقد اجتمع للجـارم الدرس اللغوي ، والتخصص التربـوي ، والملكة الأدبية . فهدته إلى الطريق الـذي لقي الترحيب العام في التجديد على حين لقيت الطرق الأخرى النفور.

ملف العدد:

دور الجارم في تبسيط النحو للناشئة

بقلم: د. صلاح الدين صالح حسنين

تدهورت **الثقافة العربية في العصور الوسطى تدهوراً كبيراً، ومع بدء القرن التاسع عشر ظهرت صحوة متناهية لإحياء الثقافة العربية، تم أثناءها إنشاء دار العلوم لتخريج معلمين لينهضوا بتعليم العربية للناشئين.**

لقد واجهت هذه الجهود مشكلة شكوى المتعلمين من صعوبة النحو العربي، فقام رفاعة الطهطاوي بتأليف كتاب مجمل في النحو، استعان فيه بالجداول الإيضاحية على هدى كتب النحو في اللغة الفرنسية، ثم قام الأستاذ حفني ناصف مع بعض رفاقه بتأليف كتاب ميسر في النحو، ولكنّ هذين الكتابين لم يستطيعا القضاء على الشكوى من صعوبة النحو، من هنا فكر علي الجارم وصديقه مصطفى أمين في وضع كتاب يسهل بعض الصعب ويُيسر بعض العسر، فكان كتاب «النحو الواضح».

نجح كتاب النحو الواضح في تبسيط النحو للناشئة، وأصبح كتابا أساسيا لكل من يريد تعلم النحو بسهولة ويسر وذاع صيت هذا الكتاب منذ تأليفه في العشرينيات من هذا القرن حتى الآن. ويكفي أن أقول إن كل المؤلفين الذين ألفوا في النحو المدرسي بعد علي الجارم وصاحبه حذوا حذوهما في تأليف كتبهم النحوية، وكل من يريد أن يلتحق بقسم اللغة العربية في جامعة كمبريدج عليه أن يجتاز بنجاح امتحانا في النحو من كتاب النحو الواضح.

إن أهمية عمل علي الجارم وشريكه لا ترجع إلى أنهما استطاعا أن يبسطا النحو للناشئة فقط، بل ترجع إلى أنهما نشرا النحو الواضح في وقت كثرت فيه الدعوة إلى إلغاء فكرة العامل النحوي من كتب النحو المدرسي وإلغاء كل من الإعراب التقديري والمحلي وإلغاء التفريعات المختلفة للقواعد كالنواسخ مثلا. والحق أن المؤلفين لم يأبها بهذه الدعوات فألفا كتابهما في ضوء نظرية العامل وأكدا مسألة الإعراب التقديري والمحلي ونجحا في إبراز التفريعات المختلفة للقاعدة الواحدة، واستطاعا في الوقت نفسه أن يبسطا النحو للناشئة. والسؤال الآن: كيف استطاع المؤلفان إنجاز هذا العمل والنجاح فيه؟

إنّ كتابا كهذا يعتمد على نظرية متكاملة في بنائه، وأرى أن هذه النظرية هي التي شكّلت الهيكل العام لهذا الكتاب، فما المعالم الأساسية لهذه النظرية؟

تصميم الكتاب المدرسي

يقول المتخصصون في تصميم الكتاب المدرسي: إن الكتاب الناجح يعتمد على أساسين مهمين، هما **أساس لغوي وأساس تربوي**، يرمي الأساس اللغوي إلى تعليم الطفل اللغة بالطريقة نفسها التي اكتسب بها لغته الأم. والطفل عندما تعلم لغته الأم لم يُلَقَّن القواعد وإنما تلقى جملا كاملة. من هنا فالكتاب المدرسي الناجح هو الكتاب الذي تُبنى عملية التعلم فيه في ضوء الجملة. ويركز الأساس التربوي على ثلاثة محاور، أما المحور الأول، وهو أهم هذه المحاور، فهو التسلسل في عرض الجملة، بمعنى أن يبدأ الكتاب بأقل قدر ممكن. يُكوِّن الجملة، وهو تلك الجملة التي تتكون من كلمتين ثم يتدرج في عرض الجملة إلى أن يصل إلى ما يسمى **بالجملة المركبة فالمعقدة**. أما الأساس الثاني فهو تخصيص الدرس المعين لشيء واحد معيّن، بمعنى إذا كان الدرس في النحو فيجب أن يعرض للمتعلم من خلال أنماط تحتوي على كلمات سبق للمتعلم دراستها لأنه لو واجه كلمة واحدة صعبة فإنها ستصرف اهتمامه عن القاعدة التي هي موضوع التركيز، ومن ثم يجب أن تعرض القواعد بشكل يستثير المتعلم ويجذبه إلى الدرس، فيقدم له بجمل بسيطة أو بنص بسيط يعقبه شرح موجز ثم تستخلص القاعدة بشكل مختصر وواضح. أما **الأساس الثالث** فهو تدريب المتعلم على القاعدة التي سبق له دراستها، لأن التدريبات هي العامل الأساسي في تثبيت القاعدة في ذهن المتعلم، ويجب أن تساعد التدريبات على أن ينشئ المتعلم جملا صحيحة دلاليا ونحويا.

من كتاب العدد



● د. صلاح الدين صالح حسنين

- دكتوراه في علم اللغة من كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧٥.
- أستاذ بكلية التربية للبنات بالمملكة العربية السعودية/ الأقسام الأدبية.

من مؤلفاته:

- المدخل إلى علم الأصوات.
- دراسات في علم اللغة.
- الظواهر التركيبية في النحو العربي.
- الهمزة: دراسة صوتية تاريخية.

والسؤال الآن: أين كتاب «النحو الواضح» من هذين الأساسين؟

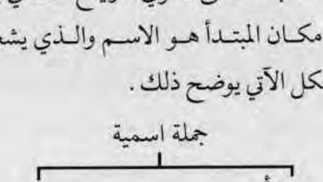
إن الدارس لهذا الكتاب في ضوء الأسـاسين اللذين أوضحتهما يلاحظ أنهما كانا واضحين في ذهن الأستاذين علي الجارم وصاحبه عندما عزما على تأليف الكتاب، وهذا ليس بغريب على مثلهما، فالجارم مثلا تلقى تعليمه الأساسي في المعاهد الأزهرية، وعندما حصل على الثانوية الأزهرية كانت دار العلوم قد بدأت تستقبل طلابا فالتحق بها وكان ذلك عام ١٩٠٤م. وعندما تخرج عام ١٩٠٨م كان أول دفعته. وهذا يعني أن الرجل أتقن اللغة العربية إتقانا تامًّا، والذي يدل على ذلك أنه كان شاعرًا وأديبًا ولغويا

أضف إلى هذا أن الرجل ابتعث إلى إنجلترا عام ١٩٠٩م. حيث تخصص في علم النفس. وعندما عاد من إنجلترا عام ١٩١٢م التحق بسلك التدريس في كلية دار العلوم ١٩١٣م. وكان أستاذًا في علم النفس بها. وهذا يعني أن الرجل سيطر على الأساسين الهامين اللذين يشكلان الهيكل العظمي للكتاب المدرسي الناجح.

ولم يكن الأستاذ العالم مصطفى أمين ببعيد عن ذلك كله.

لقد بنى الأستاذان الكتاب على **أساس نظرية التركيب** ومن ثم انطلق من المحور الأساسي الذي تقوم عليه هذه النظرية، وهي كما قلت سابقا: الجملة. فالجملة أكبر وحدة تركيبية يعرفها اللغوي وقد درسا الجملة كما يدرسها اللغويون التركيبيون من عدة محاور، منها الوظائف النحوية العامة، أي المعاني النحوية العامة كالمبتدأ والخبر والفاعل والصفة والحال والإضافة.. إلخ وتتطلب الوظيفة النحوية شيئين: أحدهما مؤثر هو العامل، والآخر متأثر هو المعمول، ومن هنا بنى المؤلفان كتابهما في ضوء نظرية العامل وكأنهما بذلك رفضا الدعوات التي كانت صارخة في ذلك الوقت لتطالب بإلغاء نظرية العامل، وأدى التمسك بنظرية العامل إلى أن اهتما بالإعراب وركزا على علامات الإعراب الأساسية والفرعية واهتما بالإعراب التقديري وقد دفعهما هذا إلى تقسيم الاسم إلى معرب ومبني، ثم تقسيم المعرب إلى منصرف وممنوع من الصرف، ثم تقسيم المعرب إلى صحيح الآخر ومعتل الآخر، وأوضحا أن المعرب المعتل الآخر هو الذي يعرب بعلامات مقدرة، واهتما كذلك بالإعراب المحلي فأوضحا أن المبتدأ مثلا قد يكون مصدرًا مُؤولا وأن الخبر أو الحال أو النعت أو المفعول قد تكون جملة أو شبه جملة. ولما كانت العلامة الإعرابية لا تلحق إلاَّ بآخر الكلمة الواحدة، فإنه يتعذر وضعها على شبه الجملة أو الجملة، من هنا أوضحا أن شبه الجمة أو الجملة تعربان بالإعراب المحلي.

ومن هذه المحاور إيضاح الصيغة الصرفية التي تشغل مكان المعنى النحوي المعين، فالمبتدأ معنى نحويٌّ، ويقع عادة في بداية الجملة الاسمية والذي يشغل مكان المبتدأ هو الاسم والذي يشغل مكان الخبر هو الوصف، والشكل الآتي يوضح ذلك.



«قام الجارم وزميله بتبسيط النحو بطريقة فذة مبتكرة في التأليف والبحث، لأنها تربوية في المقام الأول».

د. حافظ عفيفي

وقد دفع هذا إلى إيضاح فكرة التأويل، ذلك أنه إذا جاء فعل مضارع مسبوق بـ «أنْ» مبتدأ نحو قوله تعالى ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ فإن المصدر المؤول في تأويل اسم فوقع مبتدأ وهنا يعرب بالإعراب المحلي، فنقول إنه في محل رفع مبتدأ. وإذا جاء الخبر اسما نحو أنت أخي، فإنه يكون مؤولاً بالمشتق. وهكذا انتصر الأستاذ علي الجارم وصاحبه لفكرة التأويل، وهي من الأفكار التي تعرضت لنقد شديد، ولكن النحو الواضح أثبت جدواها في التفكير النحوي، وفي الكتب المدرسية أيضا.

الحق أن الرجلين اهتما بأن يَحْشُدَا في الكتاب كل العوامل التي تؤهله للنجاح، من هنا اعتمدا على التنظيم والانتقال المتدرج من نقطة إلى أخرى، فقد كانت نقطة البداية هي دراسة الجملة الفعلية المكونة من فعل وفاعل ومفعول، أو من فعل وفاعل وجارّ مع مجروره في مقابل الجملة الاسمية التي تتكون من مبتدأ وخبر. وركزا في هذه المرحلة على الاسم المعرب المنصرف، ثم تدرجا في الانتقال، فانتقلا إلى الاسم المعرب المنصرف الذي ينتهي بحرف من حروف العلة المختلفة وهذا هو الإعراب التقديري، ثم انتقلا إلى الاسم المبني وهذا هو الإعراب المحلي. وأتبعا ذلك بدراسة شبه الجملة أو الجملة عندما يكون لهما محل من الإعراب.

بعد ذلك عادا إلى الحديث عن الإعراب بالعلامات الفرعية فناقشا الأفعال الخمسة والأسماء الخمسة كما ناقشا إعراب المثنى وجمع المذكر السالم.

وهنا يكون الأستاذان المؤلفان قد ركزا على نقطة واحدة وهي الخاصة بالعلامة الإعرابية، وبعد أن انتهيا منها انتقلا إلى نقطة أخرى وهي التطابق بين طرفي المركب من حيث العدد والجنس والتعريف أو التنكير.

بهذا يكون المؤلفان قد درسا الجملة البسيطة التي تتكون من ركنين اثنين من جميع المحاور التي تعتمد عليها الدراسة التركيبية.

انتقل المؤلفان بعد ذلك إلى دراسة وسائل إطالة الجملة بالمكملات وبالتوابع.

وبعد فهذا الكتاب يُعد في رأيي أنموذجا لتدريس النحو العربي في ضوء الأسس النحوية التي وضعها علماؤنا الأوائل دون تعديل ما، ولكن بعد ترتيبها وتسلسلها والانتقال المتدرج من نقطة إلى أخرى والاهتمام بالتطبيق. وأستطيع أن أقول بدون تردد إن تسهيل النحو يكمن في تنظيمه وتسلسله ولا يقصد به حذف أحد أركانه أو إلباسه غير ثوبه.

ملف العدد:

آراء الجارم في التربية وعلم النفس

بقلم: د. محمد سيف الدين فهمي

يُعرف علي الجارم بأنه أحد علماء التربية وعلم النفس، ولم يصنف باعتباره رائدا من رواد هذه العلوم على المستوى التنظيري أو التطبيقي، وإنما عرفناه شاعرا وملقيا لشعر شوقي، وعرفناه أكثر لإسهاماته الكبيرة في تعليم اللغة العربية والنحو بوجه خاص من خلال كتابه النحو الواضح.

ويعد كتابه النحو الواضح من أهم كتب تعليم النحو والذي ظل لعقود كثيرة مصدرا مهمًّا من مصادر تعليم النحو في المنطقة العربية. ذلك أن علي الجارم قد تخرج في مدرسة دار العلوم وعمل بها، وهي مدرسة اهتمت أساسا بتعليم اللغة العربية وإعداد مدرسين لها، وكان نصيب العلوم التربوية والنفسية فيها قليلا.

تخرج علي الجارم في مدرسة دار العلوم عام ١٩٠٨، وفي عام ١٩٠٩ أوفد في بعثة إلى إنجلترا لدراسة علوم النفس، وعاد من بعثته عام ١٩١٢ حيث عمل مدرسا بإحدى المدارس الثانوية، ثم عمل بعد ذلك مدرسا في مدرسة دار العلوم.

كان حال العلوم النفسية عندما تخرج علي الجارم في دار العلوم أو عند دراسته في إنجلترا على درجة كبيرة من التواضع، فلم تكن هذه العلوم على هذه الدرجة من التقدم التي نعرفها الآن، وكان علم النفس يعتمد لدرجة كبيرة على الخبرات الفردية والملاحظات الإنسانية المباشرة، ولم يكن التجريب في علم النفس إلا في بداياته، ولم يكن البحث العلمي في مجال علم النفس المعتمد على تقنيات وأساليب البحث الاجتماعي قد استحدث بشكل واسع. كان علم النفس علما عريضا يضم كثيرا من المجالات والموضوعات التي أصبحت تصنف الآن في علوم مستقلة كلها تنتمي إلى علم النفس.

ولعل أهم ما خلفه لنا علي الجارم من مساهمة في مجال العلوم التربوية والنفسية هو كتابه الذي ألفه مع زميله مصطفى أمين في العقد الثاني من القرن العشرين بعنوان «**علم النفس وآثاره في التربية والتعليم**»(*)، والذي اعتمد فيه على ما توافر له من معلومات في علم النفس وتطبيقاته التربوية، والتي استمدها مما توافر له من مراجع أجنبية وإنجليزية على وجه الخصوص في أثناء دراسته في إنجلترا. وسنحاول بإيجاز شديد عرض أهم ما تضمنه هذا الكتاب من معارف نفسية وتطبيقات تربوية محاولين بين الحين والحين إبراز آرائه في التربية والتعليم في ضوء الاتجاهات الحديثة في العلوم التربوية والنفسية.

في الباب الأول من الكتاب يعرض المؤلف في مقدمته إلى تعريف العلم وتعريف علم النفس. والعلم في رأيه «**طائفة من الحقائق العامة تناولها الباحثون، فأصلحوا ما فيها من الخطأ وأوسعوا دائرتها بالبحث وإنعام النظر، ورتبوها ترتيبا يساعد الباحث على تحصيلها**، ويُعرّف علم النفس **بأنه علم البحث في الخواطر النفسية فيصف كل خاطر على حدته ويشرحه شرحا يزيل خفاءه، ويرد الأنواع المتشابهة إلى أصول واحدة.**

المهم أن علي الجارم يعطي لعلم النفس أهمية كبيرة بالنسبة لعملية التدريس والتعليم بوجه عام، فيؤكد أنه لا يمكن أن يقوم مدرس كفء جيد إلا إذا اعتمد على معرفة جيدة لعلم النفس، إلا أن إجادة علم النفس وحده لا تصنع من المعلم معلما جيدا، فصناعة التعليم تحتاج إلى جانب ذلك إلى خصائص شخصية وكفايات تعليمية، وبعضها من الهبات الطبيعية التي لابد لعلم النفس من غرسها في المعلمين.

وينتقل علي الجارم بعد ذلك إلى التعريف بمجالات كثيرة في علم النفس، فيتحدث عن علاقة الجسم بالنفس، وفي هذا المجال يقدم معلومات مختصرة عن المجموع العصبي والمراكز العصبية وعمل كل مركز، وهي جميعا معارف ترتبط بما يسمى بعلم النفس العام.

ويعطي علي الجارم في كتابه اهتماما خاصا **بالغريزة**، وقد كانت الغريزة مجالا مهمًّا من مجالات علم النفس في ذلك الوقت من حيث تصنيفاتها وآثارها النفسية والتعليمية، إلا أن علم النفس الحديث لا يتحدث الآن كثيرا عن الغرائز الإنسانية، وإنما يتحدث عمّا يسمى الحاجات الإنسانية، ويذكر علي الجارم أنواع الغرائز ويشرحها مثل غريزة الخوف والمنافسة وحب التملك إلى غير ذلك مما يرد ذكره عادة عند الحديث عن نظرية الغرائز.

كما يعطي كتاب علي الجارم اهتماما كبيرا لعملية **التشويق**، ويفرد لها بابا خاصا، ويعرف التشويق بأنه تهييج شعور الأطفال وتحريك عوامل السرور فيهم بما يعرضه عليهم من الأشياء المحسة والمعاني المستمالة، ويعد التشويق عاملا كبيرا في إدراك الحقائق وتحصيل العلوم، ويصنف المشوّقات إلى مشوقات طبيعية ترتبط بالإحساس، ومشوقات صناعية،

وهي مشوقات تقوم على الربط بين الأشياء وأشياء أخرى شائعة بطبيعتها. ولعل اهتمام علي الجارم بعملية التشويق ينبع من أهمية هذه العملية بالنسبة للمعلم وعملية التدريس.

وينتقل علي الجارم في كتابه من قضية إلى قضية أخرى في علم النفس فيتحدث عن **الإحساس والإدراك الحسّي** ويبين قيمة الإدراك الحسي في عملية التعلم، ويبين ارتباط القوى العقلية وصدق الحكم العقلي بصحة المدركات الحسية، ومن هنا أكد على أن تربية الحواس ضرورة كبرى فهو يقول: «**إنه من الخُرْقِ أن يشرع المربّي في تهذيب قوى الحكم والتعليل في الأطفال ومدركاتُهُم الحسية ينقصها الكثير من الصحة والضبط، وعلى المربّي لذلك أن يوجه عناية إلى تربية الحواس وتمرينها، حتى إذا بلغت درجة محمودة أخذ يهذب قوى التعليل والحكم والخيال وغيرها من القوى**».

ثم يقدم بعد ذلك عددا من النصائح للمعلم لتربية حواس الطفل، منها أن يُعِدّ من الأشياء المُحَسَّة ما يفسح المجال لتمرين قوى الملاحظة، وأن يُعد تمرينات بحيث تكون متدرجة في صعوبتها فيقدم السهل أولا ويتدرج بعد ذلك، وأن يضبط ملاحظة الأطفال ويرشدهم كلما أخطؤوا. ويؤكد علي الجارم أهمية تنمية الملاحظة عند الأطفال، وينصح أن تكون الصورة والرسوم التي تعرض عليهم كبيرة واسعة، وأن يكثر المربون من تمرين الأطفال على الأعمال اليدوية المختلفة.

ولقد كان موضوع **تداعي المعاني** من الموضوعات المهمة في علم النفس في بدايات القرن العشرين لارتباطه بعملية التذكر. ذلك أن التذكر كان له أهمية خاصة بالنسبة للتعليم من منطلق أن التعليم يتوخى في النهاية أن يحصّل التلميذ أكبر قدر من المعرفة، وأن يكون قادرا دائما على استدعائها أو استرجاعها عند الطلب. وقد أعطى علي الجارم في كتابه اهتماما خاصا لعمليتي التذكر وتداعي المعاني. وفي ذلك يقول: «**إن نظرية تداعي المعاني تعود على فن التعليم بالفائدة الجُلَّى، وعلى المعلم أن يربط قديم معلومات التلاميذ بحديثها، وأن يعقد أواصر المشابهة والمقابلة بين الحقائق الجديدة، فإن ذلك يزيدها رسوخا، وأن يكثر من الروابط، أن ينسى إحداها فتقوم مقامها الأخرى**». ومن المعلوم الآن أن نظرية تداعي المعاني وما يرتبط بها من عمليتي الحفظ والتذكر قد فقدت بريقها، فلم يعد التحصيل واستدعاء الأفكار والمعاني أو استرجاع المعلومات شاغل عملية التعليم بالدرجة الأولى، وإنما صار اهتمام التعليم بتنمية قوى التفكير والإبداع واستخلاص النتائج من المعطيات وحل المشكلات وتطبيق المعارف لما يفيد، وغير ذلك من كفايات ومهارات تستهدفها عملية التعليم، على نقيض اهتمام علم النفس سابقا وتركيزه على قدرات التذكر والحفظ التي ترتبط ارتباط كبيرا بفكرة تداعي المعاني.

من أقوال الجارم

في التربية:

يا ابنتي إن أردت آيةَ حُسنٍ	**وجمالاً يزين جسمًا وعقلا**
فانبذي عادةَ التبرّج نبذا	**فجمالُ النفوس أسمى وأعلى**
يصنع الصانِعون وردًا ولكن	**وردةُ الروضِ لا تُضَارَعُ شكلا**

في حقائق النفس:

إن النفوس تضيق وهي صغيرة	**ويضيق عنها الكون وهي كبار**
حجة الجاهل المِراءُ، فإن شا	**ء سُمُوًّا أمدَّها بسبابه**

تنمية الوجدان

ويستمر عرض علي الجارم في كتابه لموضوعات علم النفس التقليدية فيخصص بابا لعملية **التخيل**، ويبين أهمية **القصص** كوسيلة لتربية الخيال. ويخصص بابا لعمليتي **التفكير والحكم**، ويعرض لعملية **الاستدلال** ويقسمه إلى **استدلال استقرائي واستدلال قياس**، ويقدم للمعلم نماذج لدرس يُدرَس مرة بطريقة الاستدلال الاستقرائي ومرة ثانية بالاستدلال القياسي، ويبين أهمية النوعين في عملية التعليم، ويدعو المعلمين إلى أن يلموا بشيء من أصول المنطق وقواعده، وأن يكثروا من الجزئيات التي يراد فحصها، وأن يُعوّدوا تلاميذهم على ملاحظة الصفات المشتركة ثم يكلفوهم التعبير عما وصلوا إليه من نتائج. وينصح بتحذير المعلمين لتلاميذهم أثناء تدريبهم على التعليل الصحيح من خطورة التسرع في الاستنباط والقفز السريع إلى التعميمات. وهو هنا **يؤكد استخدام الأسلوب العلمي في التفكير ومعالجة القضايا، وهو الآن هدف أساسي من أهداف التعليم ومبدأ مهم من مبادئ التدريس الجيد**.

الكتاب إذن له قيمته العلمية المتواضعة بوصفه كتابا في علم النفس، ولكن تظهر قيمته الكبرى من الناحية التطبيقية أو التعليمية، حيث إنه وظف دائما المعلومات النفسية لخدمة عمليتي التعليم والتدريس. ولا شك أنه نجح هنا نجاحا كبيرا. ففي كل موضوع قدمه ختمه بتطبيقات تربوية تظهر في صورة نصائح وتوجيهات للمعلمين تفيدهم في المهنة التي يقومون بها.

ومن الظلم موازنة ما كتبه علي الجارم في مجالات علم النفس ودوّنه في كتابه بما يكتب حديثا في هذه المجالات. فلن تكون هذه الموازنة في صالح علي الجارم قطعا، ذلك أن النقد الذي يوجه للكتاب يجب أن يكون بمعيار درجة التقدم العلمي في مجال علم النفس آنذاك. ففي خلال الخمسين سنة الأخيرة أصاب علم النفس تقدما هائلا شأنه شأن الكثير من العلوم الأخرى مما يجعل علم النفس الذي كتبه علي الجارم على درجة كبيرة من التخلف بمقياس علم النفس المعاصر. وذلك لا شك يجعلنا أكثر تسامحا مع آراء علي الجارم وآثاره في علم النفس.

(*) **المجلة**

جرى الكاتب في بحثه على إفراد علي الجارم بالذكر، وعزو كل الآراء والأقوال إليه، وقد غمط بذلك حق شريكه في التأليف وهو الأستاذ مصطفى أمين الذي عُرف عنه أنه في كتابته العلمية كان أقرب من الجارم إلى الأسلوب العلمي الزاهد بالبريق الأدبي الذي يأبى أن يفارق قلم الأستاذ الجارم في أي موضوع كتب فيه.

ملف العدد:

أستاذي علي الجارم وذكريات الصبا والشباب ودار العلوم

بقلم: د. مهدي علاّم

كنتُ فتى في السادسة عشرة، يملؤني الأمل، ويشجعني على الإقدام توفيقٌ من الله تعالى في سنوات دراستي الابتدائية والثانوية، حتى ذلك اليوم الذي تقدمت فيه لامتحان المسابقة في القبول بدار العلوم تشرين الثاني (نوفمبر ١٩١٦م). وكان نظام القبول فيها يقتضي امتحانا تحريريًّا، في فروع اللغة العربية والموادّ الاجتماعية، ثم شفويًّا في القرآن الكريم، وألفية ابن مالك حفظا وشرحًا، والقراءة في كتاب من كتب التراث، واختبارًا في المعلومات العامة.

وعند ظهور نتيجة الامتحان التحريري، وفقني الله تعالى فكنت أول الناجحين، وتوجهت إلى لجان الامتحان الشفوي على الترتيب السابق. وسعد الفتى العاشق لدار العلوم بحصوله على أعلى الدرجات في المادتين الأوليين وانتقل متهللا إلى اللجنة الثالثة، وكان عضواها الأستاذين عثمان بك لبيب وعلي الجارم، وجلست أمامهما أرد على أسئلتهما (أو بالأحرى على أسئلة الأستاذ الجارم). ثم ناولني نسخة من كتاب «أدب الدنيا والدين» للماوردي، فقرأت منه قدرا يزيد على صفحة لم أخطئ في كلمة منها. فقال لي الأستاذ الجارم: هذا كافٍ، ثم اتجه إلى عثمان بك لبيب، قائلا له بالإنجليزية: (Thirty Seven) فقلت له، في جرأة الشباب، والثقة بالنفس: ولماذا تنقصني ثلاث درجات وأنا لم أخطئ في أي شيء؟ (النهاية العظمى ٤٠) فقال: أنت تعرف الإنجليزية، يا ولد! قلت: نعم. فضحك قائلا: اذهب فهذه درجة لم يحصل عليها أحد مني قط.

كان هذا أول لقاء لي مع الأستاذ الذي كان يملأ المجتمع المصري يومئذ بشهرته الأدبية والشعرية.

وبعد أن عرفت أنه الجارم العظيم عدت إلى بيتي، وأعدت قراءة قصيدته التي كانت منشورة في عدد قديم من أعداد مجلة (الهلال) وهو طالب بعد، وكانت ضمن مجموعة من المجلات التي كانت في بيتنا إبّان صِباي. وكانت عن (الكوليرا) التي انتشرت في أوائل هذا القرن. كنت أحفظها قبل أن التقي بقائلها. ولو كنت أعلم من هو يوم أن جلست أمامه ليمتحنني، لأبلغته إعجابي (إعجاب فتى شاعر) بقوله في تلك القصيدة، مشيرا إلى تشبيه الأطباء لمكروب (الكوليرا) بحرف (الواو):

لست كالواو، أنت كالمنجل الحصّاد، إن أحسنوا لك التمثيلا

كم فتاةٍ طرقتَها ليلةَ العُرس، وقبل الحليلِ كنت الحليلا

يا أخا الاحتلال، آذيت بالنفس وبالمال، فالرحيلَ الرحيلا

وبقيت الفترة المتبقية على بدء الدراسة، كان نظام «دنلوب». المستشار الإنجليزي يقضي أن يبدأ العام في دار العلوم، في أول كانون الثاني (يناير)، وأن يكون الامتحان النهائي في كانون الأول (ديسمبر)، وأنا أتطلع إلى أن أنعم بأستاذية الرجل الذي علمت عنه بعد يوم الامتحان أنه لا يمنح الدرجة العظمى إلا نفسه، ولكن كان قد نُقل مفتشا بوزارة المعارف قبل كانون الثاني (يناير) ١٩١٧.

ناثر بين شعراء

وقد لقيت الأستاذ الجارم، بعد امتحانه لي بنحو عام، في حفل تأبين المرحوم الشيخ حمزة فتح الله، أول من عين كبيرا (عميدا) للغة العربية في وزارة المعارف؛ كنت يوم هذا اللقاء طالبا في دار العلوم، وفي يوم التأبين اختاروا أوائل الفرق الدراسية، فذهبت لحضور الحفل الذي أقيم في القاعة الكبرى (بدرب الجماميز)، وهي القاعة التي نشأتْ فيها (دار العلوم) يوم أسسها علي مبارك باشا، باختيار عدد من نوابغ طلاب الأزهر، ليتلقوا العلوم العربية والشرعية والفنون الحديثة في تلك القاعة. (ويحل محل المكان الآن المدرسة الخديوية بمبانيها التي شيّدت فيما يسمى الآن (شارع بورسعيد).

وفي ذلك الحفل برياسة عدلي يكن باشا، وزير المعارف يومئذ، وعلية القوم من علماء وأدباء، وسمعت الجارم حين صعد إلى منصة الخطابة، وبدأ يقول:

رب وَرقاءَ هتوفٍ في الضحى ذاتِ شجو صدحت في فَنَن

وبعد هذه القطعة القصيرة من الشعر المأثور، أفاض بخطبته الفريدة البارعة النسج. وظل السؤال الطبيعي معلّقا في ذهني نحو عشر سنوات: لماذا لم يقل الجارم يومئذ شعرا؟ حتى أتيح لي شرف الجلوس معه ومحادثته، فسألته عن سر اتجاهه إلى النثر، بدل الشعر، في تلك الحفلة الخالدة، فقال لي: إنه كان يومئذ مفتشا ناشئا، لم يمض عليه في وظيفته إلا بضعة أشهر - ويبدو أن القائمين على إعداد برنامج الحفل الذي كان فيه كبار الشعراء، وفي مقدمتهم حفنى بك ناصف، لم يذكروا (الأستاذ الجارم) إلا في الليلة السابقة ليوم الحفل ولذلك - كما قال لي: خشيت أن أتعجل بقصيدة لا تضارع قصائد الحفل فلجأت إلى لغة الخطابة، وهي منشورة

رائعـة من روائع الأدب العـربي، تجمع بين جهارة اللفظ العبـاسي، ورقـة العصر الحديث.

وكان من حظي أن أدرس في جامعة إنجليـزية، كان قد سبقني إليها بأربعة عشر عـاما. وكنت مـولعا بالشعـر الإنجليزي، ألقيـه في حفلات الاتحاد الجامعيـة، ونـدوات الأدب، ولا أنسى وسـامـا شفويـا أهـدتـه لي الأستـاذة (ووكـر) التي كـانت في الجامعـة منذ أيـام دراسـة الجارم: لقـد



الجارم جالسا في الصف الأول بجوار ناظر مدرسة دار العلوم، عقب عودتـه من بعثته لإنجلترا وتعيينه أستاذا في دار العلوم (١٩١٥م). وقد ظل يرتدي هـذا الزي حتى عام ١٩٢٧م

فاجأتني، على إثر إلقائي لإحـدى قصائد الشاعر (وورد زورث) بقولها: أنت تذكرني بإلقاء الجارم.

ويشرف هذه المقدمة أن أذكر فيها علاقتي بدراسته لعلم النفس وهي مادة تخصصـه الأولى، كما كانت لي كـذلك مادة تخصصي الأولى (قبل أن تحتويني اللغة والأدب، دون عقوق «للحبيب الأول»):

عالم النفس الأديب

لقد درست علم النفس، طالبا في دار العلوم في أحد كتبه التي اشترك فيها مع زميله، أستاذي العلامة مصطفى أمين. وهو أول تأليف بالعربية في علم النفس ـ ومـا سبق ذلك كان في علم التربيـة ـ وكانت فصـول هذا الكتاب «علم النفس» بينهما، كل فصل بقلم أحـدهما، بعد اشتراكهما في تحديـد المعلومـات التي يعالجهـا الفصل. وكنت أنـا وزميلي الـذي كـان يشاركني في معظم نشاطي العلمي (المرحـوم عبد الجواد معوض زيدان)، نقارن أسلوبين في فصـول هذا الكتاب، فكان بعض فصولـه يتدفق أدبا رفيعا يعبر عن حقـائق علم النفس كأنها خطرات شاعـر، على حين كانت الفصول الأخـرى تلتزم دقة الأسلـوب العلمي الذي كـان يزن الحروف قبل الكلمات، ويعطي الحقائق العلمية كأنها معادلات رياضية: كان صاحب الأسلـوب الأول هـو الشـاعـر الأديب، الضليـع من علم النفس، علي الجارم، وكان صـاحـب الأسلوب الثاني هـو العالم الأستاذ في مـادته، يعبر عنها في أدق الصيـغ.

وظهرت إحدى طبعـات كتاب علم النفس، وقد كتب على رأس كل فصل من فصـوله، في الفهـرس، اسم كـاتبه. وعنـد اطلاعنـا على ذلك وجدنا أن ما قدرناه كان صوابا.

لقد سألني أحد النقاد، منذ عدة سنوات، عن السبب في أن خرّيجي دار العلـوم الـذين أتموا دراستهم في إنجلترا لم يظهـر لهم نقـد في أحضـان الدراسات النفسية، وذكر أن أول ما صـادفه في هذا الميدان بحوث وكتب لي. فأجبته بما هو في الحقيقة ملاحظة لي: **وهو أن الذين يتجه نقدهم إلى التحليل النفسي (السيكولـوجي) ـ من هذا الـرعيل الذي أشار إليـه ـ هم الذين كانوا شعراء إلى جانب أنهم كانوا من علماء النفس، وذكرت له أنني أعـرف منهم ثـلاثـة تحقق ذلك فيهم: أولهم علي الجارم، وثـانيهم محمـد خلف الله أحمد، و«لا تزكوا أنفسكم».**

وأخيرا فهنـاك عبـارة كـانت على لســاني دائما، كلما اجتمع رعيل الـدرعـميين[1]، وهي تلـحّ عليّ في الـظـهور الآن. وأنا أذكـرها ـ على استحياء ـ لأنني كنت شديد الملاحظـة لعشرات الأساتذة الأفاضل الذين أتموا دراساتهم العليـا في إنجلترا، حين ينطقون أو يتكلمون بالإنجليـزية، وكنت أقول (ومعـذرة لهم جميعا): **لم أجد أحدا ما زالـت لغته الإنجليزية أسلـوبا، ونبرا وتـدفقا، كأنـه عاد من إنجلترا أمس، سـوى اثنين: علي الجارم، وعبـد الحميـد حسن. رحمهما الله، وأعـز بـذكـراهما عشرات، بل مئات من تلاميذهم.**

* من مقالة أعدّها د. مهدي علام نائب رئيس مجمع اللغـة العربية بالقاهرة قبل وفاته ـ يرحمه الله ـ أسرة علي الجارم

(١) كلمة منحوتة من دار العلوم ويريد: خريجي دار العلوم.

ملف العدد:

ثنائية الشكل والمضمون في «هاتف من الأندلس»

بقلم: د. فاطمة نصر

لم يطرق الجارم الرواية إلا في كهولته وكان قد قضى حياته أديبا وباحثا ومعلما. وللجارم الشاعر مؤلفات في علم النفس والتربية واللغويات وتاريخ الأدب وغيرها. بلغ عدد الروايات التي ألفها الجارم تسعا وهي كلها من نوع القصص التاريخي. والقارئ لروايات الجارم يدرك أنها لم تكتب للإمتاع الأدبي فقط بل للإفادة عن طريق الإمتاع. أي إن هدف الجارم في المقام الأول لم يكن إخراج أعمال روائية مطابقة للمعايير الفنية للرواية التي من بينها التميز بوحدة عضوية يتداخل في إطارها الشكل والمضمون لكي يخرج العمل نسيجا متكاملا مستقلا. وأرى أن الجارم استعمل القالب الروائي وعاء لاحتواء مضامين شغل بها مدى حياته العلمية والأدبية وإخراجها في شكل محبب إلى النفس.

وروايات الجارم جميعها تحوي موضوعات شتى كان قد تناولها بالبحث والدراسة في أعمال متفرقة. فرواية **فارس بني حمدان** هي سيرة حياة أبي فراس الحمداني وعرض لأشعاره كما أنها تمدنا بخلفية تاريخية عن الدولة العباسية إبان تدهورها، وعن حكم سيف الدولة.

وإذا نظرنا إلى رواية أخرى، وهي غادة رشيد، فسنرى أن رشيد المدينة تبرُزُ بطلة حقيقية لذلك العمل الأدبيّ. ويمكن القول إن هذه الرواية ليست سوى مسيرةً لرشيد وأهلها إبان مقاومتهم للحملة الفرنسية.

هاتف من الأندلس

كانت الأندلس وآدابها من بين اهتمامات الجارم الرئيسة. فقد قام بترجمة كتاب **قصة العرب في أسبانيا** للكاتب ستانلي لين بول، وفي كتاب **جارميات** الذي جمع نصوصه الدكتور أحمد علي الجارم إشارة إلى أن الجارم قدم سلسلة أحاديث للإذاعة عن نشأة الشعر في الأندلس إلا أنها فقدت جميعا عدا الحديث الأول. ويضم هذا الكتاب أيضا موضوعين آخرين عن الأدب الأندلسي، كما أن روايتين من الروايات التسع التي كتبها الجارم كانتا عن الأندلس وهما **هاتف من الأندلس وشاعر وملك**. يحتوي كتاب **جارميات** على مقالات ثلاث حاول الجارم فيها إبراز الصفات التي تميز الأدب الأندلسي عن الآداب المشرقية، وحاول فيها أيضا الإجابة عن سؤال طالما حيّره، ويتعلق بسبب ازدهار الشعر في عهد الطوائف فنراه يقول: «الشعر الأندلسي جميل غير أننا نرى شعر عهد الطوائف وما بعده هو النموذج الصحيح للشعر الأندلسي بعد أن استقر العرب في شبه الجزيرة نحو أربعة قرون وبعد أن نسوا بداوتهم الأولى ونشأت لهم أجيال في حضارة جديدة وبيئة جديدة، وبعد أن امتزجوا بالإسبانيين وصهَروا فيهم. فتكوّنَ نسل من هذين العنصرين القويين، جمع قوة البداوة الموروثة، وأناقة الحضارة المكسوبة (جارميات ص٢١١). وبما أن الجارم لا يرى الشعر ظاهرة منفصلة عن الحياة، فالشعر في رأيه مرآة العصر وانعكاس لوجدان الفرد، فقد حظيت الأندلس: التاريخ والحضارة باهتمامه الدائم ولكن فترة عهد الطوائف جعلته في حيرة دائمة لما ارتبطت به من ازدهار الأدب ولأنها تعد بداية لنهاية الوجود العربي في الأندلس استخدم الجارم في **«هاتف من الأندلس» الشكل الروائي لإبراز الخلفية التاريخية والحضارية لقرطبة في عهد الطوائف، وليعالج أشعار أحد موهوبيها وهو ابن زيدون. ولقد عالج هذه المضامين معالجة الباحث المؤرخ والأديب الذي يعتني بفصاحة أسلوبه على طريق السرد وجماله: غير أن هناك انفصالا بين المظاهر المختلفة المكونة للرواية من خلفية مكانية وأحداث وشخصيات، فهي متشعبة متفرقة لا ترقى إلى منزلة العمل المتلاحم المتكامل.**

عنصر المكان في الرواية

تبدأ الرواية بوصف شعري بلاغي لمدينة قرطبة كما تخيلها في عهد أبي الحزم ابن جهور سنة ٤٢٣ هـ ـ أيام الفتن والحروب. وأسلوب وصف المكان هنا، كما هو في أماكن أخرى متفرقة من الرواية أسلوب غني بالمحسنات البديعية والجمالية، وهذا الأسلوب لا يناسب السرد القصصي غير أنه موجود لذاته، وهو يرمي إلى إبراز ما تصوره عن طبيعة هذا المكان الجميلة. تميزت الفترة بالانحطاط السياسي والازدهار الأدبي، فالدولة «منذ سنة أربعمائة ـ وهي سنة الفتنة الكبرى ـ تتقاسمها ذئاب ضارية: من مضرية ويمنية وصقالبة وبربر وإفرنجية» أي إن قرطبة كانت قد فقدت ذلك التناسق الاجتماعي والسياسي الذي تحدث عنه الدكتور طاهر مكي في كتابه دراسات عن ابن حزم[1].

حاول الجارم أن يصف الحياة الاجتماعية والحضارية والسياسية والأدبية في قرطبة كخلفية لشعر ابن زيدون. في الحياة الأدبية اهتم بتصفية المعارضات الشعرية وقضية «الشعراء الذين قتلتهم أشعارهم» وهما

موضوعان كان قد اهتم بهما الجارم في أبحاثه (انظر جارميات)، **واهتم كذلك بإبراز دور المرأة في حياة قرطبة الأدبية فيأتي ذكر مريم العروضية التي تعقد في دارها مجالس لتهذيب بنات العظماء والأشراف، ونائلة القرطبية التي تعقد حفلات أدبية تعدُ نموذجا راقيا للحفلات الأدبية في قرطبة. وفي هذا الصدد نسمع نائلة تقول عن حفلها : «أريد أن أعيد به عظمة الأندلس، ومرح الأندلس، وعبث الأندلس» وتصبح تلك الحفلة خلفية للمؤامرات والأحقاد السياسية والشخصية التي ميزت ذلك العصر.** وفي أثناء الحفل أيضا يحتل الشعر مكان الصدارة بلا منازع إذ يتساجل الشعراء ويتبارى الحضور في التعليقات والنقد وتتفتح مواضيع عن الصور الشعرية والسرقات الشعرية، والأنواع الشعرية في حين يلقي الحضور قصائدهم تليها التعليقات.

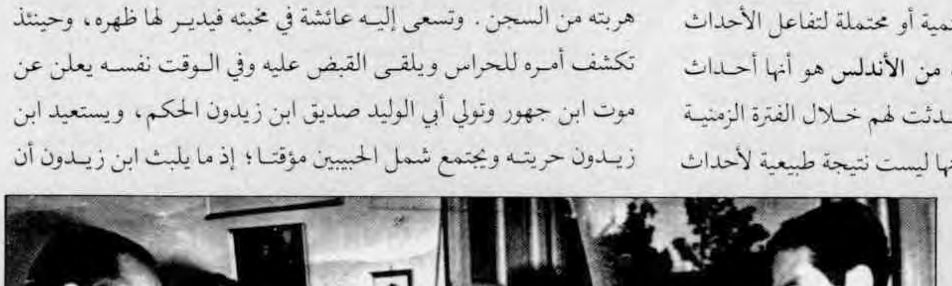
الراوي

هو أديب مؤرخ معلم. لا يتبنى الراوي سرد منظور إحدى شخصيات الراوي حيث يتيح بذلك فرصة لمشاركة القارئ المباشرة في الأحداث، كما أنه لا يتخذ أيضا منظورا محايدا تاركا الشخصيات والأحداث تتحدث عن نفسها. لكن صوته ومنظوره يكتسبان ملامح تربوية (بيداجوجية) وشخصية. وأحيانا نجد الراوي وكأنه يُبَارِي الشخصيات الأدبية في الرواية في التعبير البليغ المنمق ذي الإيقاع والصور الجمالية فنراه يقول مثلا : «**أرأيت الغريق ولم يبق منه إلا الذماء يرى يدا تمتد إليه من الأمواج فتقذف به إلى الشاطئ الأمين؟ أرأيت ميتا مسجى جلس حوله أهله يبكون فإذا الغطاء ينكشف، وإذا الميت يثب كأحسن ما يكون صحة وعنفوانا. . .**»

الأحداث القصصية والحبكة الروائية

يتكون الخط القصصي للرواية من أحداث متفرقة سواء أكانت عامّة أم شخصية، غير أن تلك الأحداث لا تكون حبكة روائية متكاملة ومترابطة ترابطا عضويًّا تبدأ ببداية ثم تتشابك هذه الأحداث لتؤدي إلى ذروة أو عقدة تنفرج بعدها في نهاية هي نتيجة حتمية أو محتملة لتفاعل الأحداث والشخصيات. فما يجمع أحداث **هاتف من الأندلس** هو أنها أحداث قامت بها شخصيات بعينها أو وقائع حدثت لهم خلال الفترة الزمنية للرواية. أما النهاية فمعروفة سلفا، أي إنها ليست نتيجة طبيعية لأحداث الرواية. فتتمثل النهاية بشكل عام في تدهور الأحوال في قرطبة. أما على الجانب الشخصي فتتمثل في انتصار ابن زيدون على منافسيه ثم وفاته.

إن الجارم يكتب روايته ـ كما أسلفت ـ باحثا ومؤرخا ومعلما، ويتخذ من الشكل الروائي قالبا لاحتواء مضامين متعددة. ففي «**هاتف من الأندلس**» يبرز الجارم المؤامرات العامة والشخصية التي تميزت بها حياة قرطبة في ذلك الوقت، ويجعل منها مناسبات محتملة لأشعار ابن زيدون العاطفية والسياسية. نرى ابن زيدون في البداية محبا لعائشة بنت غالب الإسبانية الأصل، لكن نائلة القرطبية التي يهمها أمر ابن زيدون تريد له الرفعة في المجال السياسي وتريد أيضا أن تجمع شمله بولاّدة بنت المستكفي أديبة قرطبة. فتسعى له عند ابن جهور ليعين وزيرا له بينما توضح لابن زيدون طبيعة عائشة بنت غالب الشريرة ونشاطها في الجاسوسية. وتبدأ خيوط الأحداث تتشابك في الحفلة التي تقيمها نائلة وتجمع فيها وجهاء قرطبة من شخصيات عامة وشعراء وشاعرات. تضم الحفلة أيضا بالإضافة إلى ولاّدة وابن زيدون ابن عبدوس منافسه في حب ولادة وفي السعي إلى المناصب العليا في الدولة. ومن جهة أخرى تأخذ عائشة في نسج خيوط مؤامرة لاستعادة ابن زيدون أو لإقصائه من منصبه والزج به في السجن أو موته. وتُفشل نائلة مؤامرة عائشة. لكن المكائد تتوالى من حساد ابن زيدون، وعلى رأسهم ابن عبدوس الذي ينجح في الإيقاع به عند ابن جهور مدللا على خيانته بأبيات شعرية قالها في مدح المظفر صاحب بطليوس، وتخفق أيضا تلك المكيدة، ثم تحوك عائشة وابن عبدوس مؤامرة أخرى خيوطها هي نفس الخيوط التي اشتهرت بها مؤامرات قرطبة في ذلك الوقت، ويُلقَى بابن زيدون في السجن. فتدبر نائلة خطة للانتقام من عائشة بفضح اتصالها بنصارى الشمال، وتُنفى عائشة لتعود متخفية بعد أن اتفقت مع حاكم قسطالة على التحالف مع ابن المرتضى الأموي للإطاحة بحكم ابن جهور وتفشل الخطة، ثم تدبر أخرى لاستعادة ابن زيدون الذي كان حبه مازال يتملكها، وكانت نائلة قد هربته من السجن. وتسعى إليه عائشة في مخبئه فيدير لها ظهره، وحينئذ تكشف أمره للحراس ويلقى القبض عليه وفي الوقت نفسه يعلن عن موت ابن جهور وتولي أبي الوليد صديق ابن زيدون الحكم، ويستعيد ابن زيدون حريته ويجتمع شمل الحبيبين مؤقتا؛ إذ ما يلبث ابن زيدون أن



«التزم في رواياته الدقّة التاريخية وتحرّي حقيقة الأشخاص والأمكنة»

الجارم يرأس لجنة التقويم الأدبي لمسابقات الإذاعة المصرية وعن يمينه الأستاذ إبراهيم المازني، ثم الشاعر صالح جودت وعن يساره الشاعر علي محمود طه، ثم الشاعر محمود حسن إسماعيل (من الأربعينيات).

يضطر إلى الفرار إلى إشبيلية، ويقيم بها زمنا، على حين تُمنع نائلة وولادة من اللحاق به، ثم يعود إلى قرطبة مع جيش المعتمد لتحريرها من قبضة جرير بن عكاشة ويلتقي ابن زيدون بولادة بعد أن بلغ من العمر أرذله وبعد أن داهمه المرض، وتظل ولادة إلى جانبه إلى أن يلفظ أنفاسه وهو ينشد شعرا.

تلك الأحداث هي استعراض للتاريخ السياسي والاجتماعي والحضاري لقرطبة في ذلك العهد، في حين يبرز الكاتب جو الخلافات والتمزق الذي كان سائدا لكي يستخلص العبر، مبينا أن ضعف الحكام والمؤامرات أدى في النهاية إلى زوال حكم العرب. فهو لا يصور التجربة الإنسانية ووقائعها على شكل أحداث ومواقف تتفاعل بها ومعها الشخصيات وتتوالد منها أحداث أخرى. لكن الأحداث تظل متفرقة متشعبة لا تشكل حبكة روائية، ويتخذ الجارم من تلك الأحداث والمواقف مناسبات تتبارى فيها الشخصيات لنظم الشعر. فابن زيدون ينظم الشعر في مدح ابن جهور والتقرب منه واستعطافه. فهو شاعر الدولة وله دور عام يؤديه من خلال أشعاره.

وشخصيات الرواية الرئيسة شخصيات تاريخية تؤدي أدوارا عامة تتعلق بشؤون الدولة. وأخرى خاصة في نطاق العلاقات الشخصية. لكنها جميعا شخصيات مُقَوْلبة تتقاذفها إما المشاعر الخيرة الخالصة أو الشريرة السوداء. كما أنها ليس لها سمات خاصة متفردة تميزها كأفراد مما يؤدي إلى تسطح شخصيات الرواية وتصوير نماذج للخير أو الشر. فابن زيدون هو الشاعر الطموح المحب وهو كما يصفه الكاتب « متنبي المغرب» وفتى قرطبة المدلل المرموق - يؤدي ذلك إلى أن تتبناه نائلة، وتقع ولادة في حبه، ويختصه ابن جهور بالمناصب الكبرى مما يتبعه إذكاء الغيرة - وهي إحدى الانفعالات الرئيسة التي تحرك شخصيات الجارم - في نفوس الطموحين المقربين من ابن جهور مثل ابن عبدوس من ناحية وعائشة بنت غالب من ناحية أخرى. ويتحمل ابن زيدون ذلك لطموحه وحبه لولادة وخوفه من نجاح وشايات عائشة وابن عبدوس، وتلك المشاعر هي التي تشكل شخصيته وتميز جميع أفعاله. أما ولادة فيصورها الجارم شخصية متناغمة متسقة تتفانى في حب ابن زيدون وتخلص له حتى النهاية، وهذا يخالف ما يقوله مكيّ فيها من أنها كانت شخصية محيرة مربكة وأنها ارتبطت بابن زيدون بعلاقة عاطفية وجيزة ثم هجرته وظلت حياتها العاطفية غامضة حتى يومنا هذا. **لكن الجارم، ومن أجل إبراز جو المؤامرات السياسية والشخصية، ومن أجل إيجاد مناسبات للقصائد التي كتبها ابن زيدون وبخاصة العاطفية منها، يجعل من ولادة شخصية مسطحة خيّرة وفية مضحية، أي شخصية «نموذجية». أما الشخصية النسائية الرئيسة الأخرى والتي تدخل في زمرة الخيرين المحبين فهي نائلة القرطبية التي تصفها ولادة في البداية أنها «غربال أسرار. من الخيّرات الكريمات، تفنى في محبة أصدقائها ولا تأخذها رحمة في البطش بأعدائها»**. هذا الوصف، كغيره من أوصاف الشخصيات الأخرى، يوجز الشخصيات ويحدد هويتها ويفسر جميع أفعالها ودوافعها. أما الشخصيات الشريرة فهي تلك التي تتآمر ضد الخيرين وضد الدولة. ومن الملاحظ أن الشخصيات الخيرة كلها تنتمي إلى العناصر العربية النبيلة أما الشريرة فتنتمي إلى المستعربين أو الأسبان أو البربر. وتأتي عائشة بنت غالب في مقدمة هؤلاء. فهي من أصل أسباني تمتلئ حقدا على العرب وكراهية لهم، وهي تلعب دور المرأة الأفعى توقع بالرجال لتفتك بهم. وهي أيضا تتجسس لحساب الإسبان في الشمال وتعمل على انهيار دولة العرب. وتجد هي ونظيرها ابن عبدوس في الطائفية وضعف الحكام وانصراف الناس إلى الترف مرتعا خصبا يحوكان فيه مؤمراتهما. وتاريخ أسرة عائشة الذي يفرد له الكاتب فصلا كاملا هو جزء من تاريخ العرب في إسبانيا، يصور حقد الإسبان على العرب الذي يترسب في نفوس شخصيات مثل جارسيا وابنته فلوراندا والدة عائشة وبترو صاحب أكبر حانة في قرطبة. أما ابن عبدوس - نظير عائشة - فهو كما تصفه نائلة «ذئب لا يؤمن جانبه ولا ترجى عواقبه، وكفاه وصمة اسمه الإسباني الذي يدل على سوء أصله» وهو يملك من القريحة وحسن المنظر وعذوبة اللسان ما يمكنه من ترقي المناصب السياسية وارتياد المحافل والمجتمعات القرطبية. أما ابن جهور فيمثل الحاكم الذي يعنيه منصبه أكثر مما تعنيه رفعة العرب وتوحيد كلمتهم، وهو فريسة سهلة للواشين يتأثر بما يقولون. هناك أيضا العديد من الشخصيات التي تظهر وتختفي ولا تؤدي أي دور روائي، لكنها تخدم قصة الجارم في التعليق على الأحوال السائدة في قرطبة والأندلس، أو تأخذ دورا في المساجلات الشعرية والنثرية التي تدور، أي إنها تصور جوانب من الحياة في قرطبة في ذلك الوقت، وعليه تبقى شخصيات مليودرامية مسطحة غير مقنعة، لكنها تؤدي الهدف من تصوير وتبيين المضمون الروائي، وهو الحياة في قرطبة في عهد الطوائف

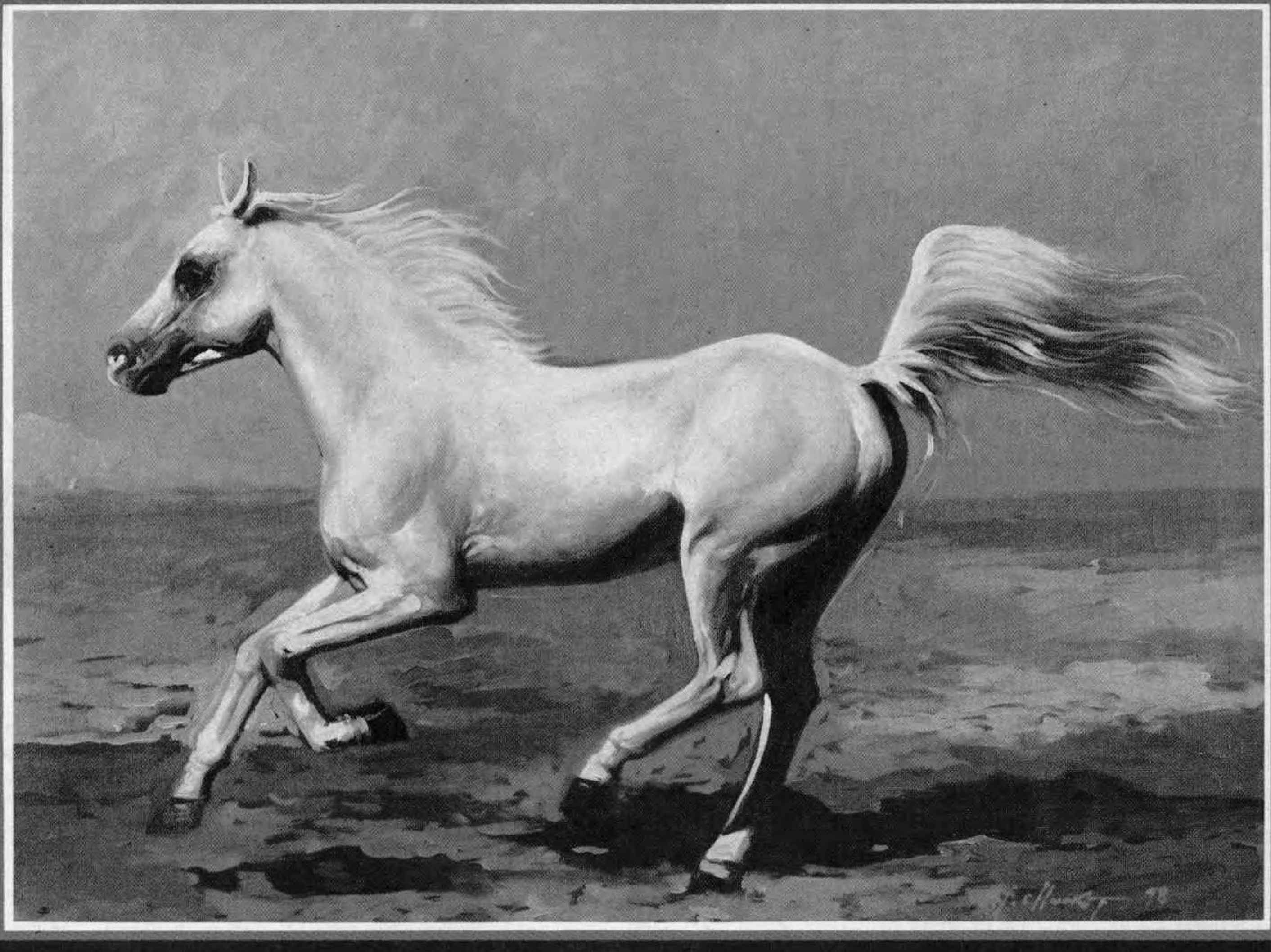
وبعد، تظل هاتف من الأندلس مثلها مثل غادة رشيد وفارس بني حمدان نوعا من الكتابة الأدبية التاريخية المحببة قدمت بأسلوب أدبي منمق واحتوت على مضامين تاريخية وأدبية عدة، واستخلصت منها الدروس والعبر، أما القالب الروائي فقد اختير إناء لاحتواء تلك المضامين واحتواء عدد من الأبحاث، ومن الأحداث المثيرة المشوقة مما يرغب القارئ في استيعاب المضمون، ويمكن الراوي من استخلاص العبر وإحياء الذكريات وربط ماض مندثر بواقع حيّ مشابه - غير أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن الرواية في مصر والعالم العربي كانت أيام الجارم فنًّا لم ترسخ قواعده بعد وتكتمل أحكامه كما هو الحال الآن؛ لذلك فإن حكمنا النقدي على روايات الجارم يجب أن لا يخرج به عن إطار عصره لا من جاء بعده ابتداء من أبي حديد إلى نجيب محفوظ.

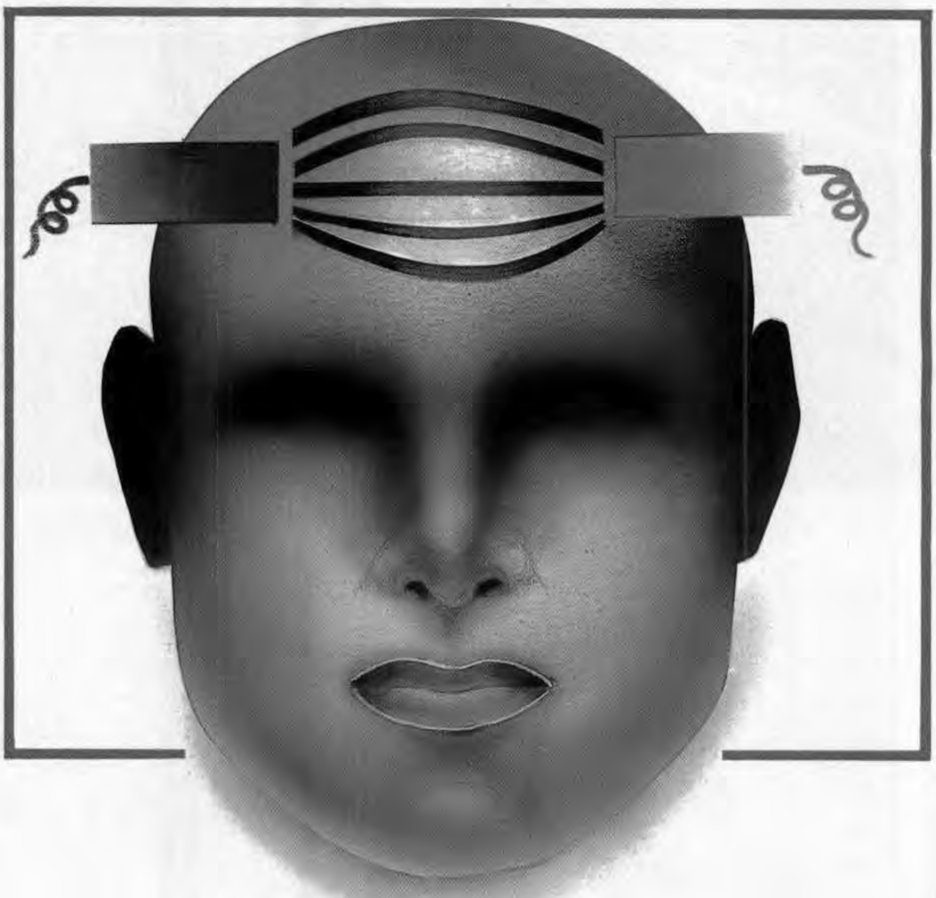
---

(١) مكي، طاهر: دراسات عن ابن حزم وكتاب طوق الحمامة، دار المعارف: القاهرة، نوفمبر ١٩٧٦.



الشرق في عيون الغرب





المغناطيس البشري

بقلم المهندس : سمير صلاح الدين شعبان

نشرت مجلة «صورة العلم» الألمانية في شباط (فبراير) ١٩٩١م خبر بلوغ واحد من أجهزة التشخيص الطبي، الجديدة كلية، مرحلة الاختبار السريري في مشفى «إرلانغن». ويقوم الجهاز الجديد، والذي أطلقت عليه شركة «سيمنس» المصنعة اسم «كرينيكون Krenikon، بقياس الحقول المغناطيسية، التي يحرضها مرور التيارات الكهربائية في جسم الإنسان. وهذا لن يسمح بملاحقة مسار النبضات العصبية المتجهة إلى القلب أو المخ وحسب، بل يتعداها إلى إمكانية التعرف على خلل بعض وظائف المخ ـ مثل داء الصرع.

ويحاول باحثو جامعة «إرلانغن» حاليا التعرف على إمكانات التشخيص الجديدة لـ«كرينيكون»، والتي كانت بعيدة عن منال التجهيزات التقليدية.

أثار هذا التساؤل اهتمام **وزارة البحوث والتقنية الألمانية** فكلفت هيئة بحوث الطيران والفضاء DLV بالتعمق في دراسة ظاهرة المغناطيسية الأحيائية Bio-magnetizm هذه. وبررت رصد المبلغ الكبير لتنفيذ هذا المشروع بالعبارات التالية : «انطلاقا من الحاجة السريرية (الإكلينيكية) تنوي الوزارة الاتحادية للبحوث والتقنية تشجيع أعمال البحث والتطوير الهادفة إلى تقصي إمكان تسخير الإشارات المغناطيسية الاحيائية، التي يصدرها الجسم البشري، بصفتها وسيلة للتشخيص الطبي في مجالات أمراض استقلاب Metabolizm عنصر الحديد، المرتبط ببعض أنواع فقر الدم، إضافة إلى تحليل وظائف المخ».

أزمة التشويش

يرى العديد من الخبراء أن المغناطيسية الأحيائية تتمتع بآفاق متطورة واسعة؛ ولا سيما في مجال تشخيص الأمراض دون أي إرهاق للمريض، لأنها تتم دون لمس المريض. بيد أن الاستمتاع بهذه المزايا يذكر بقول الشاعر العربي :

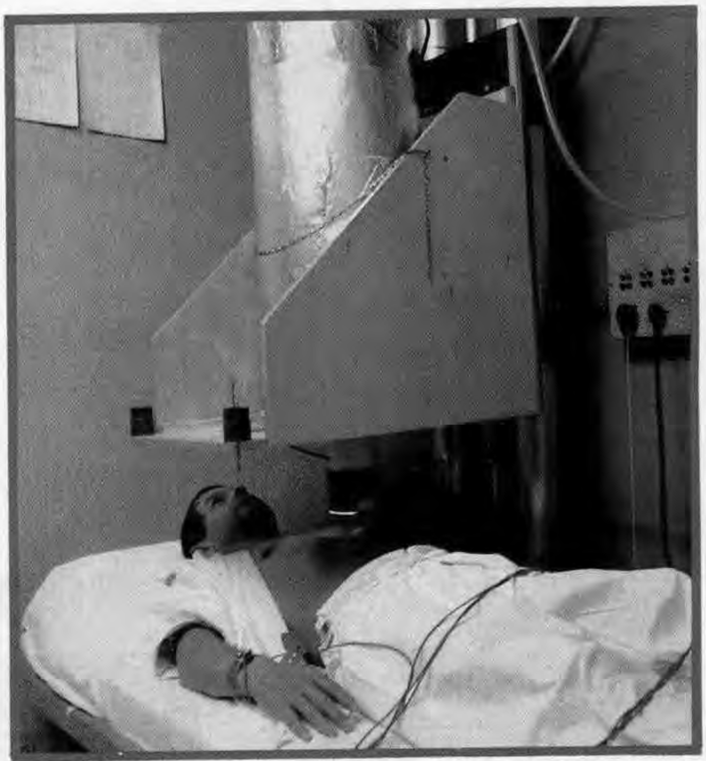
بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تنال إلا على جسر من التعب

إذ ترتبط عملية القياس ذاتها بصعوبات جمة، ولا سيما أن الأمر يقتضي محاولة التقاط الإشارات المغناطيسية الأحيائية، الشديدة الضعف، ضمن جو من إشارات التشويش (الضجيج أو البارازيت) تفوقها في الشدة ملايين المرات.

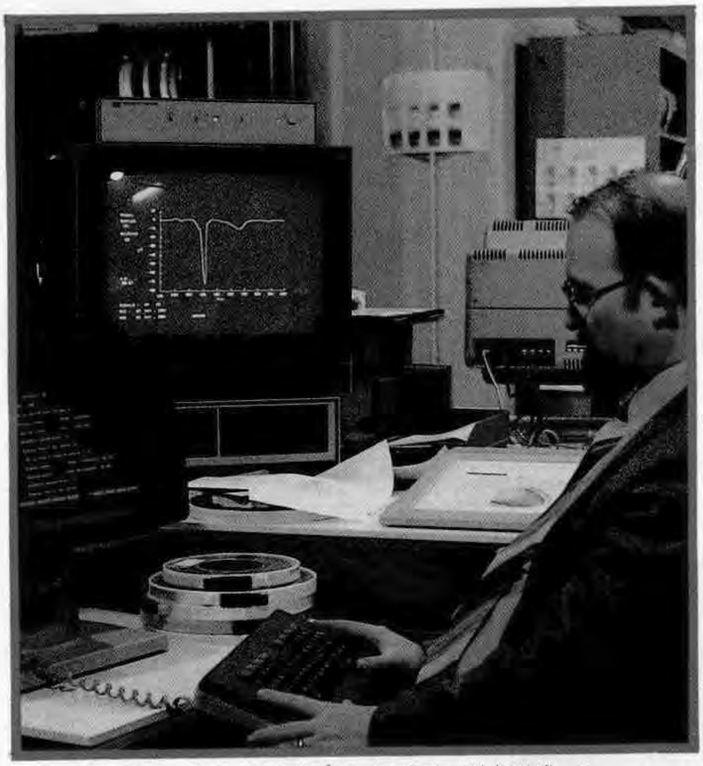
ومصادر التشويش كثيرة، منها ريح الشمس (دفعة من الجسيمات الذرية : مثل الإلكترونات والبروتونات المشحونة كهربائياً، وخطوط نقل القدرة الكهربائية ذات التردد العالي (وتبرز آثارها السلبية ولو كانت على مسافة ٥٠ متراً)، وحتى الساعة الإلكترونية التي يحملها عامل المختبر. وجميع **الحقول المغناطيسية المشوشة** هذه تزيد قوتها بشكل ملموس عن شدة حقول المغناطيسية الأحيائية، التي تصدر ـ على سبيل المثال ـ عن المخ أو القلب البشري.

ولعل **أشهر مصادر التشويش حقل كوكبنا الأرضي**، الذي يصلح أساسا ممتازاً للمقارنة. فمن المعروف أن شدة حقل المغناطيس الأرضي تقارب ٧٠ ميكرو تِسْلا (ميكرو = جزء من مليون أو ١٠$^{-6}$) بيد أن شدة بعض الحقول المغناطيسية الناشئة في المخ تقارب جزءاً من ١٠٠ مليون مليون (أو ١٠$^{-14}$) تسلا. وهذا أصغر من حقل الأرض المشوش بحوالي مائة مليون مرة.

لذا لا يستغرب المرء حينما يسمع أن مكافحة التشويش وحدها تقتضي بناء «أجهزة قياس»، يزن كل منها عشرات الأطنان، ويكلف مئات الآف الدولارات؛ يطلق عليها اسم **سكويد Squid**



درع معدني يعزل حجرة القياس عن الحقول المغناطيسية المشوشة . الشكل (١)



ترسم الشاشة العليا نبضات المغناطيسية الأحيائية التي يقومها حاسوب ، الشكل (٢)

(اختصار التسمية الإنجليزية (Interference (Device Superconducting Quantum وتعني جهاز التداخل الكمي فائق الناقلية . وتعتبر شركة إس ـ إتش ـ إي SHE الأمريكية ، التي تتخذ من مدينة سان دييغو في ولاية كاليفورنيا مقرا لها ، رائدة في الإنتاج النمطي لمنشآت سكويد ، المرغوب استخدامها في القياسات الطبية الأحيائية . وتبعتها شركة دونير الألمانية في تطوير البرامجية الإلكترونية Software الضرورية لاستثمارها .

بين الواقع والمثال

من غير المشكوك فيه أن الباحثين لن يكونوا مستعدين لتكبد عناء المصاعب التقنية المرهقة ، والتكاليف الباهظة للمغناطيسية الأحيائية إلا إذا قدمت الإشارات المغناطيسية المقيسة مزايا تعجز طرق التشخيص الطبي الأخرى عن تقديمها كليا أو جزئيا . وهم يتفاءلون بجني الثمار التالية :

* يجري القياس دون أي لمس أو إرهاق للمريض .

* نفوذية نسج الجسم البشري : تسمح النسج الحية لمرور الإشارات المغناطيسية الصادرة من أعضاء الجسم الباطنية (في مجال الذبذبة المفيدة) دون إعاقة تذكر . وبذا يتخطى جهاز سكويد الجلد ليرى ما يجري في داخل الجسم .

○ كيف أمكن التجسس على مراكز النشاط العشوائي في مخ مرضى الصرع دون لمس ؟!

* تحليل الحوادث المتطرفة الإيقاع (السرعة) ، والتي لا يستمر بعضها أكثر من جزء من ألف من الثانية .

* الضرر الفراغي الممتاز . وتدل المؤشرات على أن قابلية الفرز Resolution الثلاثي الأبعاد (المجسم) مقبولة في يومنا هذا ، لكنها ستصل في المستقبل القريب إلى دقة ميليمتر وحيد . وهذا يعني أن الطبيب سيقدر على تحديد بؤرة الصرع في مخ المريض بخطأ لا يتجاوز ـــ في الاتجاهات الفراغية الثلاثة ـ ميليمترا واحدا وحسب .

من الناحية «النظرية» تبدو هذه المزايا خارقة للعادة ؛ لذا شكل بعض الباحثين في إمكانية تطبيقها «علميًّا» ، ولا سيما في مقدرتها على منافسة طريقة **التخطيط الكهربائي للمخ** (EEG اختصار التسمية الإنجليزية Electro Encephalo Gramm) ، التي رسخت أقدامها . ويستند التخطيط الكهربائي للمخ إلى مبدأ مشابه للمغناطيسية الأحيائية يمكن تسميته تجاوزا الكهربائية الأحيائية Bioelectricity : تولد تيارات المخ الكهربائية جهدا (فارقا في الكمون أو فولتاج) ، يمكن قياسه بواسطة مساري (أقطاب) متواضعة خارج جلد الرأس ، ومن ثم تسجيله على راسمات بيانية .

ويحاول أنصار المغناطيسية الأحيائية الانتقاص من أهمية التخطيط الكهربائي للمخ بالإشارة إلى أن الإشارات المقيسة بالطريقة الكهربائية هذه لا تصدر ـ أصلا ـ من «داخل» الخلايا ، بل من خارجها . كما أن مرور الإشارات الكهربائية عبر نسيج الرأس يؤدي إلى تشويهها ، مما ينجم عنه بالنتيجة عدم نقل الصورة الحقيقية للمخ بأمانة . وعلى العكس يؤكد هؤلاء بأن قياسات المغناطيسية الأحيائية تفضح التيارات المتحركة في المراكز النشيطة ضمن الخلايا ذاتها .

وفي اعتقادي ـ ينتهي هذا الصراع بين أنصار التخطيط الكهربائي والمتحمسين للمغناطيسية الأحيائية بتوحيد نتائج الطريقتين ؛ سعيا وراء صورة «متكاملة» لمخ الإنسان ـ تماما كما تم في الماضي توحيد النظريتين الجيولوجيتين المتصارعتين : **نظرية الألواح المتحركة** Plate Tectonics مع **نظرية الألواح المجهرية المتحركة** Micro Plate Tectonics ، المسماة تجاوزا بالجبال المهاجرة .

المغناطيس البشري

وأعتقد بأن فرص التقارب مع المغناطيسية الأحيائية التي مازالت تحبو في سنوات طفولتها الأولى، سوف تتحسن بعد شيوع أخبار الإنجازات العلمية الفريدة لهذا الفرع العلمي الناشئ.

بين الكهرباء والمغناطيس

توصل علماء الأحياء قبل مدة طويلة إلى كشف مثير. فعند تعريض بعض الحيوانات لأصوات مختلفة الارتفاع (الحدة، التردد، الذبذبة) يرتسم على مركز السمع في مخ الحيوان مخطط يشبه الخطوط متساوية الارتفاع في المخططات الطبوغرافية لتضاريس الأرض الطبيعية من جبال وسهول ووديان. بيد أن الطرق التقليدية - بما فيها تخطيط المخ الكهربائي - عجزت عن إثبات هندسة وظيفية مماثلة عند الإنسان.

وأخيرا صمم **الفيزيائي الإيطالي غيان لوكا** من معهد الكهرباء في روما و**الفيزيائي الأمريكي صموئيل ويليامسون** بالتعاون مع **عالم النفس لويد كاوفمان** من جامعة نيويورك على قطع الشك باليقين. فكرروا التجربة عينها مع متطوع بشري، وقاسوا الإشارات المغناطيسية الأحيائية الصادرة من مركز سمعه، باستخدام **جهاز سكويد**. وبالنتيجة كشفوا مخطط «تضاريس طبوغرافية» مشابه لذلك الذي وُجد عند الحيوان، والذي عجزت الطرق التقليدية عن كشفه.

وأسارع هنا إلى لفت النظر إلى أن اهتمام باحثي المخ التجريبيين لا يقتصر على قياس الإشارات والحقول المغناطيسية، التي تحرضها منبهات السمع والبصر والحواس عموما في مخ الإنسان وحسب، بل يتعدى إلى دراسة الإشارات الكهربائية المولدة أثناء «التفكير» والمعالجة الراقية للمعلومات.

وعلى سبيل المثال كشف تخطيط المخ الكهربائي ظهور جهد كهربائي (فولتاج) في المخ، يأخذ شكل الموجة، لذا أطلقوا عليها اسم «موجة الجهد ٣٠٠ P300» : فإذا اعترى الإنسان خوف من شيء ما عندها تبدأ الموجة بالظهور بعد مضي ٣٠٠ ميلي ثانية (ميلي : جزء من ألف) بالضبط على لحظة الشعور بالتوجس والخوف، ودون أن يكون لها أي ارتباط بعامل خارجي - وخزة إبرة أو حرارة مثلا. وظل الباحثون يتساءلون — دون جدوى : ما مصدر موجة الجهد ٣٠٠ هذه؟

وأخيرا تصدى للإجابة عن هذا التساؤل **العالم الياباني الأمريكي يوشيو أوكادا**، وهو من مساعدي **لويد كاوفمان** البارزين. ومرة أخرى أسهمت قياسات المغناطيسية الأحيائية لموجة الترقب ٣٠٠ في تحديد قاعدة انطلاق هذه الموجة : إنها نقطة في البصلة السيسائية.

○ المغناطيسية الأحيائية تفتح آفاقًا يصعب حصر حدودها المستقبلية الآن.

بؤرة الصرع

من المعروف أن **ظاهرة الصرع** Epilepsy هي عبارة عن خلل في وظائف الدماغ الطبعية، يتجلى في «التأجج» العشوائي للخلايا العصبية. وفي حالة الصرع البؤري Focal Epilepsy تقوم مناطق محصورة في المخ بإصدار دوري منتظم لنبضات قوية ناشئة عن انفراغ الشحنات الكهربائية (مثل ظاهرة البرق). ومن حين إلى آخر يتسع نطاق هذا النشاط ليشمل مناطق واسعة من المخ؛ مما يؤدي إلى «أزمة الصرع» عند المريض.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن **التخطيط الكهربائي** الذي سبق ذكره يقدر على كشف قمم النبضات القوية، التي تظهر بين الأزمات. وتمنى العديد من المخططين الكهربائيين لو تسنى الحصر والتحديد الدقيق لمصدر الأزمات. فعسى أن يسمح ذلك بتمهيد الطريق لاستئصالها جراحيا. إلا أنهم اصطدموا مرة أخرى بعدم كفاية المعلومات التي يقدمها مخطط المخ الكهربائي. لذا كان الملاذ الوحيد — حتى عهد قريب - وَصْل المخ ذاته مع أقطاب كهربائية، أو حتى غرسها في أعماقه طمعا في الحصول على قياسات تفيد في تحديد بؤرة الصرع. ولا تخفى أخطار هذا الإجراء على سلامة المخ. وتساءل بعض الخبراء : إلى متى يفرض على مرضى الصرع خوض هذه المغامرة غير مأمونة النتائج؟

وأخيرا تنفس هؤلاء الصعداء حينما نشرت **مجموعة من الباحثين من كلية علم النفس** التابعة **لجامعة** كاليفورنيا في لوس أنجلوس، مقالا في المجلة العلمية الأمريكية الرصينة «**العلم** Science»، بأنها نجحت في تسخير قياسات المغناطيسية الأحيائية في التحديد الدقيق ليس لموقع بؤرة الصرع وحسب، بل كذلك عمقها واتجاه عمليات الانفراغ الكهربائي منها (مثل ظاهرة البرق التي تقتضي وجود مرسل للشحنات الكهربائية يقابله مستقبل)، وكذلك تبدل خصائصها بمرور الزمن.

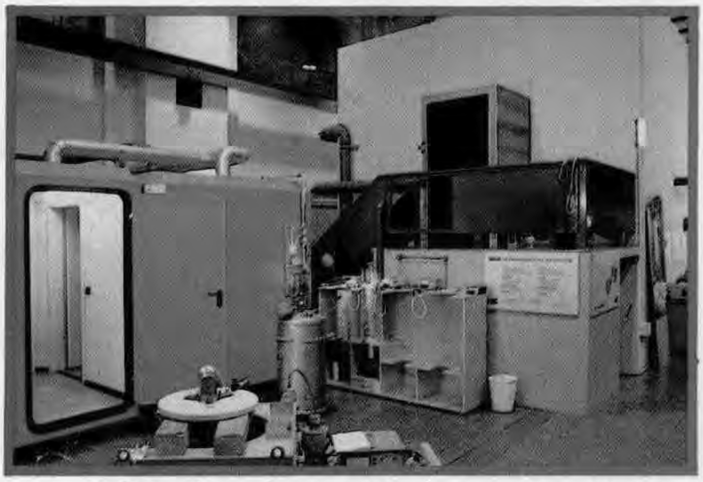
وبذا تم للمرة الأولى في تاريخ التقنية الطبية التجسس على مراكز النشاط العشوائي في مخ مرضى الصرع بدقة عالية بواسطة طريقة عديمة اللمس، كان التوصل إلى جزء من دقتها يتطلب زرع الأقطاب الكهربائية في أعماق المخ.

فقر الدم

لم تنحصر التطبيقات العملية للمغناطيسية في نطاق منافسة التخطيط الكهربائي للمخ، أو فلنقل سد الثغرات وحسب، بل تعدتها إلى أعضاء الجسم الأخرى : ومنها **الكبد**. فمن المعروف أن الرجل السليم يخزن بصورة وسطية قرابة ٤ غرامات من عنصر الحديد، تسهم ٣ غرامات منها بنقل للأسجين وتخزينه. أما الغرام الأخير فيمثل احتياطيا استراتيجيا لوقت الضرورة الملحة. ويعتبر الكبد واحدا من مستودعات هذا المخزون الاحتياطي. وحيث أن تقلبات تركيز (نسبة) الحديد في الكبد تسمح باستنباط كمي دقيق لوظيفة الحديد في مجمل أعضاء الجسم، لذا تتمتع معرفة تركيز الحديد في الكبد بأهمية تشخيصية متميزة.

والطرق التقليدية المباشرة ترهق المريض بأخذ عيّنة من نسيج الكبد الحي (خزعة) بواسطة إبرة مجوفة (على شاكلة مشابهة للخزعة المأخوذة لتشخيص السرطان) لتحليلها كيميائيا في المختبر.

فكر **دافيد فاريل** من جامعة كاس ويسترن



الشكل (٣) قمرة للقياسات المغناطيسية الأحيائية تزن مع أساساتها البيتونية (الكونكريت) ٤٠ طنا، منها ٢٠ طنا من المعادن والصفائح البلاستيكية العازلة.



الشكل (٤) مجس جهاز سكويد يقترب من رأس المتطوع ليتنصت مغناطيسيا على ما يجري في داخل مخه، دون ألم أو أي إضرار بصحته.

ريزيرف في كليفلاند في ولاية أوهايو الأمريكية بتخفيف هذا العبء عن المريض. وصمم نموذجا مصغراً من جهاز سكويد يختص بقياس ما يسمى **بالنفوذية المغناطيسية للكبد**: فكلما كبر تركيز الحديد في الكبد ارتفعت النفوذية المغناطيسية تبعا لذلك. وكان فاريل أول من حدد تركيز حديد الكبد بطريقة لا تعتمد على التحليل الكيميائي المباشر للخزعات.

وحسب علمي فإن **جهاز فاريل** فريد من نوعه حتى الآن. وتقوم الشركة المنتجة في كاليفورنيا حالياً بصنع نموذج ثان. والنموذج الثالث طلبه مشفى جامعة هامبورغ الألمانية على أن تدفع قيمته من المبلغ الذي رصدته وزارة البحوث والتقنية، والمخصص لتشجيع بحوث المغناطيسية الأحيائية.

ويأمل البروفسور **هيلموت هاينريش** من معهد كيمياء وظائف الأعضاء في هامبورغ أن يسخر هذا الجهاز الفريد من نوعه في ألمانيا في المسح الوقائي، الهادف إلى الكشف المبكر عن **المرض الوراثي المسمى هيماكروماتوز**. ويؤدي الخلل الجيني هذا إلى اضطراب قوي في وظائف عمليات الاستقلاب، وكذلك إلى التخزين المفرط للحديد في الكبد. ويبرر **هاينريش** هذه الأولوية بالإشارة إلى أن كل ١٠ مواطنين ألمان بينهم حامل واحد لجينات الهيماكروماتوز، وبين كل ٣٣٣ مواطن مصاب فعلي. ويضاف إلى ذلك تعذر كشفه بالطرق التقليدية إلا في وقت متأخر، وبعد وقوع المريض فريسة لتشمع كبد قوي.

لذا يضيف **هاينريش** إمكانية الكشف والتشخيص المبكر، الذي يسمح بمقاومة المرض قبل فوات الأوان، إلى عدم إرهاق المريض، في إبراز أهمية قياسات المغناطيسية الأحيائية. ولا يقف تفاؤله عند هذا الحد بل يتعداه إلى محاولة تسخيرها في المستقبل القريب في التشخيص المبكر لفقد الدم بالحديد.

ومع أن دقة نموذج فاريل الأول تقف عند حدود كشف وجود «تضخم» في تركيز الحديد. إلا أن إجراء بعض التعديلات الطفيفة على النموذج الذي سيركب في هامبورغ قد يسمح بتشخيص فقر الكبد بالحديد أيضا، والذي يعاني منه ـ حسب رأي البروفسور هينريش ـ نصف سكان ألمانيا دون أن يشعروا بذلك.

آفاق المستقبل

تبشر **المغناطيسية الأحيائية** ـ على حداثة عهدها ـ بفتح آفاق علمية وتقنيةطبية يصعب حصر حدودها المستقبلية في يومنا هذا، كما يتضح من الأمثلة التالية:

* أسهمت المغناطيسية الأحيائية «العامة» في دراسة المخ أثناء عمله الاعتيادي وبالتالي وضع حجر الأساس لأحد فروعها الجديدة المسمى «**مغناطيسية العصبونات** (أو النيورونات)».

* تفرع عنها أيضا مجال آخر هو **مغناطيسية القلب**: يولد انقباض عضلة القلب وانبساطها حقلاً مغناطيسيًا، يمكن قياس شدته بواسطة جهاز موضوع خارج الجسم. وهذا لا يسمح بالتعرف على درجة سلامة عمل القلب وحسب، بل يساعد أيضا على التشخيص المبكر لأمراض القلب والأوعية الدموية: المرض القاتل رقم واحد في الدول الغربية الصناعية.

* يتفاءل أطباء الأمراض المهنية بتسخير قياسات المغناطيسية الأحيائية في الكشف ـ داخل الجسم ـ عن بعض ملوثات الرئتين وجهاز التنفس: مثل الغبار المحمل بالمعادن السامة.

وأضيف إلى ذلك مثالا يبدو «عبثيا» حتى الآن، ولكن دلالته على عظم المواهب الكامنة للمغناطيسية الأحيائية لا تخفى على أولي الألباب:

فقد نجح الفيزيائي **توماس بلوم** من جامعة برلين الحرة في تسخير **جهاز سكويد** في قياس الحقول المغناطيسية، التي حرضتها بعض الأصوات في مخ «جنين»، بعد ٣٥ أسبوعا من بداية الحمل، دون أن يسبب أي إزعاج للجنين أو الأم على حد سواء.

المراجع

1 - B. Eusemann - Kuenstliche Sinne. BDW 2 '91.

2 - Diagnose Durch Biomagnetismus. BDW 12 '90.

3 - M.V. Volkenshtein. Biophysics. MIR 1983.

4 - W.H. Westphal. Physik. Springer 1963.

5 - H. Lindner. Physik Fuer Ingenieure. Vieweg 1968.

6 - W. Schallreuter (HRSG). Physik. Bd II. Teubner 1967.

7 - R.W. Pohl. Elektrizitaetslehre. Springer 1964.

8 - J. Hohnsbein. Biomagnetismus. BDW 8 '86.

في تايلند: السَّمامة
ثروة تطير على جناحين

على ارتفاع ٣٠٠ قدم في مغارة الكهف في **تايلندا** يجري البحث عن **أعشاش صغار طيور السّمامة** ، أجيال وأجيال من الرجال يخاطرون بـأرواحهم من أجـل حصـاد الأعشاش ، يحدث هذا في **تايلند والفلبـين وبورمـا ومـاليـزيـا وفيتنام** ، والسر وراء هذا صناعة حساء عش الطيور غالي الثمن ، فالطبق الواحد يباع بمبلغ (٥٠) دولاراً في **هونج كونج** بينما يصل ثمن رطـل الأعشاش فيهـا إلى (١٠٠٠)دولار .

أعشاش السّمامة

تصنع أعشاش طيور السمامة من مادة جيلاتينية تفرزها اثنتان من الغدد الكبيرة موجودتان أسفل لسان الطائر ، ومادة العش هذه تخلط مع مرق الدجاج السمين لإنتاج **الحساء الصيني الشهير** ، وهناك وصفات عديدة تحمل مذاق أفضل منها وصفة تتمثل في حشو دجاجـة بأعشاش الطيور ثم تسلق جيداً في وعاء بورسلين لينتج حساء رائق من اللحم او بمعني أدق مرقة دجاج مروقة .

وجمع أعشاش السمامة حرفة تتوارثها الأجيال وتنتقل من الأجداد إلى الآباء ومنهم إلى الأبناء الذين يمارسون العمل في مرحلة الصبا المبكر ، ويستطيع الشخص الماهر جمع نحو (٥٠) عشاً في اليوم الواحد .

يمتد موسم الحصاد من فبراير إلى مايو وخلال هذه الفترة يصعد جامعو الأعشاش على سقـالات مصنوعة من **البامبو** عند شروق الشمس ويغادرونها في المساء فقط ، لا يأخذون معهم طعاماً أو شراباً وانما يقتاتون بأعشاش الطيور إذ يعتقدون انها تمنحهم حيوية الطيور وطاقاتها .

ويتم جمع الأعشاش ثلاث مرات في الموسم الواحد وتقوم الطيور ببناء أعشاشها عادة في نفس المكان مرتين ، ويقوم جامعو الأعشاش بالتقاطها ويترك العش الثالث حتى تربي الطيور صغارها وبعد أن تغادر الافراخ أعشاشها يؤخذ العش الثالث بعدها يعود الرجال إلى مزاولة أعمالهم المعتادة ، فمنهم من يزرع الأرض أويصيد الأسماك أو يعمل في النجارة .

هونج كونج الأولى

يعتقد **د. يون شنج كونـج** أستاذ مادة الكيمياء العضويـة **بالجامعة الصينية في هونج كونج** أن أعشاش السمامة كانت تؤكل في الصين منذ (١٥٠٠) سنة ويرى أن السر في العثور على أنية بورسلين أسرة تانج بالقرب من كهف نياه في شمال غرب **بورتيو** يعود الى تصـديـر الأعشاش منذ (١٣) سنة ، ويذكر كذلك أنه في أوائل **عهد أسرة منج** (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤م) قام **قبطان بحري يدعي شنج هو** بسبع رحلات في **جنوب شرق آسيا** كقائد للأسطول الامبراطوري ومن بين التعليمات التي تلقاها من الامبراطور أن يلاحظ جيداً وجبات الطعام وأيضاً الطعام المنتج في هذه الأجزاء الأجنبية ، وكان طريق (شنج) يمر بكل أماكن إنتاج أعشاش الطيور الحالية ، ومن المحتمل أنه قام بشراء عينات من أعشاش السمامة لكي يقدمها إلى البلاط الأمبراطوري ولكن لم يستدل على مدونات مكتوبة بهذا الشـأن ، ويعتقد **د. كـونج** أن أعشاش السمامة استنفدت من الصين قبل استيراد أخرى أجنبية .

في منتصف القرن (١٧) كانت الأعشاش الصالحة للأكل تجارة رائجة وفي أواخر القرن نفسه كان نحو (١٢٥,٠٠٠) رطل (٤ مليون عش) يمرون سنوياً عبر **ميناء جاوة في باتفيا ـ جاكرتا ـ** واليوم تأتي هونج كـونج في مقـدمة الـدول المستوردة للأعشاش حيث تستهلك



طائر السمامة ويبدو واضحا حجمه الصغير



رسوم على جدار أحد الكهوف للسفن التي كانت ترتاد المنطقة للاتجار في الأعشاش

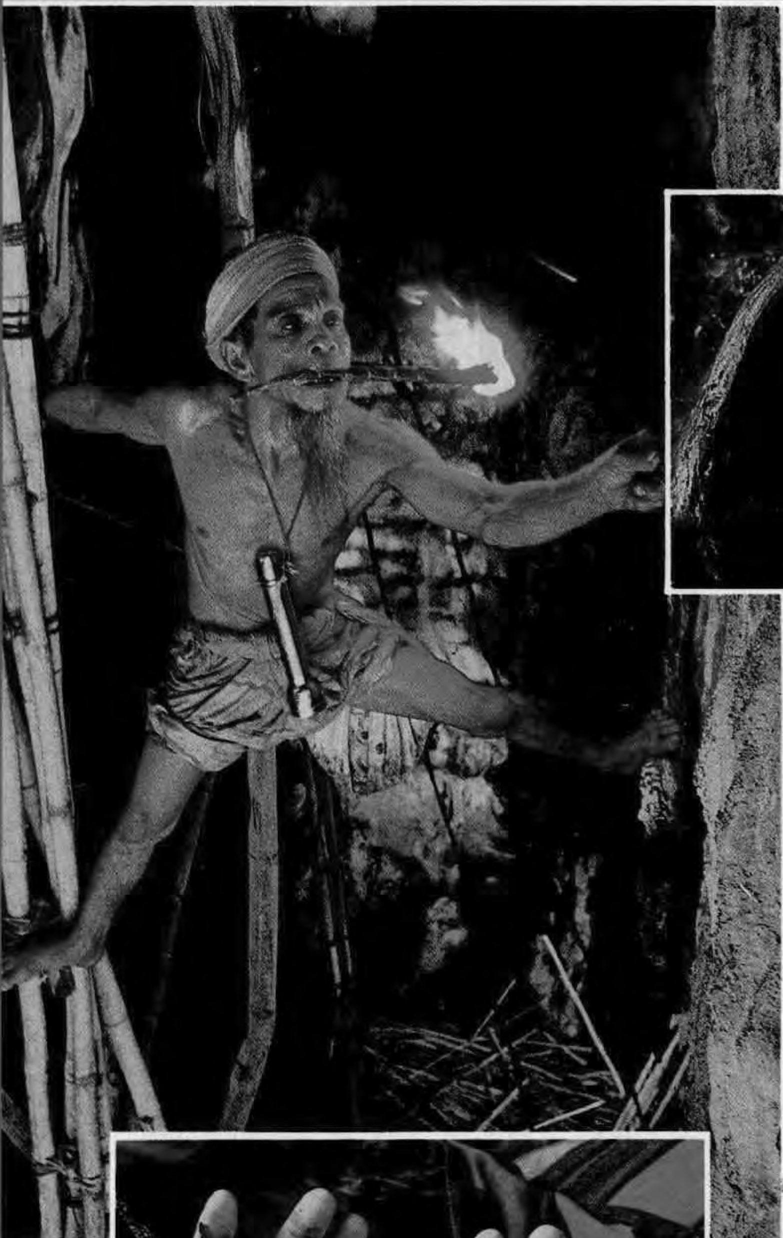
٦٠٪ من إجمالي المنتج ويقدر هذا بحوالى (١٠٠) طن سنوياً يبلغ ثمنها (٢٥) مليون دولار، يليها المجتمعات الصينية في أمريكا الشمالية إذ تستهلك نحو (٣٠) طناً سنوياً، ولا تقوم الولايات المتحدة باستيراد أعشاش خام بسبب الخوف من وجود البكتيريا، لذا تغسل كل الأعشاش التي تصدر إلى **أمريكا الشمالية** بمحلول **الكبريتيت** وتنظف جيداً من الشوائب وقد كانت **الصين** أكبر مصدر للأعشاش حتى الثورة الشيوعية ولكنها تستورد الآن نحو ١٠٪ من أسواق هونج كونج.

أنواعها

الرجال في **كهف النمر** في **جزيرة اندامان بجنوب تايلند** يجمعون نوعين من الأعشاش: الأعشاش البيضاء من اللعاب النقي والأعشاش السوداء التي تحتوي على الريش، ويعتقد أن العش الأسود له قيمة غذائية أقل من الأبيض وبسبب وجود الريش فيه يباع بثمن أقل.

أما ما يطلق عليه اسم «**العش الأحمر**» فينظر إليه الطهاه على أنه «طعام ثمين» ويزعمون أن دماء السّمامة تخضبة ولكن الاحتمال الأقرب الى الواقع أن يكون العش قد أخذ لونه من **أكسيد الحديد** الموجود في الصخور الملتصق بها.

وهناك كلمات معينة لا يستخدمها جامعو الأعشاش داخل الكهف مثل السقوط والدماء والموت والخوف، وتبني السّمامة أعشاشها عادة بالقرب من أسقف الكهوف سواء كان هذا على أعلى ارتفاع في المغارة أو داخل فجوات منخفضة بعض الشيء وتقع الأعشاش في مجموعات يختلف عددها تبعاً لسطح الحائط المتاح، وفي بعض الأحيان يبلغ عمق مكان الأعشاش ميلين أو تقع في طرق ملتوية ذات ممرات ومسالك يصعب الاهتداء اليها ولكن الطيور قادرة بالطبع على إيجاد أعشاشها ودائما



استعمال المشاعل للبحث عن الأعشاش ليلاً



أعشاش السّمامة يصنع منها الحساء الصيني

حيث تعود الى مجاثمها في اواخر الليل بعد أن تكون قد حصلت على طعامها بالطيران في الأماكن البعيدة نهاراً، وتحرص الطيور على إقامة أعشاشها في المواطن الطبيعية مثل الكهوف وداخل سقوف المباني بعيداً عن الكواسر.

ويعد نظام التوجية في السّمامة أولى لا يشبه جهاز الملاحة عند الوطواط وذلك لأن الموجود عند السّمامة ليس حساساً بدرجة كافية للاستدلال على الغربة ولكنه كاف للتعرف على (كنتور) الأسطح الصلبة مثل جدران الكهف.

استئجار الجزر

بعد قضاء أكثر من عشر ساعات على السقالة يعود الرجال إلى معسكرهم مثقلين بحقائبهم التي تحتوي على الصيد الثمين، والمعسكر عبارة عن مصطبة من **البامبو** المصفوف السائب تبرز فوق البحر، تدعمها نباتات خشبية متسلقة من نباتات الأحراج الاستوائية تمتد إلى سقف الكهف، ويأتي التاجر أو صاحب العمل في زيارة أسبوعية لكى يزن ويجمع الأعشاش، وهذا الرجل يبدو مثل إنسان في إجازة أكثر من كونه رجل أعمال يدير مشروعات ضخمة، فهو يحتكر إنتاج خمس سنوات من (٦٠) جزيرة في تايلند وفي مقابلها يدفع للحكومة رسوماً قدرها (١,٥) مليون دولار، ولديه أفراد من جامعي الأعشاش هم مثل غالبية سكان هذه المنطقة من المسلمين المنحدرين من **صيادي الملايو**.



هكذا يبدو العش شفافا ومطاطيا ويتكون من اللعاب الجاف للطائر

وبعد أن يتفقد صاحب العمل الرجال ويوزع عليهم الكعك والمياه الغازية حاملاً لهم أخباراً من أرض الوطن يتفقد المحصول الذي يبلغ وزنه هذه المرة (٢٥) كغم من الأعشاش البيضاء النقية من الدرجة الأولى



جسور من البامبو على ارتفاع ٢٠٠ قدم في الكهف، والأعشاش هنا موجودة على ارتفاع ٣٠٠ قدم وعلى عمق ميلين

تساوي (٥٠,٠٠٠) دولار في هونج كونج .

ويتعلق بمهنة جمع الأعشاش كثير من المخاطر فهناك خطر التسلق بالطبع الى الأسقف العالية ، كذلك لابد من وجود حراس مسلحين يصطحبون صاحب الأعمال في عودته إلى أرض الوطن ، وهناك القراصنة من الصيادين الفقراء الذين يسعون للحصول على الأعشاش وسرقتها منهم يعرفون أن الكيلو منها يباع في الأسواق السوداء بمبلغ (١٢٠٠) دولار . وخارج الكهف توجد إشارة مكتوبة باللغة التايلندية تحذر اللصوص من وجود ألغام أرضية مدفونة قرب المدخل ، و في السنوات الماضية قتل بالفعل عدد من اللصوص عندما ساروا فوق الألغام غير أبهين بالتحذير .

قيمة طبية

يبدو أن للأعشاش قيمة أكبر بكثير مما يقدرها القراصنة ، **فالدكتور كونج** يتحدث عن احتمال وجود مستقبل طبي للأعشاش **فقد تم استخدامها منذ فترة طويلة في الطب الصيني التقليدي لعلاج أمراض الرئة بالاضافة إلى إعطاء مظهر الشباب للبشرة وكدهان للأطفال والمرضى في دور النقاهة وكذلك لكبار السن** .

وكجزء من بحثه عن الدواء المشتق من الحيوان والنبات الصيني وجد د. **كونج** أن الأعشاش تشتمل على بروتين سكري قابل للذوبان في الماء وهذا البروتين يعمل على تنشيط إنقسام الخلية في نظام المناعة وهو يقول : إذا نجحنا في عزل هذه المادة النشطة وحددنا خلاياها المستهدفة من الممكن استخدامها كعلاج ضد مرضى نقص المناعة المكتسبة أو «الأيدز» .



صغار السمامة هم ضحايا جشع جامعي الأعشاش



لصوص الأعشاش يحكم عليهم بالسجن لمدة سنة

تنظيم الحصاد

يعتقد بعض العلماء أن الجمع المحموم للأعشاش يأخذ مظهراً مبالغاً فيه ومدمراً للبيض وصغار الطيور ولو استمر الحصاد على هذا المنوال يمكن أن تستنفذ هذه الأنواع قبل أن نتمكن من معرفة ما يمكن أن تضيفه أعشاشها لنا من فائدة .

ويبحث **قسم علم الحيوان في الجامعة الوطنية في سنغافورة** عن طرق إدارة الحصاد أو جمع الأعشاش ، فدورة الحصاد يجب أن تتناسب مع أنماط التفريخ وحتى يحدث هذا لا يوجد إجراء يمكن أن يعوض عن الأذى الذي يحدث للطيور في الكهوف من أصحابها أنفسهم .

وتوصي **د. كانج نين من الجامعة الوطنية بسنغافورة** بتحديد الحصاد كل عام طبقاً لأحوال المناخ وسلوك تفريخ الطيور نفسها ، فالاعشاش الأولى تجمع قبل أن تضع الطيور بيضها ، والأعشاش التالية التي تبني خلال ظروف الجفاف وتكون لازمة للتفريخ يجب أن تترك لتربية الصغار وبعد رحيلهم يمكن أخذ العش ولأن التفريخ يحدث خلال فترة مناسبة يمكن أن يكون هناك حصاد ثالث عندما يكون الأبوان قادرين على استغلال مصدر الطعام الوفير لبناء عش ثالث .

وأي تنظيم للحصاد يتطلب تعاون اصحاب الكهوف الذين يكون عليهم قبول تخفيض قصير المدى في الأرباح مقابل زيادة في إنتاج الأعشاش في المستقبل ولأن استئجار الجزر المنتجة لأعشاش الطيور تطرح في مناقصة كل خمس سنوات يعتقد البعض أن هذا يشجع الرغبة لتحقيق الربح السريع على حساب الطيور .

عن مجلة : National Geographic

يا من سكنتم..

شعر: عباس مهدي الخزام

يا من سكنتم في الفؤاد طويلا ... جسمي كسته الطارقات ذبولا

واللّه ما هجعت عيوني بعدكم ... أبدًا ولا اتخذ الفؤاد خليلا

وإخال أنفاس الزهور عبيركم ... سَحَرًا إذا مرّ النسيم عليلا

وأود دومًا أن أكون بقربكم ... لأبلّ وجدًا كامنًا وغليلا

قاسيت بعدكمو فراقًا مؤلمًا ... حتى لقيت من الفراق نحولا

وأسائل الآتين عن أخباركم ... فلعل فيهم آتيا ورسولا

وأود لو أني نسيمٌ عابرٌ ... لأطوف سفحًا نحوكم وسهولا

وأود لو أني هزارٌ طائرٌ ... حتى أرتل حبكم ترتيلا

هذي هي الذكرى تحرّق أضلعي ... ولأجلكم أجد العذاب جميلا

وتثور أشجاني إذا حلّ المسا ... فظلامه يرخى عليّ سدولا

وأجول بالطرف الكئيب لعلني ... أصطاد طرفًا في المنام كحيلا

وأرى خيالكمو يطوف بمضجعي ... حلوًا فينعش قلبي المهزولا

حمّلتمو قلبي أفانين الجوى ... فحملت عبئًا باهظًا وثقيلا

أهديكمو رغم البعاد تحية ... تأتي إليكم بكرة وأصيلا

من كُتّاب العدد



● عباس مهدي الخزام

- ولد بالقطيف عام ١٣٥٣ وتلقى علومه فيها.
- عمل مدرسا بمدارس الظهران الصناعية ومدرسًا للغة العربية ومترجما أيضا.
- نشر إنتاجه الأدبي في الصحافة المحلية «أخبار الظهران» و«الإشعاع» و«اليمامة» و«المنهل» وبعض الصحف العربية.
- له ديوان شعر مطبوع بعنوان (أنغام وآلام).
- له ديوان شعر تحت الطبع بعنوان (أشواك وورود).
- يعمل وكيلا شرعيا بالقطيف.

التحليل السياسي للأدب

بقلم: مصطفى كمال أحمد

ينصرف تعبير « كتابة سياسية » إلى كتابات مباشرة في السياسة، أي تلك التي تتناول موضوع السلطة، وعلاقة الحاكم بالمحكوم، والصلات بين مختلف القوى المؤثرة في المجتمع السياسي، وتأخذ شكل المقال أو البحث عموما. أي كتابة قد تتضمن خبرًا، وقد تتضمن رأيًا وتحديدًا لموقف من حدث سياسي، سواء ظهرت هذه الكتابة معاصرة للموضوع الذي تتناوله، أو بعد مروره بفترة طالت أو قصرت بغرض كشف حقائق جديدة، أو تحليل وتقويم ما تم من وقائع ومواقف سياسية، وما ظهر فيها من اتجاهات.

الفكر السياسي الأدبي

أما الأفكار السياسية المتضمنة في شكل أدبي، أي « **الكتابات السياسية غير المباشرة** »، فهي أخطر وأعمق تأثيرا في المدى الطويل لأنها ممتعة حيث أخذت الشكل الأدبي أو الفني الذي يخاطب الوجدان، لذا فهي تصل إلى **قطاعات عريضة من الناس** على اختلاف مواقفهم السياسية، حيث تشكل ميولهم وأفكارهم على غفلة من فكرهم «الواعي» - إن جاز القول - وفي غياب المقاومة التي قد تحدثها « عُقد » الشخصية وتركيباتها في الظروف العادية، ثم أخيرًا نجد هذه الأفكار السياسية، التي يحتويها عمل أدبي أو فني، تعيش سنوات طويلة بوصفها جزءًا من ثقافة الأمة وتراثها الفكري لتؤثر في أجيال متعاقبة، وتتناسب مدة حياتها، ومدى تأثيرها طرديًا مع جودة العمل، ومكانة كاتبه، وما حظي به عمله ذاك أو بعض أعماله من تقدير وذيوع بين جمهرة المفكرين وعامة القرّاء.

وبرغم أن الفكر السياسي في شكل أدبي أو فني عظيم الخطر في تأثيره، شديد الأهمية لانتشاره، فلم يحظ في النقد والتحليل السياسي بمثل هذه الأهمية التي يمثلها، ففي هذا النوع من الإنتاج الأدبي ذي المضمون السياسي تمّ تناول الجانب السياسي جزئيًا فقط وبشكل هامشي، من خلال نقد وتحليل العمل الفكري الإبداعي من كل جوانبه، ويحظى بالسبق والتركيز والإفاضة بالطبع الجانب الأدبي والفني لأنه جوهر طبيعة العمل الذي استمد منه وزنه وتأثيره، وهو الشكل الذي خرج به للقرّاء.

هذا النوع من الكتابة السياسية المباشرة هو الذي نال دائما عناية المشاركين والمتابعين لأحداث السياسة وتطوراتها. وهناك نوع آخر من الكتابة السياسية « غير المباشرة » ونعني بها أن تكون المبادئ والقيم والاتجاهات والأحكام السياسية مُتَضَمَّنَةً في شكل آخر علمي أو ديني أو أدبي. والشكل الأخير هو أهم الأشكال وأكثرها شيوعًا، فكثير من الكتّاب يفضل ألا يكون طرفًا في حلبة الصراع، يضمن أفكاره السياسية في رواية أو قصيدة أو أي شكل أدبي، كما أنه قد يرى أن هذه الطريقة أفضل له لتميزه بأداته الأدبية، ومهارته ووجود الجمهور الدائم الذي يتابعه في إنتاجه بهذه الوسيلة أو الشكل الفني.

والكتابات السياسية المباشرة قد تثير كثيرًا من الضجيج في الفترة التي تتناولها، وتظل موضع اهتمام ومداولة ما دام الموقف الذي تتحدث عنه ساخنًا، ويتضاعف الدوي إذا وجد السلطة أو وجد قلاقل واضطرابات عنيفة بين القوى المختلفة في المجتمع السياسي، ولكن مهما أحدثت من ضجيج فتأثيرها ينتهي بنهاية الحدث أو الموقف الذي تتحدث عنه، بعدها قد يندثر هذا الطوفان من الكتابات السياسية الآنية مع الأحداث، أو قد توجد عوامل أخرى تُذَكِّر بها بين حين وآخر في سجل التاريخ، كأن يكون موضوع الحديث الذي تدور حوله الكتابات بارزًا هامًا في حياة الأمة، أو أن تكون بعض هذه الكتابات أحدثت تأثيرات فعلية كبيرة، أو تكون ارتبطت بشخصية من أعلام الأمة أو غير ذلك من العوامل.

ويمكننا أن نحدد بسرعة ملامح فكرتنا عن التحليل السياسي للأدب، هذا النوع من التحليل يتطلب شرطين أساسيين في وجوده وهما :

(١) **العلنية** : لأن أي كتابة لم تظهر هي جنين في عالم الغيب. قد لا تظهر لأنها لم تتوافر لها ظروف النشر، وقد يكون سبب عدم ظهورها أنه تقرير غير علني يُرفع لمن يهمه الأمر، لذا فصفته كعمل أدبي متداول غير موجودة، وتقع عليه من الناحية الفكرية، مهما كان مستواه، كثير من الشوائب والتحفظات. أي إن كتابات فكرية أو أعمالاً فنية أو أدبية هي غير موجودة إلى أن تعلن بأي وسيلة للنشر والذيوع لكل من يرغب في الاطلاع عليها. **ويلزم مع النشر إتاحة فرصة الحوار لكل الأطراف التي تعبّر عن مختلف وجهات النظر، في فرص عادلة قدر ما تتيحه الظروف السائدة.** إن الحوار المتكافئ في مناخ صحي وعلى أسس سليمة يثري الفكر، ويحقق مصلحة جميع الأطراف. وفي جملتها أي سلطة تريد رصد الاتجاهات الفكرية، فالحوار الديمقراطي هو البوصلة الحساسة الدقيقة التي تحدد تيارات الفكر ومجالاته واتجاهاته بصورة صادقة.

(٢) **العلمية** : هدف العلم هو كشف حقائق الأمر الواقع، وفهم قوانين الحياة وتفصيلها حتى يمكن التعامل معها، وتحقيق أكبر استفادة ممكنة منها لبني الإنسان. هذه الحقائق والقوانين لا يختلف فيها طرفان أو كما قيل قديمًا (لا يتناطح فيها عنزان)، لأنه إذا حدث خلاف، فالمنهج العلمي هو الحكم، والنتيجة هي نصر للجميع.

والتحليل السياسي هو مجهود علمي وإن لم تتوافر فيه كل خصائص العلم، وهو نفس الوضع

○ الحوار بوصلة حسّاسة تحدد تيارات الفكر ومجالاته واتجاهاته

○ العلنية والعلميّة أساسان للتحليل السياسي للأدب نفتقدهما

الموجود في أعمال **العلوم الاجتماعية** واجتهاداتها. لازالت الأيديولوجية والأهواء المتغيِّرة للجماعات والفئات والمصالح الخاصة وعوامل أخرى عديدة تشكل قيودًا على مدى علمية المعارف الاجتماعية. ويجب أن تستمر المحاولات جادة مثابرة على إكساب هذه المعارف مزيدًا من صفات العلم وخصائصه. إن الحياد والموضوعية أمل عزيز للعلم الاجتماعي سيتحقق ـــ بإذن الله ـــ طال الزمن أو قصر. وحينما نبذل محاولات في التحليل السياسي للأدب يجب أن نخلّصه باستمرار عند التقديم الموضوعي من عناصر الذاتية وكل العوامل التي تؤدي إلى خلاف غير قابل للحسم بمنهج علمي سليم.

خطوات التحليل السياسي للأدب

الباحث الذي يقوم بالتحليل السياسي لعمل أدبي يتم عمله في خطوتين رئيستين :

(١) تحديد الأفكار والاتجاهات والوقائع السياسية التي تناولها العمل الأدبي وتوضيحها، وذلك بسردها في عبارات ما قل ودل، ومحاولة تحليل خلاصة أو محصّلة هذه العناصر.

(٢) تحليل مختلف العناصر السياسية التي فرزت واستخلصت في الخطوة الأولى. هذا التحليل يجيب عن تساؤلات كثيرة لعل أهمها :

هل العناصر السياسية التي تناولها الأديب في عمله الأدبي صادقة ومتفقة مع الواقع ؟ وما مدى وضوح التعبير عنها ؟ وما مدى قوة التعبير عن كل فكرة أو اتجاه سياسي، ومدى تعاطف الكاتب مع أي منها ؟

الدلالة الواضحة من تاريخ حياته، مدى التأثير الفعلي للآراء والأفكار السياسية التي أوردها الكاتب في عمله الأدبي، ومدى التفاعل المنتظر أو المتوقع لها مع الواقع بما فيه من ظروف حية متحركة أو تيارات ساخنة.

هذه هي التساؤلات التي يثيرها هذا المفهوم للوهلة الأولى، ومع رسوخ مفهوم التحليل السياسي للأدب وتداوله بعديد من المجهودات العلمية، وتناول الأقلام للأعمال الأدبية لتطبيق منهجه فيها، ستتطور هذه التساؤلات لتعبِّر عن عناصر أساسية ثابتة بالإضافة إلى الاجتهاد الشخصي والإبداع الفردي للباحث الأديب.

بقي علينا إثبات ملاحظتين سيحكمان إلى حد كبير مدى النجاح في التحليل السياسي للأدب خاصة في مراحله الأولى :

الأولى : مدى شمول

مفهوم السياسة

فالسياسة هي الحياة في جزئياتها وكلياتها، فكل مظاهر الحياة ومعاملاتها لا تخلو من «سلطة» والحكومة أو الإدارة أصبح مفهومها الحديث يحيط بالحياة في كل مناشطها وفي أدق ما تعنيه.

ومع ذلك يجب أن ينصب معظم التحليل على المفاهيم السياسية المباشرة، والعناصر الأساسية للحياة السياسية التي يتفق عليها جمهرة أهل الفكر من كتّاب وقرّاء. ثم الانطلاق إلى كل ما يؤثر في السياسة ويتأثر بها، من مشكلات وقضايا وأحداث. ومدى التناسب أو التناسق بين هذه العناصر سيختلف من عمل أدبي إلى آخر.

الثانية : الكاتب ومستواه الفكري ومكانته

هنا تبرز شخصية الكاتب الذي يقوم بتحليل سياسي لمادة أدبية هامة جدًا لا يمكن إغفالها بل يجب أن نضعها في اعتبارنا باستمرار، ولا نغفلها لحظة في متابعة تحليله.

ولاشك أن اهتمام بعض الكتَّاب المبدعين بهذه الفكرة سيخدمها ويعطيها دفعات قوية للأمام ويزيدها رسوخًا في تراث الأدب والعلم الاجتماعي.

مدى شمول فكر الكاتب وانطلاقات خياله إلى آفاق أبعد وأكثر تنوعًا، ثم مدى خصوبته الفنية وتقديمه العميق المثير الذي ينشط طاقات الفكر ويحرك تيارات الإلهام، ثم قدره ومكانته التي تعطي الاعتبار لكلماته وسطوره وتعطيها الوزن والأهمية لدى جمهور عريض يكنّ له الاحترام والاعتبار الكبير؛ كل هذه العناصر التي تحيط بشخصية الكاتب الباحث ستخدم التحليل السياسي للأدب.

إن التحليل السياسي للأدب نبت جديد ومفيد يحدث تفاعلاً جديدًا في الفكر، وتربته الصالحة ومخصباته هي الديمقراطية وما يتعلق بها من تدعيم الحريات وسيادة القانون، ففي هذا المناخ فقط يزدهر هذا النبت ويترعرع ويمد جذوره رسوخًا في الأرض، وتطول ساقه وتمتد فروعه.

إن نجاح هذا اللون من التحليل في صورته السليمة **سيحمي الحياة الفكرية والأدبية والسياسية من التيارات الخفية كافة والدوّامات التحتية غير المنظورة وغير المفهومة وغير القابلة للتحديد.** قد يمكن لبعض الناس فهم بعضها عندما يلم ببعض الدوافع والظروف، ولكن لن يمكن ذلك لعامة المهتمين والمشاركين في الحياة العامة ومختلف مجالات الإنتاج الفكري الأدبي والسياسي. **إن مدى النقاء والإخلاص الذي يمارس به التحليل السياسي للأدب سيرشِّد النشاط السياسي ويثري الإبداع الأدبي.**

في الشعر العبري الحديث:

دعاوى صهيونية كاذبة عن النقاء العرقي لليهود

بقلم: د. سعيد عبدالسلام العكش

عندما واجه الصهيونيون مشكلة تشتتهم في مختلف أنحاء العالم ووجود فروق لا حصر لها بين شتى المجتمعات اليهودية، عمدوا إلى إلهاب مشاعر الوحدة بين جميع اليهود في كل شيء، فادعوا أن يهود العالم الحاليين ينحدرون سلاليا من عرق واحد، وأنهم يكونون شعبا واحدا منذ بداية تاريخهم في وحدة جنسية منسجمة، واعتقدوا أن اليهود حافظوا على هذه الوحدة عبر الزمن.

وقد أعلن الصهيونيون عن هذه الدعاوى في كتاباتهم وأقوالهم فنذكر على سبيل المثال ما كتبه **آرثر لويس** من الاتحاد الصهيوني في غربي لندن في مقال عنوانه « **اليهود شعب** » أكد فيه أهمية العوامل العرقية حين يقول: إن اليهود كانوا في الأصل قوما، وقد حافظوا أكثر من معظم الأقوام على أحد عناصر القومية، وهو العرق، ويمكن إثبات ذلك بفحص الفطرة السليمة لتميزهم. يمكنك في أكثر الأحيان أن ترى أن اليهودي يهوديّ أكثر من رؤيتك الإنجليزي إنجليزيا[1]. أما **موسى هيس** (١٨١٢-١٨٧٥) فقد ذكر في كتابه « **روما والقدس** » الذي نشره عام ١٨٦٢ بأن « الجنس اليهودي » من أقدم وأعرق « الأجناس البشرية » وإليه ترجع وحدة اليهود لأن « الجنس اليهودي » حفظ صفاءه عبر القرون[2]. ويزعم مؤرخ الصهيونية الشهير **ناحوم سوكولوف** (١٨٥٩ - ١٩٣٦) أن « اليهود يمثلون أنقى العروق من بين جميع الأمم المتمدنة في العالم »[3].

وفي الشعر العبري الحديث إشارات إلى هذه الدعاوى العنصرية فيقول ش. **شالوم**[4] في « **قصائد عن التناخ** »[5] موجهًا حديثه إلى الرب:

كفِّر عن شعبك إسرائيل الذي افتديته
ولا تبدد دماء نقية من بيننا لأي خلل[6]

فالشاعر يحدد هنا أن « شعب إسرائيل » هو « شعب الله » بما يدل على التميّز والاختيار عن بقية الشعوب والأجناس البشرية الأخرى. كما يرى أن الدماء النقية لا توجد إلا في عروق اليهود، أما بقية الأجناس فدماؤها مختلطة.

يعني هذا أن الصهيونيين ركزوا في كتاباتهم على خصوصية اليهود كشعب وأمة وعنصر وجنس واحد وأمة واحدة وذلك بعد أن وجدوا أن اليهود مهددون بخطر الامتصاص والاندماج ضمن مجتمعات غير يهودية، ومن ثم فقد عمدوا إلى التركيز على ما أسموه « الخصوصية اليهودية » أو « الهوية اليهودية الواحدة »، الأمر الذي مكنهم من تقديم تفسير لرفضهم الاندماج بشعوب أو أجناس أو عناصر أخرى. إذ لما كانت لليهود صفاتهم الخاصة المختلفة، كان من الطبعي أن يتعذر اندماجهم في مجتمعات أو شعوب أو أجنا س أخرى، لذلك فعندما نقرأ عبارة « الشعب اليهودي » أو « شعب إسرائيل » - كما وردت مثلا في قصيدة شالوم السابقة - فإنها تعني عند الأدباء الصهاينة « العنصر اليهودي » وبالتالي فإن معناها يدل في معظم الأحيان على معنى بيولوجي.



يهود الفلاشاه (الصورة الصغيرة) من الأدلة على عدم وجود جنس يهودي لم يتغير منذ القدم

ولكي يبرر الصهيونيون مخططهم كان عليهم أن يرجعوا تاريخ وحدتهم وخصوصيتهم إلى أبعد تاريخ ممكن بحيث يترسخ الاعتقاد لديهم بأنهم كانوا موحدين قبل التشتت. وبعبارة أخرى كان عليهم أن يصوروا فلسطين وكأنها مهد الشعب اليهودي تاريخيا وجغرافيا، وأنهم كانوا فيها شعبا واحدا ذا ثقافة خاصة مميزة. وبالإضافة إلى ذلك كان عليهم أن يؤكدوا أن هذه الخصوصية أو الطابع المميز لليهود لم تنقطع قط في تاريخهم الطويل وأنهم كانوا بالتالي يتطلعون ويطمحون على الدوام إلى العودة إلى « أرض الميعاد » (٧).

ويتحدث جوردون عن اليهود في قصيدة « **في أغوار البحر** » - التي يصف فيها طرد اليهود من الأندلس (١٤٩٢ م) ـ وكأنهم انحدروا سلاليًا من يعقوب فيقول :

نفيت « ابنة يعقوب » من الأندلس ، نفيت عن آخرها
ولما بلغت أبواب فرنسا رفضتها هي الأخرى (٨)
وفي قصيدة « طريق صهيون » يقول جوردون :
تماسكوا أبناء يعقوب ووحدوا أياديكم
وازدهروا كأزاهير البراعم

إن أضعف نقطة في النظرية العنصرية تكمن في الدعوى القائلة بأن اليهود هم أنقى سلالة. فمن البدهي أن الادعاء بأن جميع يهود العالم يلتقون بالجنس في وحدة عضوية تنتهي عند الآباء الأول كان يقتضي على أقل تقدير أن يكون يهود العالم أجمع في حالة تشابه في الخلقة أو يكون التشابه على الأقل عظيماً بحيث تتفق الأشكال والسمات الخلقية، فأبسط قوانين الوراثة تقضي بأن يتشابه الفرع والأصل وتتشابه الفروع فيما بينها تشابها شديدا.

ومن الثابت طبقا للدراسات الانثروبولوجية وجود فوارق وتباين واضح في المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة في أنحاء العالم، فليس هناك كما يقول رينان سحنة يهودية بل هناك عدة سحنات يهودية (٩).

ويعتبر وجود اليهود الكثيري الشبه بالأفارقة مثل يهود الفلاشاه (١٠) واليهود السود والهنود وكذلك اليهود الاشكناز الذين تتوافر فيهم نفس المميزات العضوية لسائر أبناء الجنس الجرماني وغيرهم براهين على عدم وجود جنس يهودي لم يصبه التغيير منذ القدم، وكل الذي يجمع بين اليهود لا يتعدى رابطة الدين وحدها.

والصهاينة غير واثقين تمام الثقة من قصة النقاء، ولكنهم مضطرون للقبول بها لأسباب سياسية، فبدون صحة الانحدار المباشر من الإسرائيليين القدامى تتقوض دعاواهم في فلسطين.

ومع أننا لا نزال نرى الأدباء الصهاينة والعنصريين يرددون عبارة « العنصر اليهودي »، إلا أن مثل هذا التردد كان أوسع بكثير قبل الثلاثينيات، فقد أشار **سمحا كينبج** إلى أنه كان من الشائع جداً، قبل عهد هتلر، التحدث عن اليهود على أنهم عنصر مستقل. واعتقد الكثير أن كون المرء يهوديا هي مسألة تتعلق بالمولد وبالروابط الجسدية (١١).

وقد اتخذت العلاقة المتبادلة بين الأمة والعنصر في الأدب الصهيوني شكلاً

دعاوى صهيونية كاذبة
عن النقاء العرقي لليهود

لا يسع القارئ معه إلا أن يلاحظ أن طبقات « الأمة » أو « الحضارة » بالمعنى الديني أو العرقي تتداخل مع طبقة العنصر بالمعنى الوراثي. وقد عمد روبين أكثر من مرة في كتاباته إلى الربط بين النواحي العنصرية أو الثقافية، مؤكدا أن « القيم العنصرية والحضارية لأمة ما هي التي تبرر وجودها المنفرد » وهو يتحدث عن اليهودي فيصفه بأنه يمثل « نمطا راقيا للحضارة الإنسانية » (١٢). وقد تباهى **تيودور هرتزل** في مذكراته بذكاء الشعب اليهودي « الذي يدرك بحدسه ما قد يضطر المرء لتكراره أكثر من مرة أمام أعضاء الشعوب الأخرى » كما أن روبين بينّ أنه لا يوجد شعب يبّز اليهود في المواهب العقلية (١٣).

وفي الشعر العبري الحديث إشارات عديدة إلى هذه الدعاوى، **ففي قصيدة « تحية شعب » يذكّر بياليك** (١٤) إخوانه اليهود بعظمة هذا « الشعب » **فيقول**:

نحن أمة بنت تدريجيا
صحراوات العالم وشيدت بنيانا أزليا
سيأتي يوم يندهشون
من رؤية ما فعله شعب متجول من أصغر الأمم (١٤)

ويؤكد تشرنيحوفسكي (١٥) على سمو اليهودي وعلى تميزه وتفوقه عن غيره من البشر فيقول في قصيدة « **تهويدة المهد** » موجها حديثه للطفل اليهودي:

يهودي أنت يا ولدي
وفي هذا سعادتك وتعاستك
فرع من سلالة شعب عريق
يسمو مجدك فوق الشعوب (١٦)

ويرى **ش. شالوم** أن « شعب إسرائيل » هو الشعب الوحيد المتميز بالعلم والمعرفة، أما شعوب العالم الأخرى فتتسم بالجهل وعدم المعرفة، وبأنها ستظل كذلك سنين طويلة حتى تتعلم كيف تقرأ وكيف تفكر. **يقول شالوم في قصيدة « عالم في ألسنة النيران »**:

ستمضي أيضا أيام كثيرة، وسنون وعقود كاملة
حتى يعود الإنسان، ويقرأ في كتاب، وينظر في صورة
ويفكر أفكارا عقلانية ويصغي لقلب العالم
بأن إسرائيل كان الوحيد الذي أقام بينهم وهو يعلم (١٧).


من يهود أمريكا

وطالما أشار الصهاينة إلى ظاهرة بقاء اليهود كل هذه القرون الطويلة دون بقية الأمم كدليل على تفوقهم وشرف عرقهم. ووجد الشعراء الصهاينة رصيدا لهم في هذا الميدان في الجانب العنصري من اليهودية في فكرة « الشعب المختار » (١٨).

فاليهود عند **جرينبرج** (١٩) أفضل البشر وأصفياء الله وهم يمثلون الجانب الخير الوحيد في هذه الدنيا. **ويقول جرينبرج في ديوانه « مسالك النهر »**:

أي شعب في مكاننا لم يكن ليفوقنا في العزة وارتفاع الهامة في الطهر والطرب.

لو عاش ما عشناه في ظل السلاطين السبعين
وتبادل العهود بين الصليب والإسلام
« فليس هناك أطهر من اليهود ليسودوا
أو أجدر منهم ليحملوا على رأسهم تاج الملك في الدنيا » (٢٠).

واليهود عند جرينبرج يمثلون « الشعب المختار » فقد اصطفاه الله - كما يزعمون - من أول الزمان كأداة مقدسة لتحقيق مشيئته الربانية، وهم يختلفون عنده تماما عن غيرهم من البشر ويرى أن التنافر بينهما طبيعي غير مصطنع **فيقول**:

إسرائيل
الشعب المختار لإله العليقة وسيناء وجبل الموريا إلى الأبد
الذي هو نقيض الصليب والهلال الساخطين (٢١)

ولا شك أن الشعر العبري استطاع أن يبلغ مبتغاه حين بلور قاعدة سلوكية عنصرية لليهودي، وفي وضع أساس تربوي جديد له يترك بصماته على التكوين النفسي لهذا اليهودي حين اتخذ من الشعارات التي يحفل بها إنتاجهم الأدبي مثل: « الشعب الأزلي » و « الشعب الأبدي » و « الشعب المقدس » مادة لهذه التربية وصولاً إلى شحن النفسية اليهودية بشحنات العقدة والتعالي. **فيشير بياليك في قصيدته « على عتبة بيت همدراش »** (٢٢) إلى « الشعب الأبدي » قائلاً:

يا جدران المعبد « بيت همدراش » يا حوائط المحراب
يا ملاذ الروح القوية، ويا ملجأ « الشعب الأبدي » (٢٣)

ويشير ناتان الترمان (٢٤) **في قصيدته « طرق النهر »** إلى « الشعب المقدس »

○ الفكر العنصري اليهودي هو صاحب النظام الاستعماري للسيطرة على الشعوب


من اليهود العرب

○ اختلقوا قصة النقاء العرقي حتى لا تتقوض دعاواهم في فلسطين.
○ قوانين الوراثة تكذب مزاعم اليهود وتقول إنهم شتات من أنحاء العالم.

ويربط بين قداسة اليهود وقداسة الرب في سيناء **فيقول** :

لكنه الشعب العظيم هو « الشعب المقدس »
كان ولا يزال وسيكون مثل إلهه في سيناء [٢٥]

ولا تقف فكرة الشعور بالاستعلاء العنصري في التكوين النفسي اليهودي على إسباغ صفات المديح والتعظيم على اليهود، بل تنعكس في العديد من التعبيرات التي تعكس الإيمان العميق لدى اليهودي بحقارة أمم العالم مثل لفظة « **جوييم** » التي تدل على أي شعب من الأمم الأخرى غير اليهودية بينما يميز اليهود عادة بكلمة « عام ». وقد اقترنت هذه اللفظة في عقولهم بالزراية والاحتقار، **فإذا قال اليهودي عن شخص إنه «جوي» ـ مفرد جوييم ـ فهو يعني أنه همجي بربري يجمع القذارة والنجاسة والحقارة** [٢٦].

وفي الشعر العبري الحديث يستخدم الشعراء اليهود هذه اللفظة كثيرا في **قصائدهم، فيستخدمها جرينبرج مثلا ليصف بها الأوربيين ويقول إنه قد تساقطت أوهام الحالمين الذين أحسنوا الظن بالأوربيين ـ الجوييم ـ ويرى أن حضارتهم مجرد غطاء يخفي القاتل وستار يستتر خلفه الوحش الكاسر فيقول** :

كنا كالحالمين . . لأننا كنا يهودا لا « جوييم »
ومن طبيعة الحالمين ألا يكونوا في منامهم مسلحين

متأهبين للقاء الوغى
في غاب الجوييم الكثيف سمعنا غناء الطيور النفيسة
وناي الإله بان [٢٧]

ومن التعبيرات التي يستخدمها اليهودي أيضا للدلالة على احتقاره لأمم العالم لفظة « **عاريليم** » **أي الغُلْف** والمفرد « عاريل » أي الأغلف، وهو الرجل الأقلف أي غير المختتن الذي يبقى بدائيا فطريا فيظل قذرا وكافرا في آن واحد، وكانوا يطلقونها على المسيحيين لعدم شيوع الختان بينهم [٢٨].

في الدنيا صنفان من البشر : الخُتْن والغُلْف (٢٩).

ويستخدمها تشرنيحوفسكي أيضا في نهاية كل فقرة من فقرات قصيدته « **على جبال جلبوع** » [٣٠] وذلك لوصف أعداء شارول [٣١] فيقول :

فردًا فردًا، سقط الأبطال عند نفخ
البوق على جبال جلبوع
لقد تعبت أيها الملك، احتم في درعك
الغُلْف أكثر منا اليوم [٣٢]

ويشير جوردون في قصيدته « **بين أنياب الأسود** » إلى « **الغُلْف والجوييم** » ويتمرد على الرب لأنه أوقع « شعبه المختار » في أيديهم **فيقول** :

إلهك إله شمشون، أين هو ؟
إلهك إله شمشون، إله الآلهة
نفر من شعبه المختار ومن أبطاله
وأصبح مع أعدائه الفلسطينيين الغُلْف
وكما لم يُرحم شعبك، لم تُرحم أنت أيضا
أيها الربّ الغاضب الذي تخلى عن شعبه المختار
وتركه في أيدي « جوييم » لايعرفونه ولا يعترفون به

والواقع أن النظريات الخاصة بالعنصر وبتقسيم العناصر إلى عناصر متفوقة وأخرى متدنية كما يدعي الصهاينة كانت دائما موضع شك، كما أن نصيبها من التأييد العلمي كان ضئيلا.

ومن المسلم به عند معظم الباحثين أن النظريات العنصرية في العصر الحديث استمدت أصولها من كتابات الكاتب الفرنسي **الكونت دي جوبينو** الذي نشر بين عامي ١٨٥٣ و ١٨٥٥ م كتابا شهيرا عنوانه « **دراسة في عدم**

دعاوى صهيونية كاذبة

من النقاء العرقي لليهود

تساوي الأجناس البشرية ». وقد ضمن جوبينو هذا الكتاب نظريته العنصرية الكاملة، التي هي تفسير عنصري للتاريخ الإنساني، ففي وجهة نظره أنه إذا ما أردنا أن نبحث عن أسباب صعود المجتمعات والحضارات الإنسانية وانهيارها، فعبثا نجدها في الأسباب الاقتصادية أو السياسية أو الدينية أو الاجتماعية، وذلك أن الأجناس الإنسانية يمكن تصنيفها إلى أجناس ممتازة وأجناس منحطة، والأجناس الأولى قادرة على التقدم أما الأجناس الثانية فمحكوم عليها بالتخلف الأبدي.

وإذا كانت العنصرية الحديثة قد ولدت على أيدي جوبينو في القرن التاسع عشر، فلم يكن ذلك في الحقيقة مجرد مصادفة. ذلك أن علم اجتماع المعرفة قد علمنا أن الأفكار لا تنشأ وتتطور وتتغير من فراغ، وإنما لا بد من ربطها باللحظة التاريخية وبنوعية البناء الاجتماعي السائد في المجتمع. وإذا طبقنا هذا المنهج لاكتشفنا أن صعود نجم الفكر العنصري قد صاحب نشوء النظام الإمبريالي العالمي واتساعه والذي قام على استعمار شعوب العالم الثالث ونهبها. وكان لا بدّ له حتى ينجز مهمته أن يجد المبرر لذلك. وهكذا ظهرت دعاوى « عبء الرجل الأبيض » في تمدن الشعوب المتخلفة وغيرها من الصيغ العنصرية التي قصد بها إيجاد السند الفكري لتبرير العملية الاستعمارية.

ومع حلول الثلاثينيات من القرن العشرين كان المناخ الفكري غير متقبل للعنصرية مما أدى إلى إفقادها كل مصداقية علمية كانت تتظاهر بها، فقد توصل العلماء انطلاقا من الدراسات العرقية والسيكولوجية إلى حقيقة واحدة فقط ألا وهي أن جميع الأجناس البشرية الحالية متكافئة من حيث التركيب العضوي (الفسيولوجي) كما أنها كلها قادرة على خلق قيم ثقافية وتراث فكري، في حين أن المقصود بالنظرية العنصرية والممارسات الاستعمارية إنما هو تدمير قاعدة الوحدة ومن ثم الحقوق الأساسية لجانب كبير من الجنس البشري.

من كتاب العدد



● د. سعيد عبد السلام عبد الجواد العكش

- من مواليد ١٩٥١، محافظة الشرقية، مصر.

- ليسانس وماجستير ودكتوراه في الآداب، قسم اللغات الشرقية (العبرية) من جامعة عين الشمس.

- أستاذ مشارك بقسم اللغة العبرية بكلية الآداب بجامعة عين شمس.

- معار لمعهد اللغات العسكري بالرياض.

الهوامش

(١) مروان بحيري، الحركة الصهيونية، مقال في الجزء الأول من كتاب « القضية الفلسطينية »، العراق ١٩٨٣ ص ١٩٦.

(٢) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤، ص ١٨.

(٣) يوسف سكيدنيك، الوجه الحقيقي للصهيونية، مقال من المجلد الأول من « الصهيونية العنصرية »، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧، ص ٣٧٧.

(٤) هو الأديب شالوم يوسف شابيرا، ولد بمدينة بار تسيب ببولندا في عام ١٩٠٤ م.

(٥) الاسم العبري للعهد القديم. وهو اختصار لثلاث كلمات عبرية هي: التوراه - وتقيثيم (أنصار الأنبياء) وكتوفيم (أسفار المكتوبات).

(٦) ش. شالوم، أشعار التناخ، يفنه، تل أبيب ١٩٦٦، ص ٧٤.

(٧) أرض الميعاد أسطورة توراتية يستند فيها الصهاينة إلى النص الذي ورد في سفر التكوين (١٧/ ٨) الذي يمنح فيه الربّ كل أرض كنعان لإبراهيم.

(٨) كتابات يهودا ليف جوردون، الشعر، دار نشر دفير، تل أبيب، ص ١١٥.

(٩) حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق ١٩٨٥، ص ٣٥.

(١٠) يهود الفلاشاه هم الأقلية اليهودية في الحبشة.

(١١) عبد الوهاب المسيري، « اليهودي الخالص »، مقال في المجلد الأول من « الصهيونية العنصرية »، ص ١١٥.

(١٢) نفس المصدر السابق، ص ١١٦.

(١٣) عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، القسم الأول، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٢، ص ٢٩٣.

(١٤) حاييم نحمان بياليك شاعر روسي يهودي (١٨٧٣ - ١٩٣٤). يعد أمير الشعراء العبريين المحدثين.

(١٥) كل أشعار حاييم نحمان بياليك، دار نشر « دفير »، تل أبيب ١٩٤٤، ص ٢٣.

(١٦) شاؤول تشرنيحوفسكي شاعر روسي يهودي (١٨٧٥ - ١٩٤٣). يعد هو وبياليك قطبي البعث الأدبي العبري في روسيا.

(١٧) أشعار شاؤول تشرنيحوفسكي، دار نشر « دفير »، تل أبيب ١٩٦٨ ص ١٩.

(١٨) ش. شالوم، أشعار الجزء الرابع، يفنه، تل أبيب ١٩٦٦، ص ٨٤.

تجعل الشريعة اليهودية من اليهود شعب الله المختار في سفر التثنية ١٤/ ٢ « لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الربّ لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ».

(٢٠) أوري صبي جرينبرج شاعر يهودي ولد في جاليسيا عام ١٨٩٥ م.

(٢١) محمد محمد الخطيب، أورى صبي جرينبرج شاعرا، رسالة ماجستير، آداب القاهرة ١٩٧٩، ص ٦٩.

(٢٢) المصدر السابق، ص ٦٩ - ٧٠.

(٢٣) بيت همدراش هو دار الدراسة كان يجتمع فيه الدارسون للمناقشة والتدارس والصلاة وعادة ما كان يلحق بالمعبد اليهودي.

(٢٤) كل أشعار بياليك، ص ٢٦.

(٢٥) ناتان ألترمات (١٩٠١ - ١٩٧٠) شاعر ومترجم يهودي ولد في بولندا.

(٢٦) ناتان ألترمان، مقالات نقدية على شعره، دار نشر « عم عوفيد »، تل أبيب ١٩٧١، ص ١٢٦.

(٢٧) حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار العلوم، بيروت ١٩٨٧، ص ١٠٩.

(٢٨) بان هو إله الغابات والمراعي والرعاة عند الإغريق. راجع أوري صبي جرينبرج، ص ٦٩.

(٢٩) رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٦ ص ٣٠.

(٣٠) أوري صبي جرينبرج، ص ٦٩.

(٣٢) جبال جلبوع سلسلة من الجبال تقع جنوب شرق سهل يزرعيل بفلسطين.

(٣٢) شاؤول أول ملوك مملكة إسرائيل الموحدة في القرن الحادي عشر ق. م.



بقلم الشيخ: حمد الجاسر

عودة إلى ميونيخ وفِيِنَّا

في الحلقة السابقـة وصل الشيخ حمد الجاسر ألمانيا وانتهز فرصـة إقامة معرض عن الحضارة العـربية هناك وزار مكتبـة عـامة تضم كتبًا ومخطـوطـات، وفي هذه الحلقـة يـزور فيينـا ويعـود ثانيـة إلى ميـونيخ.

في صباح الخميس العاشر من رمضـان ١٤٠٧ هـ (٧/ ٥/ ١٩٨٧م) كان الوصول إلى فِيَنَّا، والنـزول في فندق (دي فرانس) ومع أنَّ الصديق الكريم الأستاذ عبدالله الخيَّال ممن عرف هذه المدينـة حقَّ المعْرفة، إذ أقام فيها سنواتٍ سفيرًا لبلادنا، وتـردد عليها في كثير من رحلاته وأسفـاره، إلا أنَّ اختيار ذلك الفندق ينطبق عليه قول المعري :

وقَدْ يُخْطِئُ الرَّأْيَ امْرُؤٌ وهْوَ حَازِمٌ   كَمَا اخْتَلَّ في وَزْنِ القَرِيْضِ عَبِيدُ

لَـمْ نُطِقِ الْبقـاءَ فيه سوى الليلـة التي اضطرنـا عدمُ وجودِ غيرِهِ لقضـائها فيه، وفي الصباح كان الانتقالُ إلى فندق (هِلْتُنْ) ولا تسل عن أجور الفنادق في هذه المدينـة، بل عن ارتفاع تكاليف المعيشـة فيها بصفة عـامة بالنسبـة للبلاد الأوربية.

وذُو الشَّوْقِ الْقَدِيمِ وإن تَسلَّى !

وفي الطريق إلى الفندق ــ وقبل اختيار المنزل ـ كان المرورُ بالمكتبـة العامة. كنت قـد عـرفتُ هـذه المكتبـة قبل بضعـة عشر عـامًـا، واطلعت على بعض مخطوطـاتها، بل صُوِّرَ لي منها مجلـدٌ يحوي القسم الثالث من رحلـة عبد الغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» وهو القسم المتعلق بالحجار، ونَشَرْتُ مقتطفاتٍ منه في مـجلة « العرب » س٢ ص ٤٨٦، ٦٥٢، ٨٣٦ ـ ثم علمت أنَّ زميلي في مجمع اللغـة العربيـة بدمشق والقـاهـرة الأستاذ عـارف النكدي يقـوم بتحقيق الرحلة كاملة، فتوقفت عن الاستمرار بنـشر ما أردتُ نَشْرَهُ، وبعد وفاة الأستاذ عارف ــ رحمه الله ـ قبلَ بروز عمله فيـه اقترحت على أخي الأستاذ عبد العـزيز الـرفاعي صـاحب (دار الرفـاعي للطبـاعة والنشر) القيـامَ بنشر ذلك القسم، وقدمته لـه، بعد تحقيق الأصل بمقابلة نسختي منـه بأجودِ مخطوطتين اطلعت عليهما من الكتاب، هما مخطوطـة مكتبة الحرم المكي، ومخطوطة المكتبـة العامة في فِيَنَّـا، ومع أنَّ الكتــابَ نُشِرَ مصورًا عن مخطوطــة دار الكتب المصريـة ـ بعدذلك ـ إلا أنه لا يزال بحاجـة إلى نشرة محققـة، يرجع فيهـا إلى المخطوطتين المذكـورتين اللَّتَيْن هُـمَا ـ بـدون شك ــ أتقن وأصح من مخطـوطـة دار الكتب المصرية.

حين مررتُ بالمكتبة العامة عاودني الحنينُ إلى ما أَلِفْتُهُ، وإن كنتُ قد فقدتُ الآن كثيرًا من بواعث ذلك الحنين، وضَعُفَت في نفسي الرغبة القوية التي كثيرًا ما حفزتني ودفعتني إلى إرهاق الجسم، وتحمُّل كثير من المشقات في سبيل الوصول إلى إحدى المكتبات التي قد أجدُ فيها ما أتطلع للاستفادة منه من مؤلفات :

وذُو الشَّوْقِ الْقَدِيْمِ وَإِنْ تَسَلَّى   مَشُـوقٌ حين يَلْقَى الْعَاشِقِيْنَا

اهْتَدَيْتُ إلى باب المكتبـة التي انتقلت من مقرها القـديم إلى مكان بجواره، وكان المرشـدُ إنسانا فـاضلاً، فلم يتركني ـ حين علـم بأنني أَبْحَثُ عن الـقسم العربي من المكتبة ـ حتى أوصلني إليـه في الدور الثاني. فإذا الذي فتح لي الباب أخ عربي، مرحبا، مشيرًا بالجلـوس على كرسي في مدخل الغرفة، ولما أوضحتُ له رغبتي في الاطلاع على فهرس المخطوطـات العربية سألني عن اسمي، وبعد ذكـره قال : لقـد أخبرني الأستـاذ عبد الله بـن حسين الملحق الثقافي السعـودي بقـدومك، فأجبتـه : ولكنه لم يـرني بَعْـدُ، ولم يعلم بمجيئي، فأنـا لم أصل إلا أمس، فقال : إنه علم بأنك في (ميونيخ)، وستأتي إلى فينا.

كان الأستاذ الـدكتور طَرِيف السَّمان بى حَفِيًّا، ومعي كـريما، فقد قَدَّمَ لي الفهرس المكون من مجلدات اكتفيت بمطـالعة الجزء الذي يحوي أسماء المؤلفات الجغرافية والتاريخيـة، ولما رغبت الاطلاع على بعض الكتب ذَهَبَ بي إلى المكان الـمُعَدِّ للمطالعة، وهناك ساعدني بسرعةِ إحضارِ ما أردت.

وقبل ذلك اتصل بالابن الكريم الأستاذ عبد الله بن عبد العزيز بن حسين ـ ملحقنا الثقافي في هذه البلاد ـ فأخبره بأنني موجود عنده، وسرعان ما أتى إلينا، فازداد بـه الأنس والسرور، فقد توطدت المعـرفة بيني وبينه حين كان مـوظفا في المكتب التعليمي في بيروت قبل احتراقها.

أقدم مخطوط

كان اليومُ يومَ جُمعة، وسيذهب الأخوانِ الكريمان لصلاتها في مسجد المركز الإسلامي، فاكتفيت بما اطلعت عليه من المخطوطات وكان منها :

١ ـ كتاب «المسالك والممالك» لأبي عُبَيْد البكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ ورقمه (MIXT 779) نسخة حديثة الكتابة (مخطوطة سنة ٩٨٩) تقع في (١٥٧) ورقة ـ يبتدئ القسم المتعلق بالجزيرة من الورقة الـ(١٢٨) ـ ذكر ملوك اليمن ـ وهذا القسم قد حققه الابن الكريم الأستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الغنيم، ونشره سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) واعتمد في نشره على مخطوطات أقدم من هذه المخطوطة وأجود، والدكتور عبد الله بحاثة طلعة، ولا أستبعد أن يكون اطلع على هذه النسخة، ومع ذلك فقد توقعت أن أجد في مطالعتها ما قد يفيد، إذْ يَرِدُ في بعض المؤلفات نقولٌ عن كتاب البكريِّ هذا لم ترد في مطبوعة الدكتور عبدالله مع تَقَصِّيهِ، واستجادته لما اعتمد من الأصول .

ومع سوء كتابة هذه النسخة وكثرة التحريف فيها إلا انني أردت التأكد من قيمتها في وقت متسع، فكان ذلك حين زرت المكتبة مرة ثانية، عند عودتي من ضاحية (هوف) في ناحية (سولزبرج) في النمسا إلى فينا، في يوم الأربعاء ٩ محرم ١٤٠٨هـ (٢/ ٩/ ١٩٨٧م)، ثم بعد ذلك أكرمني الأخ الدكتور طريف السمان بصورتها، وها هو وصفها في طرتها : «كتاب الممالك والمسالك» تأليف الشيخ العلامة المحقق أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري القرطبي ـ أثابه الله الجنة ورضي عنه ـ وفوق هذا في هذه الصفحة : (وفي نوبة العبد الفقير محرم بن أسد الحسيني القادري . . . . ذي القعدة سنة ٩٩٩هـ ـ وفوق العنوان ـ في الهامش ـ كتابة فارسية يظهر أنها بيتان من الشعر، عنوانها (قطعة) ـ الصورة ص ٥ .

وفي الصفحة : (توفي عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى(؟) سنة ٤٨٧). ثم عنوان كتاب مضروب عليه هو : (وكتاب «الفاخر» لأبي طالب المفضل صاحب الفرا في محاورات العرب) .

ثم : (كتاب «المسالك والممالك» لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ انتهى «كشف الظنون» وأيضا : مذكور في «نفح الطيب» في الجزء الثاني صفحة ٣٧٨ ـ أنه لو ما يفتخر الأندلس إلا بكتاب «المسالك والممالك» لأبي عُبَيْدٍ البكري لكفاه . انتهى .

وأول الكتاب (ص٢ بعد البسملة) : وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، القول في مدة عمارة الأرض : عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهم ـ : أنَّ ذلك ستة آلاف سنة، وكذلك قال أهل الكتاب، وأخَذُوا ذلك أَخْذًا شرعيًّا، أبو صالح عن كعب : ألفي سنة، ابن معقل عن وهب مثله . قال ط والأول الصواب، لرواية ابن عمر عن رسول الله ﷺ : «أجلكم في أجل مَنْ كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغيب الشمس» وقوله عليه الصلاة والسلام : «بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتَيْنِ ـ وجمع ما بين السَّبابةِ والوُسْطَى» وصَحَّ عنه ـ مع ذلك ـ ما رواه ابنُ وهب يرفعه إلى أبي ثعلبة الخُشَنيِّ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «لَنْ ينقُصَ الله هذه الأُمَّةَ من نصفِ يوم» يريد اليوم الذي هو مقدار ألف سنة، وإذا كان ذلك كذلك كانَ معلومًا أنَّ الماضي إلى ظهور الإسلام ستة آلاف سنة، وقد رُوِي عنه ﷺ قولٌ يدلُّ على صحة هذا القول الآخر، وأصحُّ ما رُوِي في التاريخ على ما ذكره ط س أنَّ من الطوفان إلى مولد إبراهيم إلى . . .[1] عليه السلام ألف وتسع وسبعون سنة، ومن مولد إبراهيم عليه السلام إلى خروج موسى من مصر ببني إسرائيل إلى التِّيهِ الذي مات فيه خمس مئة سنة وخمس وستون سنة، ومن ذلك الوقت إلى أربع من ملك داود وهو وقت ابتدائه لبناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبع مئة سنة وسبع عشرة سنة، وبين مولد المسيح إلى بعث محمد ﷺ خمس مئة سنة، وإحدى وستون سنة) إلى آخر ماذكر ـ الصورة ص٧ـ .

وآخر النسخة (الورقة ١٥٦/ أ) .

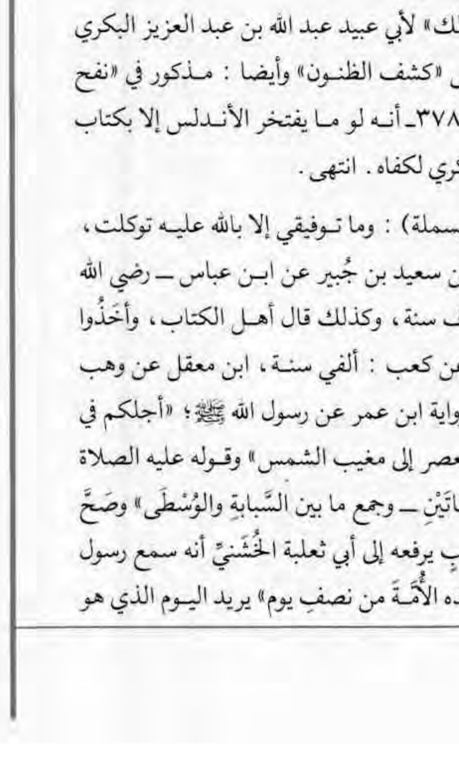
والتِّيهُ مقدارُ أربعين فرسخًا، وقيل : إنه تسع فراسخ في مثلها، وأول حَدِّهِ ما بين قبر أبي حمير وبطْن نَجْدٍ[2]، وفيه مات موسى وهارون ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وبطن نجد قرية ليس فيها ولا شجر[3]، يسكنها نفرٌ من الناس، ويقال لها أيضا : بطن نخل، لسواقي تسقي[4] على الناس فيه تُرَاب دقيق كأنما نُخِلَ بمنخل .

كمل بحمد الله وعونه، ولطفه ومنِّهِ، وجوده وفضله وتوفيقه، وحوله وقوته وكرمه، وكان الفراغ من كتب هذه النسخة يوم الأحد المبارك، عشرين شوال من شهور سنة تسع وثمانين وتسع مئة من الهجرة النبوية والحمد لله وحده، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم في آخر الكلام : (في نوبة سيدنا ومولانا سمي إمام المرسلين وسبطه) ـ الصورة ص٩ـ .

ويقع الكتاب في ١٥٧ ورقة (٣١٤) صفحة في الصفحة ٢١ سطرا سوى الأولى ففي طرتها عنوان الكتاب، والأخيرة ليس فيها سوى ١٦ سطرا بخط

الصفحة الأولى من رسالة ابن مجلل



النسخ الحسن والصفحة الثانية ـ أول الكتاب ـ مزوقة ـ مذهبة ــ بنقش في أعلاه، ومحاطة بخط عريض مذهب.

ترويح القلب الشجي

وكان مما طالعت هذه المكتبة في المرّة الأولى حين زرتها :

٢ ـ كتاب «ترويح القلب الشجي، في مآثر عبد الله باشا الجِتّه جي» كتاب رقمه (1156) في ٧٧ ورقة من القطع الصغير، ومؤلفه عمر بن محمد إبراهيم الوكيل، والنسخة حديثة الخط.

وقد حفزني لمطالعة هذا الكتاب تعلّقُهُ بأحد أمراء الحج الشامي، من ولاة الأتراك في القرن الثاني عشر الهجري، وهو عبد الله باشا (جِتَهْ جي) ــ أي الفارس ـ الذي كان واليًا لدمشق سنة ١١٧١ ومات أو قتل سنة ١١٧٤ وقد تولى إمارة الحج الشامي سنتي ١١٧١ و١١٧٢هـ وكان سيئ المعاملة للعرب الذين تقع مناهلهم وبلادهم في طريق الحج، وقد نشرت في مجلة «العرب» س١٢ ص٣٥٣/ ٣٩٦ ـ رسالة عنوانها «النَّفْحُ الْفَرَجِي في الفتح الجِتَهْ جِي» للسيد جعفر بن حسن البرزنجي المدني المتوفى سنة ١١٧٧ ـ تتعلق بأمير الحج المذكور، وتَصِفُ جوانبَ من مواقفه مع العرب، مما هو من صميم تأريخ بلادنا ـ كهذه الرسالة ـ.

٣ ـ وطالعت مخطوطا عنوانه : «البدر الطالع من الضوء اللامع» ومؤلفه أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي الشافعي يقع في ٢٣٧ ورقة، في

الصفحة الثانية من الورقة «رسالة الحفظي»



التراجم ورقمه (133) لخص فيه مؤلفه تراجم من كتاب السخاوي، ولم يُضِفْ جديدا.

٤ ــ كما اطلعت على كتاب بعنوان : «البدر السافر وتحفة المسافر» في التراجم أيضا، يبتدئ بالأسماء المبدوءة بحرف العين، في ٣٠٩ من الورق، جاء في آخره : (وكانت وفاته بالإسكندرية، في السابع عشر من شعبان سنة ٦٦٢، وقد اتفق في هذا التصنيف شيء عجيب، ابتدأته بصالح وختمته بصالح، فكان من الاتفاق الغريب، وأنا استغفر الله فيما فرط . . . فرغت من تأليفه يوم عرفة سنة ٧٤٢ بالمدرسة الصالحية، في القاهرة المعزية . .).

أبو هريرة وكوجكا

لا صلة لهذا باسم الصحابي الجليل عبدالرحمن بن صخر الدَّوسي الزهراني، ولا برواية الكاتب التونسي محمود المسعدي «قال أبو هريرة» وإنما هو اسم قصة كتبها أديب عراقي معروف، هو ذو النون أيوب، وهي تصور فترةً من حياته، عاشها متنقلا بين مدينتي (براغ) و(فينا) فوصف ماعانى من صروف الدهر وتقلباته، ومن تغير أنماط الحياة في هاتَيْنِ المدينتين، واختلاف النظم الاجتماعية فيهما، ولهذا أضاف إلى العنوان (قصة مدينتين).

ماكنت أهوى قراءة القصص، ولقد حاولت ذلك في أثناء الدراسة في (المعهد السعودي) في مكة في عشر الخمسين من القرن الماضي، فاقتنيت مجموعة من قصص جرجي زيدان (روايات تاريخ الإسلام) وحاولت أن أُكْمِلَ قراءة بعضها، فكان يدركني السأم فألقي بالقصة لأتناول كتابا غيرها، فلماذا أكملت قراءة هذه، لهذا الكاتب العراقي، بل حرصت على الاجتماع به ؟!

في مساء هذا اليوم (١١/ ٩/ ١٤٠٧هـ ــ ٨/ ٥/ ١٩٨٧م) زارنا الأستاذ طَرِيْفٌ السَّمان، وله بالأستاذ عبد الله سابِقُ معرفةٍ، وهو ذو صلة بالمركز الإسلامي في فينا الذي كان للشيخ عبد الله حين كان سفيرا في هذه البلاد أثرٌ



قويٌّ في الإسهام في إنشائه، فجرى الحديث بينهما حوله، فكان أن ذكر الشيخ الخيال أنَّ لديه مجموعة من الكتب، ومن بينها عددٌ من المؤلفات باللغة الألمانية، اشتراها مع أثاث المنزل الذي اشتراه، ولا يعرف محتواها، وهو يرغب إهداءها للمركز الإسلامي، لتضم إلى مكتبته، ودعا الدكتور السمان للاطلاع عليها، فكان أنْ ذهبتُ في صباح اليوم الثاني مع الشيخ عبد الله للاطلاع على تلك الكتب وغيرها، فوقع نظري على مجلد صغير، غريب في مظهر غلافه، وفي شكل طباعته، فقد طبع بطريقة التصوير بعد كتابته بخط اليد، كتابةً ليست جيدة، وزُيِّنَ برسوم غير متقنة، على ورق خشن غير صافي اللون، وبينما أنا أقلب صفحاته إذ التقى نظري بجملة - استوقفتني - بل شَدَّتْني إلى الاسترسال في مطالعة الكتابة هي : (لقد أخذتُ أَتَصَيَّدُ الأدوية الحديثة المقاومةَ لِتَخَثُّر الدَّم، الفاتحة للأوعية والشرايين) إلى : (إنَّ التفكير في أمور الدنيا وتوقع الأذى، وكثرة الحذر هي التي تنخر جسم الإنسان وعقله كما ظهر لي). آه ! لقد كان ما قرأت ينطبق عليه المثل العربي القديم (حَرِّكْ لها حُوَارَهَا تَحِنَّ). إنَّ الكاتب مثلي مُصَابٌ بمرض القلب، ثم هو يتصيَّدُ الأدوية لعلاج ما أصابه كما أتصيدها، وفوق ذلك فله من تجاربه الطويلة ماقد يفيد أمثالي لمقاومة ذلك الداء.

لم أَضَع القصة من يدي حتى اسْتَرَحْتُ إلى أنني بحاجة إلى إكمالها، إذْ وجدتهَا ذات أسلوب يغاير ما اعتاد القصَّاصون إبرازَ قصصهم به من حيث الإغراب في الخيال، والتَّعمُّق في الرمزيَّة، والبعد بالقارئ عما ألفه من واقع حياته، إنَّها أقربُ إلى سَرْدِ حوادِثَ أقربَ ما تكون إلى الواقع، بعبارات واضحة، فهي أشبه بالمذكرات اليومية منها بالقصص الخيالية، بل هي كذلك، لولا ما تصوره من بعض جوانب حياة كاتبها، فتبدُو تلك الجوانب أغربَ من الواقع المألوف، وما كان هذا الكاتب مُبْعِدًا عن الحقيقة إذ قال - وهو يتحدث عن هذه القصة - : بأنه أهداها لأحد السفراء، فأسهرته ليلة كاملة، ولم يستطع إلقاءها من يده حتى أكملها، وطالب كاتبها بِدَوَاءٍ ضِدَّ أَرَقِهِ تلك الليلة (٥).

ولعل من بواعث الرغبة في إكمال قراءتها تلك اللمحات التي تَبْدُوْ من خلال شرح مواقف الكاتب أثناء إصابته بالمرض، أو اتِّصاله بأحدِ الأطباء الذي كان يسخر من النصائح المشددة التي يوجهونها إليه، فيقرأ في بعض الكتب بطلانها، حتى وفق لطبيب حذَّرَهُ من الإفراط في أي شيء، وأكد له أَنَّ الإنسان الحذر العاقل يستطيع أن يعالج نفسه أكثر من الطبيب، إذا زُوِّدَ بالمعلومات الكافية عن مرضه، ونصحه بإزالة مايشعر به من قلق، وما يعتريه من كثرة الهموم، وبممارسة أيِّ عمل يهواه للتخلص من التفكير فيما يزعجه، فاختار الرسم والكتابة، فنصحه بالاشتغال بهما، قائلا : ربما كانا لك أحسن من كل دواء. ثم وصف ما اعتراه من الاطمئنان بقبول نصح هذا الطبيب.

لأَدَعِ هذا الجانب من القصة الذي قد يكون ألصق جوانبها بنفسي، إنها تصور حياة رجل كان في صغره يألف القطط، ويعْنَى بتربيتها، وقَلَّ أن يشاهده أحد من لِدَاتِهِ في صغره إلا ومعه واحدة منها، ولهذا لزمه لقب (أبي هريرة) ثم طَوَّحَتْ به الحياة خارج وطنه في مدينة (براغ) فعرف إحدى فتياتها، وهي في سِنِّ إحدى بناته، ولكنهما تآلفا حتى توطَّدَتِ العلاقة بينهما بالزواج، مع ما بينهما من الفوارق الاجتماعية والفكرية، ولكن السعادة لا تخضع غالبا لما هو متعارف بين عالم الإنسان من فوارق، وحاول كاتِبُ القصة أن يَجْلُوَهُ للقارئ خلالَ استعراضِه لحياتها حقبةً طويلة من الزمن، متنقلا بين مدينتين تخضعان لنظم من الحياة في غاية التغاير والاختلاف، فلم تؤثِّر فيما بينهما من تآلُفٍ وتَوَاؤمٍ وسعادةٍ، ولا يزالان ينعمان بكل ذلك.

لقد اجتمعت ليلة الثلاثاء(١٥/ ٩/ ١٤٠٧هـ - ١٢/ ٥/ ١٩٨٧م)في فندق (هلتن) بالأستاذ ذي النون أيوب، ومعه أليفة حياته وقرينته، التي دعاها (كوجكا) أي قطة فغبطت الرجل على ما يبدو به من تفاؤل ومرح - مع كونه في عشر التسعين من عمره [٦] - وعلى ما تحوطه به زوجته من الرعاية والعناية، وعلمتُ أنَّ حكومته - بعد أن ذاق من تقلب الحكومات في بلاده ماذاق من قطيعة وحرمان من الحقوق - شملته برعاية خاصة، أعادت لنفسه الطمأنينة في حياة رخيَّة، كما نشرت جميع آثاره التي طبعها بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٧٠م في أربعة مجلدات، الثلاثة الأولى تضم مجموعة من القصص والروايات، والرابع يحوي مختارات من مقالاته المنشورة، وله كثير غير ذلك من القصص المؤلفة والمترجمة مما لم ينشر، وهو دؤوب على الكتابة، ويرى هذا استمرارًا لبقائه، وأنه لا معنى للحياة بدون ذلك، وهذا ما دفعه إلى محاولة إيجاد الوسيلة التي تمكنه من نشر مؤلفاته في (فينا) حيث اقتنى آلة طبع صغيرة، من نوع ما كان يعرف باسم (البالوظة) التي تطبع بواسطة التصوير، فيكتب ما يراد طبعه بصورة واضحة، ثم يصور بطريقة خاصة يسهل بها إبراز نسخ عديدة منه، وكذا فعل بقصته «أبو هريرة وكوجكا» وببعض مؤلفاته، ومنه بعض أجزاء مذاكراته «ذو النون أيوب، قصة حياته بقلمه» وقد نشر منها سبعة أجزاء صغار، عن ذكريات طفولته من سنة ١٩٠٨م حتى سنة ١٩٥٨م.

ومن الطريف أن الأستاذ ذا النون كان تلك الليلة يبدو مسرورًا مبتهجا، فقد زاره منذ أيام الأستاذ إسماعيل عارف[٧] وهو من أصدقائه، ومعه ثري عراقي معروف، يدعى حميد نجيب، فوعده الثري بأنه سيتولى نشر جميع مؤلفاته ومؤلفات صديقه الأستاذ عبد الحق فاضل، أحد أدباء العراق المعروفين، إذ سينشئ مطبعة في إحدى المدن الأوربية لتلك الغاية، ويقدم المؤلفات مطبوعة للأديبين ليستفيدا بريعها.

(وللحديث صلة)

هوامش

١ - كلمة ليست واضحة ؛ وكأنها (خروج).

٢ - كذا والصواب (قبر أبي حميد) بالدال وهو المعروف الآن بقبر الشيخ حميد و(نخْل) وسيأتي. .

٣ - كذا ؛ والكلام ناقص ولعله (ليس فيها بنات).

٤ - كذا ؛ والصواب (لسواقي تسفي فيه ترابا دقيقا).

٥ - ذو النون أيوب : قصة حياته بقلمه، القسم السابع، ص ٢٢.

٦ - ولد في الموصل سنة ١٩٠٢م، وذو النون من الأسماء المألوفة في تلك البلاد فهو لقب يونس بن متى عليه السلام وهو من أهل نينوى التي هي الآن داخل عمران مدينة الموصل.

٧ - إسماعيل عارف كان وزير الثقافة (أو المعارف) في عهد عبد الكريم قاسم، وهو من رجال الجيش، وكان على جانب كبير من دماثة الخلق. وقد عرفته أثناء حضوري (مهرجان الكندي ومرور ألف عام على إنشاء مدينة بغداد)

مواجهة التحديات من ضرورات البحث العلمي

أجرى الحوار : عبد الكريم يعقوب


د. أتيليو ماسيري

جائزة الملك فيصل العالمية ، ما أهمية كونها عالمية بالنسبة لجائزة عربية إسلامية ؟! قد لا يكون هذا المجال مناسبًا أو كافيًا للإجابة عن هذا السؤال ، ولكنه تساؤل لا يُستبعد أن يتبادر إلى ذهن القارئ وهو يقرأ مقدمة حديث صحافي كهذا .

فالجائزة لا تزال حديثة العهد نسبيًا (منحت لأول مرة عام ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م) في مقابل جوائز أخرى سبقتها بعقود طويلة وحظيت بشهرة عالمية واسعة ، غير أن جائزة الملك فيصل جائزة إنسانية عالمية بقدر ما هي عربية إسلامية ، ينتمي الحاصلون عليها حتى الآن إلى ستة وعشرين بلدًا في أربع قارات !

ومما يجعل هذه النظرة إلى الجائزة موضوعية أن أوساطًا علمية فكرية وثقافية عالمية تشارك في هذه الرؤية . ولعل من الدلائل على ذلك الندوة العلمية التي نظمتها مؤسسة الملك فيصل الخيرية في لندن بالتعاون مع الجمعية الملكية البريطانية للعلوم في الشهر الماضي بمناسبة مرور عشر سنوات على بدء منح الجائزة في فرعي الطب والعلوم (طالع باب الحركة الثقافية في شهر لهذا العدد) .

وكان آخر من مُنح الجائزة في هذين الفرعين ـــ العام الماضي ـ الدكتور اتيليو ماسيري * في الطب (إيطالي ٥٧ سنة) ، والدكتور سِدني برينر في العلوم (بريطاني ٦٦ سنة) . وقد أجرت «الفيصل» لقاءين منفصلين مع كل منهما ، وننشر هنا الحديث مع الأول ، وسيتبعه الحديث مع الآخر في العدد القادم إن شاء الله تعالى .

● **هل كانت لديكم فكرة مسبقة عن جائزة الملك فيصل ؟ وكيف عرفتم بفوزكم بها ؟**

□ نعم ، كنت أعلم بوجود هذه الجائزة حيث فاز بها بالمشاركة صديق لي يدعى البروفيسور بوتاتسو منذ خمس سنوات أو ست . هذا بالإضافة إلى أن عميد كلية الطب سألني إن كان لدي مانع من ترشيحي للجائزة فأجبت بالنفي طبعًا . أما الطريقة الثالثة فكانت ـ وبشكل غير متوقع ـ من الأكاديمية الوطنية للعلوم بإيطاليا حيث تلقيت رسالة منهم يخبرونني فيها بترشيحهم لي للجائزة لهذا العام . كان هذا في أغسطس ١٩٩١ أو سبتمبر تقريبًا . وقد نسيت الموضوع فيها بعد ، خصوصًا أن هناك العديد من المرشحين في هذا المجال . وذات يوم كنت في مكتبي مشغولاً بالعمل حين تلقيت مكالمة هاتفية من الأمانة العامة للجائزة تبلغني بحصولي على الجائزة في مجال الطب ، وكان ذلك في اليوم نفسه الذي أعلنت فيه وسائل الإعلام الخبر. ثم بعد دقائق تلقيت مكالمة أخرى من السفير الإيطالي بالرياض ، ثم بعدها اتصلت بي وزارة الخارجية الإيطالية . فخلال عشرين دقيقة تقريبًا تلقيت ثلاث مكالمات الواحدة تلو الأخرى تبشرني بحصولي على الجائزة .

الإنجاز العلمي كيف تحقق ؟

● **تميزت بحوثكم في مجال أمراض الشرايين التاجية بالأصالة ، وكنتم أول من اكتشف نوعا من الذبحة الصدرية سببه تقلص عضلات الشرايين التاجية لا انسدادها . فما خلفيات هذا الجهد العلمي الذي نلتم به الجائزة ؟**

□ كانت تلك الأبحاث عن الميكانيكية المسببة للذبحة الصدرية ، أي الألم الناتج من عدم استقبال عضلة القلب للدم الكافي . المجموعة الأولى من الأبحاث تعود إلى بداية السبعينيات ، عندما ظهرت الفرضية بأن السبب المحتمل حدوثه لنقص إمداد عضلة القلب بالدم هو وجود انسداد ثابت تمامًا كما تحدث الانسدادات في أي أنبوبة لوجود ترسبات .

ما أظهرناه هو إمكان حدوث نقص عابر وشديد في سُمك تجويف الشريان بسبب التشنجات ، وهذا هو ليس في حدوث الذبحة . ثم واصلنا البحث نبرهن أنه متى انتهى انسداد جهاز الشريان تكونت عدة أسباب من شأنها إضعاف تدفق الدم لعضلة القلب . وفي مرحلة لاحقة بدأنا البحث عن أسباب أخرى للذبحة فوجدنا أن هناك أسبابًا أخرى عديدة مسؤولة عن

النقص العابر لتدفق الدم للقلب. ولأن أسباب الذبحة كثيرة ومتعددة كان علينا إيجاد وسائل علاج مختلفة تعتمد على السبب المؤدي للذبحة. إن المشكلة الدائمة والأساسية هي في قلة تدفق الدم لعضلة القلب ونقصه، لكنك لا تستطيع معالجة جميع الحالات بأسلوب واحد لتعدد الأسباب. هذا هو ما كنا نعمل فيه.

كما اكتشفنا لاحقًا سبب حدوث النوبة القلبية بشكل فجائي، وهو أمر أكثر تعقيدًا مما اعْتُقِد، لأنه في حالات كهذه يحدث انسداد فجائي للشريان، وعليه فإنه ليس هناك تدفق للدم خلال هذا الشريان. ولهذا أسباب كثيرة ومتعددة ننظر فيها الآن. عندما نعرف بشكل دقيق لماذا يحدث انسداد فجائي للشرايين حينئذ فقط يمكننا أن نعرف بدقة وسائل الوقاية والعلاج المناسبة. ما نعرفه هو أن معظم الحالات تحدث بسبب تخثر يسد الشريان. ما نحتاج حاليًا لمعرفته شيئان : الأول هو لماذا يحدث التخثر ؟ والثاني هو أنه عندما نعطي المرضى الأدوية والعقاقير الحديثة والتي اكتشفت خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة - وهي عقاقير تعمل على تحليل التخثر بكل جيد - نجد أنه في ٢٥٪ من الحالات لا يحدث شيء يذكر. نريد أن نعرف لماذا في هذه النسبة المئوية من الحالات لا تعمل الأدوية على فتح الشرايين. هناك جهود مكثفة لفهم ما يحدث بالضبط، ومتى ما تيسر لنا فهم ذلك نستطيع تطوير وسائل وقاية وعلاج جديدة وأكثر فاعلية.

● **متى تم هذا الاكتشاف ؟**

□ تم الاكتشاف بشكل تدريجي، حيث إنها عملية مستمرة بدأت في بداية السبعينيات واستمرت من خلال ملاحظة المرضى وحدوث ما لم يكن متوقعًا، ثم سؤالك نفسك : لماذا يحدث ذلك ؟ وهكذا . . .

● **أبحاثكم - إذًا - مستمرة في هذا المجال.**

□ نعم، أنا أواجه تحديات تحفزني للبحث والاستكشاف. فعلى سبيل المثال لماذا تحدث التخثرات فجأة في الشرايين فتسبب نوبة قلبية ؟

> ## "الفضول والحسم لدى الباحث أهم من تعلم المنهج العلمي !"

● **هل نقلت نتائج أبحاثك إلى مؤسسات علمية أخرى ؟**

□ بالطبع، الأبحاث لا تبقى معزولة. إن أول ما تفعله حين تكتشف أو حتى حين تلاحظ شيئا هو أن تنشره في دوريات متخصصة ثم عامة.

البداية دائما صعبة

● **ماذا كان رد الفعل تجاه أبحاثك ؟**

□ كان رد الفعل مشوبًا بالشك في البداية. فالبشر عمومًا حين يكون في علمهم أن ظاهرة ما تأخذ نمطًا معينًا ثم تأتي لتقول إن هذا قد تغير، فهذا يأخذ وقتًا. فكما ترى كان من الصعب جدًّا إقناع الناس في البداية بأن الأرض تدور حول الشمس، وليس العكس كما كان معتقدًا.

نقطة التحول !

● **ما نقاط التحول أو المنعطفات الحاسمة في حياتك والتي أفضت بك إلى حاضرك هذا ؟**

□ ليست هناك نقاط تحول وإنما سلسلة من التطورات تشمل حياتي ككل. ولكن إذا أردت أن أبحث عن نقطة تحول فهي ربما هذه : بعد أن أنهيت دراسة الطب في بادوا ذهبت إلى بيتزا - لا أدري لماذا ربما ما جذبني هو رغبتي في العمل مع من كانوا هناك - إلا أنني أصبت بإحباط لأنهم لم يسمحوا لي هناك بعمل ما أردت لأنني كنت صغيرًا في السن إلى حد ما. ربما أثارني هذا الاحباط.

وعندما ذهبت إلى أمريكا وبالتحديد إلى جامعة كولومبيا في نيويورك وجدت معاملة رائعة حيث تقبلوا كل ما أردت أن أعمله وسمحوا لي بذلك، ثم انتقلت إلى جامعة هوبكنز وعرضوا علي الإقامة هناك. بعد ذلك عدت إلى بيتزا حيث وجدت أن مكاني - بالطبع - لم يظل شاغرًا فأخبروني بأنه يمكنني البدء بمجال جديد. وهكذا أحببت أن أتخصص في أمراض القلب - التخصص الذي أوصلني إلى هنا (يقصد نيل الجائزة في السعودية) - حيث لم يثر هذا المجال اهتمام أحد في ذلك المكان وفي ذلك الزمان، أقصد عام ١٩٦٨ م. وهكذا فتحت وحدة للعناية بالقلب وبدأت في البحث عن مرضى القلب. ربما كانت هذه هي نقطة التحول في حياتي.

التوجهات العلمية في الطب

● **لننتقل إلى مجال آخر في الحديث. كيف يستطيع باحثو العالم الثالث تأسيس توجهاتهم العلمية ؟**

□ إن أهم صفة يجب توافرها في الباحثين هو الفضول. عليهم أن يستمروا في طرح السؤال « لماذا ؟ ». ثم عليهم أن يكونوا حاسمين لأنهم لا يستطيعون قبول الحقيقة الواقعة إلا بهذه الصفة. إنك لا تستطيع أن تعلّم شخصا الفضول لأنه نابع من ذات الشخص. وبتوافر الفضول والحسم تستطيع أن تعلِّم الآخرين. إنك لا تستطيع أن تتقبل أو تؤمن بنظرية لمجرد أن شخصًا مشهورًا قالها، قد تكون تلك النظرية خاطئة. يأتي بعد ذلك تعلّم المنهج العلمي الصحيح للقيام بتجربة أو ملاحظة المرضى أو الحيوانات أو الخلايا.

إن ما أقدره كثيرًا في حياتي هو توافر مدرسين جيدين. إن المدرسين لم يعلموني كيف أحل مشكلاتي، ولكني حين أواجه أيًّا منها أستعمل الوسائل والبصمات التي عرفتها في مجالات ومشكلات أخرى لأحل بها المشكلات أو أقوم بالتجارب. هذا بصفة عامة.

أما بالنسبة للعالم الثالث يجب أن يركزوا على الأولويات وأقصد بها المشكلات والأمراض التي تنتشر لديهم بنسبة كبيرة وأن يركزوا أبحاثهم عليها. إن أسوأ شيء في الأبحاث هو أن تتبع ما هو شائع وتنسخها. المشكلات التي يواجهها الأمريكيون تختلف عن تلك التي يواجهها الأوروبيون أو دول العالم الثالث، فلماذا تقوم دول العالم الثالث بالأبحاث في الميادين نفسها المطروقة في أمريكا أو أوروبا مثلا ؟ فإذا كانت دول العالم الثالث تشكو من الملاريا، ومقاومته بالبكتيريا، فعليهم القيام بأبحاث لحل مشكلتهم تلك، فمثلاً تنتشر الحمى الروماتيزمية في العالم العربي، إذًا على الباحثين القيام بأبحاث لإيجاد العلاج والوقاية المناسبين، حيث إن أمريكا مثلا لا توجد بها حالات الحمى الروماتيزمية بنفس التركيز، وبالتالي فهي لن تقوم بتلك الأبحاث لعدم توافر الحالات، وهكذا.

إعداد الباحثين في العالم الثالث

● **وما الاحتياجات اللازمة للباحثين في العالم الثالث للنهوض بأبحاثهم ؟**

□ ما يحتاجه العالم الثالث فعلاً هو أن يختار أفضل الكوادر البشرية المؤهلة أو التي لديها الاستعداد للقيام بالأبحاث وإرسالهم لأفضل المراكز العلمية في العالم لتطوير مهاراتهم ومعلوماتهم، ثم بعد عودتهم توفر لهم الأدوات اللازمة للبحث الذي يحتاجه ذلك الجزء من العالم. لا شيء يأتي من فراغ، عليك ببذل المال أولاً ثم تنفيذ خطة مرحلية هي :

١ - اختيار الأفراد واختيار الأفضل منهم، لأنك إذا اخترت الأفضل فسيقدمون لك الأفضل.

٢ - إرسالهم إلى أفضل المراكز العلمية المتطورة في العالم حيث يتوافر المعلمون والمدربون الممتازون. أنا شخصيا أقدر كثيرًا دور المعلمين في حياة الباحثين.

٣ - بعد أن يتعلم هؤلاء الأفراد المنهج العلمي ويعودون، يجب أن يتوافر لهم الجو الملائم للبحث والتقنيات الحديثة.

هذا فيما يتعلق بالباحثين. هناك أمر آخر على دول العالم الثالث النظر إليه بعين الاعتبار، وهو ألا تطلب من الباحث أن يكون فنيًا في المعمل، فهذا مجال وذلك مجال آخر مختلف. لذا على العالم الثالث أن يوفر فنيين مهرة يقومون بالعمل الفني اللازم لأنهم ببساطة يختصرون الوقت. فمثلاً ما يقوم به الفني المختص في نصف ساعة قد يقوم به الباحث في ثلاثة أيام، وهذا عائق كبير جدًا. لذا على العالم الثالث أن يكوّن جهازًا متكاملاً. إن بناء المعامل ليس مجرد ملء فراغ بالمباني والأجهزة وإنما يجب توفير العقول العاملة والمنتجة، لذا يجب إرسال أشخاص - غير الباحثين - لتعلم التقنيات الفنية التي تحتاجها المعامل للقيام بالتجارب.

الاستفادة من التقدم العلمي

● **أيهما أفضل - في نظرك - أن يُبتعث الطلبة لتلقي العلم أم أن يُستَقْدَم العلماء للاستفادة مما لديهم من علوم؟**

□ يمكنك استقدام العلماء لأسباب عديدة كإلقاء الندوات أو لإعطاء محاضرات لفترة قصيرة ومحدودة. إن العلماء والأساتذة المتميزين لديهم ما يشغلهم من الأبحاث والأعمال المختلفة التي لا تتم إلا حيث هم موجودون، فهم لا يستطيعون ترك أماكنهم لمجرد إلقاء الدروس والمحاضرات. يمكنك أن تدفع لهم مبالغ كبيرة لإلقاء المحاضرات والندوات ولكن ما ينجزونه في مواقع عملهم لا يقدر بثمن. ودعوتهم لإلقاء المحاضرات وعقد الندوات تتطلب أولاً وجود أناس يفهمون ومستعدين لتلقي ما يقدمه هؤلاء العلماء. لذا أرى أنه من الضروري أولا إرسال الطلاب وتهيئتهم لتلقي ما يلقى في الندوات والمحاضرات عند دعوة العلماء، اللهم إلا إذا توافر طالبو العلم حيث هم دون الحاجة إلى إرسالهم أو ابتعاثهم للخارج - أقصد للدول المتقدمة - وأن يحتاج هؤلاء العلماء المبتدئين إلى ما يستثيرهم. إذا أردت أن تنجز عملاً ما عليك أن توجد الحماسة اللازمة، فلو وُجِدَ لديك أشخاص لديهم الحماسة الكافية يمكنك عندئذ استقدام علماء من الخارج ليذكوا بنشاطاتهم تلك الحماسة ولطرح أفكار جديدة أو لمجرد منح هؤلاء الإحساس بالانتماء لعالم العلماء. وفي المقابل عليك أن ترسل بمن عندك لحضور المؤتمرات والندوات الخارجية لتبادل المعلومات حتى تعم الفائدة.

ماذا بعد ١٥ سنة ؟ !

● **أعتقد أن لديك علاقات واتصالات بالعلماء في العالم العربي. فما تصوركم لحاضر الأبحاث ومستقبلها فيه ؟**

□ أسست في لندن درجة الدبلوم في أمراض القلب، وقد حضر الكثير من العرب للمشاركة أو لنيل هذه الدرجة التي اعتمدت إلى حد كبير على الفحص السريري أكثر من الخوض في الأبحاث الذي ذهب إليه القليلون. إلا أنني أرى أن هناك قوة دافعة كبيرة للبحث هنا (في السعودية والعالم العربي) وكذلك الحاجة إلى التطور، وسيتحقق ذلك ربما خلال خمس عشرة سنة. فقط الباحثون هم الأساتذة أو المعلمون المتميزون، إذا أردت أن تقتدي أو تتبع أستاذا معينًا فعليك أن تختار الباحثين، لأنك ستتعلم منهم فقط التقنيات والأساليب التي ستعلمها بدورك للآخرين، وإلا فإنك ستُدَرِّسُ فقط ما هو مكتوب أو موجود في الكتب. إذًا إذا أردت أن توجد معلمين وأساتذة مبدعين لا يمكن أن تجعلهم يتعلمون الأبحاث من الكتب. فإذا أردت أن توجد هؤلاء عليك بإرسالهم إلى الخارج، وحين يعودون سيكون لديهم القدرة على العطاء والابتكار وهذا هو المهم.

● **إذًا كيف تتابع النشاطات العلمية في العالم العربي ؟**

□ أتابعها كما أتابع النشاطات العلمية في أمريكا الشمالية والجنوبية وغيرها، أقصد عن طريق الدوريات والأهم من ذلك عن طريق المؤتمرات الطبية المختلفة.

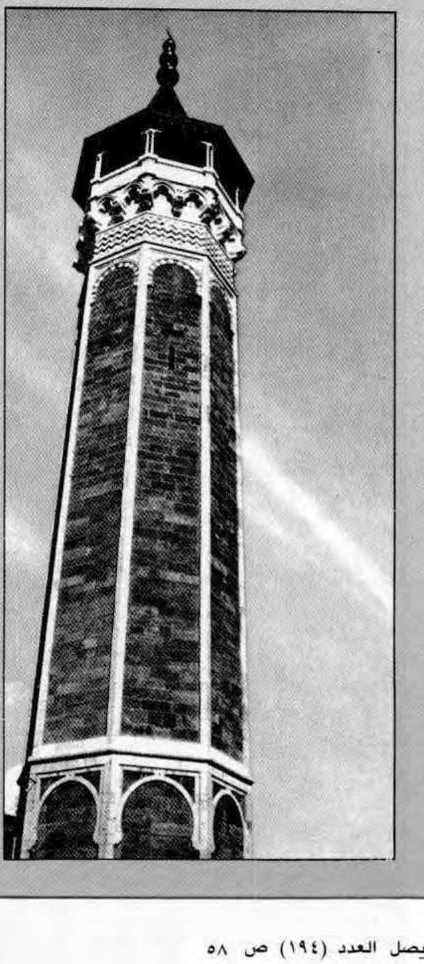
* نبذة عن حياته في العدد (١٨٣) ص ١٢٨.



أذان

ارتفع الأذان في خيام الفلسطينيين الذين شردهم اليهود ليكون الأمل والمستقبل والهوية والبشارة.

شعر: حيدر الغدير



أذن وجلجل بالأذان ... واملأ به سمع الزمان
واملأ به السبع الطباق وكل أفق أو مكان
حطم به عجز القريب ومن تناسى واستكان
واصدع به قيد المخاوف والتخاذل والهوان
واقمع به عسف الطغاة ومن تواطأ أو أعان
أسرج به العزمات تلق العزم سيفًا أو سنان
وخض الغمار به فأنت النصر يومئ والبيان
يمناك طيبة والكتاب وسره والمكتان
أما شمالك فالفتوح وزهوها والعنفوان
أذن فإن الفجر آت والصعاب إلى ليان
واهتف أنا الموت الزؤام وموعدي تكبيرتان
وأنا العواصف ضاريات والزلازل والدخان
وأنا الزحوف أنا الصفوف أنا المرزأة الحصان
والطفل والشيخ الجليل وكل من لبى وصان
وفتى الحجارة قلبه بالله موصول معان
القدس مل رغابه والموت غايات حسان
وعليه من شرف البطولة والشهادة أرجوان
أذن ولا تخش الطغاة فكل طاغية جبان
وفحيحهم يفنى غدًا أما الأذان فغير فان
أذن أخا الإسلام ما أحلى البطولة والأذان

شهادة تاريخية:

عندما دافع أهل البوسنة والهرسك عن فلسطين



السيد محمد أمين الحسيني يستعرض جنود الفرقة البوسنوية الأولى (خنجر)

بقلم: خليل محمود الصمادي

تناقلت وكالات الأنباء خبر توجه وفدٍ من عرب فلسطين المحتلة إلى أراضي البوسنة والهرسك عبر الأراضي الألمانية لنقل ألف طفل من المسلمين اليتامى إلى فلسطين المحتلة (1) ليتم توزيعهم على أهل الخير من عرب فلسطين لتربيتهم بين ظهرانيهم.

ليست هذه هي المرة الأولى التي يتعرف فيها الفلسطينيون على مسلمي البوسنة والهرسك. فمنذ حرب فلسطين عام ١٩٤٨ عرف شعب فلسطين المجاهدين البوسنيين في شمال فلسطين وعرفوا شهداءهم وجرحاهم وعرفوهم أيضا لاجئين مشردين سكنوا معهم في مخيمات اللاجئين في بعض البلدان العربية. فكيف كان ذلك ؟



المجاهد المقدم شوقي مفتيش



المجاهد البوشناقي نذير فرلياك

الاتصال البوسني والهرسكي مع فلسطين

تعود بداية المعرفة بين الشعبين إلى عام ١٩٣١، فقد عقد في ذلك العام في مدينة القدس المؤتمر الإسلامي العام برئاسة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني لبحث استفحال الخطر الصهيوني في فلسطين (2).



مجاهدون بوسنويون في جبهة طولكرم سنة ٤٧ـ١٩٤٨م

وقد أخذ المؤتمر بعدًا إعلاميًا إسلاميًا واسعًا وتجاوب مع الدعوة علماء المسلمين والشخصيات الإسلامية الكبرى من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فشارك في هذا المؤتمر اثنان وعشرون وفدًا عربيًا وإسلاميًا وبلغ عدد أعضائه ١٤٥ عضوا وقد مثل البوسنة والهرسك عدد من العلماء والأعيان(3). وخلال جلسات المؤتمر تم التعارف بين مفتي فلسطين وعلماء البوسنة والهرسك وكانت هنالك قواسم مشتركة لمحنة الشعبين المسلمين.

وفي عام ١٩٣٧ م حاول الإنجليز أن يلقوا القبض على المفتي إلا أنه نجح في الفرار إلى بيروت ثم تنقل بين عدة مدن عربية وإسلامية متنكرا، ولم يستطع أن يستقر في بلد مستعمر من قبل دول الحلفاء، ووصل به المطاف إلى روما أخيرا وذلك عام ١٩٤١م(4).

اتسع نطاق عدوان الصرب على مسلمي البوسنة والهرسك عندما أصدر الجنرال دراجا

عندما دافع أهل البوسنة والهرسك عن فلسطين

ميخائيلو فيتش قائد العصابات الصربية تعليمات إلى عصاباته بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٩٤١ بتطهير البوسنة والهرسك من المسلمين، وعلى إثر ذلك بدأت العصابات تشن هجماتها الوحشية على الشعب المسلم الأعزل وأمعنوا فيه فتكا وقتلا حتى أربى عدد القتلى على مائتي ألف (٥).

الاتصال بالمفتي لمساعدة البوسنيين

يذكر المفتي في مذكراته أن وفدًا طلابيًا من جامعة روما اتصل به في ١٩/ ١٢/ ١٩٤٢م وأنبأه بالمجزرة الوحشية التي اقترفت ضد المسلمين في منطقتي البوسنة والهرسك من قبل عصابات الشتنيك الصربية.

كما أبرق علماء البوسنة والهرسك له في برلين مستنجدين، ثم وصلته رسائلهم شارحة تلك الفظائع الوحشية التي نزلت بهم، وبعدئذ وصل وفد من علماء البوسنة والهرسك برئاسة مفتيها **حافظ عمر أفندي جابيتش** وحدثوه بما يجري في تلك البلاد من إبادة للمسلمين.

مساعي المفتي في محاولة إنقاذ المسلمين

يتابع المفتي: وعلى إثر ذلك بادرتُ بمراجعة وزارة الخارجية الألمانية وأطلعت وكيلها «**الهر فون وايتزيكر**» على الحالة هناك فأبدى أسفه الشديد وقال إن تلك المناطق هي في المجال الحيوي لإيطاليا فلا يمكننا أن نقوم بعمل جدي قبل الرجوع إليها.

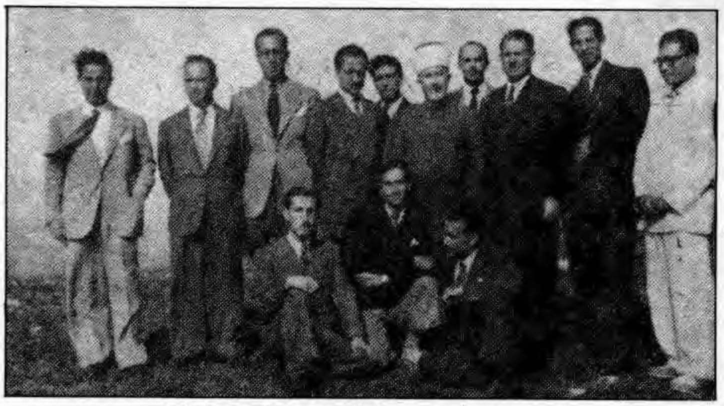
فسافرت في اليوم التالي إلى روما وطلبت مقابلة الدوتش **موسوليني**، فقابلني فورا في قصر فينيسيان فذكرت له أنباء المجزر الفظيعة التي تقترف ضد المسلمين في تلك المناطق التي تحتلها نحو تسع فرق إيطالية وفرقتان ألمانيتان.

وقلت له: لو حدث جزء يسير من هذا في الشرق للأوربيين لقامت الضجة العظيمة والدعايات والتهم، فأبدى اهتماما شديدا ونظر إلى وزيره «**شيانو**» وقال له: إن هذا الموضوع خطير فاتصل بالسفير الألماني في روما واتخذوا جميع الوسائل مع السلطات الإيطالية والألمانية لوقف هذه الحالة المؤسفة.

الألمان يتباطؤون في السعي لإنقاذ المسلمين

يتابع سماحته: فلما رجعت إلى برلين وصلتني أنباء تدل على أن المجازر مستمرة وأن السلطات الألمانية لم تسمح لوفد من البوسنة والهرسك بالقدوم إلى برلين. فقابلت وكيل الخارجية الألماني وطلبت السماح لي بزيارة تلك البلاد، فقال إن هذا متعلق بالدولتين «الكرواتية والإيطالية»، فقابلت سفير كرواتيا وحدثته في الموضوع، وحتى أجد اطمئنانه اقترحت عليه أن نسافر معا إلى زغرب ثم إلى سراييفو فوافق، ولكن وزارة الخارجية الألمانية ظلت على موقفها السلبي، وبعد محاولات عديدة مع السلطات الألمانية سمحت له بالسفر.

يتابع المفتي: ثم سافرت يوم ١٤/ ٣/ ١٩٤٣ إلى فيينا ثم إلى زغرب وقابلت رئيس دولتها ورئيس وزرائها وأبدى رئيس الدولة اهتمامه بالموضوع.



سماحة السيد محمد أمين الحسيني في ألمانيا مع مجموعة من الشبان الوطنيين

وقد حاولت الحكومة الكرواتية بالاشتراك مع سفيري ألمانيا وإيطاليا في زغرب أن يثنوني عن عزمي على السفر إلى «البوسنة» بحجة الحرص على حياتي من المجازفة في تلك البلاد المضطربة والمملوءة بالعصابات الدموية الخطيرة، ولكنني أصررت وكتبت إليهم كتابا سجلت فيه «أني أتحمل مسؤولية كل ما يصيبني من تهلكة في زيارتي لبلاد البوسنة برغم نصائح المسؤولين في كرواتيا وممثلي ألمانيا وإيطاليا» وسلمته إليهم.

وصول المفتي إلى سراييفو

ولما وصلت طائرتنا إلى «**بوسنة سراي**» - يقول المفتي - لم تستطع الهبوط لشدة العاصفة الثلجية فعادت إلى «**بانيا لوقة**»، ولما خرجنا من المطار دُهشنا لما شاهدنا أهل «بانيا لوقة» يلبسون العمائم والطرابيش ونساءهم يرتدين الحجاب، وشعرنا كأننا نجتاز شوارع القدس القديمة أو أسواق الحميدية في دمشق.

وأخيرا غادرنا «**بانيا لوقة**» إلى «**بوسنة سراي**». وبعد البحث مع زعمائهم ومع قيادة القوات الألمانية في كيفية المحافظة على حياة «البشانقة» (٦) والدفاع عنهم ومنع وقوع المذابح فيهم، وافقت الحكومة الألمانية على تجنيد الشبان منهم وتدريبهم وتسليحهم بشرط الدفاع عن أنفسهم وعائلاتهم داخل بلادهم. وقبل أن أغادر البوسنة كان قد تم تسجيل نحو سبعة آلاف متطوع.

تشكيل فرقتي «خنجر» و«قاما» من البوسنيين

يتابع المفتي قائلا: ولما عدت إلى برلين تم الاتفاق مع الحكومة الألمانية على تأليف فرقة عسكرية بوشناقية تعرف باسم «خنجر» ثم تلا ذلك إنشاء فرقة «قاما» وبلغ عدد جنود الفرقتين نحو ٣٧ ألفًا، ثم تألفت قوات محلية أخرى من درك وشرطة وحرس (ميليشيا) بلغ مجموعها كلها قرابة مائة ألف مقاتل.

وبذلك استطاع أهل البوسنة والهرسك أن يدفعوا عن أنفسهم الخطر الماحق الذي كان يهددهم.

المسلمون يقتلون مرة أخرى بالسلاح الألماني

وهكذا قامت القوات البوسنية بمنع المجازر عن جميع مسلمي البلقان، وغدا الجنرال **ميخائيلو**

فتش وغيره من طغاة البلقان يداورنهم ويتوددون إليهم، ولما ظهر في البلاد (يوغوسلافيا) الرئيس «تيتو» تم التفاهم بين الألمان وميخائيلو فتش على مقاومة تيتو، فأمد الألمان ميخائيلو فتش بالسلاح والعتاد، وعاد سيرته الأولى من الفتك بالمسلمين، ولكن بالسلاح الألماني هذه المرة.

ولما أعلمني البوسنيون بذلك قابلت الجنرال «برغر» وأطلعته على حقيقة ما يقوم به **ميخائيلوفتش** فاهتم بالأمر، ولما تأكد أعطى أمرا سريا للمعامل الألمانية المختصة بأن تصنع عتادا للبنادق والمدافع الصربية بطريقة فنية تؤدي إلى إفساد تلك الأسلحة وإبطال مفعولها.

البوسنيون في فلسطين

في أثناء وجود المفتي في البوسنة قام بإنشاء معهد للأئمة لتوزيعهم على وحدات الفرق العسكرية، وقد أنشئ هذا المعهد في مدينة «غوين» واختير له عدد من علماء البشناق لتوجيه هؤلاء الأئمة، وقد قام المفتي مع بعض رجاله بإلقاء بعض المحاضرات والدروس في المعهد، وأثناء زياراته لوحدات الفرق العسكرية كان يحدث الجنود والضباط عن مشكلات العالم الإسلامي، وكثيرا ما كان يتطرق للقضية الفلسطينية، فكانوا يتحرقون إلى الجهاد في فلسطين.

وقد أبدى المفتي إعجابه بثقافة أبناء البشناق الإسلامية وبأخلاقهم الكريمة وبشجاعتهم النادرة وبكرمهم، وقد ارتبط مع بعضهم بأواصر المحبة والصداقة.

ومع احتدام المعارك بين العرب واليهود عام ١٩٤٨ ومع وصول المتطوعين المجاهدين إلى أرض فلسطين، كان من بين المجاهدين مئات الضباط والجنود البوسنيين الذين وصلوا إلى فلسطين برغم الصعوبات والعقبات التي كانت تقف أمامهم. إلا أنهم ذللوها وأثبتوا للعالم الإسلامي أن المسلمين

المؤتمر الإسلامي عام ١٩٣١ كان بداية التقاء الشعبين البوشناقي والفلسطيني



المجاهدون البوسنويون في العباسية - يافا

كالجسد الواحد.

ما من قرية في شمال فلسطين إلا وتعرف نضال البوسنيين، فقد انتشر الضباط والجنود البوسنيون على قرى فلسطين يدربون أبناءهم على السلاح استعدادًا للمعارك مع اليهود، إذ كانت مهارة البوسنيين في التدريب عالية بسبب قتالهم الصرب.

خاض هؤلاء الأبطال العديد من المعارك مع المجاهدين الفلسطينيين وأبدوا بسالة رائعة وأراقوا دماءهم الزكية على ثرى الجليل، ومن أشهر المعارك التي خاضوها: يافا، القسطل، المالكية، ترشيحا، سعسع، الشجرة، كابرة، طولكرم.

وهكذا فقد تمازج الدم البوسني والدم العربي على أرض فلسطين وخاض المجاهدون البوسنيون المعارك بشجاعة وإخلاص وقدموا فداء لها عددا كبيرا من الشهداء والجرحى الأبطال، نذكر منهم:

علي بولو باشش وهابر وديثابو كوديش سقطا في معركة القسطل، وكامل بودورغ سقط في معركة يافا، وأمين خليلوفتش ومحمد رامش وحسن يشبيش ومنيب بينو ومصطفى أماموفيش سقطوا في معركة المالكية.

ومن الجرحى البوسنيين: **شوقي مفتيش** الذي جرح مرتين إحداهما في القسطل والأخرى في المالكية، **ورفعت بكريش** الذي قطعت يده في معركة الشجرة، **وموشان شابا نوفيش، وإسماعيل كوكورد زويتش** اللذان جرحا في يافا، **وشيفكو باشيش** الذي فقد عينه في معركة يافا، **ومحرم بيرقدار** جرح في معركة يافا، **ونذير فرلباك** جرح في معركة يافا، ومصطفى **دولاس** الذي فقد يمينه في معركة المالكية.

وبعد وقف حرب ١٩٤٨ لجأ البوسنيون مع إخوانهم الفلسطينيين إلى البلدان المجاورة، وعاش بعضهم في المخيمات والتحق بعضهم بالجيش العربي السوري. وظلت قضية فلسطين محور اهتمام المفكرين والساسة البوسنيين، وليس غريبا أن نجد تصريحا لرئيس مجلس رئاسة جمهورية البوسنة والهرسك عندما قال «القدس ليست فقط مسألة الفلسطينيين أو العرب، وإنما هي قضية الإسلام والمسلمين» (٧).

التاريخ يعيد نفسه

ما حدث للمسلمين البوسنيين منذ المجازر الأولى عام ١٩٤١ م على يد الصرب هو نفسه ما يحدث الآن، فقد عادت تلك المجازر مرة أخرى أشد قساوة وبطشا وفتكا مع صمت عالمي ينتظر نهايتهم المفجعة.

إن الهجمة الصربية الشرسة ضد مسلمي البوسنة والهرسك تهدف إلى إجلاء المسلمين عن مناطقهم كما حدث في فلسطين تماما، ليتمكن الصرب من إنشاء دولتهم صربيا الكبرى، وعندها تضيع البوسنة والهرسك كما ضاعت الأندلس.

الهوامش

(١) المجتمع الكويتية العدد ١٠١٣ نقلا عن صحيفة «توفي فيستك» الصادرة يوم ١٨/ ٨/ ١٩٩٢ وأيضا نشرة «قدس برس».

(٢) التيار الإسلامي في فلسطين، محسن محمد صالح، الكويت - مكتبة الفلاح ١٤٠٩هـ.

(٣) أعضاء المؤتمر الإسلامي العام «البوسنة والهرسك»:

مفيتج سالم رئيس مجلس العلماء، ومحمد بوباغيج القاضي الشرعي، ومفيتح حاجي حافظ أحمد من العلماء، ومرهمي زاده حاجي مصطفى أغا من الملاكين، وقره بك زاده حاجي علي رضا من الدارسين.

(٤) صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني، عوني جدوع العبيدي، مكتبة المنار - الأردن - ١٤٠٥هـ.

(٥) نشرة فلسطين عدد ٩١، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٨م، بيروت.

(٦) البشناقة أو البشناق مصطلح يطلق على مسلمي البوسنة والهرسك.

(٧) البيان الإسلامي لرئيس مجلس رئاسة جمهورية البوسنة - الهرسك علي عزت بيكوفيتش.



الملك عبدالعزيز

رعاية الملك عبدالعزيز للعلم والعلماء

بقلم: د. محمد بن عبدالله السلمان

ولد الملك عبد العزيـز في الرياض عام ١٢٩٣هـ(١) ـ وقيل عام ١٢٩٧هـ(٢)، وقد حرص والده الإمام عبد الرحمن بن فيصل على تربيته تـربية ذات صلة وثيقة بالدين والعلم معا، حيث عهد به منذ بلـوغه السادسة من عمره إلى الشيخ عبدالله الخريجي ــ من بلدة السلمية في الخرج وصاحب أحد كتاتيب الرياض ـ كي يعلمه القـراءة والكتابة وحفظ سور من القرآن الكريم، كما قرأ القرآن وختمـه على الشيخ محمد بن مرحوم المعـروف بابن مصيبيح (٣). واهتم والده بذلك كاهتمامه بتعليم ابنه مبادئ الفروسية والسياسة(٤)، وذلك لما رأى من الأخطـار التي تحوم حول أسرتـه ودولتهم (الدولة السعودية الثانية).

وبالإضافة إلى ذلك استفاد **الملك عبد العزيز** من مجالس والـده في الريـاض والتي كان يغشـاها عـدد من العلماء ورؤساء القبـائل، ولعل من أبـرز هـؤلاء العلماء الشيخ عبـدالله بن عبـد اللطيف بن عبـد الـــرحمن بن حسن بـن الشيخ محمـــد بن عبدالـوهاب الـذي درس عليه الملـك عبد العـزيز ولازمه حتى إن الشيخ وضع له كراسة أشبه بكتاب فيه ملخص لأبحاث في التفسير والحديث والتوحيد والفقه(٥).

وحينما رحل **الملك عبد العـزيز** مع أسرتـه إلى الكويت بعد ضياع دولتهم مكث في الكويت عشر سنـوات وجـد فيهـا مـــدرسـة علميـة رحبـة ذات مستويات عليا تموج بمختلف الاتجاهات المذهبية والسياسيـة، والأطماع الاقتصادية وتصـارع الدول الكبرى عليها(٦) فأفاد من ذلك فائدة كبيرة.

وحينما عاد إلى الـرياض وبدأ كفـاحه في سبيل توحيد البلاد لم ينسَ أهميـة تكوين نفسه علميا مع انشغاله بالسياسة، فكان ينتقي لنفسه مجموعة من الكتب للمطالعة لتقرأ عليه في مجلس معين (٧)وهي كتب متنـوعـة في مـواضيع مختلفـة في التفسير مثل تفسير الطبري، وتفسير ابـن كثير، وفي الحديـث مثل مسنـد الإمـام أحمد وريـاض الصـالحين، وفي التــوحيـد مثل كتــاب فتح المجيـد شرح كتــاب التوحيد، وفي التاريخ مثل سيرة ابن هشام والبداية والنهـايـة لابن كثير، وفي السياسـة مثل السيـاسـة الشرعية لشيخ الإسـلام ابن تيمية، وفي الأدب مثل روضة المحبين لابن القيم وديوان المتنبي وغيرها (٨). وقد أثر ذلك المنهج في ثقافته العامة والخاصة (٩).

ولقد كان الملك عبد العزيز حريصا على وحدة الأمة الفكرية حـرصه على وحدة الأقاليم، فعندما ضم الأحساء والحجاز وتهامة إلى حكمه كان هناك انشطار كبير في المذهب الفقهي وفي أصول القضاء حتى في إقامة الصـلاة في المسجد الحرام حيث كان أئمة المذاهب الأربعة يمارسـون الصلاة كل حسب مذهبه وتتعدد إقـامة الصلاة في كل وقت، فما كان من الملك عبـد العزيـز إلا أن وحد القضـاء ووحد إمامة المسجد الحرام (١٠).

وكـان الملك عبد العـزيز حـريصا على إحيـاء التراث الإسلامي، وذلك بأمـــره بطبع كتبـــه على نفقته، وكـان سخيا في هـذا الجانب حتى في وقت قلة ذات يـده قبل ظهور البترول في بلاده وإنتـاجه اقتصـاديـا. فكان يهتم بشراء العـديـد من الكتب الإسلامية وطباعتهـا ويوزعها على طلبة العلم (١١) في المملكة. ففي مقال نشر في جريدة أم القرى عام ١٣٤٧هـ تحت عنـوان (في سبيل الـدين والعلم) قالت الجريدة: إن الملك عبد العزيز أراد أن ينشر الـدعـوة إلى الـدين الخالص في سائر الأمصـار فاستشـار العلماء في خير الكتب التي ينبغي نشرها بين الناس ليعمل جهـده في توفيرهـا، فذكـرت له الكتب التي تبين حقيقـة التـوحيـد ومنهـا مـا هـو مطبوع ومنها ما لم يطبع فـاشترى من المطبوع مئات الكتب بل الآلاف ومـا لم يطبـع منهـا أمـر بطبعـه وتوزيعه (١٢). حتى قـاربـت الكتب التي طبعت على نفقة الملـك عبد العـزيز مـائة كتاب (١٣) على اختلاف أحجامهـا، وكانت مطبعة المنار بـالقاهرة لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا أهم المطابع التي تـولت ذلك، كما اشتركت معهـا مطابع أخـرى في مصر والهند والشام(١٤) (دمشق).

واهتم الملك عبد العزيـز بالتشجيع على طلب العلم والحث عليــه، ودعم كل مسار يتجــه إلى ذلك. ففي عـام ١٣٥٢هـ كتب بعض علماء نجـد نصيحــة في الحث على طلـب العلم والآداب التي ينبغي لطـالب العلـم أن يتأدب بها، وقـد صـدق الملك عبد العـزيز في أسفلها بأن مـا كتب المشايخ هو الحق. ونصح وأبلغ وألزم مـن كان أهلا لطلب العلم أن يطلبه، ومن تخلف عـن ذلك، فإنه يجبره عليه، فإذا خـالف أبعده عن محله لمحل لا يـرضاه وأكد في ذلك. وختمها بتاريخ ١٧ ذي القعدة عام ١٣٥٢هـ (١٥)، وفي عـام ١٣٥٧هـ كثر طـلاب حلقات **الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز** قاضي الخرج حينـذاك ووفـد إليـه طـلاب مـن الأقطـار المجـاورة من العراق والشـام واليمن فأمـر **الملك عبد العزيز** ببناء مكان يدرسون فيه (١٦). وكذلك دعم الملك لجهود **الشيخ عبد الله القرعاوي** الدينية والعلميـة في جنـوب المملكـة وفتحـه العـديـد من المدارس هنـاك بأمـر مـن الملك وإنفـاقه السخي عليها (١٧). وإلى جـانب ذلك وحينما بـدأ ظهـور التعليم الـــحـديث في المملكــة حـرص الـــملك عبد العزيز على التحـاق أكبر عدد من الشباب فيه خصوصـا من المناطق التي تأخر دخول هـذا النوع من التعليم فيهـا عن الحجاز مثل نجـد، فعندمـا

أنشئت مدرسة دار التوحيد الثانوية في الطائف عام ١٣٦٤هـ، كلف الملك عبد العزيز أمراء المناطق في نجد بأن يجمعوا الشباب في سن التعليم وبأن ينقلوا إلى الطائف للدراسة في دار التوحيد وقد أمن لهم السكن والرعاية. وخشي الآباء على أبنائهم فكانوا يخفونهم، بل إن بعضهم أبرق للملك عبد العزيز يرجوه إعفاء ابنه، فكان الرد بأنه لا سبيل إلى الإعفاء. ويبدو أن الآباء كانوا يظنون بأن الدخول في هذه المدارس معناه الدخول في العسكرية، وأن العلم الصحيح هو في المساجد فقط [١٨]. **ذلك أن الملك عبد العزيز كان يرى أن التعليم الحديث هو الوسيلة الوحيدة للاستفادة من وسائل الحضارة الحديثة النافعة**. ولهذا حينما عارض بعض جماعة الإخوان المتزمتين دخول بعض أساليب الحضارة النافعة كالسيارة والتلغراف ونحوها وقف الملك عبد العزيز ضدهم بصلابة معتمدا على تأييد العلماء حينذاك الذين أبطلوا اعتراض الإخوان [١٩] وبينوا الحق في ذلك، القائم على ضرورة الاستفادة من هذه الوسائل الحضارية النافعة وأن الإسلام لا يقف حجر عثرة أمام ما ينفع المسلمين بل يوجب العمل في كل ما فيه نفع وصلاح لهم ورفعة لشأنهم.

وكان أول ظهور للتعليم الحديث عن طريق المدارس الأهلية التي لاقت دعما ماديا ومعنويا من الملك عبد العزيز، فقد ذكرت جريدة أم القرى أنه في يوم ٢٨/ ٦/ ١٣٤٤هـ زار الملك عبد العزيز مدرسة الفلاح والمدرسة الفخرية بمكة وتبرع للأولى بمبلغ مائة جنيه وعشر ذبائح وستة أكياس من الأرز وتبرع للثانية بخمسين جنيها وست ذبائح وأربعة أكياس من الأرز [٢٠].



شكيب أرسلان

مكانة مرموقة للعلماء

ومن تشجيع الملك عبد العزيز لهذا النوع من التعليم أنه كان يستقبل أولى دفعات الخريجين من هذه المدارس. ففي صفر عام ١٣٥٠هـ استقبل أول دفعة تخرجت من المعهد العلمي السعودي بمكة [٢١] وألقى في الخريجين كلمة توجيهية، حثهم فيها على مواصلة طلبهم للعلم وقال: «أيها الأبناء إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه في المعهد فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم... ولا مانع أن نأخذ من غيرنا المفيد فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها» [٢٢].

وكان يجد المدرسون والطلاب في المدارس من الملك عبد العزيز التقدير والعطف. فلقد زار مدرسة الأمراء في أحد الأيام واجتمع حوله التلاميذ فلاحظ في ثوب أحدهم بقعة كبيرة من الحبر يحاول إخفاءها عن نظر أبيه فقال له: لا تُخفها. هذا عطر المتعلمين» [٢٣].

أما العلماء فقد كانت لهم المكانة المرموقة عند الملك عبد العزيز فاتخذ منهم مستشارين في قضايا التعليم والدعوة والإرشاد والقضاء. وكان يطرح معهم نظام الشورى في القضايا ذات الاهتمام المشترك ويناقشهم ويجادلهم فكان له جلسة علمية مع بعضهم بعد صلاة العشاء [٢٤] في القرآن وتفسيره وفي التاريخ. كما كان له معهم جلسة يوم الخميس من كل أسبوع. كما كان يستغل موسم الحج ويجعله مؤتمرا يلتقي فيه بكبار العلماء المسلمين ويناقش معهم بعض القضايا الإسلامية، وهم علماء من مختلف الأقطار الإسلامية مثل **الشيخ عبد المجيد سليم** شيخ الأزهر والعالم المجاهد **محمد رشيد رضا والشيخ محمود شكري الألوسي** من العراق **والشيخ محمد حامد الفقي** من مصر **والشيخ محمد بهجة البيطار** من الشام وأمير البيان **شكيب أرسلان** من لبنان وغيرهم [٢٥].

ومهما يكن من أمر فإن هذا الموقف وتلك الرعاية من الملك عبد العزيز للعلم والعلماء كان لها الأثر الكبير في التطور الذي طرأ على الحياة الثقافية والعلمية في عهده ليس في نجد فحسب، بل في معظم المناطق التي تتكون منها المملكة.

الهوامش

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ١/ ٥٧ط ١٩٨٥.

(٢) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية ٢/ ١٤ط ١٣٧٦هـ.

(٣) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص١٧.

(٤) انظر: عبد العزيز شرف وآخرين، عبد العزيز آل سعود ص٢٢٩.

(٥) مصطفى عطار، الملك عبد العزيز والتعليم ص٢.

(٦) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال ص ٤٧.

(٧) كان يسير في ذلك على سياسة أسلافه من أئمة آل سعود مثل الإمام محمد بن سعود، ثم ابنه عبد العزيز، ثم ابنه سعود، ثم فيصل بن تركي، انظر: ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٢٢٥.

(٨) عبد الرحمن الرويشد، الجهاد الفكري للملك عبد العزيز ص ٧ و٨.

(٩) عبد العزيز الرفاعي، عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب، ص٤.

(١٠) عبد الرحمن الرويشد، المرجع السابق ص١٠.

(١١) عبد الله بن علي الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود ص ٣٨٢.

(١٢) أم القرى العدد ٢١٩، ٢٧ رمضان ١٣٤٧هـ.

(١٣) انظر: عبد العزيز الرفاعي، المرجع السابق ص ١ ـ ٢١ الذي أوصل عددها إلى (٩٨) كتابا.

(١٤) أحمد الضبيب، حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة، مجلة الدارة، العدد الأول ١٣٩٥هـ.

(١٥) إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولي النهى والعرفان ٤/ ٣٦ والعلماء الذين كتبوا النصيحة هم المشائخ عبدالله العنقري، وعمر بن محمد بن سليم، وصالح بن عبد العزيز، ومحمد بن إبراهيم آل عبد اللطيف.

(١٦) عبد الله أبو راس وبدر الدين أديب، الملك عبد العزيز والتعليم ص٧٤.

(١٧) انظر: مجلة المنهل جمادى الأولى ١٣٦٧ ص ١٩٠ مقابلة مع الشيخ القرعاوي.

(١٨) مصطفى عطار، المرجع السابق ص ٢٢.

(١٩) جمعت رسائل وفتاوى هؤلاء العلماء في كتاب اسمه (مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر لعلماء نجد الأعلام) طبع بأمر الملك عبد العزيز في مطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٦هـ.

(٢٠) أم القرى في ٣٠/ ٦/ ١٣٤٤ ـ ١٥/ ١/ ١٩٢٦ ص١.

(٢١) أحمد علي، ذكريات ص٨٠ط نادي الطائف الأدبي ١٣٩٨هـ. وقد تخرجت أول دفعة عام ١٣٤٩هـ وعددهم ٢٣ طالبا.

(٢٢) محيي الدين القابسي، المصحف والسيف ص٧٥.

(٢٣) الزركلي، شبه الجزيرة ٣/ ١٠٠٩.

(٢٤) عبد الله الحقيل، عناية الملك عبد العزيز بالعلم، مجلة الدارة، محرم ١٤٠٨هـ ص١٩٦.

(٢٥) عبد الرحمن الرويشد. المرجع السابق ص١٣ـ١٥.

لورد هدلي مسلم من سلالة ملكية

وُلِدَ جورج رولاند ألنسون عام ١٨٥٥م وفي فمه ملعقة من ذهب ـ كما يقول المثل السائر ـ إذ كان ينتمي لأسرة من أعرق أسر بريطانيا تنحدر من سلالة ملكية هي سلالة ملوك نورث ويلز فصار البارون الخامس في عائلته، حيث أصبح عام ١٨٧٧م وهو بعد ما يزال في الثانية والعشرين من عمره عضوًا في مجلس اللوردات وحمل لقب لورد هدلي.

درس جورج رولاند ألنسون في جامعة كمبردج، وتخرج مهندسًا، كما كان رياضيًّا يمارس رياضة الملاكمة التي برع فيها براعته في الهندسة، وصحافيًّا جيدًا تولى لفترة من الزمن منصب الناشر لصحيفة « ساليسبري».

شكوك نحو النصرانية

برغم مولد **لورد هدلي** في بيت نصراني عريق، إلا أنه لم يشعر يومًا في قرارة نفسه بإيمان صادق نحو النصرانية، بل طالما راودته الشكوك في صحة التعاليم التي تروج لها الكنيسة والطقوس التي يمارسها الآباء القسس في صلواتهم وأقداسهم، وطالما توقف بفكره عند أسرار الكنيسة السبعة، إذ لم يستطع وهو الإنسان المثقف الواعي أن يهضم فكرة أكل جسد المسيح عليه السلام أو شرب دمه كما يتوهم النصارى وهم يأكلون خبز الكنيسة ويشربون نبيذها، كذلك لم يقتنع بفكرة فداء البشرية التي هي من أسس عقيدة الصليب.

الاطلاع على كتاب الله

ولفترة عمل **لورد هدلي** ضابطًا في الجيش البريطاني ومهندسًا، وشاءت أقداره أن يسافر إلى كشمير تلك المنطقة المسلمة قلبًا وقالبًا عام ١٨٨٣م من أجل مشروعات هندسية، وهناك أهداه صديق ضابط بالجيش برتبة عميد (كولونيل) **نسخة من المصحف الشريف** حين لمس انبهاره بسلوكيات المسلمين، وكان هذا الإهداء بداية تعرفه الحقيقي على الإسلام، **إذ وجد في كتاب الله ما يوافق طبيعة نفسه ويلائم روحه**، وجد أن مفهوم الألوهية كما جاء في القرآن الكريم يتوافق مع المنطق والفطرة، ويتميز ببساطة شديدة، كما لمس في الدين الإسلامي سمة التسامح، تلك السمة التي لم يلمس لها وجودًا بين أهله من النصارى الذين عرفوا بتعصبهم ضد الديانات الأخرى، بل ضد بعضهم بعضًا، فالكاثوليك يتعصبون ضد البروتستانت، وهؤلاء بدورهم يتعصبون ضد الأرثوذكس الذين لا يقلون عن الطائفتين السابقتين تعصبًا ضدهما. فكل فريق يزعم أن مذهبه هو الحق وما عداه باطل، ويسوق في سبيل ذلك من الحجج أسفارًا يناقض بعضها بعضًا.

اقتناعه بالعقيدة الإسلامية

لم يكن بوسع **لورد هدلي** إلا أن يحب الإسلام بعد اطلاعه على كتاب الله وما قرأه عن العقيدة الإسلامية، **وأبطال الإسلام الأوائل**، أولئك الأبطال الذين **خرجوا من الصحراء حفاة الأقدام واستطاعوا أن يصيروا أعظم قواد العالم، وأعدل قضاة الأرض**، وبقوة عقيدتهم ثم بإخلاصهم لتلك العقيدة أسسوا حضارة عظيمة ازدهرت لقرون طويلة في وقت كانت أوروبا ترزح تحت وطأة الجهل وطغيان البابوات والكرادلة.

لقد وجد في الشريعة الإسلامية وسيرة **الرسول المصطفى ﷺ وصحابته ومن تلاهم من التابعين القدوة الحسنة** التي تروي روحه العطشى للحق، ولم يصعب عليه أن يدرك أن الإسلام عقيدة وسلوك، يقوم على دعامتين أساسيتين: الأولى وحدانية الله، والثانية المساواة بين البشر، فالإسلام قد سبق كل النظريات الاجتماعية الحديثة بأن وضع تصورًا إلهيًا شاملاً لعلاقة العبد بربه وعلاقة العبد بالعبد، فجعل الأولى علاقة مباشرة لا تحتاج إلى واسطة أو كهانة فسما بها السمو اللائق، وأقام الأخرى على أساس من الإخاء الإنساني فحل بذلك العديد من مشكلاتها التي تفادت النصرانية المحرفة مناقشتها.

وكان بحكم سعة اطلاعه يدرك أن الثقافة الإسلامية هي التي أخرجت أوروبا من عصور الظلام، ومهدت لها سبيل الحضارة، وقدمت الأسس التي قامت عليها علوم أوروبا الحديثة، مما رفع من مكانة الإسلام كعقيدة والمسلمين كأمة في داخله.

إشهار إسلامه

برغم اقتناع لورد هدلي بالإسلام، إلا أنه ظل قرابة عشرين عامًا يكتم إسلامه لأسباب عائلية، حتى كتب له الله أن يعلنه على الملأ في حفل **للجمعية الإسلامية في لندن**.

ونقلت عنه صحيفة **«الديلي ميل»** البريطانية في عددها الصادر في ١٧/ ١١/ ١٩١٣م تحت عنوان **«إسلام اللورد هدلي»** قوله: «إنني بإعلاني إسلامي الآن لم أحِدْ مطلقًا عما اعتقدته منذ عشرين سنة، ولما دعتني الجمعية الإسلامية لوليمتها سررت جدا لأتمكن من الذهاب إليهم وإخبارهم بالتصاقي

الشديد بدينهم، وأنا لم اهتم بعمل أي شيء لإظهار نبذي لعلاقتي بالكنيسة الإنجليزية التي نشأت في حجرها، كما أني لم أحفل بالرسميات في إعلان إسلامي، وإن كان هو الدين الذي أتمسك به الآن».

ومضى لورد هدلي قائلا : «**إن عدم تسامح المتمسكين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم، فإنك لا تسمع أحدًا من المسلمين يذم أحدًا من أتباع الأديان الأخرى كما تسمع ذلك من النصارى بعضهم في بعض**».

واستطرد متحدثًا عن الجوانب العديدة التي شدته إلى الإسلام، فقال : «**إن طهارة الإسلام وسهولته وبعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته، كانت كل هذه الأشياء أكبر ما أثر في نفسي، وقد رأيت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والإخلاص ما لم أر مثله بين النصارى، فإن النصراني يحترم دينه ـ عادة ـ يوم الأحد، حتى إذا ما مضى يوم الأحد نسي دينه طول الأسبوع، وأما المسلم فبعكس ذلك يحب دينه دائما، وسواء عنده أكان اليوم هو الجمعة أو غيره، ولا يفتر لحظة عن التفكير في كل عمل يكون فيه عبادة الله**».

ردود فعل النصارى

تسمى **لورد هدلي** بعد إسلامه باسم **رحمة الله فاروق**، وكان لإشهار إسلامه صدى واسع في بريطانيا، نظرًا للقب الكبير الذي يحمله، ولكونه سياسيًّا بارزًا، وعضوًا قياديًّا في مجلس اللوردات، حيث انتقدته الصحف البريطانية واتهمته في صدق دينه محاولةً إظهار موضوع إشهار إسلامه على أنه يهدف لتحقيق مكسب رخيص بأن يصبح ممثل المسلمين في مجلس اللوردات وزعيماً لهم. مما دفع المهتدي الجديد «رحمة الله فاروق» إلى الرد على منتقديه بمقال عنوانه «**لماذا أسلمت ؟**» نشرته **صحيفة الأوبزرفر** الأسبوعية يوم **٢٣ نوفمبر ١٩١٣م**، ومما جاء في المقال قوله : «**نحن البريطانيين تعودنا أن نفخر بحبنا للإنصاف والعدل، ولكن أي ظلم أعظم من أن نحكم ـ كما يفعل أكثرنا ـ بفساد الإسلام قبل أن نلم بشيء من عقائده، بل قبل أن نفهم معنى كلمة إسلام ؟!**».

ومضى قائلا : «من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا فيّ، ولكن هذا الوهم لا حقيقة له، فإن اعتقاداتي الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيت فيه عدة سنين. أما مذاكراتي الفعلية مع المتعلمين من المسلمين في موضوع الدين فلم تبدأ إلا منذ أسابيع قليلة، و**لا حاجة بي إلى القول بأني ملئت سرورًا حينما وجدت نظرياتي ونتائجي متفقة تمام الاتفاق مع الدين الإسلامي**».

رد وده على الحاقدين

لقد كان لإسلام «**رحمة الله فاروق**» **أو اللورد هدلي** كبير الأثر في تقوية الحركة الإسلامية في بريطانيا، إذ لم تكد تمر أشهر قليلة على إعلانه إسلامه حتى **اقتفى أثره أكثر من أربعمائة بريطاني وبريطانية** بعدما استرعى انتباههم ما تحدث به عن محاسن الإسلام، فأقبلوا على قراءة الكتب الإسلامية، ودخلوا في دين الله أفواجًا مسلمين وجوههم لخالق الكون.

وترأس لورد هدلي الجمعية البريطانية الإسلامية، وتصدى لهجمات الحاقدين على الإسلام، وانبرى بقلمه مدافعًا عن دين الله، رادًّا الكيد إلى نحور الكائدين الذين حاولوا ـ ولا يزالون ـ تصوير الإسلام على أنه دين الشهوات وأن القرآن الكريم ما هو إلا مجموعة من الحكايات اليهودية والمسيحية المسروقة من التوراة وغير الموثوق بها كما زعم القس وليم ميور الذي أُنعم عليه بلقب سير مكافأة له على تعصبه ضد الإسلام وجهوده المستميتة في محاولة تشويه صورة الرسول ﷺ.

ومن ردوده على هؤلاء ما نشره بقلمه في مجلة «**إسلاميك رفيو**» حيث قال ضمن مقالته متحديًا أصحاب تلك التخرصات : «**فكل هذه المحاولات العقيمة والوسائل الدنيئة التي يقوم بها المنصرون لتحقير شريعة النبي العظيم ﷺ بالبذاءة آنًا وبالسفاسف المتضخمة كثيرًا من طمس الحقائق آنًا آخر لا تمسه بأذى، ولا تغير عقيدة تابعيه قيد إصبع**».

وأضاف : «**لم يشهر محمد ﷺ السلاح إلا حين الحاجة القصوى لحماية الحياة البشرية. ولربما ادّعى بعض المنصرين أن الإسلام استعمل السيف في نشر الدين، ولكن لحسن الحظ عجز ألد أعداء الإسلام القادحين عن أن يأتوا بأقل دليل أو مثل من الأمثلة التي أثرت فيها الحرب على هداية قبيلة واحدة أو شخص واحد**».

ومضى يرد الكيد إلى نحور المنصرين قائلا : «ولا عجب أن كذب المنصرون أو افتروا على الله كذبًا، فكم تظاهر اللص بالأمانة، والداعر بالاستقامة، والزنديق بالتدين، ولكن لا عجب فقد غاض من وجههم ماء الحياء، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، ولو كانوا يستحيون من أنفسهم أو على الأقل من الناس لما أقدموا على هذا الادعاء الباطل والافتراء الواضح، ولما باتوا مضرب المثل في الدس والتدجيل، وعَلَمًا في التفريق والتضليل !».

ولسنوات ظل «رحمة الله فاروق» ينافح من خلال كتاباته وخطبه الطاعنين في الإسلام، ووضع عدة مؤلفات لعل أشهرها وأهمها كتابه «**يقظة غربية على الإسلام**»، ونال بها شهرة بين المسلمين داخل بريطانيا وخارجها حيث كان يلقى الترحاب في ديار الإسلام أينما حل، ويروي محرر «**المنار**» حرارة استقبال المصريين له عند زيارته لمصر بقوله : «ولم تستقبل مصر رجلاً منذ رجوع **سعد باشا زغلول** كما استقبلت بالأمس حضرة المستر **جورج رولاند ألنسون** المشهور المعروف باسم **اللورد هدلي** والمعتنق للديانة الإسلامية تحت **اسم رحمة الله فاروق**. لقد غصت المحطات بالمستقبلين من بور سعيد إلى مصر والشعب يهتف مرحبًا مستقبلاً هذا الضيف الكريم».

رحم الله لورد هدلي، وجزاه أحسن الجزاء عما قدمت يداه من خير لدينه وأمته.

المراجع

١) إسلام اللورد هدلي وما قاله وكتبه في سببه، مجلة المنار، مصر، ج ١ م ١٧، محرم ١٣٣٢هـ ـ ديسمبر ١٩١٣م.

٢) اللورد فاروق هدلي وخوجة كمال الدين، مجلة المنار، مصر، ج ٧ م ٢٤، ذو القعدة ١٣٤١هـ ـ يولية ١٩٢٣م.

٣) يفترون على الله كذبًا : مطاعن المبشرين في صاحب الرسالة، بقلم سيف الرحمن رحمة الله فاروق، مجلة المنار، مصر، ج٥ م٢٩، ربيع الأول ١٣٤٧هـ، سبتمبر ١٩٢٨م.

طريق الهدى ١ • د. صالح بن سعد اللحيدان

طواف الوداع في العمرة غير ملزم

● **إذا لم أستطع العودة إلى مكة لطواف وداع العمرة فماذا يلزمني ؟**

بخيت. م. م. هـ

الأفلاج

■ الذي أعلمه هنا حسب فهمي أن طواف العمرة يسقط عمن لم يقم به، وليس عليه شيء من فدي ونحوه، لكن من تمكن من ذلك فهو خير ويؤجر.

والمقصود يا أخ بخيت. م. م. هـ : أنه لا يلزمك شيء هنا - والله أعلم.

بنوك حليب الأم حرام

● **يوجد في بعض المستشفيات العالمية «البنوك» الخاصة لحليب الأمهات فمثلاً إذا وضعت الأم وليدها فيؤخذ من حليبها بقدر ما يضايقها ويثقل عليها، أو تكون الأم قد مات وليدها إلخ . . . ، وهذا شبه منتشر لكنه قد يكون من الناحية الطبية من الضرورة، بمكان فهل يجوز تغذية بعض الأطفال بهذا الحليب ؟**

د. مصطفى عدنان أبو لطفي - الولايات المتحدة.

■ لقد سألت بعد ورود سؤالك عدة أطباء متخصصين عن هذا الأمر وملخص ما قالوه أنه ليس هناك ضرورة بالقدر الضار لو بقي الحليب دون استخراج، لكن من الأفضل إخراجه ثم سكبه.

هذا من ناحية، ومن ناحية، أخرى وهي الحكم الشرعي فلا يجوز أبدًا مثل هذا لأن الحليب حينما يحفظ ويعطى لعدة أطفال في الحولين، فإنه حتى لو خلط بماء أو بمواد حافظة فإنه ينشر الحرمة بين الراضعين فيكونون [**إخوة لأمهات عديدات**] وهنا مكمن المحظور فيما لو حصل زواج فإنه هنا يحصل زواج المحارم، وحرمة الحليب كحرمة النسب، إذ لا فرق هنا في حرمة الزواج بين الأخ الشقيق من أب وأم أو الأخ من الرضاع كما هي الحال مع الأخ لأب أو الأخ لأم ولعل الذين يصنعون هذا لا يفرقون بين هذه الأمور «جليلة الخطر». حتى ولو كانوا من أهل الكتاب لأن دينهم يحرم هذا ما في ذلك شك.

السباحة تغني عن الغسل

● **هل تغني السباحة عن الغسل ؟**

بلعيد سالم داوودي - المغرب

■ لا بأس بهذا إذا حضرت النية قبل السباحة بماء طهور حلال.

وما تسأل عنه من كتب ابن قتيبة، فهي جيدة وخاصة كتابه [**تأويل مختلف الحديث**]. وقد قرأت عن **أحمد بن حنبل** أنه قال: ثقة، يعني **ابن قتيبة**.

ليس صحابيًا

هل أبو رجاء العطاردي صحابي ؟

سليمان . د. م. الرياض. كلية أصول الدين.

■ ليس من تسأل عنه من الصحابة حسب علمي لكنه مخضرم فهو قد أسلم في زمن النبي ﷺ لكنه لم يره ورأى كبار الصحابة رضي الله عنهم، ويعد من كبار التابعين وله روايات جاءت عن طريقه عن بعض الصحابة، والذين ترجموا للتابعين وطبقاتهم ذكروه، فإذا أردت التوسع فيمكنك أن ترجع لهذه التراجم.

القصاص بالغيبة

● **هل يصح الإضرار بالمسلم بالغيبة حتى يقتص منه ؟**

. م . م . م .

جدة

■ سؤالك عام وفيه إشكال لكن في الجملة لا يجوز هذا لأن قد يتعدى القصاص إلى الجور فالظلم، وقد ينتصر هذا فيدعو على الذي ناله بسوء صراحة أو تعريضًا فتنبه.

ربا صريح

● **لم أقدر على سداد ديني الذي عليَّ وهو لقريب لي يملك محلاً تجاريًا لكن يقول نؤجلك سنة أخرى، ونضيف عليك ٣٪ فقط فهل يجوز هذا ؟**

مبارك بن وردان به بهجان العنزي - الكويت.

■ مثل هذا لا يجوز القيام به من قبل هذا الرجل فهو ربًا صريح بسبب بين الضرورة، أنك لم تجد ما تسدد به دينك. ومادمت قد سألت العلماء من قبل فليتك اكتفيت بهذا، لكن الجواب هو، ما كتبته.

ردود قصيرة

● الأخ محمد بن فهد السالم - ينبع : يصلك جواب خاص.

● الأخ س. م. ل - مكة المكرمة :

لعل تراجع الإمارة فهذا شيء يخصك رسميًا.

● الإخوة محمد. م. م - وس. ل. الحمدان وناصر . س. ي وعلي، وخالد وفهد، - القصيم - بريدة.

هذا من اختصاص المحكمة، فعودوا إليها.

● الأخت نورة. س. ط - البكيرية :

لم يقع الطلاق، والوالدة أخطأت مرتين :

١) لأنها أخذتك من بيت الزوج

٢) ولأنها لم تستقبله حينما جاء متسائلاً وكان الأولى عدم خروجك أصلاً فارجعي إلى بيته وبيتك ولا تكوني هكذا.

● الدكتور فتحي محمود علي - ج. م. ع - القاهرة : لم تبعث إليَّ بكامل القضية حتى أحكم من خلال ذلك.

● **الأخ علي بن ناصر الهماش - أبو داود - المجمعة :**

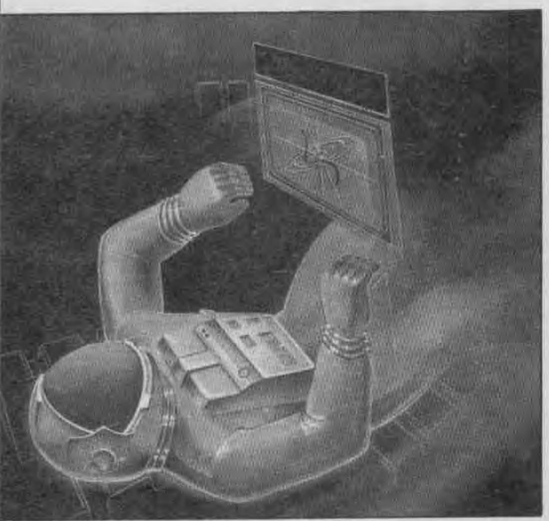
- «من الصعب أن تكسب ذلك الشخص أبدًا حتى تكفر عن «**الخطأ**». هذه العبارة لم أجدها في الكتاب المذكور، آمل الاتصال بي.

○ ○

من تجاربهم

طالما سئلت «ما هي خطاك المباشرة إلى أدب الخيال العلمي ؟ كيف بدأتْ وكيف نمتْ وتطورتْ ؟» وأحيانا كنت أواجه بسؤال أكثر إلحاحا «لماذا اخترت الخيال العلمي خصوصا ؟» وفي مناسبة وحيدة وصفني إذاعي بالذكاء لأنني انتقيت أو قصدت أن أكتب نوعية من الأدب قليلون هم الذين يكتبونها في وطننا العربي .

لكن هؤلاء وغيرهم لم يصيبوا الحقيقة إطلاقا ، فالفنان نادرا ما يختار طريقا محددا لمسيرته الفنية . وإنما هو في تقديري يدفع إلى ذلك دفعا سواء بعوامل تكمن داخل ذاته أو بعوامل خارجية تقوده لتحقيق ما يتولد في حسه ومشاعره . ثم هناك بعدئذ المران والدراسة والمعايشة ، إلى أن تكتمل شخصية الفنان وتثبت قدماه على أديم صلب عبر الطريق الصحيح . وهكذا فإن تبلور الاتجاه العلمي في كتاباتي لم يأت دفعة واحدة ولا قصدته قصدا ، وإنما هو محصلة لمراحل تطور مختلفة مررت بها روائيًا وقاصًا .



تجربتي مع أدب الخيال العلمي



بقلم: نهاد شريف





الأعوام الأولى في طفولتي وجدتي لوالدي تحكي لي سيلا لا ينضب من أساطير ألف ليلة وليلة ، وتأملي رسومات والدي الفنان التشكيلي ومشاركته جولاته الاستطلاعية في ريف مصر ، هذه مرحلة . ثم انكبابي في صباي على قراءة مؤلفات كامل كيلاني وغيره من مؤلفي قصص العلوم المبسطة ، وبعدئذ تعرفي أمهات الكتب في مكتبة جدي لوالدي ومن بينها مؤلفات الفارابي وابن طفيل وابن خلدون وجول فيرن وويلز وهاكسلي وماري شيللي وغيرهم ، وهذه مرحلة أخرى .

فلما بلغت الرابعة عشرة وجدت متعة جديدة في مراقبة السماء بالمنظار العادي ثم بالمنظار الفلكي من مرصد حلوان الذي يعمل به قريب لنا ، كما اهتممت بتفقد مناطق الآثار القديمة والتعرف على الأدوات العلمية الإسلامية وغير الإسلامية في المتاحف والكتب ، وارتياد مرتفعات شرقي حلوان وبها وادي حوف وجبل الرخام الشهيران ، وهذه مرحلة ثالثة .

أما عملي الصحفي في القسم العلمي بمجلة آخر ساعة ، وكتاباتي العلمية للإذاعة ، وشغفي بمحادثة العلماء والخبراء والمتخصصين في شتى ضروب العلم والمعرفة ، فهذه مراحل أخرى في حياتي .

وفيما بعد وبينما أتنقل ـ بعد تخرجي ـ في وظائف إدارية خارج القاهرة ظلت أحلام صباي بكل رؤاها الغامضة وشطحاتها العنيفة المتلاحقة تطاردني . حتى توصلت بعد قراءاتي المتتابعة في مكتبة جدي وما أقتنيه من كتب أنفق عليها الكثير من دخلي ، وبعد تعودي الاستغراق والتحليق الدائم مع خيالي ، توصلت بعد ذلك كله إلى معرفة ذلك الأدب المتميز أو العالم السحري الذي يسمى (أدب الخيال العلمي) . وبمرور الوقت وجدت

من تجاربهم



الشجاعة في مطلع عام ١٩٦٤م على إطلاق العنان للحبيس من أفكاري وتخيلاتي معبرا عن ذلك كله بتدوين أول عمل قصصي مطوّل لي، وكان رواية سميتها «**قاهر الزمن**».

وبذا صدق ما أكده الأستاذ الدكتور حسين نصار عميد كلية آداب القاهرة في ذلك الوقت لطلبته وهو يعلق على تجربتي الذاتية خلال لقائي بهم: «**بأن التحصيل الأكاديمي يجب ألا يكون النهاية لطموحات الشباب فلا بد من الاطلاع الشخصي ولا مفر من المعرفة الجانبية، فرب قراءة شيقة أو رؤية موضوعية أو مناقشة مع متخصص تكون أكثر نفعا من دراسة محددة أو هي تكملها وتضيف إليها**».

وهذا هو عين ما جرت به حياتي. فبرغم دراستي في قسم التاريخ بآداب القاهرة وانتسابي لمعهد الدراسات الإسلامية فإن قراءاتي الحرة في العلوم وتطبيقاتها كانت أكثر تأثيرا ووقعا في مشاعري وأكثر فائدة لمسيرتي الأدبية. ومن ثم اتجهت إلى الكتابة الروائية والقصصية المتكئة على الخيال العلمي. وقد استفدت يقينا فيما بعد من دراستي الأكاديمية في كتاباتي الدرامية، **فالكاتب الإنجليزي كينجزلي آمز يضع دارس التاريخ على رأس من يتصدرون لكتابة قصص الخيال العلمي، فهو الأدب الذي يعبّر عن مراحل وملامح تحضّر بشر كوكبنا من خلال تقدم العلوم وتطور منجزاتها نتيجة لتقدم الفكر الإنساني وتشعب أهدافه وطموحاته**. في حين أن عملية التاريخ هي تحليل وتسجيل لمسيرة الحضارة ومواكبة لقفزاتها وموجات تألقها وازدهارها، وكذا لما يصيبها من انتكاسات أو اضمحلال. **فارق واحد يتضح لنا بينهما هو أن التاريخ يتكلم دائما عن الماضي بينما ينفسح المجال أمام الخيال العلمي في الماضي والحاضر والمستقبل معا! بل وفي مقدوره المزج بينها وإحلال الواحد منها مكان الآخر!**

فن وعلم

لكن ماذا عن عالمي الشديد الخصوصية وسط كتبي وأوراقي والومضات المتلاحقة الحاوية لأدق أفكاري؟ ماذا عن البوتقة التي تجمع بين شفافية الفن وحقائق العلم في لغة تبحث وتنبش دوما عن رؤى المستقبل ومعجزاته وقد شقها وبرز منها إنسان الغد؟

فإذا كان كتّاب الخيال العلمي يقابلهم قدر هائل من المشقة قد لا تواجه غيرهم من المبدعين فقد عوّدت نفسي على تحمل ذلك طوال ربع قرن أو يزيد من العطاء في أدب النوع. بحيث استقرت قناعتي على عدم امتلاك رفاهية الاستقرار أثناء مزاولتي عملي حيث تتوزع حاجتي على الدوام بين الرجوع إلى الكتب والمستشارين والمذكرات المدونة والمشاهدة العينية على الطبيعة، وجميعها بالغة الجفاف والتعقيد والتشعب، ناهيك عن مدى حرصي على الدقة العلمية وتوخي روح العصر.

> ”
> **قضيتي تتبلور في الخوف الشديد على مصير الحضارة البشرية**
> “

ومما يثقل كاهل كتّاب الخيال العلمي ويثقل كاهلي ضرورة استيعاب الكم المذهل من الحقائق والمعلومات والنظريات المتلاحقة كالسيل، وهي أيضا متغيرة ومتفرعة تشمل كل كبيرة وصغيرة في أرجاء كوكبنا الأرض: في باطنه وعلى سطحه وعبر أجوائه صعودًا إلى رحاب الكون الفسيح.

وهنا يبرز العناء الشديد حول القضايا التي يلتزم بها قلمي، وأولها **مصير الحضارة البشرية بل الوجود البشري برمته**. فمع أننا نجد كمًّا هائلاً من منجزات العلم وتقنياته يرفع من قدر الإنسان ويدفع لتمتعه بالرخاء والتحضر، إلا أن مجرد إلقاء نظرة على ما يصنع من أدوات الدمار والفناء، والمداومة على ابتكار المزيد الأشد فتكا منها، ثم تخزينه في أقبية سرية ومنتشرة إنما يعلن التهديد المباشر ليس لحضارة البشر فقط وإنما لوجود الحياة بصورها كافة ومن جذورها بمجرد الضغط على الأزرار.

وعليه فلا بد من التزامي بالرؤية الموضوعية المتسعة التي تعم عالمي بوصفه كلاًّ قبل التركيز على الرؤية المحلية المحدودة. فإذا كانت حساسيتي مفرطة تجاه آلام ناسي وأهل بلدي فهي كذلك تجاه كل البشر على كوكبنا وما يكابد هؤلاء من إحباطات وانتكاسات وأهوال ومخاطر، أبرزها وأقربها إمكان إبادة الحياة في لحظة حمق وجنون مما يستوجب معرفة شاملة وتفهما عميقًا لمشكلات التقدم العلمي والتفوق التقني في الحرب والسلم على السواء.

منهج الكتابة

أما منهجي في كتابة الرواية فهو منهج شاق وطويل، يحيطه كم من الشك والانفعال الذي قد يصل إلى درجة المرض. والبداية لا تخرج - في كثير من الأحيان - عن مجرد فكرة عابرة، وفجأة يبرز أمامي شيء، ملمح صغير باهت، أجده في طيات حقيقة علمية، وتبرق وتتراقص أحداث وشخصيات وحوارات وهي تتجمع لتحدد موضوعا. عند ذلك ينشط كياني كله، وتبدأ المعاناة لمعرفة مدى إمكان إخضاع هذه الحقيقة لعمل درامي مع استنباط المتوقع والمحتمل لتطوراتها في المستقبل. كيف؟ وعلى أي صورة؟ وبأي بداية وأي ترتيب وأي مسار يقودنا إلى أي نهاية؟

وغالبية أفكاري تأتيني وأنا جالس بداخل جسم متحرك كقطار أو طائرة أو سيارة أو سفينة إلخ. بل إن كثيرًا من ملامح روايتي «**قاهر الزمن**» تبلورت وتكوّنت في مسودات كتبتها في أثناء جلوسي بقطار مترو حلوان. فخلال ذهابي وإيابي

طيلة عام ١٩٦٣ إلى العاصمة استلهمت موضوعي وأنا أطل من البعد على التلال الرمادية وفي حضنها مـرصد الضـاحية حلـوان التي أسكنها . وبمـرور الأيام سجلت أحداث الرواية وهي عن طبيب عالم أعد الجهاز الأمثل لتبريد الإنسان ثم تجميده . وما إن تخطى الطبيب بجهـازه حدود الـزمن حتى أعـد قلعة منيعة في عمق الجبل جمد بها مجموعة من خيرة علماء العالم بعد اختطافهم ، ليبدأ بهم عصرا جديدا مسالما وخَيِّرًا في أعقـاب قيام الحرب العالمية الثـالثة والتي يتـوقعها حربـا ذرية تفني الحيـاة على سطح الأرض !

خوف على الحضارة

وكنت مرة في رحلة سفر سريعة للخارج أواخر عام ١٩٧١م فأزعجني قـراءة تقرير لليـونسكو عن اكتشاف عـدة معارض أقيمت للتقنيات المتقـدمة لرفاهيـة الإنسان لم تكن في حقيقة أمرهـا إلا أسواقا لبيع السـلاح . وهكـذا اتضحت في رأسي أثنـاء عودتي بالنفـائة فكرة روايتي « **سكان العالم الثاني** » . وتدور حـول مجموعـة من العلماء الشبان يـرفضون أوضاعـا تسود عالمهم كـابتكار وصناعـة التقنيات التي تضر بالإنسان وتهلكه وتقوّض حضارته ، ومن ثم عكف هؤلاء في مقرهم السري بـواحدة من جزر محيط مـا ليعملـوا بإصرار عشرين عـامـا من أجل سلامة وأمن وخير البشرية وذلك في غيبة من الدول الكبرى المشغولة بأطماعها !

وعشرات من أفكاري المطولة والقصيرة عكفت على إبرازها في أعمال درامية لي بعد أن توصلت إليها خلال رحلات قمت بها في الخارج والداخل ومنها ما كتبته على عدة ليال محمـومة عقب رحلة داخلية لمرصد القطامية الشهير عام ١٩٨١ ليتبلور في رواية سميتها «**الشيء**» وتكشف عما يمكن حـدوثـه في حالة مجيء طبق طائر من كوكب غير الأرض وكيفية الاتصال بـالكائنات الذكيـة التي أتت به من عمق الفضاء ! !

كـذلك عقـب أدائي العمـرة عـام ١٩٨٣ سجلت خـلال عودتي طـائرًا من الأرض الطاهـرة وعلى وريقـات الخطـوط الرئيسـة لـروايتي القصيرة «الذي تحدى الإعصـار» . وهي عن كيميائي يجري أبحاثا لتركيب مواد دوائية فإذا بشخص حاقد يدبر لـه مكيـدة تـؤدي إلى تفجير المعمل وقت إجـرائه لتجربة معينة ، وبذا يفقد الكيميـائي كافة حواسه ببتر ذراعيـة وفقده عينيـه وأنفـه وفمه . إلا أن هـذا الشاب ـــ رغم انعدام اتصـاله الحسي بمن حـوله ـ يستطيع بقوة إيمانه الداخلي أن ينتقم على البعد من مدبر الجريمة .

أما روايتي «**ابن النجوم**» فقد تراءت لي أحداثها على فترات خلال رحلات ثلاث إلى تركيا لم أسجل مسوداتها إلا في الرحلة الرابعة عام ١٩٨٩م في قلب العـاصمـة الثانيـة أو القـديمـة **اسطنبول**. حيـث عكفت بـالطابق الحادي عشر بأحـد فنادقهـا على وصف أصعب لقاءات البشر وأهمهـا حين تتم مع كائن قادم من كوكب يسبقنا علميا وحضاريا بألف عام . ثم تطـرقت إلى علاقة حب فـزواج يعقد بين الكائن القـادم من الأقاصي وفتاة مصريـة بسيطة .

وتساءلت في ختام الرواية «ترى إلى أيّ من الكوكبين ينتمي الابن ثمرة هذا الزواج الفريد ؟ أإلى الكوكب الذي قدم منه أبوه أم إلى كوكب الأرض الذي ولدت عليه أمه ؟» .

غير أن أعمالا أخـرى متعـددة كتبت أثنـاء نشاطات مخيلتي وأنا جـالس على مكتبي بالدقي . وهذه مثل روايات : «**تحت المجهر**» و«**ملكة ملوك الدنيا**» و«**غول الميناء**» ومسرحيـة «**أحزان السيد مكرر**» وعـدد كبير من قصصي القصـار وأغلب دراساتي ومقالاتي النقدية .

والصياغة الفنية لأي عمل أنجزه ـ على عشقي له ـ يحتاج إلى الصبر والانقطاع لأدائه بعيدا عن أية مشاغـل أخرى . وقـد تعودت أسرتي الصغيرة على تكـرار لجوئي إلى العـزلـة والصمت والتأمل . وقـد تطول عـزلتي فتمتد أيـاما وشهـورا حتى أنتهي من كتابة الروايـة أو المسرحية ، أما القصة القصيرة فقلما تستغرق أسبوعا . والـوصول إلى ختام العمل الفني لا يعني أبدًا الانتهاء منـه . وإنما تتلو ذلك مراحل من قـراءتـه ومراجعتـه والتركيـز على دراسـة بعض تفاصيله ، فإذا اقتنعت به بعـد ذلك بوصفه وحدة فنيـة متماسكة قـدمته مـولودا جـديدا إلى النـاشر . حينئـذ فقط أحس بـالـراحـة وألتقط أنفـاسي ، ثم سرعان ما أجدني محاطا بفراغ قاتل !

وأسرتي وأغلب أهلي وأصـدقـائي ومعـارفي يعرفون أني إنسان ليلي . فأكثر أوقاتي ثراءً وانهماكًا في الكتابة تكون عقب انتهاء الإرسال التلفازي . حيث ينـام الجميع وتهدأ الحركـة فـانهمك بعملي وأنسى نفسي وأظل في دوامتي حتى يطل الفجـر . لأجـد متعـة كبرى في مراقبـة خيـوط الضـوء الوليـد وهي تتسلل من خلف الأفق وتعبر زجاج نافذتي ، عندئذ فقط أتوجه إلى فراشي فأنام نحو أربع ساعات وأنام نصف ذلك عصرا .

بقي أن أذكر أنني متى نشرت كتابا يضم عملا دراميا لي لا أعـود إلى قراءته ثانيـة . وإنما أضعه مع كتبي المنشـورة قبلــه على رف خــاص بمكتبتي ، وأنساه تماما . فبتحوّل مؤلف لي من أوراق خطية إلى كتاب مطبوع يكون قد بلغ سن الرشد . وبذا يخرج من دائرة رعـايتي وعنـايتي الشخصيـة إلى دائرة مواجهته لقرائه ونقاده ودارسيه .

الكاتب في سطور



ـ ولـد في الإسكنـدرية عام ١٩٣٠م ونشأ في حلوان وأقام في القاهرة .

ـ حـاز على ليسانس الآداب من جـامعـة القـاهـرة عـام ١٩٤٩م .

ـ عمل في مجالات ثقافية وصحفية متعددة .

ـ أحسّ منذ شبـابه الـمبكر بميل إلى الأدب الروائي والقصصي ، فأغناه بالمطالعة والتجوال ، ونال عدة جوائز أدبية ، ونشرت عنـه مقالات وأبحـاث ورسائل ، وتـرجم بعض إنتاجه إلى بعض اللغات الأجنبية .

ـ قامت شهرته على مادة الخيال العلمي ، ويعد واحدًا من أبـرز من عـالجوا هـذا اللـون من الكتـابـة في العـالم العربي .

ـ قدمت روايته «قـاهر الزمن» فيلمًا سينمائيًا ، واقتبس من قصته « الماسات الزيتونية » فيلم تلفزيوني .

ـ له ما يقـرب من عشرين أثرًا من الروايات والقصص المبنية على الخيال العلمي ـ وله مشاركات يسيرة في بعض الموضوعات .

○ ○



الرؤية الإسلامية في ديوان "في زورقي" للشاعر عبد الله بن إدريس

محمد شلال الحناحنة

الشاعر عبد الله بن إدريس من الشعراء القلائل الذي جعلوا للكلمة تأثيرها القوي في مخاطبة المسلمين أينها حلّوا، ممّا هيأه ليأخذ موقعه المتقدّم بين شعراء الاتجاه الإسلامي، فكان خير ممثل لهذا الاتجاه في المحافل الثقافية العربية والدولية، ولم يزل صوته الشعري دافئاً ومعبّرا بصدق عمّا يجيش في نفسه الشاعرية الطموح المتطلعة إلى الآمال الإسلامية الرحبة في التحرّر والتقدّم وخلع أثواب الجاهلية البغيضة، ونبذ النعرات الإقليمية الضيقة، ليحلّق في هذا الوطن الإسلامي الكبير، ممتطياً قصائده الرقيقة، ومقترباً من هذه الهموم العظيمة، متوجعا أمام الجراح العميقة، عازفاً أناشيد الجهاد من خلال صور شعرية نامية، ونجد في ديوانه (إلى زورقي) تعبيرا صادقاعن هموم امّتنا العربية الإسلامية ومحنها وآلامها[١] يقول في قصيدة «بشراك يا قدس»

جنودنا يا هتاف الثأر (قدسكم)
تئنُّ من وطأة الأعداء لم تحلِ
ترنو إليكم بعينٍ ملؤها أمل
وأنتمو أمل الإسلام في الجللِ
بشراك يا (قدس) فالتوحيد رايتنا
لم تنتكس أبداً كلاّ ولم تَمِلِ
وسوف تعلو على الأقصى مرفرفة
ودولة الكفر من صهيون في ثكلِ

هذه هي القدس؛ وقلوب الملايين من المسلمين تهفو إليها، تستصرخ أمّة الإسلام، وترنو إلى حملة القرآن، وهو إذ يخاطب قوّاد المسلمين وجنودهم الأوفياء، فإنّه يرى فيهم الإرادة الحقيقية لتحرير **القدس** من براثن الاحتلال اليهودي البغيض، فهم يرفعون راية التوحيد، ويملكون العدّة لدحر العدوّ بإذن الله، وإن لم يكن هؤلاء الأبطال هم أمل الإسلام في الجلل، فمن الكماة الحُماة الذين تنعقد عليهم الآمال؟!

الطنين

أمّا في قصيدة «محنة المغرب العربي» ففيها قدرة فائقة على التعامل مع الأحداث، وهو إذ يستنهض شعوب المغرب العربي، ليجد نفسه معهم، يقاتل في صفوفهم، وهو العربي المسلم الذي يعي دستور الإسلام، هذا الإسلام الذي ساوى بين شعوب الأرض قاطبة، ونشر عدله ليكون منارة لبني الإنسان على مختلف أجناسهم، ويبقى هؤلاء العرب المسلمون حماة المثل العليا لخير الإنسانية جمعاء فيقول:

ألم ينشروا الإسلام في كل بقعة
ويُعْلُوا منار الحق في الشرق والغرب؟
أما حكموا من أرض «طنجة» مغرباً
إلى الصين شرقا بالسلام وبالحبّ؟
أما منحوا تلك الشعوب حقوقها
وما طمعوا يوماً بنهبٍ ولا سلب؟



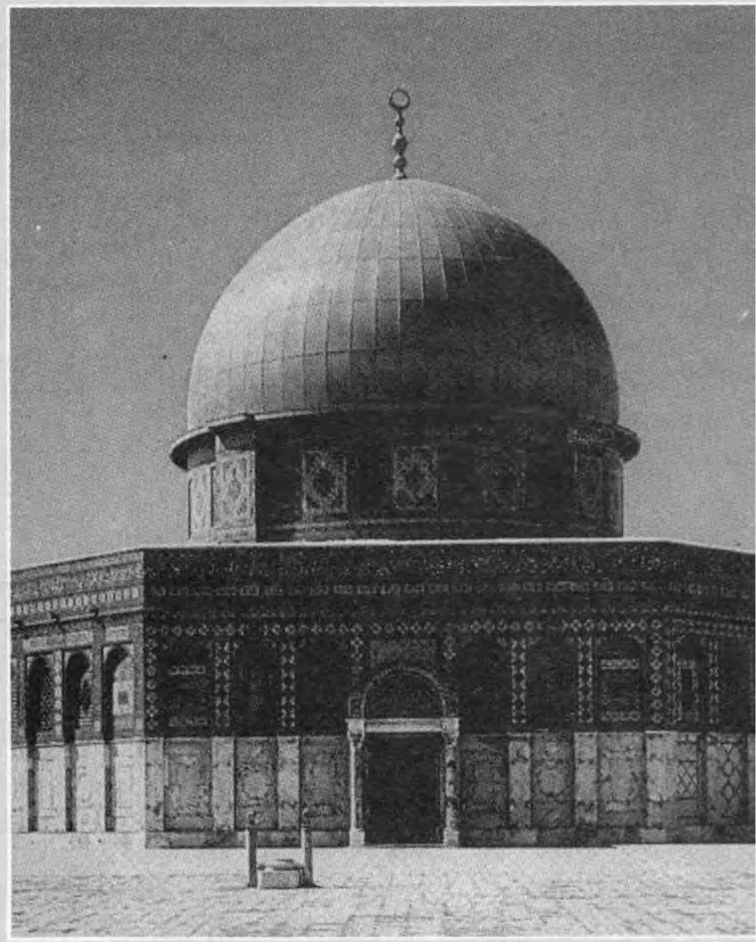
عبد الله بن إدريس

هذا الاستفهام التقريري منح القصيدة رؤية حيّة متقدّمة، ووهبها وقعاً خاصاً. لقد حاولت فرنسا إخضاع الشعوب الإسلامية في المغرب العربي والنيل من حرّيّتها، لتنفيذ أطماعها الاستعمارية، ولكن صوت الحق كان أعلى من طنين مؤامرات الأعداء وخططهم، فوقف الجميع صفاً واحداً معتمدين على الله أوّلا ثمّ على القوّة المادية التي أمرنا الله بإعدادها في قوله: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ (سورة الأنفال الآية / ٦٠).

وشاعرنا عبد الله بن إدريس يدرك طريق النصر جيّداً، فلا بدّ أن يمرّ بالقيام بحقوق الله أوّلا:

لئن وحّدتْ أهدافنا وبلادنا
وقمنا بحق الله في محكم الكتب
سنحيا حياة رغدة وسعيدة
ونبقى حماة الحق في العالم الرحب

ونجد أنّ شاعرنا يغوص إلى المعاني الإسلامية، فيكررها أحياناً ليؤكد مكانة



قبة الصخرة المشرفة ـ القدس

هذا الدين القيّم في النفوس، وجلّ ما يصبو إليه أن يرى عالمنا الإسلامي موحداً منتصراً على قوى الطغيان ورموز الفتنة والشرّ، والحقيقة أنّ الأديب ملتزمٌ بطبعه فإذا تجاوز الالتزام تجاوز حدود طبعه(٢).

ها هو ذا مع الجزائر في محنتها وفي انتفاضتها أيضاً لقهر الأعداء المتربصين، إنّه يقف مع شعب المليون شهيد لسحق البغاة، والقصيدة تنزّ ألماً وتقنص إيحاءاتها اللاهبة من ساحات العذاب والشقاء، وعلى الرغم من ذلك فهي تتأهب لاحتضان المزيد من الرؤى التفاؤلية التي ترنو إلى يوم الخلاص، فنصغي له في قصيدته (صوت من الجزائر):

يا ابن الجزائر يا شريكي في الشدائد والرخاء
ومضمخاً جرحاً تنزّى بالدماء
قمْ نسحق الباغي ونثأر في إباء
لدم الشيخ الكبير
ودم الطفل الصغير

صوب السماء

هذه المشاركة الوجدانية مع الشعب الجزائري الشقيق تتعدى الأحاسيس إلى الاعتقاد الفعلي الذي يرى أن العقيدة خير موحّد، فلا وحدة ولا اعتصام بغير حبل الله، ولا ناصر إلا الله بعد الأخذ بأسباب القوّة والسير على شرع هذا الخالق الكريم، لذلك فإنّ هؤلاء المسحوقين من الفقراء والشيوخ والأطفال والأيتام يتضرعون إلى الله:

وعيونهم صوب السماء
تستنجد البرّ الكريم
عوناً على تلك الوحوش الضاريات
ليعيد أفراح الحياة

ونجد تأثر الشاعر الواضح بالقرآن الكريم ليس بالفكر فقط، وإنّما بالمعنى واللفظ، فقد استخدم في قصيدته هذه عبارات مثل «البرّ الكريم، الصبر الجميل» وكلمات مثل «نحيد، الطغاة، الخزي» وغيرها.

حقًّا أنّ في المملكة اليوم شعراً دينيًّا غزيراً فيه النداء المخلص إلى الوقوف صفًّا واحداً أمام الأخطار الغربية والشرقية الاستعمارية والإلحادية(٣).

فتنهض قصيدة «ثورة عُمان» على فيضٍ من التوهج الديني لحشد انتمائها للصدق القادر على عراك العدو من خلال محاور فكرية إسلامية واعية، فتكتسب قيمتها الفنيّة النابضة متكئة على لهجة تقريعية وسخرية لاذعة من (الإنجليز) المتوحشين فعلاً بغدرهم وفظائع خداعهم، وأساليبهم القمعية في مواجهة «الثورة العمانية»، وشاعرنا عبد الله بن إدريس يدرك بحسّه الإسلامي المتيقظ أنّ الله مع الشعوب الإسلامية المظلومة مهما طال ليل الاستعمار فيخاطب عُمان:

وَطَئِ رقاب «الإنجليز» وأحرقي
برحاب «نزوى» عصبة الشيطان
لك في الجزائر أسوة محمودة
و«ببورسعيد» وشعبها المتفاني

إنّ لعُمان أسوة حسنة في «الجزائر» و«بورسعيد» أمّا الإنجليز عصبة الشيطان فقد كانت شعوبنا من الإيمان والوعي بحيث تدحض مؤامراتهم، وتكشف زيفهم الأسود، مهما تبجّحوا بصون حقوق الإنسان، وتظاهروا بالتحضّر والرقي:

خدعوا الشعوب لحقبة من دهرها
باسم الحضارة والرقي الباني
فإذا الحضارة نزعة وحشية
وإذا الرقي فظائع الطغيان

هذا الشعر لا يستطيع أيّ دارس تجاهله، إن كان يبحث بجدّية عن الالتزام الحقيقي في الشعر، حتّى لو قيل إنّ الشعر السعودي مني بجحود وتنكر من قبل الدارسين العرب(٤).

أخيراً آمل أن أكون قد اقتربت قليلاً من بعض قصائد ديوان: (في زورقي) لشاعرنا عبد الله بن إدريس.

الهوامش:

١ ـ من مقدّمة الديوان ص ٤.
٢ ـ الالتزام الإسلامي في الأدب للدكتور محمد بن سعد بن حسين ص ١٢.
٣ ـ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية للدكتور بكري شيخ أمين ص ٩٥، ٩٦.
٤ ـ الشعر في البلاد السعودية في الغابر والحاضر للأديب (أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري) ص ١٤.

من المكتبة السعودية





د. غيثان علي جريس

- **العنوان** : افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية .
- **المؤلف** : د. غيثان علي جريس .
- **الناشر** : نادي أبها الأدبي .

احتلت قضية الاستشراق والمستشرقين، أهمية خاصة بين قضايا العصر، إذ تجلت في اهتمام بعض علماء العالم الإسلامي، حيث حاولوا تتبع مسارها، والتحقق من كل ما كتبه المستشرقون في مؤلفاتهم وبحوثهم، وتعد سيرة رسولنا ﷺ من أهم الموضوعات التي شغلت أذهان المستشرقين والتي بذلوا فيها كثيرا من الجهد والعمل الدائب في سبيل دراستها ومناقشتها وتحليلها، وقد اختلف المستشرقون الذين كتبوا عن الإسلام بوجه عام، وعن السيرة النبوية بوجه خاص، في أهدافهم ودوافعهم ووسائلهم حتى أصبح من المسلم به التفاوت والاختلاف في كل ما ألفوه وكتبوه وأصبح لزاما على كل باحث جاد ومنصف أن يعرف هذه الكتابات ودس الدسائس والأباطيل عليه .

حول هذه القضية المهمة يدور كتاب «افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية» لمؤلفه الدكتور غيثان علي جريس رئيس قسم التاريخ ــ كلية التربية ـ جامعة الملك سعود ـ فرع أبها .

يقول المؤلف في مقدمة كتابه : نظرًا لأهمية موضوع الاستشراق رأيت أن يكون لي شرف الإسهام بنصيب في الكتابة فيه، محاولاً التركيز على ما ذكره المستشرق الألماني كارل بروكلمان من افتراءات ومغالطات حول السيرة النبوية في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية الذي قام بترجمته إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي وكانت أولى طبعاته بالعربية في عام ١٩٤٨ . ويعتمد المؤلف في الرد على كتاب بروكلمان على الطبعة الثامنة منه .

ينبه المؤلف قارئ كتاب بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ــ إلى أن هذا الكتاب لا تخلو صفحة من صفحات الجزء الخاص بالقرون الإسلامية المبكرة إلا وقد عمل بروكلمان ما في وسعه لتشويهها وتشويه حقائقها وتزييفها، حتى إن القارئ المسلم عندما يطالع هذا الكتاب يحس بمدى التعصب والعداء الذي يحملها هذا المستشرق في كل ما كتب عن تاريخ الإسلام والمسلمين .

فهذا الحاقد يبدأ حديثه عن الشخصية العربية للبدوي العربي فيقول : « والبدوي كائن فردي النزعة مفرط الأنانية قبل كل شيء، ولا تزال بعض الأحاديث تسمح للعربي الداخل في الإسلام أن يقول في دعائه : «اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا» وطبعا لا أحد ــ عربي أو غير عربي ــ يقر بروكلمان على افتراءاته هذه .

والشيء الذي ينكره بروكلمان نفسه وغيره من المستشرقين المغرضين أن العرب قبل الإسلام برغم ما كانوا عليه من انحرافات عقدية وأخلاقية، كانوا يتمتعون بصفات طيبة لم يعرفها الغربيون من القديم أو الحديث، ومن معجزات الإسلام الخالدة أنه صنع منهم أمة منضبطة لا تتحكم فيها الشهوات ولا النزعات الفردية .

وحاول بروكلمان التشكيك في أصول الإسلام كلها، ابتدأ بشخص الرسول ﷺ منذ لحظة ولادته، فقال في صفحة ٣٢ من كتابه عن ميلاده : « والمشهور أن ولادته كانت حوالى سنة ٥٧٠ م ولكن الذي لا شك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشيء » . ويرد المؤلف بأنه من المتفق عليه أن المصادر التاريخية الأولية أجمعت على أن ولادته ﷺ في ٥٧٠ أو ٥٧١ م وهو العام الذي يعرف بعام الفيل، أما ما أشار إليه بروكلمان بأن تاريخ ميلاده متأخر عمّا ذكرت المصادر، فهذا أمر ليس بغريب على مستشرق متعصب لدينه ولأهوائه الشخصية، ثم إن بروكلمان لم يكن وحده الذي قال بهذا القول، وإنما هو نفسه قد أخذ معلوماته من مستشرق آخر أشد تعصبا وأكثر مغالطة من بروكلمان وهو الأب هنري لامنس اليسوعي الذي حاول جاهدًا أن يؤخر ميلاد الرسول ﷺ عشر سنوات حتى ينقضي القول الشرعي الذي يقول إن محمدًا ﷺ بعث على رأس الأربعين من عمره، ثم يخرج إلى القول أنه ما دام الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين فهو إذًا ليس نبيًا، وهذا فعلا ما كان يهدف إليه بروكلمان .

ويستطرد المؤلف في تتبعه افتراءات بروكلمان في نقطة أخرى تناول فيها عشيرة الرسول ﷺ حيث يقول بروكلمان : « وليس يبدو أن عشيرته «هاشم» قد لعبت دورا على شيء من الامتياز، والواقع أن الروايات الإسلامية قد سعت إلى أن تحيط النبي بهالة من التمجيد منذ اللحظة الأولى ، ولكن هذا لا ينفي حقيقة مقررة، وهي أن أسرته كانت تعاني في الحقبة التي ولد فيها ظروفا قاسية جدا . والمعتقد أن والده، عبد الله ابن عبد المطلب، كان تاجرا صغيرا مات في رحلة تجارية إلى المدينة » .

ويقول د. غيثان ردًا على ذلك : وعندئذ يبدأ بروكلمان حديثه بعدم الثقة بنفسه وبما يقول، فهو يذكر من أول كلامه «وليس يبدو . . . . » وهذه العبارة لا تفيد صحة القول وإنما هو يبني أقواله على الاعتقاد والتخمين، ثم يكرر هذا الاعتقاد في آخر حديثه عندما قال « والمعتقد أن والده » فمثل هذا الأسلوب وهذا التحليل لا يوافق المنهج العلمي الصحيح، وخصوصا أن بروكلمان وأشباهه من بني جلدته يدّعون المنهج العلمي شعارا لهم، بالإضافة إلى ذلك فإن من يبحث في بطون المصادر عن تاريخ بني هاشم وعن قبيلة قريش التي ينتسب لها الرسول يجدها مثل العلم في بلاد الحجاز، وإذا كنا لا نعترف بمجد بني هاشم وقريش وتأثيرهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي فمن الذي نعترف به ؟ !

ويعرض المؤلف لرأي بروكلمان في اتصال الرسول ﷺ باليهود والنصارى، كقوله : «وأغلب الظن أن محمدًا قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جدا . وهو أمر لم يكن مستغربا عند أصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرت العبادة الوثنية عن إرواء ظمئهم الروحي . وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد » .

وكما تعودنا من هذا المستشرق أن يبني أقواله على الظنون، فهو أيضا يكرر هذا النوع من الأقوال التي يظنها حسبما يرى ويملي عليه ضميره، وكونه في بداية حديثه يصف الرسول ﷺ بالاتصال بمن حوله من العرب الذين كانوا يفكرون في المسائل الدينية لهو أهون من أقواله الباطلة التي ختم بها حديثه مشيرًا إلى أن الرسول ﷺ اتصل باليهود والنصارى خارج الحجاز وداخله ليتعلم على أيديهم معلومات الدين التي جاء بها، ولم يكن بروكلمان وحده في توجيه هذا الاتهام إلى رسولنا محمد ﷺ وإنما سبقه العديد من المبشرين والمستشرقين المغرضين الذين يرددون هذه الادعاءات

الباطلة ، فالمستشرق اليهودي المجري «جولدزيهر» يقول عن معلومات الدين الإسلامي التي جاء بها الرسول ﷺ بأنها ليست « إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية » . وعدد آخر من المستشرقين أمثال «بلاشير» في كتابه «معضلة محمد» ومونتجمري وات في كتابه «محمد في مكة» وغيرهما يذكرون ما ذكره بروكلمان وجولدزيهر، بل ويسمون أشخاصا من أصول يهودية أو مسيحية كورقة بن نوفل من مكة، وبحيرا الراهب في بلاد الشام وعبد الله بن سلام اليهودي في يثرب، كانوا على حد قولهم قد اتصلوا بمحمد بن عبد الله ﷺ ليعلموه بعض المعلومات من كتب اليهود والنصارى .

وهذا نفس ما قاله المشركون من قريش للرسول ﷺ أن ما ذكر في القرآن يشبه بعض ما يقوله اليهود في كتبهم فرد عليهم عز وجل بقوله تعالى ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين . وإنه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ .

ويسترسل بروكلمان في حديثه عن نبوة محمد ﷺ وعن الوحي فيقول : « لقد تحقق عنده [أي الرسول ﷺ] أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة فكان يضج في أعماق نفسه بهذا السؤال : إلى متى يمدهم الله في ضلالهم، ما دام هو عز وجل قد تجلى آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه ؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة ، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة ولم تتبدد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء . ذلك بأن طائفا تجلى له هناك يوما، هو الملك جبريل، على ما تمثله محمد فيما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة، ولم تكد هذه الحالات تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله» .

ويرد د . غيثان فيقول : إن بروكلمان يورد هنا ما قاله المشركون في عهد الرسول ﷺ وما يقوله ويعتقده المستشرقون أمثاله فهم ينظرون إلى رسالة الإسلام بأنها كذب، وليس لها مجال من الصحة، وذلك واضح من ألفاظ بروكلمان وعباراته في أن محمدًا ﷺ نضجت عنده فكرة أنه مدعو للرسالة، ثم إنه تصور نزول جبريل عليه السلام بالرسالة، فقام وأعلن أنه نبي مرسل، إلى غير ذلك من الهراء الذي لا يقوله هؤلاء المغرضون إلا من قبيل التعصب الديني المبني في الأساس على عداء سياسي، إنهم ينكرون أن يكون محمد ﷺ ذا نبوة صحيحة، في حين يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل، وهذا أمر طبيعي عند من عمي بصره عن طريق الحقد .

ويستعرض المؤلف آراء بعض الأعلام الذين ردوا على بروكلمان في هذه النقطة حيث يقول الشيخ محمد الغزالي : «ونحن نتساءل هل هذا المستشرق ينكر الوحي جملة ؟ وإن كان الأمر كذلك فلا نبوات البتة، وسقطت ديانته قبل أن تسقط الديانة التي يهاجمها، وإن كان يؤمن بالوحي ويصدق أنبياء اليهودية والنصرانية وحدهم — قلنا ما سر هذه التفرقة ؟ أهو تعصب لما ورثت عن آبائك وقومك ؟ لك ذلك - ولكن لاتسمِّ هذا المسلك علما نزيها ولا بحثا محايدًا» .

والمستشرق جونسون يؤكد على حقيقة دعوة الرسول ﷺ في كتابه الديانات الشرقية فقال : «وجاء الرسول محمد ﷺ بشريعة عامة اجتمع فيها ما تفرق من أنوار الهداية التي نزلت على قلوب الأنبياء، وهذه الرسالة التي أداها بهمة وغيرة لا تعرف الأنانية، فلو ادعاها لما كانت جلية الشأن حتى نفخت الحياة في شعب غرق في سباته، وجمع بها شتات القبائل المتنازعة وخلق منها أمة يحدوها العمل ويطبعها بالنعيم الأبدي» .

التشكيك في عالمية الإسلام

كما ينكر بروكلمان أن الإسلام والرسالة التي نزلت على رسولنا محمد ﷺ كانت رسالة عالمية، غير مكترث بكل ما ورد من آيات في عمومية رسالة الإسلام، ويرى د . غيثان بأنه من الغريب أن يشكك كل من بروكلمان ووليم بيور في صحة عموم الرسالة وأن يبنيا شكهما هذا على أن محمدًا ﷺ لم يكن يعرف غير بلاد العرب وأنها كانت عالمه الذي لم يفكر في سواه وأن الرسالة الإسلامية لم تكن إلا لتلك البلاد، وأن محمدًا ﷺ منذ بعث إلى أن مات لم يوجه دعوته إلا للعرب دون غيرهم، فهل تجاهلا أم خفيت عليهما وعلى وغيرهما من أبناء جلدتهما صلة قريش بأجزاء عديدة من العالم في ذلك العهد ؟ كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سافر قبل البعثة أكثر من مرة إلى بلاد الشام لمزاولة التجارة ، فكيف يتجاهل المغرضون من المستشرقين تلك الرسل والكتب التي أرسلها ﷺ إلى ملوك دول العالم في وقته يدعوهم فيها إلى عبادة رب العباد وإخلاص التوحيد لله عز وجل والفوز بالجنة والنجاة من النار إذا دخلوا الإسلام ؟

ويواصل د . غيثان في كتابه استعراض مواقف بروكلان من الإسلام ونبيه فيعرض لآرائه مفندا لها بالردود العلمية الإسلامية التي تدحض افتراءات هذا المستشرق وأمثاله على ديننا الحنيف، حيث تناول عدة موضوعات أخرى أهمها نظرة بروكلمان إلى موقف المسلمين من الحجر الأسود وفرض الزكاة والصلاة والإسراء والمعراج وغزوة بدر وصلح الحديبية وغيرها من الموضوعات التي ندعو القارئ إلى معرفتها من خلال هذا الكتاب المهم .





حسن حجاب الحازمي

● العنوان : ذاكرة الدقائق الأخيرة .
● المؤلف : حسن حجاب الحازمي .
● الناشر : دار الطائر للنشر والتوزيع .

« ذاكرة الدقائق الأخيرة » هي المجموعة القصصية الأولى للقاص السعودي حسن حجاب الحازمي، وهو قاصٌّ يبدو متمكنا منذ البداية ؛ فقصصه تتراوح بين قصص الشخصية، وقصص الحدث، وقصص الومضة أو اللقطة، إلا أن الذي يلفت نظرك بقوة هو أن أبطاله مطاردون من قوى لا قِبَل لهم بها، ولكنهم مع ذلك ينفجرون سخطا وكبرياء، ومن ثم يتمردون على الواقع الذي يطاردهم .

ففي أول قصص المجموعة « عائدة غدًا » نجد البطلة القروية « هذه الصامتة التي تدعي أنت أنها أدمنت الصمت، مع أنها ليست إلا زهرة ريفية زرعت بعفوية، كانت تقبلها الشمس كل صباح، ويسامرها القمر كل مساء، وتنام على راحتيها النجوم وتحلم » .

هذه الحالة يطاردها واقع شرس متمثل في زوج يعمل حارسا ليليا « يحرس ليلتين، ويرتاح ليلة، والليلة التي يرتاحها لا يكون إلى جواري، بل إلى جوار رفاقه أعمدة الحراسة يلعب (البلوت) . . . » ويطاردها جو العاصمة التي انتقلت إليها من الريف . وفي غربتها تطاردها وصايا أمها وزوجها : « احذري الغربة والغرباء، ويقولون الهاتف يا ابنتي . . . إياك والهاتف، وإياك، وإ . . . » .

عليها إذن أن تحذر هذا الهاتف، ولكن صوته يطاردها ستين ليلة، وهي مطاردة بهواجسها : « رُدّي

فلعلّه زوجك يريد أن يطمئن عليك. لا تردّي فلن يكون إلا واحدًا من خفافيش الليل».

إنّ هذه المطاردة التي توشك أن تفتك بالبطلة تستجيش في نفسها على امتداد ستين ليلة قوى التمرد والمجابهة. فتحنّ الزهرة البرية ـ التي انتزعت وزرعت في الصحراء ـ إلى العودة إلى تربة الريف الوارفة، وتمسك التليفون لتواجه الآخر، الذي كان يطاردها دائماً.

«إنني الليلة لست أنا، متمرّدة ولم يعد هناك ما يخيفني، حقائبي رابضة عند الباب بانتظار الغد، وعمود الحراسة إن عاد فلن يهتم كثيرا لحقائبي، وربما نام دون أن يراها، وأنا لم أعد أهتم به سعيدة أنا بالعودة، والريف لن يرفضني كما رفضته. سأعود في الغد، سأعود إليه وردة ذابلة، فربما وجدت الحياة».

وتتعانق هذه النهاية مع البداية التي ابتدأت بها سطور القصة.

وتشير الجملة الافتتاحية في القصة الأولى: «عائدة غدًا» إلى زاوية المجابهة بين الذات المطارَدة ـ بفتح الراء ـ من الآخر المطارِد ـ بكسر الرّاء ـ كما تكشف عن استكناه قدرة الذات في مواجهة الآخر المتمثل هنا في: الريح، الشتاء، الخوف، ليل الغربة، غرباء العاصمة.

وفي قصة «رسالتان وعشر طعنات» نجد البطلة مطاردة من الآخر، المحدَّد بسياجيْ الزمان والمكان. تقول:

«عشر سنوات وسكينك مغمدة في صدري، وأنا صامتة... عشر سنوات سرقتها من عمري بسهولة، وتريد المزيد... الليل يجثم فوق صدري بكآبته القاتلة، والجدران صامتة».

فها هنا نرى الآخر، الزوج المطارِد للبطلة الزوجة بجبروته وتسلطه وعدم إنسانيته من خلال ألفاظه «سكينك» و «سرقتها» و «تريد المزيد»، والسياج الزماني محدد بـ «عشر سنوات» التي تكررت ثلاث مرّات في الصفحة الأولى من القصة، والسياج المكاني محدد بـ «الجدران» التي توحي بأن البيت أصبح سجنا!

وبعد عشر طعنات تستحكم المطاردة حصارها حول البطلة، ويأتي حموها (والد الزوج) ليسألها:

ـ حليمة! ما بك؟ أتبكي وأنت في بيتي؟

ـ معذرة يا عمي، لقد تجاوزت حدود الزمان والمكان.

ـ وماذا قررت؟

ـ لا شيء بعد.

ـ أعانك الله يا ابنتي.

ولكن زوجها يطاردها كأنثى بعبارات الغزل والثناء فيقول لها في خطاب شاعري اللغة:

«حليمة..

أرجوك عودي، فالعصافير جائعة، والحمام ترك أعشاشه ورحل، وأنا.. أنا غريب بدونك يا حليمة، البيت خواء، وداخلي خواء.

إن لم ترقِّي لحالي فارحمي العصافير، لأنها لا تأكل إلا من يديك، الجميع في انتظارك يا ملاك (كذا) الطيبة، فهل ستعودين؟».

ولكن حليمة التي طاردها واقعها الشرس عشرة أعوام تتمرّد وتخرج من بيت زوجها وهي متأكدة من شيء واحد، هي أنها أصبحت تكره زوجها بالفِعْل!

وإذا كنا قد رأينا في القصتين السابقتين صورة المرأة الواقعية تستقطب اهتمام حسن حجاب الحازمي من خلال صورتي المطاردة والتمرد، فإننا نجده في بعض قصصه الأخرى يستخدم المرأة عنصرا من عناصر تشكيل عمله القصصي، فنجده في قصة «الموت في الظهيرة» يستخدم المرأة رمزًا للدنيا الجميلة، أو الحياة التي يتقاتل عليها الإخوة!

«ذات مساء رأيت أحد السواعد الفتية يفترش تراب الحقل ويبكي، اقتربت منه. كان الدم يتفجر من وريده وساعده.

قلت له: ما بك؟

قال: قتلني أخي!

قلت: لماذا؟

قال: لأجل امرأة!

قلت: وأين هو؟

قال: كلُّهم هناك يطوِّقون أخصار النساء.

قلت له: والحقل والجراد؟

لكنه لم يرد.

هززت ساعد الفتى فارتخى في يديّ. أمسكت بتلابيبه، ورفعته إليّ بقوة. انتزعته من بركة الدم التي يرقد فيها، وأسبلت عينيه ومضيت».

إن المرأة هنا رمز للدنيا التي يتقاتل عليها الإخوة، وينسون أن الأخطار تحدق بهم، متمثلة في الأعداء الكثر، والجراد.

هناك فارق بين الشعر وشعرية اللغة التي يبحث عنها القاص حسن حجاب الحازمي في مجموعته الأولى، وطبعيٌّ في المجموعة الأولى أن نرى الأخطاء ماثلة، وعليه أن يتجاوزها في المجموعات التالية.

فمن الملاحظ على القاص في هذه المجموعة أنه لم ينس أنه شاعر، فيأتي بمقاطع طويلة من الشعر في ثنايا قصصه القصيرة، فيوقف نموّها، ويقطع تسلسل أحداثها، ويسطح شخصياتها، الشعر في القصة القصيرة عند حسن حجاب الحازمي يحدث فجوة تعبيرية، وبدلاً من أن يرتفع بفنية القصة يقلل من فنيتها، فتقف في مرتبة بين القصة والشعر، ويحس القارئ بالحيرة والارتباك، فالنص الذي أمامه ليس شعرًا، كما أنه ليس قصة قصيرة.

إن شعرية اللغة تعني أن تكون لغة القاص تصويرية، ليست جافة خشنة، كما تعني أن تكون الألفاظ محملة بشحنات عاطفية تنفثها في تراكيب الجمل، وتحملها الجمل أيضا حينما تتراوح بين القصر والطول، والأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية، وأن تشي الجمل أحيانا، وتصرِّح أحيانا أخرى حسب حاجة «فِعْل القصّ».

وقد نجح حسن حجاب الحازمي كثيرا في أن يُمسك في قصصه بشعرية اللغة ففي المقطع الأول من قصته «عائدة غدا» يقول على لسان بطلته: «الليل والقمر، وقسوة الشتاء، وأنا لست أنا.

واقفة أنا في النافذة، في وجه الريح، أتحدى رياح الشتاء، وقسوة الخوف، وليل الغربة، وغرباء العاصمة.

متمردة أنا ولا شيء يخيفني».

أما حينما يسوق القاص مقاطع شعرية كاملة في قصته «مقاطع من رحلة الضنى»، فنجد المقطع الأول وعنوانه «أنا» يساق من خلال (بحر الخبب) إحدى صيغ (بحر المتدارك):

آهِ يا زمنَ الصمتِ المندسِّ بأعماقي
ماذا تُخفي؟ قل لي يا حزني الباقي
أو ما حان فراقي
آويتك شوقا أرهقني

إن القصة المعاصرة أفادت من الشعر، ومن فنون السينما، كما أفاد الشعر من القصة والمسرح، وهكذا تتكامل الفنون. لكن لكل فن أدواته، وهذه القصص التي تمتلئ بمقاطع شعرية هي أضعف قصص المجموعة؛ لأن قوى القاص تُستنزف في التشكيل الفني، فيأتي المولود ـ كما أشرنا من قبل ـ وملامحه غير واضحة.

شوق وحرقة

شعر: د. محمد وليد

المسك ملءُ رُباكَ والعَبَق ... والنورُ ملءُ ثراكِ والألقُ
شَطَّ المزارُ إليكَ وانقطعت ... بالسالكين لحُبِّكَ الطُّرقُ
فمتى أعود إليك ياوطني ... وتعودُ لي روحي فأنطلقُ
إني لأذكرُ موطني ولَهًا ... في غربتي فأكادُ أختنقُ

● ● ●

أهواك ياوطني وكلُّ هوىً ... من قلبكَ المعطاء ينبثقُ
أهواكَ في الواحات ناضرة ... أهواكَ في الأمواه تَصطفقُ
في الشَّط مفتونًا بموجته ... تأتي إليه وكلُّها نزقُ
في الرمل.. في دمع الغمام.. وفي ... بوح الروابي هزَّها الغدقُ
أهواكَ في الأنسام عاطرة ... يهفو إليها النورُ والغَسَقُ
في الفجر. في صوت الأذان وفي ... الليل البهيم يشقه الفَلَقُ
في المسجدِ المعمور مؤتزرًا ... بالطهر والأنوار.. يأْتلقُ
في زحمة الأسواق عامرةً ... بالطيبين لرزقهم سبقوا
في المشربيات التي سكرتْ ... فيها العيونُ الحورُ والحَدَقُ
في فسحة الدار التي عشقت ... أضيافهَا.. وضيوفُها عَشِقُوا
في بركة للماء.. صافية ... يلهو بها.. نيلوفرٌ عَبِقُ
وزنابق بالحُسْن تائهة ... يرنو لها المنثورُ والحَبَقُ

● ● ●

وطن الهَوى.. مازلتَ تذكرني ... أم ضاعت الأشواق والحُرُقُ
أوَتَذْكُرُ الطفل الذي دَرَجتْ ... أحلامُه بربَاكَ تنطلقُ
سِعدتْ به دُنيا طفولته ... فجرى مع الأصحاب يستبقُ
ما فيه من هم الحياة سوى ... طيارةٍ أردانُها.. وَرَقُ
وسفينة في اليمِّ من قصب ... يلهو بها.. وقُلوعُها مِزِقُ
إن كنتَ تنساه فقد علقت ... في قلبهِ ذكراكَ تلتصقُ
أهواكَ ياوطني وكلُّ هوىً ... من قلبكَ المعطاءِ ينبثقُ
ياواهبَ الأيام بَهجتها ... إنْ غَالها التسهيدُ والرهقُ
في كل ركن من ثراكَ هوىً ... في خافقي مازالَ.. يحترقُ..
قد مرّت الأيام تُسرعُ بي ... والسُّهدُ في عينيَّ والأرَقُ
وانصبَّت الأحزان مترعةً ... في القلب فهو بدمعه شرقُ
فمتى أعودُ إليكَ ياوطني ... وتعودُ لِي روحي.. فأنطلقُ

من كُتّاب العدد



● الدكتور محمد وليد
- من مواليد مدينة اللاذقية/ سوريا عام ١٩٤٤
- دكتوراه في الطب البشري جامعة دمشق عام ١٩٦٨
- زمالة كلية الجراحين الملكية الأيرلندية لطب وجراحات العيون عام ١٩٨٠م
- أستاذ مساعد في كلية الطب/ جامعة الملك عبد العزيز بجدة حتى عام ١٩٨٨م
- استشاري أمراض العيون في مستشفى بخش بجدة
- عضو جمعية أطباء العيون البريطانية
- نشر العديد من القصائد في الصحف والمجلات العربية
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
- من أعماله المنشورة:
● أشواق الغرباء (ديوان شعر) ١٩٨٨
● معجم أمراض وجراحة العيون ١٩٨٩ بالاشتراك مع د. صادق الهلالي.



سيوف الأجداد برق وذكراهم عطر

حصن عجمان

لؤلؤة في عقد المتاحف العربية

بقلم: كامل يوسف حسين

يُعَدُّ حصن عجمان من أكبر حصون دولة الإمارات العربية المتحدة مساحة، وأقدمها تاريخًا، وقد تم الانتهاء من تحويله إلى متحف تاريخي شامخ، بعد استعدادات استغرقت ثلاث سنوات، توجت بنجاح كبير للحصن في أداء مهمته الجديدة، حيث يقدر طالب النبهاني مدير متحف عجمان متوسط زوار أجنحة المتحف يوميًا بما يتراوح بين مائة ومائتي زائر، يرتفع عددهم في العطلات والمناسبات، التي يحرص المتحف على فتح أبوابه فيها، إلى أكثر من ٣٥٠ زائرًا.

ومبنى الحصن، الذي يضم المتحف، كيان معماري شامخ، يقع في عجمان بشمالي دولة الإمارات العربية. وشأن معظم حصون الإمارات وقلاعها، يتميز باستخدام مواد البناء المحلية فيه، فهو مبني أساسًا من الجبس المحلي (الجص). وعلى الرغم من أن تاريخ بنائه ليس معروفًا، على وجه الدقة، إلا أن أرجح التقديرات تشير إلى أنه يرجع إلى عام ١٧٧٥م. وقد قام **الشيخ راشد بن حميد الأول**، الذي حكم إمارة عجمان خلال الفترة من ١٧٧٥ إلى ١٨٠٠م بترميم جدرانه وإعلاء بنيانه.

ومن المعروف أن **آل بوخريبان**، بناة الحصن وحكام عجمان، ينتمون إلى قبيلة قحطانية من الخزرج، انتقل فرع منها من المدينة المنورة إلى واحة البريمي، واستوطن فرع صغير منها في منطقة الساحل، فأسسوا عجمان، واستمر هذا الحصن مقرًا لحكمهم من ١٧٧٥ حتى ١٩٨١م وشهد أحد عشر حاكمًا، أولهم **الشيخ راشد بن حميد** وآخرهم المغفور له **الشيخ راشد بن حميد بن عبد العزيز النعيمي**، الذي حكم عجمان من ١٩٢٨ إلى ١٩٨١م. وقد حرص كل منهم على إنشاء إضافات إلى الحصن، مع صيانته وترميمه، إلى أن تم في العام ١٩٧٠م تسليمه لدائرة الشرطة، التي اتخذته مقرًا لها حتى عام ١٩٧٨، وقد تم إخلاؤه وترميمه وإعداده بكنوز من التراث والآثار والأعمال الفنية، وافتتح كمتحف لعجمان في ١٩٩١م.

يتكون الحصن من برجين دائريين وبرج ثالث مربع وثلاث وعشرين غرفة، وقد بني فيه نموذج مصغر لأحد أسواق الإمارات، يضم ستة دكاكين، تجسد ما كانت عليه الدكاكين قديمًا، وتشهد هذه الدكاكين من الإقبال الكبير عليها، وبصفة خاصة من الطلاب ومن السياح الأجانب، ما حدا بإدارة المتحف إلى وضع خطة لإضافة اثني عشر دكانا جديدًا، على النهج نفسه، في صورة سوق شعبي خليجي متكامل.

ونستطيع تحقيق إطلالة على ما كان عليه الحصن من خلال وثيقة تاريخية نادرة، هي مقال

متضمن في كتاب «ملوك الرمال» بعنوان «رحلة صيد في ضيافة الشيخ راشد بن حميد» حيث يقول المؤلف ريموند أوشيا الذي كان وكيلا للطيران البريطاني - وقد زار عجمان بعد الحرب العالمية الثانية بدعوة من حاكمها آنذاك - في وصف الحصن مايلي:

«القصر صرح عظيم، يجتذب النظر ببوابته الكبيرة، التي يعلوها قوس ضخم، مقام على عضادتين، وكلها مبنية بحجارة رملية عسلية

لا تتناسب وعظمة القصر، وكأنها شقته من الجدار شقًا، وأدركنا أن سبب ذلك استراتيجي دفاعي، أما البوابة الأخرى الكبيرة، المنفتحة من الجدار الغربي، فقد لاحظنا أن أبوابها الخشبية مزينة بمسامير نحاسية تزيد من وزنها، وأن الجدار الذي يعلوها يرتفع نحو ثلاثين قدمًا، من فوقها شرفة لها شبابيك محكمة التحصين، وخلفها سكن النساء والحريم، ويقبع أمام هذه البوابة مدفع قديم سبك من النحاس، كان مخصصًا للقنابل التي لا يزيد

الحصن وجدرانه وغرفه، التي تم ترميمها وأجريت لها عمليات صيانة شاملة، واستقدم لها خبراء من البحرين وغيرها، صمموا المشاهد الداخلية للمتحف، الذي صنعت مجسماته ولوحاته في عجمان وبأيدي أبنائها.

ويحار الزائر من أين يبدأ جولته في غرف المتحف وقاعاته الثلاثة والعشرين، ولكن ربما يهدي حس تاريخي لا يخيب، أو كأنها استجابة لعطر الأجداد، الذي يعبق به المكان، يجد المرء



هكذا كان الصانع يُعد الحلوى

اللون، ويعد من أجمل القلاع في عجمان، تساند جنباته أبراج سامقة تشبه أبراج القلاع الصليبية، المقامة على سور عكا بفلسطين، يتجه برجان منها نحو الجنوب، ويلاحظ أن هندسة القصر متأثرة بالهندسة البرتغالية التي كانت سائدة في القرن السابع عشر، وكأنها رباطات للدفاع، وسبب ذلك مرتبط بالأجواء الحربية المضطربة، التي سادت الصحراء طوال تلك المدة، وشعب عجمان من أشد القبائل رجولة وصلابة في الحرب، وهو مشهور بالبطولات في جميع أنحاء المنطقة. وترجلنا خارج البوابة، ولما نظرنا إليها عن قرب لاحظنا أنها

وزنها على اثنتي عشرة أوقية، ويثبت عادة فوق الأسوار، ويبرز أنفه من أحد شقوقها للقذف. أما الآن فلم يبق له دور إلا الزينة، وهو من صنع برتغالي على وجه التأكيد، ومازال واقفًا على عجلاته الخشبية القديمة نفسها، وجدران القلعة ظاهر عليها القدم، فالجبس الرملي الذي كان يغطيها أصبح مهترئا يتساقط عنها باستمرار، ومع ذلك فإنها ستبقى رائعة المنظر».

المتحف من الداخل

واليوم، عندما يلج الزائر من بوابة المتحف، تصافح ناظريه المدافع الأثرية، وتشمخ أمامه أبراج

نفسه منجذبًا لزيارة غرفة الشيخ راشد بن حميد، التي كان يستقبل فيها ضيوفه، وهي تقع في الدور الأول، ويصعد إليها الزائر على درج مكسوّ بالرخام الأسود، فيجد نفسه أمام غرفة فسيحة، هي تجسيد صادق للطراز العربي، ذي الذوق الرفيع.

ومن الواضح أن هذه الغرفة قد شيدت مع بعض الغرف الأخرى في الطابق نفسه، في وقت لاحق لبناء الأجزاء الأقدم من الحصن، وقد فرشت أرضها بسجاجيد شيرازية وتركية تغطي أرضيتها الحجرية بالكامل، وفي وسطها طاولة مغربية الطراز، نثرت عليها بعض أصداف اللؤلؤ،

حصن عجمان



في القسم البحري أضواء على عالم الصيد والغوص

وامتدت في جانب منها أريكة حولها بضعة مقاعد، وفي إحدى الزوايا خزانة صغيرة أسندت إليها بندقية «فلنطة» وأخرى ألمانية «ماوزر» وثالثة «مارتيني» وسيف طويل يبلغ طوله خمسة أشبار، دمشقي الصنع، محلى القبضة، يلفت النظر غمده الجلدي الأسود المطرز، الذي تتدلى منه شراشيب مذهبة.

وتضم هذه الغرفة كذلك **مجموعة من ممتلكات الشيخ راشد** الخاصة والهدايا التي قدمت إليه وبعض الوثائق التي تعود إلى عهده والملابس الشخصية التي كان يستخدمها.



قطعة فريدة من مجموعة الأسلحة النارية

القسم البحري

وإذا ذكرت المنطقة، فإنها تقترن على الفور بالبحر، ومن هنا كان من الطبيعي أن يتألق في متحف عجمان بصفة خاصة القسم البحري الذي يضم غرفا وقاعات عن الغوص وصيد الأسماك وصناعة السفن.

وإذا حاولنا أن نلقي نظرة، من جديد، على الوثائق التاريخية، وجدنا أنها تطلعنا على الدور الكبير لعجمان في مجال الغوص لصيد اللؤلؤ، حيث يشير **لوريمر** في **«دليل الخليج»** إلى أن عدد السفن العاملة في مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ بإمارة عجمان بلغ أكثر من سبعين سفينة، كان نشاطها يتركز في موسم الصيف من أبريل إلى أغسطس، وغالبا عبر رحلات ثلاث، تسمى الأولى بالغوص الصغير، وتستغرق نحو شهر، ثم الغوص الكبير، ويدوم ثلاثة أشهر، ثم رحلة العودة للغوص، ومدتها نحو ثلاثة أسابيع.

وفي المتحف تتجسد ذاكرة أيام الغوص، من خلال الأدوات المستخدمة في سفن الغوص ومجسمات لسفن الغوص ودور كل من عليها وموقعه وعمله، كل ذلك يبدو واضحًا. وتصافح عينا الزائر أنشطة «الطواويش» أو تجار اللؤلؤ وممولي بعض سفنه، الذين يحرصون على شراء اللؤلؤ فور «القفال» أو عودة السفن، أو قد يسبقون ذلك بشد الرحال إلى السفن لبدء



أزياء شعبية



«الطواش» وعالم اللؤلؤ الساحر

«الطـواشـة» أو شراء اللؤلـؤ في الهيرات أو مناطق السفن، ومن ثم الانتقـال إلى الهند لبيع مـا اشتروه هنــاك، حيث يجرى تصنيف اللـــؤلـــؤ وتـرتيبــه وصياغته في حلي نادرة تجذب أنظار العالم كله.

وفي **القسم البحري** أيضًا يلقى الضوء على صيد الأسماك، الذي برع فيه أبنـاء المنطقة، واستخدموا شتى الأســاليب، فـأمــام الــزائر يتألق الصيــد باستخـدام «الجراجير» أي الأقفاص ذات العيـون المصنوعـة من سعف النخيل أو الجريـد. والصيد بالصنـارة أو «النميط» والصيـد بالحربـة «المصياد» وبأنـواع الشباك المختلفـة، إضافـة إلى اللجوء إلى الإضاءة ليلاً لاصطياد أنواع الأسماك التي تنجذب إلى الضوء.

وتصافح عينا الزائر نماذج رائعة من أنواع شتى من الـــزوارق والسفن والمراكب التي تفنـن أبنــاء المنطقة في صنعها ابتداء من جذوع النخيل ووصولا إلى خشب الساج الهندي المتميز.

القسم الزراعي

ومن القسم البحري إلى **القسم الزراعي** ينتقل الـزائر لمتحف عجمان ليجـد نفســه أمـام تجسيـد لحقائق عـدة قد يجهلها بعضهم، في مقـدمتها أن أبنـاء عجمان قــد عـرفـوا الـزراعــة إحـدى المهن الأساسيـة التي يمارسها عـدد ليس بالقليل منهم، وخاصة في منطقة مصفوت التي تتميز بالبعد عن البحـر وتأثيره الضار على التربـة وتحيط بها الجبـال من معظم جهـاتها وتتوافـر الميـاه الصالحة للـري، جنبًا إلى جنب مع منطقـة المنـامـة، حيث تـزرع أشجــار النخيل والحمضيـــات والخضر وبعض الفواكه وتشتهر مصفوت بـزراعة التبغ ذي النوعية الفريدة.

ويلفت النظـر في هذا القسم الإيضـاح الرائع لأســاليب الـري ونظمــه التي كفلت لــلأراضي الزراعية أقصى استفادة ممكنة من المياه المتوافرة.

قسم البادية

ولعل القسم الأكثـر جـدارة بـالتـوقف عنـده طويلاً في متحف عجمان هو قسم البادية.

ويقول طالب النبهاني، مدير متحف عجمان، **إن الفكرة الجوهـرية في هـذا القسم، هي تسجيل طريقة حياة الآباء والأجداد، لتبقى وتظل أمام عيني** الأبنـاء وفي وجـــدانهم، حتى لا ينســوا **تضحيات الأجداد وما عاشوه من ظروف متعبة، وقدرتهم على التأقلم مع الظـروف، أيًا كـان مـدى صعوبتهـا، وشجاعتهم، وصبرهم، في مواجهـة ما يجابهونه من مشاعر.**

وفي هـذا القسم تجسيـــد رائع لمعـالم الحيـاة في البادية بما فيها من تركيـز على قيم الشهامـة والكرم والــوفـاء. وهنـــا نلتقي مع الأدوات التي كـــانت مستخـــدمـة في البـــاديـــة، في الماضي. ونستمتع بمشاهدة مجسمات المطبخ القـديم والأزياء الشعبية الخاصة بالنساء والرجال.

ونقف طويـلاً عند الأزياء النسائيـة الجميلة، والتي تتميـز من ناحيـة بأنها واسعة وفضفـاضة لا تعيق حـــركــة المرأة، وفي الـوقت نفســه تجمع بين الحشمة والـوقار استجـابة لتعاليـم ديننا النحيف، الأشخاص في أوضاع مختلفة، منهـا ما هي جماعية وما هي فـرديـة، وأغلب الظن أنها تـرجع إلى الفترة الزمنية المحصورة بين الألفين الثالث والسادس قبل الميـلاد، فضـلاً عن قبـور المنامـة، وآثـار منطقـة وهـذه الأزيـاء مصنوعـة من القطن أو من الحريـر الخفيف وتتكـــون من: الثـــوب ــ الكنـــدورة ــ السروال ــ البرقع ــ الوقاية.

أما أزياء الـرجال فأول مـا يلفت النظر فيهـا بسـاطتها، ومنـاسبتها للجـو السائد في المنطقـة، وتعتبر الكنـدورة القطنيـة الزي الـرسمي للـرجل، ويلبس تحتهـا الإزار، ويعتم القحفيـة ومن فوقهـا الغترة التي يتم تثبيتهـا بـالعقال. ويعـد «البشت» أكثر الملابس الرجـالية أهمية وخاصـة لعلية القوم، ويلبس فوق الكنـدورة وأفضل أنواعـه ما صنع من الوبر الخفيف.

ويلاحظ أن ملابس البادية لا تختلف كثيرًا عن ملابس الحضر، إلا بميل الأولى إلى الألـوان الفاتحة وربما إلى النسيج الأكثر خشونة.

قسم الآثار

وربما لا يعـد من قبيل المبالغـة القـول إن أهم أقسـام متحف عجمان على الإطـلاق قسم الآثـار، ويـرجع ذلك بشكل خاص لثـراء عجمان بالمنـاطق الأثرية من حيث قيمتها التاريخية، وإن لم يكن من حيث كثرة عدد هذه المناطق.

وأهم آثار عجمان هي منحوتات مصفوت وهي نقوش رسمـت على بعض الصخور المتساقطـة من الجبـال عند عين مـاء جاريـة، وتمثل مجموعـة من

الزورة، ومجموعة التلال الأثرية المكتشفة حديثا والتي تحفل بالمعثورات الفخارية ذات الدلالة التاريخية على اتساع نطاق التبادل التجاري في المنطقة، على نحو يعود إلى مراحل تاريخية أكثر تبكيرًا مما كان معتقدًا في السابق.

وقد اختيرت من بين هذه الثروة الحقيقية من المكتشفات الأثرية في إمارة عجمان للعرض في المتحف محتويات أحد القبور الجماعية التي تم اكتشافها مؤخرًا، ومن المعتقد أن هذه المحتويات يعود تاريخها إلى نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

ويضم المتحف كذلك مجموعة من الأواني الفخارية المختلفة الأحجام ومجموعة من القنينات المستخدمة للزينة وعقودا جنائزية ومجموعة متنوعة من الخرز والأصداف البحرية.

الوثائق والمخطوطات

وهناك مجموعة من الوثائق والمخطوطات التاريخية التي تعد وثائق نادرة وشاهدة على ما تمتعت به المنطقة من مكانة، **وأقدم هذه المخطوطات يعود إلى عام ٥٩٠ هجرية وهي عبارة عن نسخة مصورة من مصحف خط يد «ابن البواب» ومجموعة من المصاحف نسخت في فترات مختلفة**، إضافة إلى مخطوطات أدبية فريدة معظمها من القصائد ومن بينها قصائد للشاعر المحلي البارز راشد سالم الخضر، فضلاً عن مجموعة نادرة من كتب البلاغة والفقه والتاريخ.

سوق تقليدي

وكما سبقت الإشارة، فإن المتحف يضم ستة دكاكين في هيئة سوق خليجي تقليدي، هي دكاكين الخباز، المقهى الشعبي، الخياط، الحلاق، العطار، الطواش.

ولا يخلو الأمر من ملاحظات طريفة، ربما كانت هي السر في إقبال الطلاب من أبناء البلاد والسياح الأجانب على مشاهدة هذه الدكاكين بما تحفل به من أدوات ومجسمات، فها هي ذي دقة الأدوات التي يستعين بها الطواش في فرز اللؤلؤ وتقويمه تلفت نظرنا. أما الحلاق فها هو أحد الزبائن قد سال دمه بفعل موسى الحلاق، حتى ليوشك على الصراخ متألمًا!



المطبخ قديما



المطوعة وتعليم الصغيرات

ومن المؤكد أنه لا يمكن لجولة ميدانية في متحف عجمان أن تكتمل إلا بإلقاء نظرة فاحصة على عنصرين مهمين، كانت لهما أبعادهما في حياة أبناء المنطقة، العنصر الأول هو السلاح، والثاني هو أدوات الموسيقى والطرب.

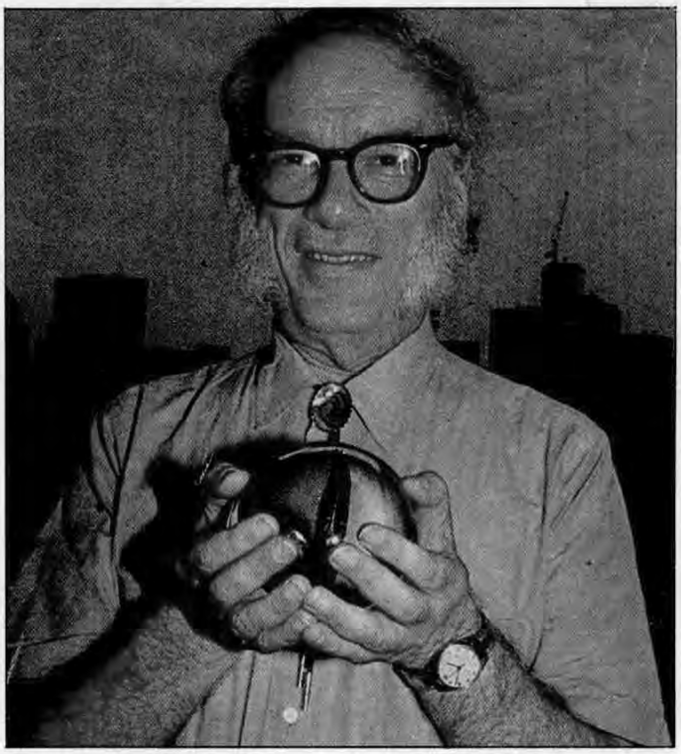
وبالإضافة إلى مجموعة السيوف والخناجر التقليدية الموجودة في المتحف، **يتميز قسم الأسلحة فيه بوجود مجموعة من الأسلحة النارية يرجع تاريخها إلى ما قبل ٢٠٠ عاما تقريبا، ويضم المتحف العديد من البنادق وعددًا من المدافع الأثرية، التي ترجع إلى القرن السادس عشر**، بعضها من الحديد، والبعض الآخر من النحاس، ولها مسميات محلية منها «ليفاري» و«الصفر».

ويضم متحف عجمان غرفة للطرب الشعبي تسجل معرفة أبناء المنطقة الوثيقة بألوان شتى من الرقص والغناء والإنشاد. ولما كان هذا كله يعتمد أساسًا على آلات الإيقاع، فإن من الطبيعي أن نجد الطبل الكبير المعروف بـ«الراس» والصغير المسمى بـ«التخامير» والدف «الطيران» والصاجات «الطوس» فضلاً عن السيوف والبنادق والعصي المستخدمة في تكوين الحركات والإيماءات المطلوبة وإبداعها.

وعند انتهاء جولة الزائر إلى متحف عجمان، لا يجد نفسه إلا متمنيًا أن يعود إلى زيارته قريبا، بعد استكمال السوق الشعبي الخليجي التقليدي فيه، وهو ما وعد المسؤولون عنه بإنجازه قريبًا.

عَظِيمُوف

إعداد: د. صلاح يحياوي



إسحق عظيموف I. ASIMOV الكاتب الوافر الإنتاج في حقائق العلم والخيال العلمي، والذي وضع القوانين الأدبية للكيفية التي يجب على الروابيط (جمع روبوط ROBOT) أن تسلكها، مات فجر السادس من نيسان (أبريل) ١٩٩٢ عن عمر يناهز ٧٢ عامًا في مستشفى الجامعة في نيويورك لإخفاق قلبه وقصور كليتيه.

كان عظيموف قد أعلن في أوائل هذا العام أن العملية الجراحية التي أجريت له على الموثة (غدة البروستات) قد قعدت به وحدّت من إنتاجه. كما كان قد أوقف عموده الشهري في مجلة FANTASY AND SCIENCE FICTION حيث بلغ ما أسهم به ٤٠٠ عمود ومقالة خلال ٣٣ عامًا.

لم يكن نشر عشرة كتب أو يزيد في العام بالكثير على عظيموف. ولقد استمر إنتاجه بعد إصابته القلبية عام ١٩٧٧، وبعد العملية الجراحية التي وضع له فيها مجرى جانبي عام ١٩٨٣.

كتب عظيموف ٥٠٠ كتابا، منها ثلاث روايات في بواكير أيامه عرفت باسم "FOUNDATION TRILOGY"، وقد نال عليها عام ١٩٦٦ جائزة « هوغو HOGO » الخاصة لأجود سلسلة في الخيال العلمي SCIENCE FICTION أنتجت حتى هذا التاريخ.

نشر عظيموف « قوانين علم الروبوط الثلاثة في كتابه الثاني "I. ROBOT" وهو مجموعة من قصص متصلة نشرت عام ١٩٥٠ حول تعريف المجتمع البشري بالآلات الواعية؛ وقضى فيها بوجوب برمجة كل دماغ روبوط بالأوامر الثابتة التالية:

ـ لا يمكن للروابيط أن تؤذي الإنسان، أو لا يسمح لها في أصل عملها أن تكون مؤذية للبشر.

ـ على الروابيط أن تطيع أوامر البشر إلا إذا تعارض ذلك مع القانون الأول.

ـ على الروابيط أن تحمي وجودها الذاتي ما لم يتعارض ذلك مع القانونين السابقين.

كانت الروابيط قبل كتب عظيموف في الخيال العلمي غُزاةً « بطّاشة » لا شعور لها، وآلات قتل لا تعرف الرحمة.

وقد اعترف الكتّابُ الآخرون بقوانين عظيموف، فتغيرت صور الروابيط الخيالية في الأفلام السينمائية والتلفازية من خبيثة إلى خَيِّرة.

لقد ميزت كتب "FOUNDATION " التي وضعت في الإمبراطورية المَجَرِّية المقبلة وسيلة أخرى للخيال أطلق عليها عظيموف اسم « التاريخ النفسي » أي قران الرياضيات والتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع.

لقد توسعت مواضيع الروبوط والإمبراطورية المَجَرِّية في آخر الأمر وانضفرت في ١٤ رواية.

تُشكل هذه الروايات بمجموعها صورةً للبشرية في آلاف السنين القادمة، صورة ممتدة عبر النجوم بما فيها الأرض نفسها، ومع ذلك يظل الناس فيها عبيدا للطبيعة البشرية.

كان عظيموف كيميائيا حيويا بالممارسة، وكانت السمة المميزة لتخيله هو أن ذلك العلم، المُجْفِل للعقل أحيانا ـ كرحلة سرعتها أكبر من سرعة الضوء ـ كان مع ذلك علمًا مقنعًا.

ولم يكن الكتاب الذي كان سببا في شهرة عظيموف " FANTASTIC VOYAGE " مثيرًا جدًا. صدر الكتاب عام ١٩٦٦ حول فريق طبي قد نُمْنِمَ (صُغِّمَ بحجم صغير) وزُرِقَ في مجرى دم رجل يموت. وكانت الشخصيات مجهرية الحجم (متناهية الصغر) بحيث إن جزيئًا من الأكسيجين كان كبيرا بالنسبة لها لا يمكنها أن تستنشقه.

كان عظيموف في مئات الكتب في حقائق العلم شارحًا متمكّنًا للعويص والمعقد، ودليلاً للنشء، أو أنصاف الأميين علميا.

كان بمقدوره جعل القارئ الذكي والجاهل في العلم يستسيغ كل شيء، من أسرار الرياضيات إلى بيانات الجَفْر الوراثي.

طاف عظيموف بعمله عبر التاريخ والفنون والدعابة كما في كتابه:
" THE SENSUOVS DIRTY OLD MAN " عام ١٩٧١، وكتابيه "THE SHAPING OF FRANCE" و "ASIMOV'S ANNO TATED DON JUAN" عام ١٩٧٢.



فطر الشتاء صحة وغذاء!

ترجمة : نجلاء حسن حامد

فطر الشتاء غذاء صحي خالٍ من التلوث، ينتشر في بلدان كثيرة في العالم، يحتوى على البروتين والكالسيوم والكربوهيدرات وكثير من الفيتامينات، أكدت الأبحاث الأخيرة أنه يعد مادة فعّالة ـ بإذن الله ـ في علاج السرطان وكثير من الأمراض، وفوق هذا يدر النوع «المزروع» منه في كوريا واليابان وتايوان ربحًا وفيرًا.

قيمة غذائية وطبية

ينمو فطر الشتاء واسمه العلمي Flammulina Velutipes Karst في جميع أنحاء العالم تقريبا، فهو ينتشر في بلدان جنوب شرقي آسيا وأوروبا وأفريقيا وأمريكا الشمالية وأستراليا، ولكنه يُزرع تجاريًا بوصفه طعامًا في كل من كوريا واليابان وتايوان فقط. وكانت زراعته قد بدأت أولاً في اليابان ثم انتقلت إلى كوريا منذ ثماني سنوات.

ويقول الباحثون في معهد بحوث التقنية الزراعية في سيول إن مئة جرام من فطر الشتاء تحتوي على ٨٩٪ من الرطوبة والبروتين والمواد الكربوهيدراتية والكالسيوم وفيتامينات ب١، ب٢ وج.

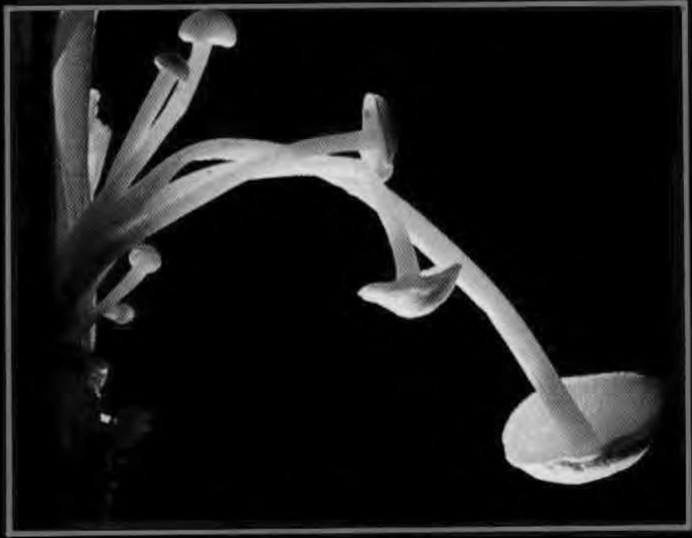
وقد اكتشف أحد أساتذة العلوم الصيدلانية في جامعة هانيانغ ـ مؤخرًا ـ أن الفطر يحتوي على مادة مقاومة لمرض السرطان تسمى Flammulin، وأكد أن للفطر كذلك فعالية عالية في منع الأمراض التي تصيب البالغين وتقليلها.

اختلاف التاج

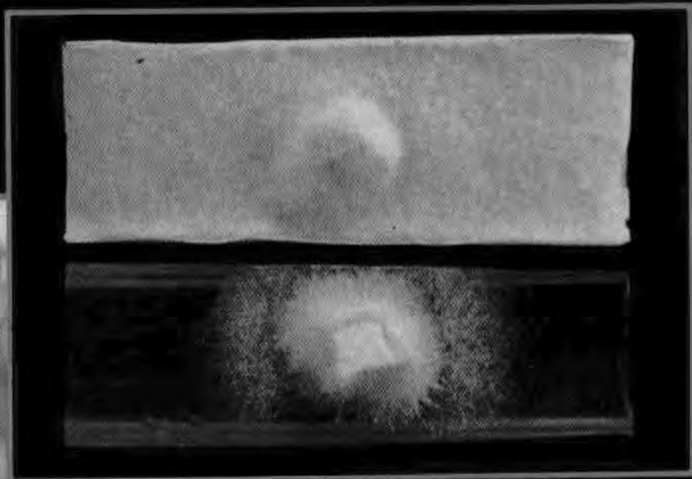
■ يُعطي فطر الشتاء البري إنتاجًا لمدة سبعة أشهر في العام،



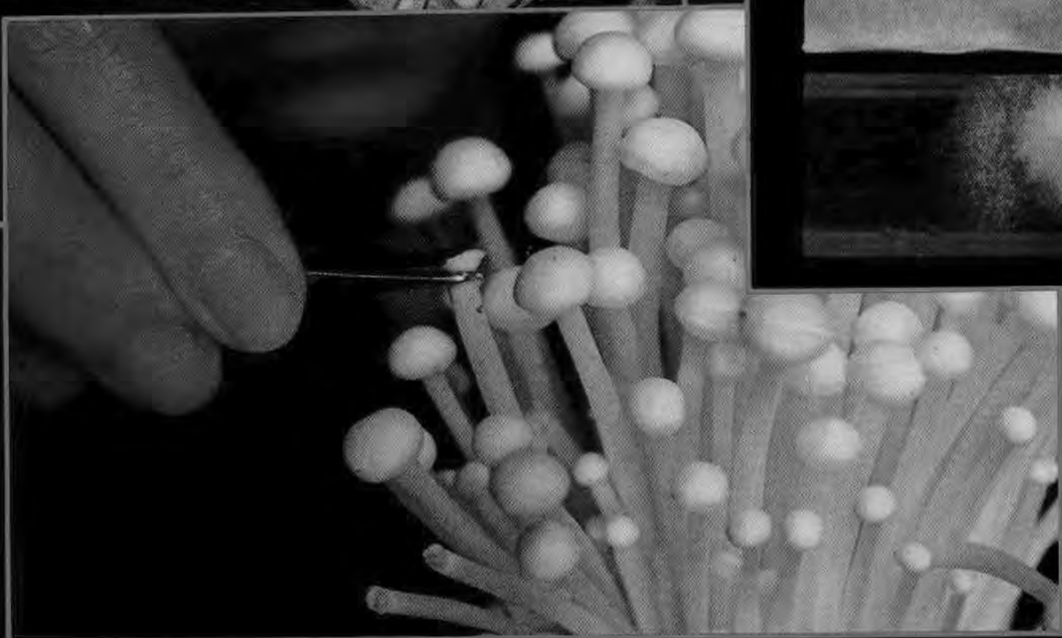
مزرعة فطر الشتاء الصناعي عبارة عن زجاجات بها نشارة خشب وقشر أرز، فوق رفوف في مبنى يكاد يكون مظلما



الفطر البري قطر تاجه أكبر من الصناعي



يوضع الفطر في محلول قبل نقله إلى الزجاجات



الفطر الصناعي أفتح لونا وأصغر حجما وله الفوائد الطبية والغذائية نفسها

ابتداءً من شهر نوفمبر وحتى شهر أبريل. وهو ينمو نموًا طبيعيا على الجذوع الميتة لأشجار البرسيمون والقرَّاص الصيني والتوت.

وللفطر البري تاج بني مائل للاحمرار أو بني داكن يبلغ سمكه نحو ٤,٥ سنتيمترات ويتراوح قطره بين ٣,٥ و١٠ سنتيمترات.

ويظهر الاختلاف بين الفطر المزروع والبري في لون التاج وحجمه، فالفطر المزروع له تاج صغير يقل قطره عن سنتيمتر واحد، كما يميل لونه إلى الأصفر الشاحب ونسيجه أكثر رخاوة وتنمو له ساق رفيعة مثل ساق براعم الفاصوليا. وبرغم هذا يتفوق على الفطر البري في طول الساق إذ يبلغ طولها ١٣ سنتيمترا.

ويحتاج فطر الشتاء المزروع مدة تبلغ ٩٠ يومًا حتى ينمو في تربة تتكون من ٣٠٪ من قشر الأرز، و٧٠٪ من نشارة الخشب تحتوي على ٦,٥٪ رطوبة.

ربح وفير!

■ يُزرع فطر الشتاء المزروع أو الصناعي في زجاجات تنتشر على رفوف عديدة، داخل مبنى من الخرسانة المسلحة، تضيئه عدة مصابيح كهربية صغيرة ترسل ضوءًا ضعيفًا يبدد ظلام المكان قليلاً، إذ تتطلب زراعة الفطر أن يبقى بعيدًا عن الضوء، وهذا هو السبب في شحوب لونه، فبدون الضوء لا يتمكن الفطر من إفراز المادة الملونة.

ويمثل فطر الشتاء الصناعي إنتاجا مربحا، ففي اليوم الواحد يتم جمع نحو ١٣٠٠ زجاجة من المزارع الخاصة وهذا ما يجعلها مصدر دخل وفير لصاحبها.

وللفطر رائحة ذكية وطعم طيب، ويمكن أن يؤكل مخلوطًا مع الحساء واللحم المشوي، كذلك يمكن أن يؤكل نيئًا أو مسلوقا في قليل من الماء المغلي، بعدها يُغمس في صلصة الفلفل الأحمر.



الثوم
استعمالاته وفوائده

يبدو أن الثوم هو « إكسير » الصحة حقًّا، فهو يجمع من الفوائد الصحية والمنافع العلاجية ما لم يجمع لنبات ولا لعقار. لا عجب إذن أن أقبلت الجامعات ومراكز البحث العلمي في الدول المتقدمة على التحقيق في تلك الفوائد والمنافع، وإجراء الدراسات والأبحاث الرامية لا إلى تفهم سر الثوم فحسب، ولكن إلى تطويره وتصنيعه أيضا. فالثوم ليس جديدًا على الساحة من حيث كونه عُشبًا دوائيًّا، ولكنه ذكر كعلاج في كتب الفلاسفة والأطباء العرب وغير العرب.

تعريف الثوم

الثوم عُشب مُعمر، اسمه العلمي: Allium Sativum وينتمي إلى الفصيلة الزنبقية، وهو محصول شتوي. من أصنافه:

١) البلدي أو المصري وتنتشر زراعته بمصر، ولون قشرته الخارجية أبيض ناصع، وحجم الرأس منه كبير، ويصل عدد فصوص الرأس إلى ستين فصًا.

٢) الصنف الصيني: لون قشرته الخارجية أبيض يميل إلى القرمزي، ورأسه متوسط الحجم، ويبلغ عدد فصوص الرأس من خمسة إلى عشرين فصًا.

الثوم في حياة القدماء

ذكر المؤرخ اليوناني «هيرودوت» أن المصريين القدماء استمدوا قوتهم في بناء الأهرامات من تناولهم لوجبات الثوم. ولقد ثبت أن أهل بابل في عهد الدولة البابلية في العراق قد أقبلوا على أكل الثوم قبل أكثر من ستة آلاف سنة.

وقد اكتشف أهل الهند والصين مزايا الثوم الصحية منذ أكثر من أربعة آلاف سنة. وتقول الحكايات الخرافية القديمة إن الثوم يبعد الأشباح ويدفع مصاصي الدماء بعيدًا عن الشخص أو المنزل الذي يكون فيه. كما كانت بعض القبائل القديمة في أفريقيا تضع على صدورها قلادات من لفائف الثوم والبصل.

رائحة الثوم والحل

لقد كانت رائحة الثوم النفاذة سببًا في عدم الإقبال على تناوله وقد جاء التحذير منها في السنة الشريفة مثلما جاء من نبات البصل الذي له رائحة لا تقل عن رائحة الثوم. ومن هنا ظهرت الأبحاث الحديثة التي حلت المشكلة وذلك بعمل أبحاث علمية على الثوم وتم نجاحها نجاحًا باهرا، حيث حُضِّر على شكل خرزات صغيرة ليس لها رائحة ولا طعم وتحتفظ بجميع خواص الثوم، وهي الوحيدة التي لا تظهر لها رائحة بعد تناولها كما يحدث عند تناول مستحضرات زيت الثوم. وهنا يبرز سؤال مهم: **هل يحتوي هذا المستحضر على نفس فوائد الثوم الطازج؟**

استعمالات الثوم

يعتبر الثوم أحد أكثر النباتات استخدامًا في العالم سواء في الطبخ أو في العلاج. وتستخدم منه فصوصه فقط، وتستعمل طازجة أو مجففة. وفي صعيد مصر يدخل الثوم في أكثر الأكلات والأطعمة ويعتبر من أهم عناصر المأكولات.

الثوم صيدلية مكتملة

يتكون الثوم من زيت طيار + مركبات الكبريت + فيتامينات وهورمونات.

ومما لا شك فيه أن الثوم قد أصبح محل دراسات وأبحاث في معامل العالم الطبية، ولذا لم يغفل الطب الحديث فوائد الثوم وخصائصه العلاجية. وحسبك مرجع «مارك» Mark الشهير الذي ينشر ويوزع على نطاق واسع في الولايات المتحدة الأمريكية والذي يؤكد على فاعلية الثوم في قتل الميكروبات. تلك الظاهرة التي جعلت العلماء في الاتحاد السوفييتي السابق يتجهون إلى إنتاج عصارة الثوم وتوزيعها باعتبارها عقارًا مضادًا للحيويات.

وأولى علماء الصين وأطباؤها الثوم اهتمامًا كبيرًا في السنوات الأخيرة حيث أقام العلماء في كلية «هونان» الطبية وفي المستشفى التابع لها أبحاثا وتجارب تناولت خصائص الثوم العلاجية بصفة عامة وقدرته على معالجة التهاب السحايا بصفة خاصة.

ونوجز هنا بعض الأمراض التي كان للثوم أثر كبير في علاجها أو الوقاية منها:

ضغط الدم: توجد في اليابان دوائر مسؤولة عن ترخيص الأدوية واستعمالها تشبه وكالة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة .F.D.A وتحرص مثلها على المستوى الرفيع فيما تؤديه من أعمال، وتعرف مثلها بالصرامة في إخضاع ما ترخص باستعماله لكثير من التحقيق والتدقيق. وقد سمحت هذه

الـدوائر بـاستعمال الثـوم من أجل تخفيض ضغط الدم .

الكولسترول : قام لفيف مـن العلماء الباحثين العـاملين في معهـد «ولتـار» في جامعـة فيـلادلفيـا بتجـارب عديـدة على زيت الثوم وأثـره في الأرانب والدجاج والفئران حيث أكلتـه ضمن علفها . وقد أثبتت تلك التجـارب أن زيت الثـوم سـاعـد على خفض مستوى الكولسترول في تلك الحيوانات . كما أجـرى الدكتـور «أرون بـورديـا» في كلية «تـاجـور» تجارب عـديـدة على أثـــر الثـوم في جسم الإنسـان شملت تلك التجارب ٢٠ رجلا تناولوا زيت الثوم يـوميـا لمدة ستـة شهـور، ودلـت الفحـوص التي أجـريت لهؤلاء الرجـال أن مستوى الكـولسترول في الدم انخفض فيهم جميعًا بنسبة ١٧٪، ودلت تلك الفحوص أيضا على أن الشحوم هي الأخرى هبطت فيهم جميعًا بنسبة ٢٠٪ وذلك في الفترة التي تناولوا فيها الثـوم . وأثبتت تلك الفحوص أثرا ثالثـا للثوم قلما يخطـر على بـال، فقــد زادت نسبـة الشحـوم البروتينيـة العـاليـة الكثـافـة، وانخفضت نسبـة الشحوم البروتينيـة القليلة الكثـافة وذلك لصـالح أولئك الرجال .

الجلطة : قام الـدكتور «مـارتن بيلي» ونفر من العلماء البـاحثين العــاملين في جـامعــة واشنطن بأبحـاث دلت على أن زيت الثـوم يمنع التجلط، ويحد بالتـالي من احتمالات التعرض للنوبـة القلبية والسكتة .

ودلت أبحـاث أخرى على أن المادة الفعـالة في الثوم (والبصل أيضا) تضمن بقـاء لويحات الدم أو صفائحه منفصلة بعضها عن بعض، ولا يخفى أن تكتلها كفيل بالتجلط .

مرض سكـري الدم : أجرت دائرة الـزراعة في الولايات المتحدة الأمريكيـة دراسات عديدة أثبتت أن الثوم يخفض نسبة السكر في الـدم ويرفع مقدار الأنسولين فيه . وأثبتت إحـدى تلك الدراسات أن فاعلية الثوم في إنقاص محتـويات السكر في الدم لا تقل عن فاعلية العقار المعروف Toibutamide .

الأورام الخبيثة : دلت الأبحاث والتجارب التي أجـريت على حيـوانـات مختلفة على أن للثـوم أثـرًا مضادًا للسرطان الذي عانت منه تلك الحيوانات، وقد يـرجع سبب هذا إلى مايحتـويه الثـوم من إنزيم الينيـز أو معدن الجرمـانيـوم أو معدن السلينيـوم . ولكن النتـائج لم تبلغ حد الثبـوت في هذا الصـدد حتى الآن .

مضاد للحيـويات : إن خصائص الثـوم من حيث هو مضاد للحيويات قد بلغت درجة عالية من الثبـــوت والـــوضــــوح . وحسبك أن الاتحاد السـوفييتي سابقًـا درج على استخراج صنـوف من البنسلين من الثوم منذ زمن بعيد .

ودلت الدراسات والتجارب التي أجرتها مؤخرا كلية الطب في فـرجينيا على أن سـائل الثوم يحد من نمو الفطريات التي عرف عنها أنها تسبب التهاب السحايـا، وأثبتت دراسات أخرى أجـرت بعضها جامعـة إنديانـا بإشراف الدكتور مـايكل تانسي أن الثوم يـوقف أو يحد من نمـو أنواع من الفطـريات والعفن والخميرة، ويُخص بالذكـر ما يسمى Can-dida Albicans فهـــذا نـــوع مـن الخميرة يسبب التهابـات تسمى Vaginits ومرضـا فطريـا يعرف باسم Histoplasma Capuslatum وينتقل هـذا المرض بالغبار، وكثيرا ما يسبب مرضا يشبه السل، أضف إلى ذلك أن خميرة Candida التي سبق ذكرها قد تؤدي إلى الإصابة بمرض سعفة القدم Athletes Foot ومرض جلدي آخـر يعرف بالقوبـاء الحلقية Ringworm .

عقار الثوم : تجدر الإشارة إلى الأبحـاث التي تجريها جامعـة مينوسـوتا هي بقصـد عزل عنصري الثوم الفعال Allyl methyl و Trisulfied، وقد أحرزت هذه الأبحـاث نجاحًا ملحوظًـا لا في عزله فحسب ولكن في تصنيعه أو استحضاره صناعيًا .

فالثـوم زيادة على ما ذكرنـا علاج لحالات كثيرة من الأمـراض كما أثبتت الأبحاث العلميـة، ومنها على سبيل المثال :

- الثوم يحمي الجسم من أعراض الشيخوخة .
- الوقاية من ضغط الدم وقالوا عنه «هو بنسلين طبيعي يغني عن البنسلين المخلق » .
- يقـي من تصلب الشرايين فضـلاً عـن أنـه يعطي الجسم مناعة ضد الأنفلونزا .
- يقوم بمهمـة تطهير القناة الهضمية بالإضـافة إلى أنه يعطـي الجسم حيويـة ونشاطـا مما يكـون له تأثير في الحركة والنشاط .
- يفيد في علاج الأسنان وتقيح اللثة .
- نافع في حالات الجرب الجلدي بدلك الجسم به .
- يوصى بأكله في زمن الأوبئة .

كما دلت التجـارب الطبيـة أيضا على أن الثـوم يقي إلى حـــد كبير مـن الإصـــابـــة بمـــرض شلل الأطفال .

نصيحة طبية

الثوم عـلاج ناجح ومفيـد للكثير من الأمراض التي سبق ذكرهـا، إلا أن ذلك لا يتم إلا في حدود الجرعة العـلاجية والقدر المعقول، مثله مثل باقي الأدوية التي تستخدم في العلاج، حيث إنه إذا زاد مقـدار الثـوم المستخـدم عـن حـد مَعين فإن ذلك يسبب مضاعفات، من أهمهـا زيادة ضغط الدم، كما أن كثرة أكله تضر بـالحوامل حيث قد يؤدي إلى الإجهـاض أو الـولادة المبكـرة . وقـد يسبب الثـوم بعض التهيجات في المعدة أو الأمعاء أو الجلد . ولا يجب استخدام الثوم في حالات احتقان الرئة وارتفاع درجة الحرارة .

خاتمة

إن التحول الكبير والجهـد الرائع الـذي حدث في عالم الأعشاب يبرهن بكل صدق أن الله سبحانه وتعالى لم يُنزل داء إلا وجعل له دواء . ولو رجعنا إلى الحقب الأولى للإنسانية ورأينـا كيف كانوا يعالجون مـرضاهم لـوجـدنـا أن الأرض هي مصدر الـدواء والشفـاء للإنسـان، فهي التي أنبتت له كل هـذه الأعشاب فعرف سرها واكتشف ما هو مفيد له .

إن ثورة الأعشاب القادمة التي نحن بصددها تقف في وجــه عــالم الكيماويـــات والكبســولات والأمبولات، هي ليست ثورة جـديدة، لكن ماهي إلا إحياءٌ لتراث الأجـداد الأطباء الـذين سبقـونا في هـذا المجـال وفي غيره من المجـالات كـالخليل بن أحمد، وأبي سعيـد عبــد الملك الأصمعي، وأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، وعبد الله ابن أحمد الأندلسي العشّاب المعروف وغيرهم كثير، وكتبهم معـروفة . هم أول من أظهـر للبشرية هـذا العلم ونحن الآن على هدي الأجداد نسير.

أواسط العمر ومابعدها: سنوات الكم

تعد أواسط العمر سنوات التأثير الأعظم، فمع أن كثيرا من الشبان يمتلكون القوة إلا أن التأثير على الأمور ـ وهو ذو مدلول أوسع من مدلول القوة ـ غالبا ما يتم من قبل متوسطي العمر، كما هي الحال في مجالات السياسة والاقتصاد والتعليم والإدارة وسواها. ونجد في الولايات المتحدة مثلا أن متوسط عمر كبار رجال الأعمال هو ٥٤ سنة، وأن الأمريكيين الذين تراوح أعمارهم بين ٤٠ ـ ٦٥ سنة يمثلون ربع عدد السكان لكنهم يحصلون على نصف الدخل العام.

إن الصفة الرئيسة التي ترتبط تقليديا بمنتصف العمر هي الخبرة الناجمة عن التجارب السابقة، إلا أن لهذا الأمر أكثر من وجه:

فإذا كان ابن الخمسين مثلا قد تجاهل كل الفرص والإمكانات التي أتيحت له في الماضي لتحسين وضعه وتنمية خبراته، فإن مرحلة منتصف العمر تصبح فترة جمود غايتها إبقاء الأمور على سابق عهدها، والوقوف في وجه كل تغير وتطور.

ومن جهة أخرى فهناك ابن الخمسين الذي ينكر سنه وبالتالي خبرته، ويظل يعيش بعقلية ابن السادسة والعشرين وما حولها بالغا ما بلغ من عمر.

وفي الوقت نفسه نجد أولئك الأشخاص الإيجابيين الذين استفادوا من خبراتهم، بحيث أصبحوا يعيشون في واقع بناء، بعيدين عن الآمال المستحيلة والمواقف المتصلبة، منفتحين على كل جديد وجيد، مما يجعلهم يعدّلون ـ نتيجة خبرتهم وطرقهم الناجعة في معالجة المشكلات والتغيرات ـ كثيرا من أوهام المراحل السابقة من حياتهم، فتراهم عمليين واقعيين، يعلمون ما يفيد مما لا يفيد، ويتخذون قراراتهم بحكمة، وبقليل من الجهد، وإن كثيرا من الصعوبات والأمور العسيرة لتنجلي بسهولة ويسر عندما يتصف المرء بحسن المحاكمة الناتجة عن التجارب والخبرات. ولعل ذلك هو أحد أهم النواحي المطمئنة في منتصف العمر.

مصادر جديدة للطاقة الذاتية

لا بد لمن بلغ منتصف العمر من تطوير اهتمامات جديدة ربما كان قد طرقها من قبل بصورة جزئية. لكن التركيز على مثل هذه الاهتمامات جديا يؤدي إلى أن يثمر ينعها وتؤتي أكلها، وتطلق مصادر احتياطية من الطاقة لديه، ذلك أن الأمور التي استغرقت معظم وقته في السابق من تنافس في العمل وتكاثر في المال وعناية بالأطفال، لا يمكن أن نتوقع لها أن تستمر شغله الشاغل إلى آخر الحياة.

ولن تكون سنوات منتصف العمر وما يتلوها سنوات ذهبية، ما لم تكن هنالك تهيئة لها من قبل، **فلا يمكن مثلا لمن تقاعد عن العمل في الستين من العمر أن يبدأ هواية ما أو مهنة جديدة ما لم يكن قد تهيأ لذلك**، ومهما كان المرء موهوبا فإن فترة التعلم تتطلب كثيرا من القدرة على تحمل الصعوبات والإحراج، وهو أمر لا شك قاس في هذه المرحلة المتقدمة من العمر.

ويخطئ من يفكر من متوسطي العمر بالتقاعد عن العمل مبكرا. إذ تظهر الإحصاءات أن نسبة الانتحار ترتفع ارتفاعا حادا بين سن الخامسة والخمسين والخامسة والستين لدى المتقاعدين الذين يعيشون على هامش الحياة.

ومن هنا نرى أن بعض الدول المتقدمة المهتمة برفاهية شعوبها ـ كالسويد ـ قد أنشأت نظاما للتقاعد المتدرج بإنقاص ساعات العمل خلال السنوات بين الستين والسبعين، ونأمل أن يعم هذا الأمر على نطاق واسع.

ينظر الرجال في أواسط العمر إلى سنهم من وجهتين: مكانتهم في العمل وحالتهم الصحية، بينما تميل النساء المتزوجات إلى النظر إلى أعمارهن من خلال أسرهن، فتراهن يهتممن بحالة أزواجهن الصحية أكثر من اهتمامهن بحالتهن، ذلك أن ما تعانيه هؤلاء النسوة من احتمال الترمل أكبر مما يعانينه من احتشاء القلب وأمراضه، وترى الواعيات منهن يبحثن عن اهتمامات ووسائط تعطيهن شيئا من الاستقلال، قبل أن يستيقظن فجأة فيجدن أنفسهن وحيدات قليلات الحيلة، يخشين أن يثقلن على أولادهن وعائلاتهن. ومهما كان لدى المرأة من مال يمكنها من أن تطوف حول العالم أو تجلس على مقعد في حديقة تطعم الطيور، فإن دورها ـ إذا لم تنشء اهتمامات إيجابية جديدة ـ يبقى دور عجوز تنتظر الموت.

النظرة الواقعية إلى التقدم في العمر

إن نظرة المرء إلى نفسه هي التي تقرر أولا وأخيرا كم تكون سنوات منتصف العمر غنية أو قاحلة، فكما أننا لا نتوقع من سيارة قديمة أن تبقى في حالة جيدة ما لم نقم بإصلاحها وصيانتها بصورة مستمرة، **كذلك لا نتوقع أن تمر سنوات منتصف العمر بيسر إذا لم يهتم المرء بصحته وجسمه كممارسة الرياضة اللطيفة، واتباع الحمية المناسبة إلخ...**

وثمة دلائل كثيرة على أن للرياضة دورا هاما في تحسين الصحة والمحافظة عليها، ويرى بعضهم أن من الأمور الأخرى التي تتعلق بحياة الإنسان العامة والنفسية كالثقافة والاستقرار وتجنب القلق ما يساعد على تأخير الانحدار مع تقدم العمر.

وتظهر الدراسات أن الأجيال الجديدة الواعية المثقفة من متوسطي العمر، لا يعانون ما كان يعانيه أقرانهم من قبل، فكلما استثمر الإنسان طاقاته أكثر، احتفظ بها لمدة أطول، وكلما استعمل المرء دماغه استمر هذا الدماغ في العمل بصورة أفضل. وتبين اختبارات الذكاء أن من حصلوا على تعليم جيد يظهرون انحدارا خفيفا أو معدوما في اختبارات الذكاء بالمقارنة مع غيرهم، ولا شك في أن الدقة المختبرة في هذه الفحوص تزيد حتى سن الخمسين، أما بعد هذا العمر فإن ما يؤثر على نتيجة هذه الاختبارات هو البطء وليس نقص الدقة، وإن قدرات الكهول على التعلم لا تنقص بصورة عامة، لكن ما ينقص لديهم مع تقدم العمر هو القدرة على استيعاب الأمور غير المألوفة وغير العملية.

الرغبة في الصحبة والميل إلى الوحدة

تبين الدراسات أن هنالك تحسنا كبيرا في الانسجام بين الأزواج الذين تجاوزوا منتصف العمر. فبعد قضاء مراحل العمر السابقة معا تقوى القدرة لديهم على التحمل، ويمتنعون عن تضخيم تناقضاتهم وإسقاطها على الطرف الآخر، وهذه

ـــال والتجديد

بقلم: د. غســان حتاحت

القناعة وذلك الرضى يقويان مع الوقت.

فالزوجان مع مرور الزمن يزدادان معرفة بعضهما ببعض، ويأتي منتصف العمر ليزودهما بالفرصة السانحة للصحبة الحقيقية، فتراهما يتشاركان في الاهتمامات فيجد المرء من يكبر معه ويشاركه أصدقاءه وذكرياته، ويشاركه صمت البيت بعد أن كبر الأولاد وغادروه، ويستشعر معه في هذه الذكريات السعادة والمتعة التي تملأ أجواء البيت الفارغ.

وإن الزواج للمرة الأولى نادر في أواسط العمر، لكن كثيرا من المطلقين أو الأرامل يعاودون الكرة، بحيث إن ربع من يتزوجون سنويا هم من متوسطي الأعمار.

ومع تقدم العمر يخف ميل المرء إلى موازنة نفسه بسواه، ويصبح اهتمامه بذاته أشد، وتصبح نظرته للأمور أكثر عمقا، وترى متوسطي العمر في طور اهتماماتهم بأمورهم الذاتية يستمتعون بانفصالهم وابتعادهم عن الآخرين. وفي هذا الوقت تظهر لدى بعضهم غرابة في الطباع والأطوار. ذلك أن المرء وقد خف اهتمامه بمسايرة الآخرين يطلق لنفسه العنان في القيام بما يسره من أعمال أو قول ما يريده من أقوال، دون كبير اكتراث بالآخرين.

أما أولئك الذين يعيشون وحيدين، فإنهم لا يتعلمون فقط كيف يعيشون وحدهم، بل ويأخذون في الاستمتاع بهذه الوحدة، فتزداد ثقتهم بأنفسهم، وبمقدرتهم على إثبات ذاتهم وتحمل المسؤوليات وحدهم. ومن الأمثلة البارزة على ذلك، شخصية مشهورة اكتشفت إمكاناتها وقدراتها على الاعتماد على النفس في أواسط العمر، وهي **كاثرين جراهام** التي كانت حيية خجولة، تعتمد كل الاعتماد على زوجها «الديناميكي» إبان حياته، وهو الذي كان يدير كل عمليات مؤسسة **واشنطن بوست**، ثم بعد أن انتحر بدأت هي بإدارة هذه المؤسسة الإعلامية الكبيرة بمنتهى النجاح والحنكة والبراعة، بحيث غدت هذه السيدة واحدة من أقوى النساء في أمريكا وأكثرهن احتراما وهيبة.

خاتمة المطاف: الاقتناع بالذات

إن إحدى أكبر الجوائز في هذه الفترة هي الوصول إلى الاقتناع بالذات والرضى عنها، والشعور بالاستقلال عن الآخرين، والوصول إلى شاطئ الاستقرار بعد الإبحار الطويل في مراحل الحياة المتتابعة، وذلك هو الكمال وهو المرحلة النهائية في تطور الإنسان حين يرضى المرء عن حياته ويقنع بها.

وللوصول إلى هذه الغاية يحتاج المرء إلى أن يبتعد عن بعض الأنماط التي تسبب عدم الرضى لديه. فيعيش ضمن طاقاته وإمكاناته، ويقنع بنصيبه من الحياة وحظه من الدنيا، وعندما يحترم المرء نفسه يشعر بالقناعة، وعندما يشعر بالقناعة يحترم نفسه.

إن المرور في مراحل الحياة المتتالية يتم بيسر رغم تغيير المرء ما اعتاد عليه من أمور، فإذا لم يحصل التغير فلن يحصل النمو، ولن تستمر الحياة، وهذا التغير يتطلب أحيانا التنازل عن بعض الأمان وعن بعض أنماط الحياة التي اعتادها المرء، وعن بعض المفاهيم التي لم يعد يعتقد بها، وعن بعض العلاقات التي فقدت معناها. وكما يقول دوستويفسكي: «إن سير خطوة جديدة أو لفظ كلمة جديدة هو ما يخشاه الإنسان»، بينما ينبغي أن يكون الخوف ناجما عن عكس ذلك من جمود وسكون.

إنْ ظن بعضهم أن القوة الجسدية واللذات الحسية هي أهم قيم الحياة، فمعنى ذلك أن الحياة بعد مرحلة الشباب مملة قاسية وهباء منثور، وذلك غير صحيح. **فالسعادة الحقيقية تكمن في اكتشاف الذات وفي قدرة المرء على الحب والعطاء، وفي عدم انشغال الفكر بما كان يشغله من هموم السنين الخوالي، وفي أن يعيش المرء كل مرحلة جديدة من حياته وهو يشعر بالشجاعة والقدرة على اتخاذ خطوات جديدة، والرضى عن كل مرحلة سابقة، وفي أن يجد دائما في حياته الجدة والغنى.**

إن هذه القوة التي تجعل المرء يعيش ويستفيد من كل مرحلة في حياته هي قوة ذاتية تنبع قبل كل شيء من داخل الإنسان، وتبعث فيه أهم شيء وهو لذة الحياة.

○ سنوات منتصف العمر لا تمر بيسر ما لم يهتم المرء بصحته وجسمه

○ عندما يحترم المرء نفسه يشعر بالقناعة، وعندما يشعر بها يحترم نفسه

○ السعادة الحقيقية تكمن في اكتشاف الذات، وفي القدرة على الحب والعطاء



مرضى الرّبو يحرزون الميداليات الأولمبية!

بقلم: د. مجدي محمد أبوزيد

يصف الأطباء مرض الربو الشعبي (حساسية الصدر) بأنه زيادة استجابة القصبات والشعب الهوائية للمثيرات المتنوعة والتي تحدث تأثيرا بضيق الممرات الهوائية Air Way نتيجة للشدة الواقعة عليها والتي تنشأ عفويا أو من خلال قصور وخلل في الشعب الهوائية، وتعني أزمة الصدر (حساسية الصدر ـ الربو) لكل من الأطفال والشباب المرضى، صعوبة التنفس وإحداث صفير عند التنفس وقصر في التنفس Wheezing (نقص في حجم التنفس مع تواجد الكحة التي تحد من الحركات.

العناصر المثيرة لربو الأطفال

حدوث التهاب فيروسي في الممرات العليا **التنفسية أو التعرض للمواد المثيرة للحساسية** (الحشرات الصغيرة ـ السوس ـ التراب ـ العفن . . .) **أو التعرض للمواد المهيجة للصدر** (دخان السجاير، الأخشاب المحترقة، **أو التعرض للهواء البارد، أو حدوث التهاب في الجيوب الأنفية**). كما يمكن أن تؤثر التمرينات البدنية والنشاط الرياضي على حدوث حساسية الصدر للأطفال المصابين بمرض الربو.

مظاهر مؤثرة على المرضى

قد تحدث أزمة (الربو) للمرضى نتيجة أدائهم الرياضي بناء على الفترة الزمنية لأداء النشاط وشدته ومدى نتائج اختبارات وظائف الرئتين للمريض حيث إن هذه العوامل تعد من المؤثرات التي تحدث تغيرات في قطر الممرات الهوائية، وتعتبر ممارسة التمرينات البدنية ضمن المشاكل العامة التي تواجه مرضى الربو وتتسبب في حدوث بعض المظاهر الفسيولوجية الواضحة، مثل الكحة، أو حدوث صفير عند التنفس، أو صعوبة في التنفس، أو قصر في حجم التنفس، بعد الانتهاء من أداء النشاط البدني، فقد أظهرت نتائج الفحص الطبي والمعملي أن تأثير الفترة الزمنية القصيرة لأداء التمرينات البدنية التى تتراوح بين ٤ : ١٠ دقائق تعد ضمن المؤثرات الحادثة لحالة الأزمة (حساسية الصدر) وحددت مظاهرها الفسيولوجية، كما أن هناك بعض المؤثرات الخارجية مثل ممارسة النشاط الرياضي في ظروف حالات الطقس (الرطوبة ـ أو الحرارة ـ أو التدريب الرياضي في مواسم حبوب اللقاح) والتي تؤثر في حدوث بعض المظاهر الفسيولوجية بعد الانتهاء من ممارسة الرياضة، حيث يتراوح زمن ظهور تلك المظاهر بين ٢ و ٤ ساعات بعد أداء التمرينات، وتظهر في أوج قمتها ما بين ٤ و ٨ ساعات حيث تنتهي تلك المظاهر للمريض بعد ١٢ و ١٤ ساعة إلا أنه ـ على الرغم من ذلك ـ **أثبتت الدراسات العلمية مدى أهمية الانتظام في ممارسة بعض الأنشطة الرياضية من علاج الأطفال المصابين بمرض الربو أو حساسية الصدر.**

ماذا يحدث أثناء الرياضة ؟

أغلب الدراسات العلمية التي تعرضت لدراسة تأثير الرياضة البدنية على مرضى الربو أجريت لمعرفة تأثير الانتهاء من ممارسة المجهود البدني على هؤلاء المرضى، للتعرف على الاستجابات الفسيولوجية للجهاز التنفسي لمرضى الربو أثناء فترة ممارسة النشاط الرياضي.

ولهذا فسوف أعرض بعض التغيرات الحادثة للجهاز التنفسي لمرضى الربو ومقارنتهم بالأفراد الأصحاء وذلك أثناء ممارسة النشاط الرياضي.

يحدث للأفراد المرضى بالربو ـ أثناء ممارسة الرياضة ـ قصور وخلل في ميكانيكية عمل الحجاب الحاجز وأيضا لعضلات التنفس وتنقص قدرتهم على تنظيم عمليات التنفس والتهوية الرئوية ـ **وقد أجريت دراسة لمعرفة التغيرات التي تحدث لضغوط الغازات في الدم الشرياني أثناء ممارسة النشاط الرياضي لمرضى الربو، وقد**

استخلصت النتائج حدوث زيادة في الضغط الجزئي للأكسجين في الدم الشرياني.

شدة التمرينات وأضرارها

تعد شدة التمرينات ضمن العوامل الجوهرية المؤثرة في تحديد درجة حدوث أزمة حساسية الصدر للمرضى بالربو، فقد أجريت دراسة تجريبية على عينة قوامها ثمانية من الأطفال المرضى بالربو، وتم تقسيمهم إلى مجموعتين، الأولى يتم تطبيق برنامج تدريبي لمجموعة الأنشطة الرياضية ذات الشدة المرتفعة، وذلك بالتدريب داخل هواء الغرفة، **والمجموعة الثانية** يطبق عليهم برنامج تدريبي منخفض الشدة مع ممارسة الرياضة في الهواء الطلق البارد الجاف، وقد أظهرت النتائج حدوث انخفاض لدرجة حرارة معاملات التنفس لكلا المجموعتين بينما اتضح زيادة انخفاض قوة هواء الزفير في الثانية الأولى للمجموعة الأولى المطبقة للتمرينات ذات الشدة المرتفعة.

أطفال الربو والرياضة

إن تأثير ممارسة النشاط الرياضي على وظائف الرئتين لمرضى الربو تستند أساسا على طول الفترة الزمنية للنشاط وشدة المجهود البدني حيث تؤثر الرياضة البدنية المستغرقة لفترة زمنية قصيرة بين دقيقة ودقيقتين على زيادة السعة التنفسية، وذلك من خلال زيادة أقصى معدل تدفعه لهواء الزفيرPerf وزيادة أقصى حجم لهواء الزفير Fev. أما المجهود البدني المستغرق فترات زمنية أطول من ذلك ٦، ٨ دقائق فيؤثر على حدوث انقباض في الشعب الهوائية بعد أداء المجهود وذلك لمعظم مرضى الربو، وذلك لعدم قابلية الشعب الهوائية وعدم استجابتها للشدة الواقعة عليها من جراء أداء النشاط الرياضي لمرضى الربو، حيث تظهر عملية انخفاض الكفاءة الرئوية ما بين٣ و٥ دقائق من توقف أداء النشاط الرياضي، وتعود الحالة الطبيعية لوظائف الرئتين في فترة زمنية بين ٤٠و٦٠ دقيقة.

قد أجريت دراسة على عينة قوامها ٨٦طفلا مصابا بمرض الربو تتراوح أعمارهم بين٧ و١٥ سنة، وقد أجرى عليهم برنامج تدريبي استمر ثلاثة شهور واشتمل على ممارسة السباحة، وركوب الدراجات، الجري لمسافات طويلة.

وقد تم تطبيق بعض القياسات الفسيولوجية قبل وبعد تطبيق البرنامج التدريبي.

وقد جاءت النتائج كالآتي:

١ ــ حدوث تحسن في نتائج بعض وظائف الرئتين.

٢ ــ حدوث تحسن في انخفاض معدلات ضربات القلب.

٣ ــ زيادة مستوى الحد الأقصى لاستهلاك الأكسجين من٣٦ مليلتر/ كجم ليصل إلى٥٣ مليلتر/ كجم.

٤ ـ حدوث تحسن من قوة عضلات الذراعين ـ الظهر ـ البطن ـ مرونة مفصلي الركبة والفخذين ـ وتنمية عنصر القدرة (الوثب الأعلى من الثبات).

٥ ــ حدوث تحسن في النواحي النفسية



هناك أنشطة رياضية كثيرة تناسب الأطفال المرضى بالربو

للمريض مثل الثقة بالنفس، زيادة دوافعهم وحماسهم نحو الانتظام في ممارسة النشاط الرياضي.

الأبطال الأولمبيون والربو!

وفي دراسة أخرى أجريت خلال أداء دورة لوس أنجلوس للألعاب الأولمبية (١٩٨٤م) اتضح وجود٦٧ رياضيا مصابا بمرض الربو ضمن الفريق الأمريكي، وقد أحرز هؤلاء اللاعبون المرضى ٤١ ميدالية فوز، **وهذا يبرهن على أن إحراز الإنجاز الرياضي ليس مقصورا على الأصحاء فقط ولا يعد خارج المنافسة للمرضى بحساسية الصدر.**

كما أجريت في عام (١٩٨٥) دراسة على عينة قوامها ٢٠ طفلا من المصابين بالربو، انتظموا في أداء برنامج تدريبي للجري مدته أربعة شهور بواقع ٣٠ دقيقة في اليوم وبعدد ٣ مرات أسبوعيا، وقد أظهرت نتائج الدراسة أنه **يمكن للطفل المصاب بالربو ممارسة رياضة الجري دون حدوث أية أضرار صحية.**

البرامج الرياضية الملائمة للمصابين

يحتاج الأطفال المرضى إلى تحسين لياقتهم البدنية حتى يتمكنوا من التغلب على عوامل الإعاقة والخلل في جهازهم التنفسي في أقل فترة ممكنة، حيث يغلب عليهم ضعف قدراتهم البدنية والصحية والتي يتم ملاحظتها عند أداء مجهود بدني يسير.

ولذلك تعد ممارسة الأنشطة الرياضية المناسبة التي يتطلب أداؤها تنمية عنصر التحمل العام Endurance كأنشطة الجري الخفيف والسباحة ضمن الوسائل العلاجية لمرض الربو على الرغم من أنهم قد يواجهون بعض المشكلات الصحية عند مزاولتهم للرياضة مثل حدوث صفير أثناء التنفس Wheeziness وألم وخلل في وظائف التنفس، ولكن مع ذلك فإنه يمكن التغلب على تلك المشكلات بالتدرج في ممارسة النشاط الرياضي واختيار الأنشطة البدنية المناسبة لسنهم وقدراتهم الصحية وبالتالي يمكن الارتقاء بالنواحي النفسية والصحية المرتبطة بظروف المرض ومن خلال التحسن الفسيولوجي والنفسي للمريض.

إن شعور الطفل المريض بالربو بأنه جزء لا يتجزأ عن الجماعة من خلال مشاركته مع زملائه الأصحاء تعد من الأمور الهامة في علاجه وبخاصة أن لدى الأطفال الدافع والحماسة نحو اللعب وممارسة الرياضة، ولذا تعد ممارسة النشاط الرياضي هي منصة الانطلاق نحو علاجهم.

الرياضة وسيلة علاج لمرضى الربو

قبل البدء في ممارسة الرياضة ينبغي الحرص على إجراء الاختبارات الطبية لتقويم الحالة الصحية وبخاصة وظائف الرئتين والجهاز التنفسي، والقلب

مرضى الربو
يحرزون الميداليات الأولمبية!

والجهاز الدوري، كما يجب إجراء اختبار الجهد البدني على دراجة (الأرجوميتر) أو البساط المتحرك أو اختبار الخطوة، وتعد الدراجة الأرجوميترية ضمن الأجهزة الصحية الموضوعية والمألوفة لدى الأطفال عند تطبيق الاختبار عليهم لتقويم مدى فاعلية وظائف الرئتين والجهاز الدوري والقلب **ولذا فإن التعاون بين الطبيب المعالج وإخصائي التربية الرياضية تعد من الأمور الأساسية للبدء في العلاج بممارسة الأنشطة البدنية المختارة**، حيث إن البرنامج الرياضي الموضوع يسمح باكتشاف الطفل نفسه ومدى قدراته على التكيف بممارسة النشاط الرياضي والتغلب على مشكلاته الصحية ومساعدته على إدراك قدراته البدنية ومن خلال ذلك نساعده على أن يردد بنفسه «بأنني قادر على أخذ دوري في ممارسة الرياضة على الرغم من مرضي».

نوعية نشاطات الإحماء المطلوبة

يمكن تطبيق نشاط الإحماء بإستخدام بعض الألعاب الصغيرة ومنها :

ـ لعبة المطاردة بالقدم :

يكون الأطفال دائرة بتشبيك الذراعين، ويحاول أحد أفرادها لمس زميله باستخدام قدمه والثاني يحاول الابتعاد ـ وهكذا فهذه اللعبة تزيد من ترابط الأطفال معًا في البرنامج التدريبي المعد، وتنمي العناصر البدنية لديهم.

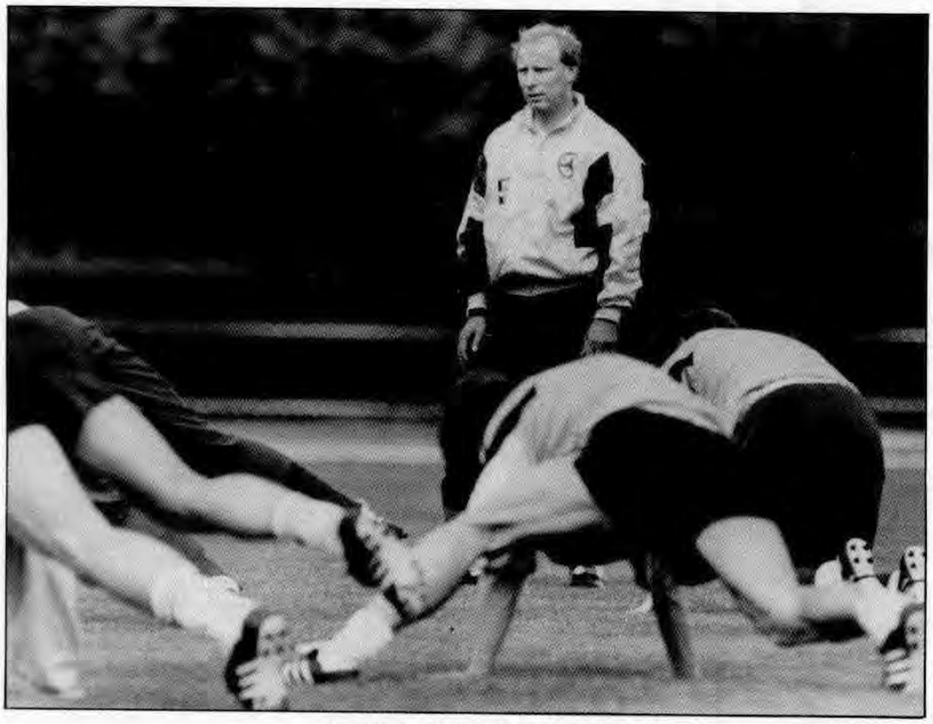
ـ المشي ثم الهرولة ثم الجري .

ـ استخدام بعض ألعاب الكرة .

رمي الكرة لأعلى ولقفها ثم تنطيط الكرة، وتبادل تمرير الكرة مع الزميل، وذلك بغرض تنمية عنصر المرونة وقوة عضلات الذراعين.

فترات معينة وضربات محسوبة

ومن المناسب تطبيق أسلوب التدريب الفتري Interval Traning، ويجب ألا تزيد فترة أداء المجهود البدني عن أربع دقائق عند تطبيق هذا الأسلوب في حالة وجود خلل أو قصور في الشعب الهوائية لدى الأطفال مع مراعاة ألا يكون التدريب



شدة التمرينات تؤثر في حساسية الصدر لمرضى الربو

○ التدريب المطلوب على فترات وبحساب دقات القلب في الدقيقة

شديدا ويمكن استخدام الأنشطة الرياضية الجماعية مثل كرة القدم، اليد، السلة، وتعد كرة الماء من الأنشطة المثالية.

يجب مراعاة أن يكون المجهود البدني مناسبًا لسن الطفل وقدراته، وأن يكون معدل ضربات القلب ما بين ١٦٠ و١٧٠ ضربة في الدقيقة للأطفال في سن ١٠ : ١٥ سنة، فإذا زاد عدد ضربات القلب عن هذا الحد فإن أداء هذا المجهود البدني يعد مصدر خطورة وضرر قد يؤدي لحدوث حالة الأزمة الصدرية.

أهمية النشاطات المائية والترويحية

تعد السباحة من الأنشطة الرياضية المثالية للأطفال المرضى بالربو، حيث لا تحدث ممارستها حالات الأزمة الصدرية إلا نادرًا بالمقارنة بباقي الأنشطة الرياضية الأخرى التي تتصف بالشدة في أدائها.

وقد استخدمت السباحة ـ منذ زمن طويل ـ وسيلة علاجية وتأهيلية وترويحية للكثير من الأمراض العضوية والنفسية . وتعد ضمن الأنشطة الرياضية الفريدة من نوعها بالمقارنة بباقي الأنشطة الرياضية الأخرى، لاستخدامها الوسط المائي الذي يحسن من فاعلية عمل القلب والجهاز الدوري والتنفسي ؛ نظرا لأن جسم الإنسان يكون محمولاً على الماء كما تنعدم الجاذبية الأرضية مما يقلل من العبء الواقع على كاهل أعضاء الجسم، ونتيجة لممارسة السباحة تزداد قوة عضلات التنفس وبالتالي يزيد عمق التنفس والذي يؤدي بدوره إلى زيادة فاعلية عمل القلب نحو رفع المزيد من الدم مما يحسن من كفاءة الجهاز التنفسي.

وقد ذكر أحد الأطباء الإنجليز يصف المصابين بمرض الربو بقوله : «تؤثر معظم الأنشطة الرياضية على حدوث صعوبة التنفس، ولكن ليس هناك أفضل من رياضة السباحة التي تستخدم فيها الذراعان مما يحسن من كفاءة الرئتين».

ممارسة نشاطات الخلاء

وذلك بمشاركة الأبوين للطفل المريض بالربو أو مع المجموعات، أو يمكن ممارسة بعض الأنشطة الرياضية في الهواء الطلق كقيادة الدراجات والمشي من خلال التمتع بجمال الطبيعة والتنقل بين أطرافها.

دعوة ترشيح

لجائزة الملك فيصل العالمية للطب وللعلوم

يسر الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية أن تدعو الجامعات ومراكز البحوث المختصة في جميع أنحاء العالم لترشيح من تراه مستحقاً؛

لجائزة الملك فيصل العالمية للطب؛ وموضوعها:

التطبيقات الطبية لهندسة الجينات

و

لجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم؛ وموضوعها:

الرياضيات

المقرر منحهما عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، وذلك وفق ما يلي؛

١- أن يكون المرشح قد أسهم بجهد علمي بارز فيه فائدة ملحوظة للبشرية وإثراء للفكر الإنساني في موضوع الجائزة.
٢- أن يتميز إنتاج المرشح بالجدة والأصالة.
٣- أن يكون الترشيح من مؤسسة علمية معترف بها.
٤- أن يشتمل الترشيح على:
أ. بيان مطبوع بالآلة يتضمن الأعمال المرشحة لنيل الجائزة.
ب. بيان مطبوع بالآلة عن الحياة العلمية والعملية للمرشح متضمناً جميع أعماله المنشورة.
ج. عشر نسخ من كل عمل مرشح.
د. ثلاث صور شمسية ملونة حديثة للمرشح مقاس ١٠ × ١٥ سم.
هـ. العنوان البريدي للمرشح ويشمل:
(١) عنوان العمل ورقم الهاتف والتلكس والفاكس.
(٢) عنوان المنزل ورقم الهاتف.
٥- تخضع جميع الترشيحات لقرار لجنة الإختيار المكونة من متخصصين أجلاء.
٦- يجوز أن يشترك في الجائزة فائزان أو أكثر.
٧- لا يقبل إنتاج المرشح إذا كان:
أ. قد منح جائزة من أية مؤسسة عالمية.
ب. رسالة جامعية.
ج. غير منشور.
٨- لا يقبل الترشيح إذا كان:
أ. فردياً أو من أحزاب سياسية.
ب. غير مستوف لجميع الشروط المعلنة.
ج. وصوله بعد الموعد المحدد.
٩- تتكون الجائزة من:
أ. شهادة تحمل إسم الفائز وملخصاً للأعمال التي أهلته لنيل الجائزة.
ب. ميدالية ذهبية.
ج. مبلغ (٣٥٠ ٠٠٠) خمسين وثلاث مئة ألف ريال سعودي.
١٠- تعلن أسماء الفائزين في شهر شعبان ١٤١٤هـ (فبراير ١٩٩٤م)، وتمنح الجائزة في إحتفال رسمي يحدد زمانه ومكانه في وقت لاحق.
١١- آخر موعد لقبول الترشيحات مكتملة ١٥ ربيع الأول ١٤١٤هـ (١ سبتمبر ١٩٩٣م).
١٢- لا تعاد أوراق الترشيح والأعمال المرشحة إلى مرسليها، فاز المرشحون أو لم يفوزوا.
١٣- ترسل جميع الترشيحات وكل ما يتصل بها من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها بالبريد الجوي المسجل إلى:
الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية.
ص.ب (٢٢٤٧٦) - الرياض (١١٤٩٥)
المملكة العربية السعودية.
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥
تلكس: 404667 PRIZE SJ
فاكس: ٤٦٥٨٦٨٥
برقياً: جائزة.

موازنة باللغات الأخرى

مزايا العربية ودلائل التطور العريق فيها

بقلم: د. عبد الغفار حامد هلال

لا شك فيه أن اللغات لم تنشأ دفعة واحدة، بل إن بعضها حدث أولا ثم حدث بعضها الآخر ولا يزال يحدث شيئا فشيئا. ويقول ابن جني: «إن اللغة لا بد أن يكون قد وقع في أول الأمر بعضها ثم احتيج فيها بعد إلى الزيادة عليه لحضور الداعي إليه فزيد فيها شيئا فشيئا»[١].

وقد تتبع علماء اللغة المسالك اللغوية التي درجت عليها اللغات جميعها في تنوع ألفاظها ودلالتها وتصريفها، وكان ذلك في القرن التاسع عشر فقسموا اللغات إلى ثلاث فصائل من جهة الاشتقاق وأُخذت الألفاظ بعضها من بعض كما يلي:

١ ـ **الفاصلة Isolating** أو المنفصلة أو العازلة أو لغات التجميع أو لغات التركيب الكثير Poliysynthetic أو اللغات غير المتصرفة Monosyllabiques أو اللغات غير المرتقية[٢].

وهذا النوع من اللغات يتضمن أدنى اللغات بيانا وأبسطها ألفاظا، وكلمات هذا النوع تلازم شكلا واحدا، وتدل على معنى ثابت لا يتغير (من ناحية المورفولوجيا) ومن ناحية السنتكس توضع أجزاء الجملة بعضها بجانب بعض دون روابط، وتستفاد وظائفها وعلاقاتها من ترتيبها أو من سياق الكلام[٣].

«فالفاصلة هي اللغة التي لا يتغير فيها شكل الكلمة (أو الجذر) إن وقع في التركيب، أما العلاقات الصرفية والنحوية بين كلمة وأخرى في الجملة فتتوقف على موقع الكلمة في الجملة لا على تصريفها أو حالاتها الإعرابية، واللغة الصينية من هذا النوع فإن الضمير «أنا» لا يتغير شكله كما هي الحال في لغتنا العربية تبعا للحالات الإعرابية والصرفية بل يظل على شكله الأول، إنما يتغير مركزه في الجملة، وهذا التغيير في مركز الكلمة يدل على الحالة الإعرابية أو على الوظيفة النحوية التي تقوم بها الكلمة. وإيضاحا للمسألة نقول: في لغتنا العربية يتغير الضمير «أنا» إلى (تُ) في مثل: أكلتُ، ويتغير إلى «ني» في مثل: أجبني، ويتغير إلى «ي» في مثل: كتابي، وإذا أكدناه قلنا: «إياي». أما[٣] في الصينية فيقال «كتاب أنا» «أجب أنا» وفي حالة التأكيد «أنا أنا». وهذه اللغات تعتمد ـ كذلك ـ على (التنغيم) لتنويع المدلول والتمييز بين الصفات والظروف من ناحية والأوقات والأجناس وغيرها من معاني الجمع والتثنية والإفراد من ناحية أخرى[٥].

ومن أهم صفاتها أن ألفاظها أحادية المقاطع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف، واللفظة الواحدة تكون اسما أو فعلا أو نعتًا بإضافة ألفاظ أخرى ذات معانٍ مستقلة.

ومن هذه اللغات ـ غير الصينية ـ اللغات الزنجية التي يتفاهم بها قاطنو جنوبي إفريقيا، واللغات الأمريكية التي يتكلم بها هنود أمريكا، والشمالية الشرقية الآسيوية، والحامية[٦].

ويرى بعض الباحثين أن هذه اللغات سارت على هذا المسلك لبدائية أهلها لأنها تشيع في كثير من الأمم البدائية.

وسُمِّي هذا النوع باللغات الفاصلة أو المنفصلة لأن الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها، وإنما يتغير المعنى بضم صيغة أخرى بترتيب متبع أو بغير ترتيب يلتزم في جميع الأحوال. وسميت عازلة لعدم وجود روابط في جملها[٧]. وسميت بلغات التجميع أو التركيب الكثير لأن من فروع هذه اللغات ما تتكون أسماؤه وأفعاله من جملة تتألف من عدة مقاطع وأجزاء. وسميت غير متصرفة لعدم تغير أبنيتها ومعانيها[٨] وغير مرتقية لتضمنها أدنى اللغات بيانًا وأبسطها ألفاظا وانتشارها بين الأمم البدائية.

٢ـ **اللاصقة Agglutinative** أو اللصقية أو الوصلية أو لغات النحت: وتسمى أحيانا باسم اللغات الغروية في اصطلاح الأوربيين ومرتقية[٩] ومن أهم صفات هذه اللغات أنها مؤلفة من أصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقا، وأن الاشتقاق يقوم فيها بإلحاق أدوات لا معنى لها وتوضع هذه الأدوات أحيانا قبل الأصل فتسمى سابقةPrefixes وأحيانا بعده فتسمى لاحقة Suffixes، ومعظمها كان في الأصل كلمات ذات دلالة ثم فقدت معانيها وأصبحت لا تستخدم إلا مساعدة للدلالة على تغير معنى الأصل الذي تلصق به أو للإشارة إلى علاقته بما عداه من أجزاء الجملة[١٠].

ويختلف أسلوب اللصق باختلاف اللغات، فبعض اللغات اللصقية تستخدم الحروف السابقة كاللغة البنتوية[١١]، وبعضها يستخدم الحروف اللاحقة كالتركية فـ(منزل) في التركية مثلا يقال له: أو Ew فإذا أردت أن تقول: خارج المنزل ألصقت بآخره دالاً مكسورة ونونا للدلالة على المجاورة فتقول: أودن Ewden وإذا أردت جمعه ألصقت بآخره لاما مكسورة وراء فتقول: أولر Ewler، وإذا أردت أن تقول: خارج المنازل ألصقت بالجمع الدال والنون الدالّتين على المجاورة فتقول: أولردن Ewlerden، وقد تجتمع الطريقتان في لغة واحدة فتستخدم أحيانا الحروف السابقة وأحيانا الحروف اللاحقة، وقد رُوي أنه توجد في لغة الإيروكويين كلمة واحدة تدل على ما يأتي[١٢]: «أطلب نقودا من هؤلاء الذين جاؤوا ليشتروا مني الأقمشة» ويكثر كذلك هذا النوع

○ القوالب الفكرية العامة في اللغة العربية توفر على المتكلم والمتعلم كثيراً من الجهد ..

من الكلمات الطويلة في لغة الإسكيمو.

ولذا سميت باللصقية أو الوصلية (١٣) وسميت بلغات النحت لتكون الأسماء والأفعال والصفات فيها بإدخال المقاطع الصغيرة عليها أو إلحاقها بها، وباللغات الغروية لأن مفرداتها تلصق لصقا لتنويع معانيها كما تلصق أدوات البناء بالغراء(١٤).

ومن أشهر لغات هذه الفصيلة ـ عدا ما سبق ـ اللغة اليابانية، وغير التركية من فروع اللغات الطورانية والمنغولية (١٥) وبعض لغات الأمم الأولية.

٣ ـ المتصرفة **Flexional** أو التحليلية **Analytiques** ويطلق عليها اسم المرتقية.

ويمتاز هذا القسم من ناحية المورفولوجيا بأن كلماته تتغير معانيها بتغير أبنيتها ومن ناحية الستنتكس بأن أجزاء الجملة يتصل بعضها ببعض بروابط مستقلة تدل على مختلف العلاقات (١٦).

فاللغات المتصرفة هي التي يتغير فيها الجذر أو تتغير حركته وقد يمتزج بعناصر أخرى أو عناصر أخرى تمتزج به في أوله ووسطه وآخره وفي جميع هذه التغييرات يختلف المعنى (١٧).

وسميت متصرفة لتغير أبنيتها بتغير المعاني، وبالتحليلية لما تتخذه حيال الجملة من تحليل أجزائها وربط بعضها ببعض بروابط تدل على العلاقات مثل: ذهب محمد وعلي من المنزل إلى الجامعة. فالربط هنا بالواو ومن وإلى بمعان خاصة وتسمى هي والتي قبلها بالمرتقية لأنها تمتاز بسعة نطاقها ومنها لغات العالم المتمدن.

وأحسن مثال على تصرف اللغات هو اللغة العربية فجذورها تتصرف على أنحاء شتى للدلالة على المعاني، ومن ذلك الجذر (ك ت ب) فمنه: كَتَبَ ـ بالبناء للمعلوم ـ كُتِبَ ـ بالبناء للمجهول ـ كاتب ـ مكتوب ـ استكتب ... الخ.

واللغات المتصرفة تمتاز بقبول أصولها التصريف إلحاقا وإدراجا ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية أنها مؤلفة من أصول قابلة للتصريف إدراجا، وأن الاشتقاق فيها يقوم بإضافة أدوات معظمها ذات معنى في نفسها، وهذه الأدوات تلحق غالبا في آخر الأصل وأحيانا في أوله.

مثال ذلك في الإنجليزية Thank (شكر) منها Thankful (شاكر أو شكور) ثم Unthankful (غير شاكر) Unthankfulness (عدم شكر).

وهكذا في سائر التصاريف وعليه تجري سائر اللغات الآرية (١٨) واللغات السامية تشارك الطائفة الآرية في قبول الاشتقاق على طريق الإلحاق لكنها لا تقبل الأدوات الملحقة إذا كانت ذات معنى في نفسها وتمتاز بحصول معظم الاشتقاق فيها بواسطة تغيير الحركات، فاللغات السامية يعم فيها الفعل الثلاثي في كل مادة وتجري قواعد الصرف فيها على المخالطة بين الأوزان بحسب معانيها (١٩) فهي « مؤلفة من أصول ثلاثية الأحرف ثابتة في الاشتقاق أي إنه لا يؤثر على أحرفها، بل هو يقوم فيها بتغيير الحركات التي يتوقف عليها نوع الدلالة، مثاله في العربية (قتل) وهو أصل يتضمن معنى القتل، فبتغيير الحركات فيه تشتق عدة أفعال أو أسماء أو نعوت تبعا لنوع التغيير فمنه: (قَتَل) ـ فعل ماض معلوم ـ و(قُتِل) ـ فعل ماض مجهول ـ و(قَتّل) ـ مصدر ـ و(قِتْل) ـ بكسر القاف وسكون التاء ـ بمعنى العدو و(المقاتل) و(قُتُل) ـ بضمتين ـ جمع قتول، وقد تمد إحدى هذه الحركات فيقال: قَاتَلَ وقاتِل وقتيل وقتول وقتال وقتال ـ بكسر القاف وفتحها، وقتلى ... إلخ» (٢٠).

«فتبادل الحركة يلعب في السامية دورا أوسع مما في الهندية الأوربية، فخاصة هذه اللغات في تعبيرها بالسواكن عن أساس الفكرة وعن تفرعاتها الثانوية بالحركات يجعلنا في حل من القول بأن التصريف في هذه اللغة يقع داخل الكلمات، أما عن الحركات فكل ساكن من سواكن الأصل يمكن أن يتبع بالفتحة القصيرة أو الطويلة أو بالكسرة القصيرة أو الطويلة أو بالضمة القصيرة أو الطويلة أو بالصفر، فعندنا سبع صور، وكل واحدة من هذه الصور السبع تستخدم للدلالة على الوظيفة النحوية وذلك يسمح للغات السامية بصياغة عدد من الكلمات المشتقة دون حاجة إلى لواصق» (٢١).

تفرد بعموم الاشتقاق

فاللغات السامية تسمى ـ لذلك ـ لغات الاشتقاق وهو ما بين خصائصها الملازمة لها.

وتكاد اللغة العربية ـ من بينها ـ تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده مع تحريك أواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة (٢٢).

فنحن إذا نظرنا في خاصة الاشتقاق نفسها بين العربية وأخواتها في الأسرة اللغوية نرى أنها كادت تنفرد باشتقاق مقصور عليها لا يضارعه اشتقاق العبرية أو السريانية أو الكلدانية أو الحبشية في السعة ولا في تقسيم القاعدة ولا في تحكيم المتكلم في التعبير عن أغراضه على حسب كل احتمال معقول (٢٣).

وإن اللغات السامية التي تشارك هذه اللغة في قواعد الاشتقاق لم تبلغ مبلغها في ضبط المشتقات بالموازين التي تسري على جميع أجزائها وتوفق أحسن التوفيق المستطاع بين مبانيها ومعانيها (٢٤).

○ للغة العربية نسق مورفولجي مبتكر يعطي ثروة من الاشتقاق من الأصل الواحد

وإذا ما قارنا بين الاشتقاق في العربية واللغات الأجنبية لحظنا أن العربية تمتاز - كما سبق إيضاحه - بأصول، تسمى بالحروف الصامتة وهي ماعدا حروف المد، أثبت وأقوى وأبقى على اختلاف أحوال الكلمة وتصرفاتها وصيغها ومنها تتكون حروف الكلمة الأصلية الثابتة التي تدور معها أنى دارت، وتثبت أني تقلبت، وهي التي تثبت أصل المعنى في المادة اللغوية بثباتها. ولحروف المد فيها وظيفة تنويع المعنى الواحد والمادة الواحدة[٢٥] - بجانب الحركات التي تنوع المعنى أيضا -[٢٦] تبعا لأوزان مختلفة مثل: ينظر - ناظر - منظور - نظير - نظائر - نظارة - مناظر - منظار - منظر - منتظر . . . إلخ. فهذه الكلمات تختلف بين أسماء وأفعال وصفات وأفراد وجموع والذي فرق بينهما هو الوزن الذي لونته الحركة قصيرةً وطويلةً وهذه الحركات، مع ما يسمي بحروف الزيادة التي يجمعها قولهم «سألتمونيها» مما يعين على ذلك[٢٧].

بل تسمو العربية حين تعبر باختلاف الوزن والحركة عن معانٍ دقيقة، فهناك تفرقة واضحة بين ما هو حركة في النفس وما هو حركة في الجوارح يدرك - مثلا - بين الكِبرَ - بكسر الكاف وفتح الباء - والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه وما إلى ذلك[٢٨].

وإن هذه القوالب الفكرية العامة في اللغة العربية توفر على المتكلم والمتعلم كثيرًا من الجهد، ذلك أنّ في عالم الفكر معاني كلية كالفاعلية والمفعولية، والمكانية والزمانية والسببية والحدث أو الفعل والآلية، ويمكن أن تزاد هذه المعاني الكلية أو القوالب الفكرية وأن ترد إليها جميع المعاني الجزئية والتفصيلية[٢٩].

واللغة العربية بلغت غاية الحسن بتقسيمها الحروف إلى نوع صامت لتنويع أصول المعاني، وحروف المد التي تنوع المعنى الواحد على حسب أحواله وملابساته للفاعل والمفعول والصفة وللماضي والمستقبل، واختلاف الحركة مع الاتفاق في الحروف الأصلية يؤدي إلى اختلاف جزئي في المعنى كالمبني للمعلوم أو للمجهول واسم الفاعل واسم المفعول . . . إلخ[٣٠].

وبذلك نرى أن للعربية نسقا مورفولوجيا مبتكرا داخل الكلمة يستبعد كل إضافة خارجية من المقاطع لأوائل الكلمات أو آخرها وينتج ثروة من الاشتقاق من الأصل الواحد[٣١].

«فالكلمة العربية تبدو كأنها أذيبت ثم صيغت وتوزعت أجزاؤها وحشيت أطرافها وأوساطها مع الاحتفاظ دائما بمادتها الأصلية فخرجت في قالب معين ووزن محدود لا يختلف من مادة إلى أخرى»[٣٢].

ولذلك كانت أبنية الألفاظ وأوزان الكلم العربي وحدات موسيقية ترجع إليها جميع ألفاظ اللغة العربية، وكان الكلام في حال تركيبه - شعرا أو نثرا - إذا أحكم تركيبه على يد حاذق لغوي، كان هذا الكلام يمثل وحدات موسيقية وكأنه زخارف الفن العربي»[٣٣].

وهذه الخصائص التي تتمثل في أصول ثلاثية تشمل المعنى العام ومعها يتنوع بالحركات قصيرة وطويلة وببقية حروف الزيادة المعروفة في العربية بحيث تكوّن إطارا عاما تجري المعاني في فلكه، وتوفر على المتكلم والباحث جهدا طويلا شاقا قد يقضيه عند استعمال لغة أخرى، هذه المزايا لا تتوافر لغير العربية من اللغات الأجنبية المتصرفة.

فالباحث في اللغات اللاتينية يرى أنه «ليس في مفردات هذه اللغات عدد من الحروف الثابتة فقد تتغير كلها أو أكثرها في تصاريف الكلمة ومشتقاتها أو تحذف وقد تتغير أصواتها على مر السنين وقد يقع هذا التغيير في بعض مفردات المادة، دون بعضها الآخر فتنفك الصلة بينها، فالشين في كلمته Cheval (حصان) كانت كافا في الأصل وانقلبت إلى شين في بعض الألفاظ وبقيت كافا في بعض مشتقات الكلمة مثل: Cavalier (فارس)»[٣٤].

ولا فرق بين حروف المد وغيرها من جهة تبدلها وعدم استقرارها أو من جهة دلالتهاووظيفتها.

الهوامش والتعليقات

(١) الخصائص ٢/ ٢٨.

(٢) مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠هـ ص١٠٥٨، وعلم اللغة لوافي ص١١٧، والفلسفة اللغوية لجورجي زيدان ص١٠.

(٣) علم اللغة ص ١١٧.

(٤) محاضرات في اللهجات لأنيس فريحة ص٢٢.

(٥) من بحث لعباس العقاد بمجلة الأزهر العدد السابق.

(٦) الفلسفة اللغوية ص ١٠ ومقدمة لدرس لغة العرب ص١٢٢.

(٧) علم اللغة ص١١٧.

(٨) المصدر السابق ص ١١٥، ١٢٦.

(٩) محاضرات في اللهجات وبحث العقاد السابق.

(١٠) الفلسفة اللغوية ص ١١ ومقدمة لدرس لغة العرب ص ١٢٢.

(١١) يطلق اسم البنتوية على سكان القسم الجنوبي بإفريقيا الاستوائية ماعدا قبيلتي الهوتانتوت والبوشيات وترجع لغاتهم إلى فصيلة واحدة على الرغم من اختلاف أصولهم الشعبية.

(١٢) عشائر الهنود الحمر وهم السكان الأصليون لأمريكا الشمالية.

(١٣) علم اللغة ص ١٢٦.

(١٤) بحث العقاد السابق.

(١٥) الفلسفة اللغوية ص ١١ ومقدمة لدرس لغة العرب ص ٢٣.

(١٦) محاضرات في اللهجات ص ٢٢ وعلم اللغة ص ١١٥.

(١٧) محاضرات في اللهجات ص ٢٢.

(١٨) الفلسفة اللغوية ص ١٢، ١٣.

(١٩) المصدر السابق وبحث العقاد السابق.

(٢٠) الفلسفة اللغوية ص ١٢٦.

(٢١) علم اللغة ص ١١٣، ١١٤.

(٢٢) بحث العقاد السابق.

(٢٣) أشتات في اللغة والأدب للعقاد ص ١٠١.

(٢٤) اللغة الشاعرة للعقاد ص ١٣.

(٢٥) خصائص العربية ومنهجها الأصيل في

وليس في الاشتراك في الحروف الصامتة في اللغات الأجنبية أيّ دليل على اشتراك بينهـا في المعنى، مثـال ذلك في الفرنسيـة (سكـران) Oeuvrer (أثر أو تأليف) Ouver (il) (فتح) ومثلها Livre (كتاب) Levre (شفة) (٣٥).

والخلاف في حروف المد في الفرنسية والإنجليزية خلاف أساسي يتغير به المعنى والأصل الاشتقاقي غالبا كالاختلاف بين الألفاظ الفرنسية الآتية، وهو منحصر في حروف المد : mal, pas, puis, moule, male, peau, leu, mulle, mile (٣٦).

وهي تقوم في تركيب الألفاظ واشتقاقها على طريقة التركيب الإلحاقي التي تقوم على زيادة أحرف مخصوصة في أول الكلمة أو آخرها للدلالة على معنى خاص يحصل بهذه الإضافة كإضافة ent في الفرنسية و er في الإنجليزية للدلالة على اسم الفاعل، وإضافة in في أول الكلمة للسلب و er للتكرار و tions في آخرها للحدث و ment وللحال في الفرنسية أو بطرق أخرى كالنحت.

أرقى بيان

وقد تجرى الكلمات في اللغات الأجنبية على وزن واحد ولكن بغير دلالة على اتفاق في المعنى ولا في تقسيم الأسماء والأفعال والحروف، ولولا هذه المشابهة العرضية بين بعض كلماتها لكان فيها من الأوزان عداد ما فيها من الكلمات فالأوزان : آن ـ بان ـ تان ـ ثان ـ جان ـ ذان ـ ران ـ فان ـ مان ـ توجد في اللغة الإنجليزية اتفاقا، ومنها الحروف والأفعال والأسماء وليس بين أوزانها ومعانيها ارتباط على الإطلاق (٣٧).

وبهذا يثبت سر كبير للاشتقاق والتصريف في اللغة العربية، وكونها من أرقى اللغات بيانا وأوسعها نطاقا وأغناها ألفاظا وأدقها تعبيرا (٣٨). وإن دلائل التطور العريق الذي امتازت به لغة الضاد تحقيق علمي يقرره غير أبناء اللغة. وليس بالفخر القومي الذي يعلنه أبناؤها وحدهم دون دليل (٣٩).

التجديد والتوليد للأستاذ محمد المبارك ص ١٩٩ .

(٢٦) فقه اللغة ص ٢٤١ .

(٢٧) فقه اللغة للمبارك ص١٥٢ ـ ١٥٤ بتصرف.

(٢٨) فلسفة اللغة العربية د. عثمان أمين ص٤٦ .

(٢٩) فقه اللغة للمبارك ص ١١٨ .

(٣٠) المصدر السابق ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٣١) فلسفة اللغة العربية ص ١٠ .

(٣٢) فقه اللغة للمبارك ص ١٠٠ .

(٣٣) المصدر السابق ١٠٤، ١٠٥ .

(٣٤) خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد ص ٢٣ .

(٣٥) المصدر السابق ص ٢٢ .

(٣٦) فقه اللغة للمبارك ص ١٠٣ وانظر كتابه خصائص العربية ص ٢٢ .

(٣٧) اللغة الشاعرة ص ١٣ وفقه اللغة للمبارك ص١٠٠ .

(٣٨) الفلسفة اللغوية ص ١٣ .

(٣٩) العقاد في مجلة الأزهر العدد السابق ص١٠٥٩ .

الشموع



حتى لا يكون الفرد في البيئة الإسلامية بعيدًا عما يخالف منهج دينه، فإن عليه أن يبتعد عن أسلوب حياة أهل الملل الأخرى وأعمالهم المغايرة لدين الإسلام عقيدة وعملاً.

وحديثنا الآن عن الشموع التي أصبحت تقليدًا لدى كثير من المسلمين، وهي عادة من العادات التي يجب الحذر منها، والصغائر التي يحسن عدم الركون إليها، لأن وراءها أمورًا عظيمة، ذلك أننا نلمس اتجاهًا بدأت تكبر دائرته، وذلك بإشاعة عادة إطفاء الشموع وإشعالها في أعياد ميلاد الأبناء والبنات، حيث يهيأ احتفال على مائدة طعام أو حلوى، ويوقد في وسطها شموع.

وهذا الأمر معتقد نصراني، كما هو معتقد بوذي، ولست أدري أيهما الأقدم، ولا أيهما أخذ من الآخر وإن كان لكل منهما دلالة معينة.

فإيقاد الشموع في هاتين الملّتين، يرمز إلى تأصيل العقيدة : الأولى للربط ببوذا، والثانية لتمكين عقيدة التثليث، وكلتا العقيدتين فاسدة، وتباين منهجَ الإسلام وعقيدة الوحدانية لله عز وجل.

إن كثيرًا من الأمور التي يعملها أهل الكتاب وغيرهم، في مآتمهم وموالدهم ومناسباتهم، قد سرت إلى كثير من المجتمعات الإسلامية، واتخذها بعض أبناء المسلمين تقليدًا عندهم، بحكم الاختلاط بشعوب تدين بغير الإسلام، وتسير على طقوس لم تكن من تعاليم دين الإسلام، ولا ضمن منهجه الذي جاء به محمد ﷺ. وما اتخاذ الشموع في المناسبات، وما يتصدر الولائم من شموع مثلّثة، إلا منهج يرمز لمعتقد لدى أصحاب تلك الديانات، وهو من المخالفات لما تدعو إليه تعاليم الإسلام : سلامة في العقيدة، وتعلقًا بالقلب، إذ الشموع تعني قداسة دينية، ترتبط بوجدانيات عقدية مستمدة من دلالة النور والظلمة لدى الديانة المنوية القديمة.

أما في الإسلام، فإنها تعني منفعة من المنافع بوصفها جزءًا من مخلوقات الله المسخّرة للانتفاع ومصلحة الإنسان في حياته، لأن الإنسان لا يرفعه إلا عمله الصالح.

إن المسلم مدعوّ لنبذ كل خصلة ليس عليها توجيه رسالة الإسلام، ومأمور بنبذ كل أمر يرمز لتوجيه عقدي لدى الأمم الأخرى، سواء أحاط المرء بما يرمون إليه، أو لم يحط به.

وارتياح القلب لأي أمر هو من معتقد الأمم المناوئة لمبادئ الإسلام، يدخل في حكم الرضا والتقريب القليل، والمسلم لكي يستبرئ لدينه، عليه أن يحذر مما فيه شبهة، ويكون الانتباه والحذر أشد عندما يكون الأمر عليه دلالة واضحة من معتقد، وفيه رموز للولاء والاتباع.

د. محمد بن سعد الشويعر

الصحوة الإسلامية بين مخـ

بقلم: صبحي محمد جبر

الأمر الذي لا جدال فيه أن «اليقظة الإسلامية» التي يقف المسلمون على أعتابها اليوم، والتي شقت طريقها في قلب وفي عقل كل مسلم، بعد سنوات المعاناة التي عاشتها المجتمعات الإسلامية، حقيقة لا ينكرها أحد.

هذا الواقع يدل على أن الإسلام قوة لا تقهر، وأن كل المخططات التي وضعت للقضاء عليه قد ذهبت أدراج الرياح وظهر خبثها للعيان.

وقد يظن بعضنا عن حسن نية أن المعركة بين الإسلام وأعدائه قد انتهت بانتصار الإسلام، أو توقفت، كلا. فالحقيقة أن أعداء الإسلام الذين يقول الله عنهم ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا.** ﴾ [١] لم يكلّوا ولن يملوا، وكلما سقطت لهم راية رفعوا غيرها، وكلما انكشفت وسيلة استبدلوا بها سواها، وكلما خسروا معركة تحرفوا لموقع آخر يقاتلون فيه.

الصحوة الإسلامية والغرب

منذ أن شاع اصطلاح «**الصحوة الإسلامية**» للتعبير عن هذه اليقظة، كان المستشرقون والغربيون بصفة عامة، أكثر الناس الذين قاموا بتحليل هذه الظاهرة ودراستها، ورصد حركتها، وكان طبيعيًا أن يتم ذلك في إطار رؤيتهم للمصالح الغربية في «الوطن العربي والعالم الإسلامي». ولذلك عكف هؤلاء على دراسة الآثار السياسية لهذه الظاهرة الجديدة، ومدى تأثيرها في استقلال المجتمعات العربية والمسلمة في مواجهة النفوذ الغربي الذي استقر وثبت أقدامه في حياة العرب والمسلمين.

سر الاهتمام

وهذه الدراسات تكوّن «أيديولوجية» خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراضات، ولا يخفى أنها ترمي في النهاية إلى رسم صورة مشوّهة سقيمة للإسلام والمسلمين في نظر القراء الغربيين.

ولذلك ركّز كثير من علمائهم وباحثيهم في دراساتهم وأبحاثهم «للصحوة الإسلامية» على ظاهرتين أساسيتين هما:

□ ظاهرة توجه هذا التيار الإسلامي الجديد إلى ممارسة دور سياسي متعاظم، درسه هؤلاء الباحثون تحت عنوان «الإسلام السياسي».

□ ظاهرة التعصب الإسلامي، ولنا من الأمثلة على ذلك الشيء الكثير. تقول باحثة أمريكية عن المد الإسلامي في أمريكا، وهي باحثة في دائرة الشؤون الخارجية في اللجنة اليهودية المشتركة بنيويورك، في بحث بعنوان «**الإسلام في أمريكا: دين قديم يبحث عن مكان جديد في المجتمع الأمريكي**»، تقول: «في السنوات المقبلة سيؤدي المسلمون في أمريكا دورًا فعّالاً في السياسة والاجتماع، وسيكشف الوقت ماذا سيكون أثرهم في المجتمع الأمريكي» [٢].

حملة التشكيك والتشويه

يلجأ بعض المستشرقين للتشكيك في معاملة المسلمين لغير المسلمين، وإشاعة جو من الغموض حول مستقبل **الأقليات في العالم الإسلامي** في ظل الصحوة الإسلامية. من ذلك ما كتبه البروفسور «**برنارد لويس**» الأستاذ **بجامعة برنستون**، «**الإسلام قوة جبارة جدا، وإذا كان الإسلام لم يلعب دوره في المجال الدولي، فما ذلك إلا لفقدان القيادة التي تستطيع القيام بذلك، ولكن ظهور هذه** القيادة محتمل جدا، إن وصول الإسلام إلى مركز القوة أمر له خطورته، **فهل سيتسامح الإسلام مع غير المسلمين؟ هل سيتسامح مع اليهود في إسرائيل؟ أو النصارى في لبنان، أو مع أوربا ذات الخلفية الصليبية؟**».

ويحاول أن يزرع بذور الفتنة فيقول: «إن الإسلام دين قوة، والمسلمون يحتكرون تفسير الصواب والخطأ ولا يسمعون من غيرهم. فإذا لم يُنتَبه إلى خطر الإسلام فإن أمّتي السبت والأحد سيعانون نتائج وخيمة» [٣].

وتصف هذه الأبحاث اليقظة الإسلامية بـ«**نازية إسلامية**» تهدد العالم، وبخاصة الغرب، بشرّ لا نظير له.

لا شك أن هذا الموقف من جانب المستشرقين والغرب بصفة عامة، ليس من شأنه أن يثير الدهشة، بل إنه يدفع من يقرأ التاريخ الذي كتبوه إلى أن يفقد الثقة فيما يقرؤه وهو يرى الحقائق تمسخ بهذه الجرأة.

العدل الإسلامي والتسامح

ويعلم ذوو الإنصاف أن الإسلام لا يعارض الحريات الدينية منذ **العصور الوسطى**، وقد نشأت في أكنافه المجتمعات البعيدة عن التعصب الأعمى، وأنه قدّم للعالم حضارة فريدة تجاوز فيها أهل الكتاب مع علماء الإسلام فلم تر البشرية مثل تلك الحضارة!

إن تاريخ الإسلام السمح العادل مع الأقليات غير المسلمة لن أتحدث عنه لأني مسلم، وسأترك الحديث لغير المسلمين، فماذا قال هؤلاء؟

يحلل لنا المؤرخ الألماني «**كريمر**» طبيعة هذا التسامح ويعرّف أسبابه، وينتهي من تحليله إلى هذه النتيجة: «**إن من الأسس الوطيدة التي أرست أركانها الحضارة العربية، الفصل فصلاً تاما بين العقيدة التي يجب احترام حريتها عند الآخرين**

...ـاوف الغرب وطموحات الشرق

" ظاهرتان ركز عليهما الغرب في دراساته عن الصحوة الإسلامية "

والمصالح الدنيوية التي تعتمد على الكفاية والأمانة، والتي لا تميز بين دين ودين في سبيل التعاون لتحقيق المثل العليا الإنسانية».

ويقول « **جوستاف لوبون** » المؤرخ الفرنسي : « **فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم** » (٤).

ويقول لنا المؤرخ «**لودفيج**» : «إن عُمَرَ لم يفرق في المعاملة بين المسلمين والمسيحيين، بل إنه أعلن حمايته لحرية الأديان جميعا، ولإقامة شعائرها، وكفل المساواة المطلقة بين المسلمين والمسيحيين على السواء مساواة شملت كل حق لهم وكل واجب عليهم، بما في ذلك وظائف الدولة» (٥).

ويقول « **توماس أرنولد** » : إن فضيلة التسامح الإسلامية هي التي جعلت بطريرك أنطاكية واسمه مكاريوس يقول : «أدام الله دولة الترك إلى الأبد فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ولا شأن لهم بالأديان سواء كان رعاياهم مسيحيين أو يهود أو سامرة» (٦). وحدث أن هرب اليهود الإسبانيون المضطهدون في جموع هائلة، فلم يلجؤوا إلاَّ إلى تركيا في نهاية القرن الخامس عشر».

ومما قاله أيضا : «حتى إيطاليا كان فيها قوم يتطلعون بشوق عظيم إلى التركي لعلهم يحظون كما حظي رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح اللذين يئسوا من التمتع بهما في ظل أي حكومة» (٧).

ويقول «**جيروم تارو**» : « إن فضيلة التسامح التي كانت أزهى السمات الخلقية عند العرب، والتي ندر أن توافرت لغيرهم في جميع الأزمان، هذه السجية الكريمة قد أفادت الغرب كثيرا ولم يكن ليفيدهم ذكاؤهم الفطري وذوقهم الفني ونزعاتهم لو لم يتميزوا بفضيلة التسامح».

ولا عجب إن رأينا بعض المنصفين من المسيحيين في مصر وفي سورية وغيرها يعتبر الإسلام تراثًا قوميًا وحضاريًا لهم، فهم وإن لم يدينوا به، يؤمنون به ثقافة، وحضارة يعتزون بها ويفخرون بها. وهذا ما جعل الشاعر الماروني «رشيد الخوري» يقول :

شغلتُ قلبي بحب المصطفى وغدت

عروبتي مثلي الأعلى وإيماني

ويقول «**أمين نخلة**» : «الإسلام إسلامان : واحد بالديانة، وواحد بالقومية واللغة، ومن لا يمت إلى محمد بعصبية، ولا إلى لغة محمد، وقومية محمد، فهو ضيف ثقيل علينا، غريب الوجه بيننا».

فلا غرابة إن وجدنا من زعماء المسيحيين من يؤيد قيام حكومة إسلامية قوية حازمة، بل دكتاتورية لتضرب بشدة على أيدي مروجي الإلحاد والفساد والانحلال، فيقول «فارس الخوري» الزعيم السوري الشهير : «**نحن بحاجة إلى حكومة حازمة تؤمن بالإسلام دينا ونظاما متكاملا، وتعمل لتطبيقه، فكما أن الشيوعية تحتاج لدكتاتورية حازمة تشق لها طريق الانتشار والازدهار والثبات فالإسلام أشد حاجة لمثل ذلك**»(٨).

وربما يسأل القارئ فيقول : إن هذا شأن التاريخ ـ وقد تكون الأقليات غيرّت من نهجها أو تراجعت عن أفكارها ـ فما رأيهم اليوم ؟

أجاب عن هذا السؤال « **الكاردينال اصطفانوس» بطرك الأقباط الكاثوليك** : «لقد وجدت الديانات الأخرى ـ والمسيحية بالذات ـ في كل العصور التي كان الحكم الإسلامي فيها قائما بصورته الصادقة، ما لم تلقه في ظل أي نظام آخر من حيث الأمان والاطمئنان في دينها وماليها وعرضها وحريتها» (٩).

وقال «**الأنبا غريغريوس**» أسقف البحث العلمي والدراسات العليا وممثل الأقباط الأرثوذكس : «**إن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أمر لا شك فيه ولا اعتراض عليه، فالشرائع السماوية نور وهداية للبشر**»(١٠).

وبعد هذه النقول الناصعة البيان، لم يبق هناك محل لهذا الخوف من الصحوة الإسلامية وسيادة الإسلام وقد أمنوا في ظله قرونا طوالاً، لكن إن كان بينهم من يكره الإسلام ويحقد على المسلمين فهذا ما لا حيلة لنا فيه. ﴿ **يريدون ليُطفئوا نورَ الله بأفواههم والله مُتِمُّ نورِهِ ولو كره الكافرون** ﴾ الصف٨.

الهوامش

(١) البقرة ـ الآية ٢١٧.

(٢) مجلة U.S.A Today أيار ١٩٨٠م.

(٣) Middle East Review, Vol.XII, NO. I, Fall 1979.

(٤) «حضارة العرب» ص ٥.

(٥) عن كتاب لودفيج «النيل حياة نهر». انظر ص٥٤ من كتاب «الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس (المرحلة الأولى) لمحمد علي الغتيت.

(٦، ٧) انظر «الدعوة إلى الإسلام» ترجمة د. إبراهيم حسن وزميله فهو يحوي مئات الوقائع والأمثلة على سماحة الإسلام.

(٨) عن كتاب «فارس الخوري وأيام لا تنسى» لمحمد الفرجاني ص٢٦٧.

(٩، ١٠) مجلة «الدعوة» القاهرية العدد الصادر في ربيع الأول ١٣٩٧هـ.

قصة قصيرة

في أفق الذكرى

كتبها : عبد الغافور جمال محمد سليمان - موريتانيا

انفعلت وتملكتني فجأة حزن أسود تركني منقبض النفس مزموم الشفتين وحينها ظهر لي أني فقدت كل ذكرى، عدت عبر الممر الطويل حتى صرت تحت سقيفة الحديقة، حيث الأعشاب مرتفعة والأرض الخضراء تغمرها الوحشة.

كان إحساس بالأسى يؤلم أحشائي وآثار الصمت المطبق تثير مزيدا من الدهشة لديّ.

أنا الآن - مباشرة - أمام البيت القديم. الشرفة مازالت تسحرني بطرازها اليوناني العتيق. الأعمدة الرخامية شبه متصدعة وبالكاد واقفة. الطلاء الزيتي الأزرق باهت يوشك على الانمحاء.

قرب السور الإسمنتي على الجانب الأيسر رأيت أنقاض الإسطبل الذي كنت دوما أرتاب في اكتمال تشييده.

ألَمْ أَحْلم مرة أني مضيت لأستقبلها هنا ؟ كانت تجلس على الدكة الخشبية التي تتوسط دائرة الباحة، وتفرد مسبحتها القرمزية هامسة في دخيلتها بكلام خبئ لم أستطع أبدا تقصيه. وكان استبدالها لكل حبة في المسبحة بحبة تليها أقرب من انفلات سرى إلى أغوار الغيب البعيدة، مددت يدي نحو كتفها الأيمن، لكنها كانت أسرع مني، لم تمكني من لمسه. سجلت آنئذ أنها تتغاضى. وقد أشعرتني كما لو أني صرت مخلوقا غريبا، ومقرفا يجلب النفور، طريقتها في النظر أكدت لي شيئا من هذا ؟

(٢)

جلست على صخرة برية كبيرة مصقولة تسد طريقا ترابيا متعرجا واستغرقت وقتا أدخن لفافة تبغ، ثم أخرجت بعدها الجريدة من جيب معطفي الطويل وحاولتُ قراءة العمود الأدبي الذي في الصفحة الأخيرة.

(٣)

فيما قبل كنت أتمهل عند السقوف والزوايا مجهدا ذهني في استيعاب تلك الرسومات التجسيمية المنقوشة على عرائس الجبص وتلك الزخارف الملساء الرقراقة التي ترقط زليج البلاط ونوافذ غرف النوم. في نهاية الأمر كانت أغلب انطباعاتي مضببة يملكها إحساس مكثف ومضطرب الجدة. وحدها كانت تعرف جيدا كيف تسلك به إلى ملاذه البدائي بتعليماتها العربية المتحذلقة وبحسها الجمالي المفرط أو حتى بعزفها الأنيق على العود، ألم تكن تفعل هذا على فترات متقطعة ؟ فقد كان، صراحة، نوعا من الاستجابة المهذبة لفوران الرغبة لأنه من السهل بالنسبة لها قطع أي علاقة بالخارج عدا - وهذا هو الصعب - ما كان جُوَّانيا.

تقف أحيانا، نصف قانطة، في لحن كئيب، يعكس على نحو ما إيقاع سيرة أوشكت آنذاك على تخطي عتبة الشيخوخة، وتبقى للحظات قصيرة منكسر وحائرة وقد أسندت ظهرها إلى الأريكة. ثم تعود من شرودها الطويل وتضع باحتراس العود داخل الكيس الأسود المطرز بالخيوط الذهبية والمشجر الحواشي. لتقفل الحصة حتى مناسبة قادمة.



(٤)

طويت الجريدة متأففا من القيظ، وجففت عرق جبيني بمنديل حريري أبيض صاف. كان هذا الأخير يلازمها، تضعه دوما في الفتحة الفارغة الفاصلة بين الأبزيم وحزام القفطان الفضي. استقمت، كنت استحث - عن عناء - مجيء بعض الوجوه الوضاءة إلى فناء المخيلة. لكن أي شئ من هذا لم يحدث، الجدة وحدها - طبعا - تَرِد إلى الذاكرة بتلقائية وكنت أتأهب للغور بعيدا ونبش حفريات المكان، لكن كنت في نفس الوقت متراخيا ومهدودا وأشعر بشيء خفي يلح عليَّ لكي أعود من حيث أتيت.

(٥)

في أوقات الزوال كانت تنسحب إلى الحصير الأصفر الملقى على ظل شجرة أرغان كبيرة محاذية لسور الحديقة، وتقرفص هناك ممسكة برؤوس أصابعها الرهيفة كأس شاي ساخن وقطعة كعك محلاة بحبات الزبيب، تتنصت لخوالجها. ويكون هذا دوما بعد الفسحة القصيرة المعتادة على تلال الغابة القريبة، فسحة ممتعة ومنشطة تتخللها

لقاءات عدة، يكون النصيب الكبير منها لتلامذة المدرسة الذين يقتحمون الأجواء، زرافات باحثين عن فراشة نادرة التمعت صورتها في أذهانهم أو عن نبات هجين ختموا به درس الأمس. وإذا حدث وتوقفوا عند إحدى النقط فذلك ليستأنفوا حوارا طويلا معها، متسما بالحدة، عن جنس بعض الحشرات الملونة التي استعصت عليهم هويتها.

على إثر العودة من نزهاتها، ملفحة بالإزار الأزرق والشعر عارٍ يغزوه الشيب، تستلقي على الحصير وتقضي وقتا في هرس ثمار اللوز والحديث مع نسوة الجوار اللواتي يلتحقن بها مصحوبات بالأواني النحاسية المخصصة لإعداد خليط الحناء، وبالصينية النحاسية المهيأ عليها إبريق الشاي. ومن حين لآخر تلقي بطرف العين على عقربي ساعة معصمها (ماركة يابانية) متحينة بشغف وصول موعد الجلوس إلى الشرفة وإعادة قراءة كتبها المحببة التي تتناول أساطير العهد القديم.

تمددت فوق العشب، تحت شجرة الأرغان العجوز، في كعب قدمي اليسرى كان يسري تنمل شوكي بفعل احتكاك بعض الأعواد الصغيرة بأسفل ساقي. ارتخيت وتمططت ثم زفرت هواء مضغوطا من رئتي. خلعتُ المعطف وكورته ثم وضعته تحت رأسي. من فوقي كانت السماء تتوهج بحدة، ومن خلف الأسلاك الشائكة المغروزة في جدار الحديقة القصير، كان طنين البعوض الأزرق مازال مستمرا يخز أذني. وضعت ذراعي على جفون عيني، كي أقيها من الأشعة الساقطة، وسهوت أُلَبِّي نداءها الذي وصلني عبر تمزقات الذكرى.

(٦)

في مساء أحد الأيام الحارة، أصابها دوار شديد عندما كانت مستلقية في الفناء على بساط الزربية، فحملناها على نقالة إلى سرير زوجها الثاني المتوفى وتركناها هناك وحدها في الغرفة الكبيرة التي كانت مشبعة الهواء برائحة الكافور. في منتصف الليل وعندما دخلنا عليها لنطمئن عليها، حكت لنا متجمعين أنها رأت، نصف حالمة رتلا من النمل الأحمر الإفريقي، يزحف على ضلوع جنبها الأيسر الهزيل، تحت بطانية الصوف، قاصدا موطن قلبها الواهن. وقالت: إنها بمجرد أن أفاقت في حالة ذهول قوية وأدارت رأسها بغتة إلى النافذة المفتوحة (التي كانت الوحيدة في البيت المشرفة على الخلاء) شاهدت نفس الطابور من النمل، كالذي اخترق هلوستها يسير صفا صفا إلى ثقب كبير في السقف المتصدع الحواف. حتى ذلك الوقت كانت تعتقد أن التداخل بين ما كان يقع في حلمها وما كان يحدث أمامها ليس إلا محض مصادفة. ولم ندرك نحن أبدا إلا فيما لحق، أن كل ما كانت تشاهده كان يبشر بالسوء. عند طلوع النهار عاودتها الحشرجة وأطبقت عليها، خلال ثوانٍ انتهى كل شيء، ورقد وجهها المدور الجميل المبلل بالعرق على جانب الوسادة. كان ذلك حدثا قاسيا هزني من أعماق أعماقي، وغمرني كلي بجراح الفراق الصعب والمحزن.

لماذا البكاء على صهيون؟



كان (صهيون) تلاًّ صغيرًا في غرب مدينة القدس، لم يقف عنده إبراهيم ولا إسحق ولا يعقوب، ولم يذكر اسمه في التوراة المنسوبة إلى موسى! وبعد موسى بخمسمائة عام احتله داود، ونقل إليه عاصمة حكمه من (حبرون) التي يرقد فيها ـ كما يقال ـ إبراهيم الخليل، ثم توسع داود فاحتل (جبل القدس) الذي كانت تسكنه قبيلة من الفلسطينيين (اليبوسيين). وجاء سليمان من بعده فبدأ مشروعا كبيرا للوصول بعاصمته إلى درجة معقولة من الفخامة والمناعة.

وكانت قلعة داود على صهيون منفصلة عن جبل القدس بواد صغير ضيق، فأمر سليمان بردمه حتى تتصل القلعة بالقصر الملكي والمعبد.

ومنذ ذلك الوقت لم يعد هناك تلّ اسمه صهيون، بل أصبح اسما لحي على أطراف القدس. فلماذا البكاء على صهيون؟ مع أن داود وسليمان ـ في العقيدة اليهودية ـ ليسا إلا ملكين، يعاصر كلاً منهما نبيّ ـ أو أكثر ـ فلماذا البكاء على صهيون؟ ربما كان ذلك راجعًا إلى واحد من المزامير الكثيرة المنحولة إلى داود، هو المزمور ١٣٧ في المجموعة التي بين أيدي اليهود، والذين أنشدوه لأول مرة كانوا جماعة من أسرى اليهود ساقهم بختنصّر إلى العراق بعد تدميره للقدس، وقد مضى على داود خمسمائة عام هو وسليمان!

يقول المغني في بداية المزمور: على أنهار (بابل) هناك جلسنا وبكينا إذ تذكرنا (صهيون). بل إنه في الأعوام الخمسمائة التي انقضت بعد سليمان قامت (عواصم) أخرى ليهود منشقين على سليمان في (ترصه) أولا وفي (السامرة) أخيرا. فلماذا البكاء على صهيون؟

أولاً لأن اليهود يحبون البكاء! والدموع عندهم كالزيت الذي يضيء قنديل الذاكرة ويحفظ شعلتها ـ شعلة العداوة والبغضاء، والحقد والثأر ـ مهما طال الزمن. والسبب الآخر والأهم أن اليهود بوصفهم مجموعة بشرية لها دين خاص بها، تعتبر نفسها في حالة غربة، حتى في فلسطين! وكتابهم القديم الذي روى نصوص التوراة يقول فيها: وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه، أرض كنعان (فلسطين). والعجيب أن تيودور هرتسل ليس هو المخترع للفظ (الصهيونية) للتعبير عن الاتجاه الاستعماري العنصري المعروف، وعنوان كتابه هو (دولة اليهود). أما (الصهيونية) فمن اختراع (ناتان بيرنباوم) استعملها لأول مرة في ٢٣ يناير ١٨٩٢ م، أي قبل المؤتمر الصهيوني الأول في (بال) بسويسرا. جاء في هذه المحاضرة أن الانتساب إلى صهيون يرمز إلى التطلع إلى الخلاص في صورته القومية ويجسّد الأمل في الانبعاث الوطني. وكان عنوان المحاضرة (مبادئ الصهيونية).

وإذا كان (صهيون) يسمى عندهم جبلاً، فقد تمخض الجبل . . .

أ.د حسن ظاظا

الأدبُ وبيئتُهُ

مدخل إلى الحداثة عند الغرب

بقلم: د. جمال عبد الناصر طلعت

ما دور الأدب الحديث في المجتمع ؟ سؤال قلما نطرحه بجدية في الساحة النقدية خشية أن نتعثر في الإجابة عليه، لارتباطه الوثيق بسؤال آخر يتعلق بماهية الأدب الجيد وكيفية تحديدها بدقة. فلهذا السؤال الأخير أهمية قصوى، والإجابة عنه - إن وجدت أصلا - تحتوي على متناقضات تدور حول العلاقة الديناميكية بين الأدب المطلق وذلك الذي يعكس قيم المؤسسة الاجتماعية، أو بالأحرى مدى تأثير الأدب على قيم المجتمع ومُثُله، بل وعلى مناخه السياسي.

فمنذ وقت بعيد كانت قيمة الأدباء تتمثل في مجرد تأييدهم لقضايا عامة، ولكن مع بدايات القرن العشرين بدأت ملامح تلك الصورة تتغير تدريجيا، وبخاصة بعد أن فطنت بعض حكومات الدول إلى أهمية هذا الإفراز الأدبي وعمدت إلى تعزيز نفوذها عن طريقه.

والأمثلة عديدة؛ فالنازيون قاموا بحرق مجلدات الكتب ومحاكمة مؤلفيها ممن وقفوا ضد التيار النازي المتفشي في ألمانيا ممثلاً في فكرة تمجيد العرق الآري؛ وأنصار ستالين أعدموا ألفًا - وربما أكثر - من الفنانين والأدباء ممن كانت له صلة بالحركة الإبداعية من قريب أو بعيد، كي يضمنوا تعضيد جبروتهم السياسي في روسيا الذي لاقى قبولا من قبل عامة الشعب هناك.

الأدب وقيم المجتمع

كان واضحا - إذن - أن الأدب له قدرة سياسية كبيرة بوقوفه في وجه الدكتاتورية، وتعد رائعة جيمس جويس «يوليسيس» مثالا على تمرد أقلية ناقدة على قضايا أخلاقية، ولعل تلك الرواية تذكرنا بصنوف الرقابة الأدبية الجائرة التي سادت الأجواء الأدبية في كل من بريطانيا وأمريكا لفترة طويلة، فلولا ذلك الحكم القضائي الذي صدر لصالح جويس لما قرأنا روايته اليوم، مما يدلل على أن الاختلاف البيّن في القيم بين الفنان وجماعته ليس مجرد مشادة لفظية فقط وإنما جدل بمعناه الواسع، فانتصار جويس الذي أعقب رفع الحظر عن روايته كنموذج من الأدب المكشوف برهن على قدرة الأقلية على تغيير قيم الأغلبية أو على الأقل على درجة تسامحها تجاه القضايا الأخلاقية.

فقد كان جويس يكتب بعين الناقد قبل تصور المفكر، مستخدمًا خياله الأدبي أداة لتصحيح أوضاع اجتماعية خاطئة ألفها الناس ومنحتها قدرًا من الاستقرار والثبات وهذا هو موقف القرن العشرين بإبداعه وجودة تلك الإبداعات.

الأديب ناقدًا

إلا أن مفهوم الكاتب بوصفه ناقدا ممثلا لرأي الأقلية يعود في الأصل إلى القرن الماضي وما تمخض عنه من تقلبات تاريخية أدبية لها مغزاها، فردود فعل تلك الأقلية بدأت في التكوين في **إنجلترا** مع بداية **الحركة الرومانسية** وفي أمريكا بظهور مدرسة **الفلسفة المتسامية**، فلقد شهدت العقود الأخيرة من **القرن الثامن عشر** في إنجلترا تغييرًا جوهريًّا بشأن دور الفنان في مجتمعه، فذهب بعض الشعراء وعلى رأسهم شاعر الكلاسيكية الجديدة **بوب** إلى أن الفن له دور أخلاقي، وأن الشاعر عليه أن يدعو قراءه إلى ضرورة التمسك بمُثُل ثقافتهم العليا من خلال المحافظة على مؤسساتهم الاجتماعية والفكرية بعد تقويمها، إلا أن الشاعر وورد سوورث - المتحدث باسم المدرسة الرومانسية - ثار على تلك الرؤية لوظيفة الشاعر، كما يتضح لنا جليًّا من تقديمه لديوان

من كُتّاب العدد



● **د. جمال عبد الناصر طلعت إبراهيم**

- أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، جامعة القاهرة، فرع بني سويف.
- عمل أستاذًا زائرًا في جامعة كاسل الألمانية عام ١٩٨٧ وأستاذًا مشاركا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٠.
- يعمل حاليا أستاذًا مشاركًا في كلية التربية للبنات بالرياض.

نشر له باللغة الإنجليزية :

- دراسات لمسرحيات : ملهاة الأخطاء - ترويض النمرة - سيدان من فيرونا - خاب مسعى العشاق - رالف رديستر دويستر - مأساة المنتقم ١٩٨٦/ ١٩٨٧ م.
- بحثان في شعبية شكسبير المبكرة والإطار الفني في مسرح عصر النهضة ١٩٨٤م.
- قصص مصرية حديثة (مترجمة) ١٩٩٠ م.

وباللغة العربية :

- أقنعة الرعب : عجائب المعتقدات في سينما القرن العشرين ١٩٩١ م.
- فن الترجمة : مختارات ١٩٨٩ م.

هل تعكس الحداثة أدبًا مهشمًا لامرآة له في واقع بيئته؟

« القصائد الغنائية» حيث يصف لنا مجتمعا خياليًا يخلو من المؤسسات التقليدية، مجتمعًا يعيش فيه الناس في حالة من البساطة الطبيعية كأهل الريف أو الرعاة، حيث تجد مشاعرهم تربة خصبة للنماء والانطلاق بعيدًا عن قيود المدينة لتنطق بلغة صريحة مباشرة. ثم جاء **هنري ديفيد ثوريو** الأمريكي ليؤيد ما أسماه وورد سوورث **«بالبدائية المتحضرة»**، وذلك في ترجمته الذاتية المعنونة **«وولدن»**، حيث نبذ الطابع المادي الغالب على حياة المدنية، وآثر أن يقطن الغابات ناسكا قرويًا يواجه حقائق الحياة كما تقدمها له الطبيعة دون زيف. كل من **وورد سوورث وثوريو** ـ إذن ـ اغترب بمحض إرادته عن مجتمعه المادي، وراح يتوق إلى عالم أكثر روحانية، وأنقى أخلاقا وأعمق حكمة، متحديًا بذلك قيم جماعته الاستاتيكية، اجتماعية كانت أو دينية، من خلال أدب يعبر عن رأي أقلية، أدب يرى على النقيض من رأي الأغلبية.

إن حياة المدينة بمظاهرها المعقدة تبعد الإنسان عن طبيعته التي فطره الله عليها، وتجعل منه متحذلقًا متعجرفًا يتيه في دروب الزيف الحضاري. ويشن **ثوريو** في إحدى مقالاته هجومًا عنيفًا على قيم وعرف مجتمعه، معبرًا عن رغبته في الوصول إلى جوهر الواقع، من خلال التمسك بفن أخلاقي يعود بالإنسان إلى طبيعته الأولية، ومن خلال الخروج على أشكال الكتابة المتعارف عليها.

لغة الأدب

ومن ثم فإن أنماط الشعر الحضري القديم المزوق لم تعد تصلح للتعبير عن مفاهيم المجتمع الريفي الطبيعي، مما جعل **(وورد سوورث)** يصوغ لغة شعرية طبيعية تعبر ببساطة عن حقائق الكون الأولية مؤكدة جوانبه الأخلاقية، فهناك ضرورة أخلاقية في اللغة الصادقة، فاللغة تعبر عن القيم التي يتمسك بها من يستخدمها في حياته اليومية، وهي المدخل إلى مستوى واقعيته. ولكن واقعية الرومانسيين التي صاغوا لها مفهومًا جديدًا، ولغتهم التي استخدموها للكشف عن أبعاد تلك الواقعية ونظريتهم عن **«البدائية المتحضرة»**، تعرضت لنقد لاذع بعد أن بدأ بعض الأدباء والمفكرين ينظرون إلى الواقعية الرومانسية كانسحاب مثالي إلى عالم ذهني أو هروب إلى ماضٍ قاصٍ.

ولقد وجدت تلك الروح تعبيرًا في الامتداد السريع للدول والزيادة في القدرات الصناعية في كل من **الإمبراطورية البريطانية والغرب الأمريكي**. وكان أن استجاب الكتّاب لموضوع الساعة عن التقدم الذي حققته الناحية العلمية لتحل محل فكرة الارتقاء الداروينية، فصوّر بعضهم اكتساب أفراد قلائل خبرة اقتصادية اجتماعية بعد أن نفضوا عن أنفسهم غبار ماضيهم المدقع، واكتسبوا الفضيلة ورقة الحس والإيجابية تجاه مجتمعهم.



جيمس جويس



ديكنز

ولكن صوَّر بعض آخر فسادًا نظريًّا لوسائل التقدم الجامحة التفاؤل تلك التي جعلت أفراد الطبقة المتوسطة يحلمون بالحصول على القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ولو بطريقة **(ميكافيلية)** تضرب بأخلاقيات الجماعة عرض الحائط للوصول إلى الغاية المنشودة.

كان **ديكنز** من بين الأدباء الذين رفضوا الطبقة المتوسطة وراحوا ينتقدونها، ربما لطفولته البائسة، ربما لصراعه مع الحياة في صباه، وربما لتجربته المباشرة في شبابه عندما شاهد نماذج من الشقاء والفسوق والفساد في أحياء الفقراء اللندنية والتي تذكرها عند تأليف رائعته « **الآمال الكبار** ». وتعرض رواية **«هكلبري فن»** للروائي الأمريكي **مارك توين** موقفًا مشابها لموقف **ديكنز** من مجتمعه، بل من العلاقة الشائكة بين ما تعتقد فيه الجماعة وما هو حقيقي واقعي. فالمجتمع المتحضر يبدو لنا كما لو كان وكرًا للوحوش المفترسة.

كان **ديكنز** و **توين** من بين الكتاب القلائل في عصرهم الذين أكدوا العلاقة بين الفن الجيد وطموحات مجتمعهم المتزايدة بشكل تشاؤمي، مما وضع كليهما في موقف المعادي من الطبقة الحاكمة وإن كانت حقائق التاريخ قد أثبتت صواب رؤيتهما الفنية. فالسياسة الاقتصادية القائمة على مبدأ عدم التدخل من جانب الحكومات لم تؤد في النهاية إلى توزيع عادل للثروة، فبدت إنجلترا ظاهريًا كعملاق صناعي في الوقت الذي انخفضت فيه مستويات المعيشة إلى الحضيض، وانقسم المجتمع إلى قسمين ممثلين في **«قلة من الرأسماليين»** ذوي النفوذ والسلطان وأكثرية من **«العمال»** الذين لا حول لهم ولا قوة. وفي أمريكا أيضا فإن حركة التصنيع الطليقة قد أوجدت طبقة جديدة من العمال المهاجرين الفقراء.

تقنيات الحداثة

لم يكن أمام الفنانين ـ حينئذ ـ وبخاصة من أراد منهم أن يصور الوجود الإنساني بدرجة من الواقعية، إلا أن يضعوا نصب أعينهم الضغوط الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، التي كان يترنح تحتها المجتمع الرأسمالي، أي أن يتخلوا عن تفاؤلهم لتفهم الواقع السياسي. وهنا كانت تربطهم سمة مشتركة، سمة طليعية ينتقدون من خلالها ادعاءات الأغلبية وقيمهم الزائفة، وذلك بابتداع تقاليد لغوية جديدة ليسبروا غور الطبيعة البشرية من جديد. فتعاطف بعضهم مع الطبقات الكادحة، وعدَّ آخرون أنفسهم شعراء مغتربين عن جماعتهم لتسامي مداركهم، شأنهم في ذلك شأن كُتّاب فرنسا الطليعيين خلال القرن التاسع عشر.

وعلى الرغم من أن الفنانين قد صبوا جام نقدهم على قيم الطبقة المتوسطة، إلا أن قيم

الأدب وبيئته

المجتمع ذاتها قد تأثرت بذلك، مما دفع الناقد والمفكر الأخلاقي البريطاني **فرانك ريموند ليفز** لأن يأخذ موقف المدافع عن تلك القيم مبينًا كيف أدت أحوال المجتمع المعاصرة من تطور حضري وحضارة معقدة وتغير سريع ومزج ثقافي إلى تدمير صرح الماضي بإيقاعاته وعاداته ومثله، دون إيجاد البديل المناسب له. ووجد ليفز من بين مؤيديه من قال: **«الحداثة في أي من مظاهرها مفهوم مفلس، لأنه يهجر الوجود السابق وينادي بوأد الوعي في الشعور، لأنه بمنزلة الهروب إلى عالم لا يوجد أصلا. ويتضح هذا من إبداعات المحدثين حيث يعكس أدبهم مرآة مهشمة أو معتمة تنكسر على سطحها صورة الواقع ويغلف الضباب جزئياتها، فلا يكاد المتلقي يرى أو يقرأ فيها شيئا»**

وهذا هو الحال بالنسبة لأشكال الأدب الحديث التي تسبح في بحر من الغموض، مما يجعل القارئ يقدح زناد فكره ليفك طلاسم الحقيقة التي يحاول الفنان إبرازها أو الإيحاء بها. فنحن نعيش في عصر وحد فيه الفنانون العديد من السبل والطرائق للتعبير الفني، وعلينا أن نصير ناقدين لنمنح فنونهم شرعيتها، إذ لا يصح أن نقبل الفنان كمتحدث رسمي باسم مجتمعنا، كما **لا يصح أن نقبل تحديد مجتمعنا لماهية الأدب الجيد. فالكاتب نفسه هو الذي يحاول جاهدًا أن يحدد ما هو أهم بالنسبة له، كما يبتدع بنفسه تقنياته.** وعليه فإن جوهر الحداثة يمكن أن يتمثل في تصنيف الطرق التي يحدد الفنانون من خلالها ما هو «حقيقي». فبعضهم ممن يذهبون إلى أن عماد الواقعية هو عالم مادي موضوعي يلهثون خلف فن متسم بالمحاكاة يقترب من الواقعية، وبعضهم ممن يعتقدون أن عماد تلك الواقعية يكمن في العقل المتفرد وتصوراته، فذهبوا يطورون أشكالاً مغايرة من التعبيرية. وهناك مجموعة ثالثة ممن يعتقدون أن الواقع يكمن أصلا في عملية التصور لحظة أن يقابل العقل موضوعًا ما، فهؤلاء ينهجون **المنهج الانطباعي**

مُناجاة

شعر: محمود فخر الدين

لكَ يـا إلـٰهي قـدْ بعثتُ شَكاتي ... يـا ذَا الجلالِ وجـابـرَ العثَـراتِ

يـا مـنْ خلقتَ النـاسَ كـي يتعبـدُوا ... ولينهلُـوا منْ أعظـمِ النفَحـاتِ

أشكُـوا إليكَ مذلَّتـي ومخافَتـي ... مِـنْ أن أزِلَّ وأنْ تَسُـوءَ حَياتـي

أخشَـى إلـٰهـي أنْ تـجيءَ صحيفَتي ... مُغْبَـرَّةً، مُسْـوَدَّةَ الصَّفحـاتِ

يـا ربِّ إنـي تبتُ لَـمَّـا جاءَنـي ... قبسٌ مـنَ الأنـوارِ والـخيْـراتِ

يـا ربِّ إني تبتُ لَـمَّـا هَزَّنـي ... شـوقٌ إلى فيضٍ منَ الرحَـمـاتِ

يـا ربِّ إني عـدتُ فـاقبلْ عودَتـي ... واقبلْ إلـٰهِي توبَتـي وصَلاتـي

واقبلْ بفضلـكَ سيِّـدي عبـدًا أتـى ... وبطرْفِـهِ سيلٌ مـنَ العَبَـراتِ

يـا منْ إليـهِ المنتَهـى والمرتَجـىٰ ... لَـمَّـا عرفتُـك قـدْ وصلتُ لذَاتـي

من كتاب العدد



● **محمود فخر الدين**

- من مواليد ١٩٦٥م.
- دبلوم المعلمين العام، وهو يعمل مدرسًا بالتعليم الابتدائي.
- ينتمي إلى المدرسة الرومانسية في الشعر.
- حصل على المركز الثالث في المسابقة الثقافية لشباب المبدعين «شعر فصحى» والتي تنظمها الهيئة العامة للجمعيات الثقافية بمصر ١٩٨٩م.
- حصل على جوائز تشجيعية في المسابقة القومية الشعرية التي ينظمها المجلس الأعلى للشباب والرياضة بمصر ١٩٨٩ و١٩٩٠م.
- نشر عدة قصائد في عدد من الصحف المصرية.

آفاق اجتماعية

القيم والطفل

معروف أن المولود خلال الشهور الأولى من عمره لا يكون قادرًا على التمييز بين ذاته وذات أمه، ولا بين دفء جلده ودفء جلدها، وغير قادر على الفصل بين إشباع حاجاته العضوية وحب عواطف الأم ودفئها، أي أنه يعيش نوع الاتحاد والالتحام الكامل معها.

وعندما تسير الأمور على ما يرام وتُشبعُ حاجات الطفل العاطفية ويرتوي من عواطف الأم وحنانها، فإن نموه الجسدي والعاطفي والنفسي يسير بشكل طبيعي، ومع اقتراب السنة الأولى من عمره على الانتهاء، تبدأ تظهر بعض التغيرات على سلوكه، فنتيجة لتركه حضن أمه والاعتماد على ساقيه بالحبو أو الوقوف؛ يتولد لدى الطفل شعور بالانطلاق والاستقلال، ومع بدء خطواته الأولى يبدأ الوعي والإدراك لديه بأن هناك مسافة تفصله عن ذاك المخلوق الذي يحب، ويتعمق شعوره بالانفصال والابتعاد عن حضن أمه فيخالجه نوع من الخوف ويدخل تجربة مقلقة تولد لديه الحساسية المفرطة، والخوف، والقلق، وفقدان الطمأنينة.

وجميع الأمهات يعشن قلق أطفالهن ويلمسنه بوضوح، إذ إن الطفل يصبح في تلك الفترة من عمره وبشكل مفاجئ حساسًا لغياب أمه ولوجود وجوه جديدة وغريبة عليه، ويغدو بتلك المرحلة أكثر تعلقًا بأمه وأشد تمسكًا بها، يلتصق على صدرها ويصعب إبعاده عنها، ويبكي بحرارة عندما تحاول إبعاده عنها، ولا يطمئن أو يهدأ إلا إذا أخذته - ولا أحد غيرها - بين ذراعيها وضمته بحنان شديد لصدرها وربتت على خديه برفق وحنان وقبّلته بكل حب، فحب الأم يعني للطفل الأمن والطمأنينة والسعادة، وخوف الطفل من فقدان ذاك الحب يقوده إلى الانصياع كلية لتوجيهاتها وأوامرها، وإلى إرجاء بل إلى إيقاف بعض الأفعال والتصرفات من أجل إرضائها والمحافظة على حبها.

إن الطفل عندما يقوم بإيقاف أو إرجاء بعض أو كل تصرفاته وأفعاله من أجل كسب رضا الأم واستحسانها، يعني ظهور أول عملية ضبط وكبح إرادي لسلوكه. وشيئًا فشيئًا تبدأ المواقف العاطفية (كالغيرة، والغضب، والرغبة) تتضح مع نهاية السنة الأولى تقريبا، ويظهر فهمه للمواقف الاجتماعية من خلال مقدرته على المشاركة الاجتماعية في محيطه المعاش. فإذا تبسمت له أمه ومدت له ذراعيها مشيرة إليه كي يأتيها فإنه يستجيب مادًا لها كلتا ذراعيه مبتسمًا هاشًا لها، وعلى العكس إذا قالت له لا تلمس هذه محركة رأسها ومشيرة له بالنفي بإصبعها فإنه يتوقف وربما بوجوم. والأم حين تنهر طفلها أو تمنعه بشدة من ممارسة عمل ما، وتوقف تصرفاته وسلوكه، فإنه ينظر إليها ويتخذ لنفسه موقفًا تجلله كل مظاهر الخجل والشعور بالذنب، وهذا يعني أن الطفل يدرك ويعي أن ما ارتكبه لا يرضي الأم ولا ينال استحسانها، ويدرك في الوقت نفسه أن عدم رضا الأم وعدم الانسجام مع رغباتها سيضعه في موقف مليء بالقلق والعذاب، لذا ومنذ هذا العمر يصبح الطفل الطبيعي قادرًا على العمل كي يحافظ على الانجسام العاطفي مع الأم ومع الراشدين المحيطين به والمحببين إليه، أي أن الطفل أصبح قادرًا على ضبط سلوكه وتصرفاته ومقاومًا لدوافعه ورغباته.

وهنا يبرز دور الأم الفعال ومسؤوليتها الكبيرة في تنمية قدرة الطفل وتدريبه على كبت سلوكه ودوافعه وضبطها، خصوصا خلال العام الثاني من عمر الطفل، حيث تتحقق من خلال عملية التدريب العمليات الآتية: الفطام، ضبط عملية الإخراج والتبول، التقيد بالعادات العائلية أيا كانت.



والخلاصة؛ أننا نجد أنفسنا أمام دور الأمومة ومفهومها ونتائجه الخطيرة ليس على الطفل فقط، بل يمتد ليشمل أمن المجتمع كله. إن الأم هي العالم الوحيد للطفل، وهي الوحيدة التي يمكن أن تقوم بتنشئة الطفل تنشئة اجتماعية مقبولة خلال فترة طفولته الأولى، وذلك من خلال قيامها بتدريب الطفل على تحمل مقاومة الرغبات في سبيل إرضاء الأم والإبقاء على حبها. إن أول هدية يقدمها الطفل لأمه هي التحكم وضبط غرائزه في عمليتي التبول والتبرز كي يتمتع برضاء الأم واستحسانها اللذين يجلبان له الأمن والاطمئنان والسعادة. أما الهدية الثانية التي يقدمها الطفل لأمه ولها انعكاساتها على المجتمع مستقبلا فهي عندما يضحي ببعض الأشياء والأفعال والممارسات من تلقاء نفسه كي يحقق الاندماج والمشاركة مع الآخرين، ففي تلك المرحلة يكون الطفل قد وصل لدرجة كبت وإخضاع رغباته ودوافعه الملحة ومتطلباته الآنية ليلبي قيمًا اجتماعية وأخلاقية معاشة جسّدتها له الأم وحببتها إليه.

أليس هذا دليلا على أن الأم، والأم وحدها مسؤولة في المقام الأول عن غرس قيم المجتمع في نفوس الأبناء؟!

د. تماضر حسون

قصة قصيرة

السفينة البخارية تأتي

تأليف: مارك توين ○ ترجمة: حاتم أمين الجمل

كنت صبيا أعيش في قرية هانيبال ميسوري على الشاطئ الغربي من نهر المسيسبّي، وكان لدي طموح واحد دائم، وهو أن أكون ربانًا للسفن البخارية وقد راودتني طموحات أخرى، ولكنها كانت مؤقتة، سرعان ما تختفي، الواحدة تلو الأخرى، وبقيت - أخيرًا - الرغبة في أن أكون ربانًا للسفن البخارية.

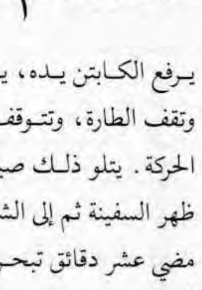
وبعد كل هذه السنين، يمكن أن أصور لنفسي الآن تلك الأيام القديمة كما لو كانت ماثلة لي الآن: المدينة البيضاء النائمة في حضن الشمس، في صباح يوم من أيام الصيف، الشوارع الفارغة، اثنتان أو ثلاث من السفن مربوطة إلى رصيف الميناء، ولا أحد يصغي لصوت مياه المسيسبّي العريض الكبير تلطم تلك السفن في رفق.

يلمع المسيسبي الهادئ المتألق الفريد في ضوء الشمس، على حين تقبع الغابة الكثيفة بعيدًا في الناحية الأخرى، ومن بعيد يظهر بعض الدخان المعتم، وفي لحظة يرفع عامل المرفأ، الذي يلحظ الدخان بعينه اللماحة، صوته بالصياح «ال - س - ف - ي - ن - هـ - تأتي». وتتغير المناظر، فالمدينة تستيقظ، ويتدفق سيل من الناس خرجوا من المنازل والمخازن، وتتبدل المدينة النائمة إلى مدينة مليئة بالحركة والحياة، ويهرع العمال والعربات والرجال والأولاد من جهات متعددة إلى مركز التجمع، على رصيف الميناء وهناك تتعلق أنظار الناس بالسفينة القادمة، كأعجوبة يرونها لأول مرة، والسفينة بالأحرى تستحق المشاهدة أيضا. وللسفينة مدخنتان طويلتان تتدلى بينهما زخرفة ذهبية، وكابينة للربان مصنوعة من الزجاج والذهب، وخلف ذلك، أعلى ظهر السفينة، توجد طارة التجديف، التي تجذب الأنظار، كما أنها مرسومة فوق اسم السفينة، في حين يرفرف علم فوق كابينة الربان.

والسفينة تزدحم بالركاب، ويقف الكابتن هادئًا وقورًا يسترعي الأنظار بجوار جرس كبير، وحين يرفع الكابتن يده، يدق الجرس، وتقف الطارة، وتتوقف السفينة عن الحركة. يتلو ذلك صياح وجري إلى ظهر السفينة ثم إلى الشاطئ، وبعد مضي عشر دقائق تبحر السفينة مرة أخرى، وتنتهي الدهشة، وبعد مضي عشر دقائق أخرى تغط المدينة في سباتها.

ومما راودني من أفكار أن أكون صبي قمرة، ألبس السترة البيضاء، وأرتب مفرش السفرة، حيث يراني زملائي القدامى، ولكن فيما بعد، فكرت في أن أكون بحارًا أعمل على ظهر السفينة، ولكن كل هذا كان أضغاث أحلام.

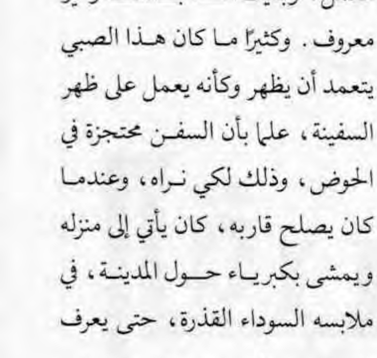
وكان لي أربعة رفاق، ذهب أحدهم، ولم نعد نسمع عنه، ثم عاد وهو مساعد مهندس بواخر، وأزعجني إنجاز هذا الصبي لهذا العمل، وبقيت أنا بائسا وغير معروف. وكثيرًا ما كان هذا الصبي يتعمد أن يظهر وكأنه يعمل على ظهر السفينة، علما بأن السفن محتجزة في الحوض، وذلك لكي نراه، وعندما كان يصلح قاربه، كان يأتي إلى منزله ويمشي بكبرياء حول المدينة، في ملابسه السوداء القذرة، حتى يعرف كل شخص أنه يعمل بالسفن، وكان يستخدم في حديثه كل لغات السفن، كأنه معتاد على التحدث



مارك توين

صامويل لانجهورن كليمنز (١٨٣٥ - ١٩١٠م) واحد من الكتاب الأمريكيين الساخرين، نشأ في وادي المسيسبّي، والأطفال الذين يعيشون في هذا الوادي يودون لو أصبحوا بحارة، ولكن كليمنز نال طموح طفولته، وأصبح ربانا ماهرا للبواخر، بل من خيرة الربابنة.

وعرف صامويل كليمنز باسم مارك توين. وقد اختار هذا الاسم الذي كان يصيح به البحارة يعلنون أن عمق النهر تحت السفينة بلغ اثني عشر قدما، وكان اصطلاح مارك توين يطلق على هذه الدرجة من مقياس العمق، ونظرا للصلة النفسية الوثيقة بين صامويل لانجهورن كليمنز ونهر المسيسبي الذي شكل كثيرا من أعماله الأدبية فيما بعد، فقد رأى أن يستعير لنفسه اسما يذكّره دائما بالنهر الحبيب إلى قلبه، كان ارتباطه بالنهر صوّرة مصغرة لارتباطه بوطنه الأمريكي الكبير. والقصة مأخوذة عن كتابه الحياة في النهر بعنوان: الحياة على المسيسبّي Life on the Mississippi.



بها، ولن يفهمها عامة الناس، فكنا جميعا نكرهه.

إلا أن ذلك كـان لـه نتيجة واحدة، وهي اشتغال كثير من أهل المدينة على النهر، فابن المحامي صار مهندسًا، وابن الطبيب وأبناء مدير مكتب البريد أصبحوا عمالاً على ظهر السفينة، وأربعة من أبناء رجل أعمال وابنـان من أبنـاء القـاضي المحلي أصبحوا ربابنة.

والربابنة في هذه الأيام كونوا ثروات وفيرة، فقد كانوا يتقاضون من مائة وخمسين إلى مائتين وخمسين دولارًا في الشهر خالية من أية (ضريبة).

وتـركت أنـا وبعض الرفـاق بؤساء، خائبي الرجاء، إذ منعنا آباؤنا عن العمل على النهر ولكن بعد وقت قصير ذهبت إلى ميناء سانت لويس، وعزمت ألا أعود إلى المنزل حتى أصبح ربانًا وأعود كالأبطال.

وفي أول الأمر لم ألاق نجاحا، فكنت أذهب إلى بعض السفن التي قبعت مزدحمة على طول ميناء سانت لويس، وأسأل عن الربان في هدوء.



ولكن أحدًا لم يعر سؤالي أي انتباه. لكني عددتُ ذلك شيئًا مؤقتًا، بل روادتني أحلام اليقظة بمستقبل زاهر حين أصبح ربانًا مشهورًا، مع ثروة من النقود.

وبعـد عدة أشهـر من طلبي العقيم، مـات عنـدي الأمل، ووجدت نفسي بلا طموح. ولكني خجلت أن أعود إلى المنزل، وبدأت في خطة جديدة، فاشتريت تذكرة على إحدى البواخر القديمة وتسمى بول جونز المتجهة إلى نيو أورليانز، وبمبلغ ستين دولارا أمكنني الحصول على كابينة مريحة. وأصبحت شخصا آخر، أصبحت سائحًا، إنها أحلى كلمة ترن في وجداني، لقد رأيت بلادا بعيدة لم أكن أعرفها من قبل، وارتفعت حالتي المعنوية وتركتني مشاعري المحبطة.

واستغرقت رحلتنا إلى نيو أورليانز New Orleans أسبوعين، ولقد سنحت لي الفرصة لأتعرف على أحد الربابنة الذي علمني كيف أقود السفينة وحبب إلى الحياة في النهر، أكثر من ذي قبل، فقد اتفقت مع هذا الربان على تعليمي قيادة الباخرة عبر المسيسبي. نيو أورليانز حتى سانت لويس نظير مبلغ خمسمائة دولار تدفع من مرتبي الذي سوف أتقاضاه بعد قيامي بهذه الوظيفة.

وابتـدأت في التعلّم بثقة وإيمان. وبادئ ذي بدء تخيلت أن كل ما على الربان أن يفعله هو أن يحفظ سفينته مبحرة في النهر، ولم يجل بخاطري أن هناك كثيرا من الإنجازات يجب على الربان إنجازها في نهر عظيم واسع كهذا.

وانطلقت السفينـة من نيـو أورليانز في الرابعة من مساء أحد الأيام، وكانت فترة مناوبتنا حتى الثامنة، ورئيسي السيد بكسباي، أعطاني الفرصة لأقود السفينة تحت ملاحظته، وتوجيهه، وأمسكت عجلة القيادة، مرتعبا من الخوف، ولكني تماسكت، وقدت السفينة، من حين لآخر كان السيد بكسباي يوجهني لأشياء معينة ويعطيني معلومات مفيدة، ومن حين لآخر يقوم هو بالقيادة.

وأخيرا انتهت فترة المنـاوبـة، وتناولنا معا طعام العشاء، وذهبنا إلى النوم، وكان علينا أن نستيقظ في منتصف الليل لنذهب إلى العمل، وكان هذا شيئا جديدا أضفته إلى معلوماتي.

وفي ليلة ليلاء، حيث يظهر قليل من النجوم، وكان السيد بكسباي على عجلة القيادة، اختبرني في عدة معلومات بحرية، ولكني لم أستطع الإجابة على أي سؤال منها، قائلا إني لا أعلم، وقال السيد بكسباي: إني أصدقك أنت أكبر جاهل رأيته أو سمعت عنه. وفكرة أن تكون ربانا ــ أنت لماذا؟ أنت لا تعرف كيف تقود بقرة في (اصطبل).

وغضب السيد بكسباي، وكان رجلا عصبيا، وأخذ يمشي جيئة وذهابا من ناحية عجلة القيادة إلى الناحية الأخرى، كما لو كانت الأرضية ساخنة! وكان يكلم نفسه برهة، ثم يصيح في وجهي ثانية وأخيرا تحدث بهدوء: «ولدي، يجب أن تحضر معك نوتة، لتدون فيها كل ما أخبرك به من معلومات. هناك طريقة واحدة لتصبح ربانا، وهو أنك تحفر في ذاكرتك هذا النهر كله. يجب أن تعـرفـه كما تعـرف الأبجدية...».

وبمرور الوقت أحرزت بعض التقدم في العمل الليلي، وأحضرت معي نوته ملأتها بأسماء المدن والمواقع والجزر والاتجاهات... إلخ.

ولكن المعلومات لم أكن أجدها إلا في النوتة، لا في رأسي. وقد دونت معلومات عن نصف النهر فقط، لأن المناوبة كانت أربع ساعات راحة وأربع ساعات عمل ليلا ونهارا. ولم أكن أدون شيئا في فترة الراحة لأني كنت أنام فيها منذ بدأت الرحلة...



في محصب الذكريات

شعر: عبد الجواد طايل

آهِ من حيرتي.. وفرط عذابي — والليالي ويقظتي.. واغترابي
لا أنيسٌ.. ولا يدٌ تحتويني — لا ولا نسمَةٌ تخفف ما بي
السعاداتُ كلُّها قد تلاشتْ — والأمانيُّ أصبحت كالسرابِ
والثُّرياتُ قد بدت في عيوني — ليتَ شعري - رخيصةً كالتُّرابِ
واللقاءات كلّما عاودتني — أرّقتني وضاعفت من عذابي
والقصيداتُ بالأماسي تترى — مغرياتٍ بعودةٍ للشّبابِ
وابنتي قطّة تروح وتغدو — كخيالي وباسلٌ في ركابي
يوقظاني من الكرى كلَّ فجرٍ — ليناما هنيهة في رحابي
وإذا غبت بالمساءِ قليلاً — أنّباني لبعضِ هذا الغيابِ!
زينتي أنتما وقُرّة عيني — اعذراني ودعكما من عتابي
أنا والله لم أزل أتلظّى — كلّما بت مُغلِقاً أبوابي
وتفحّصت صورةً جمعتنا — وتذكرت في الهوى أترابي
والليالي رحيبة ماخلونا — وانتشينا من الرحيقِ المُذابِ
فإذا الفجر طالع يتمطّى.. — وإذا الليل قد مضى كالسّحابِ
وإذا المجلسُ الأثيرُ لدينا — قد خبا فجأةً كعودِ ثِقاب

* * *

أيها الصّحبُ هذه ذكرياتي — وإليها يعود أصل انتسابي
شاعرًا كنتُ ملءَ سمع الليالي — والقوافي تشقُّ موج العُبابِ
والصِّبا والجمالُ في كلِّ دربٍ — يتبعاني معًا كلون إهابي
والفراشاتُ يفترشن قصيدي — والعذارى يَغُرُّهُنَّ كتابي
أيها الدهرُ كُن رحيمًا بقلبي — دع حسابي للّه ـ يوم الحساب !

من كُتّاب العدد



● عبد الجواد طايل
- يعمل في الدراسات والبحوث بالندوة العالمية للشباب الإسلامي في مدينة الرياض.
- من مواليد ١٧/١١/١٩٥١م القاهرة.
- بكالوريوس تجارة ١٩٧٤م وليسانس الآداب ١٩٨٥م ويعد للدراسات العليا.
- عضو اتحاد الكتاب في مصر.
- شارك في مهرجانات شعرية مختلفة داخل مصر وخارجها.
- من مؤلفاته الشعرية :
● ولكني أحبك (١٩٨٠م)
● مملكة الحب (١٩٨٢م)
● أشواق وأشواك (١٩٨٥م)
● والحب كان الثمن (١٩٨٩م).

نافذة على ثقافة الغرب



تأليف : جاكلين رينو
عرض : محمود قاسم

للطفل مشكلاته


مشكلات العصر في عيون الأطفال

لاشك أنك واحد من ثلاثة أشخاص إما أنك عانيت يوما من شقاوة الأطفال ، أو أنك تعاني من هذه الشقاوة الآن أو أنك تتوق أن تتذوق هذه المعاناة يومًا ما .

ولا شك أيضا أن في مخيلتك مزرعة خصبة عن سنوات طفولتك ، كيف قضيتها ، وماذا بقي منها في الذاكرة من أحداث رقيقة ، أو مليئة بالمعاناة والمشكلات وبرغم كل شيء فإنها تبدو الآن بعيدة وحلوة .

هل يسكب الأطفال مشكلاتهم في شقاوتهم ؟ وهل الشقاوة نوع من التمرد ؟ وهل هناك مشكلات سببها الأطفال أو يعانون منها ؟

هذه الأسئلة وغيرها داعبت مخيلة الكاتبة الفرنسية جاكلين رينو وهي تقدم كتابها الأخير الذي يحمل عنوان «للطفل مشكلاته» . وفيه حاولت أن تسلط الضوء على أهم مشكلات الأطفال وكيف يمكن الخروج من هذه الدائرة ، ومفتاح الوصول إلى عالم سعيد من الطفولة .

وقد حصرت جاكلين مجموعة من المشكلات الرئيسة التي يعاني منها الأطفال مثل النوم ، والفراش ، والخوف ، والكلام ، والإزعاج ، والانتظام في ممارسة الأشياء ثم بعض المشكلات المرضية التي يمكن أن تنعكس على سلوكه الحياتية .

ترى الكاتبة أن أول مدخل لجذب الأطفال إلى عالم وردي ، وأفضل ، من أجل الخروج من دائرة المشكلات هو الكلام . فلا شك أن الطريقة التي يتكلم بها الكبار إلى الصغار تعد مفتاحا لصناعة المشكلات ، أو لكسر حدتها . فمنذ ولادة الطفل وهو يحاول أن يجد لغة يفهمها ويكلم بها من حوله

نافذة على ثقافة الغرب



أطفال مشكلات

حتى إذا استطاع فتح عينيه تعلم لغة الغريزة والإشارات ثم اللسان .

فالشفتان وتعبيرات الوجه في بداية الأمر يمكنها أن تنطق بالمعاني ، وإذا كانت الابتسامة علامة الفرحة والرضا ؛ فإن البكاء يعني الرفض والتمرد ، فإن هناك لغات أخرى يمكن التعبير بها وعلى سبيل المثال فإن الطفل عندما يلقي بلعبته فوق الأرض ، وتقوم الأم بالتقاطها وإعادتها إليه ، فإنه يحاول أن يكرر اللعبة ، وكأن هذه الحركات تؤكد أن هناك سؤالاً من طراز «هل تحبني» وإجابة مثل : «طبعا .. وأكثر من الحب» .

ويهتم الكتاب الذي بين أيدينا بالطفل الأكثر فهما وإدراكا ، فالأصغر سنا لا يعرفون ماذا يكون المعنى الحقيقي للخوف ولا للفرحة ولكن كلما شبوا عن الطوق فطنوا أن هناك أسبابا ولكل سبب نتيجة .

ولأن الطفل كائن هش ورقيق وضعيف ، فإن الخوف قد يجد طريقه إليه أسرع مما يحدث وسائل الأمن والسعادة ولذا ، فإن جاكلين رينو في الفصل الأول من الكتاب تضع مجموعة من الإرشادات لإبعاد الخوف عن الطفل ومنها :

- **يجب ألا تثير له القلق .**
- **تفادى أن تحرجه .**
- **اطلب منه الأشياء بطريقة غير مباشرة .**

وترى الكاتبة في هذه النقطة الأخيرة أن لجوء الطفل إلى التلوين والرسم هو محاولة للكلام مع نفسه والتعبير عن هذه النفس . لذا فإن على الكبار أن ينبهوا الأطفال إلى ما يرغبون في رسمه بطريقة غير مباشرة كأن يذكره برحلة الصيف الماضي ، أو بما حدث في يوم العطلة ويطلب منه أن يعبر عن رأيه بالرسم .

النوم حالة من الغموض

يجب أن يقتنع الكبار أن عصر طفولتهم قد ولّى ، وأن عصر أطفال اليوم يختلف تماما وكثيرا عن العصر والظروف التي عاشوا فيها . ولكن هناك منظورا أبديًا ودائمًا من الكبار إلى الصغار ، فهم يتعاملون معهم على أنهم «بالغون» لم تكتمل وسائل



بلوغهم بعد ، ويتم ذلك من خلال التعليم في المدارس والخبرات اليومية . وعلى ذلك فإن الكبار يتعاملون مع الصغار باعتبار ما سوف يكونون في المستقبل وهذا خطأ فادح فعليهم أن يتركوهم لأعمارهم يعيشون فيه ، وألا يدخلوا هؤلاء الصغار في مشكلاتهم ، ولا فيما يعانيه هؤلاء الكبار .

لكن إذا كان للكبار مشكلاتهم ، فما مشكلات الصغار ؟ لا شك أن مشكلات هؤلاء الصغار يعاني منها الكبار ويسعون إلى حلها قدر الإمكان . ومن أبرز هذه المشكلات ، ما يحدث فوق الفراش سواء المتعلق منها بنوم الأطفال أو بالتبول غير الإرادي . **فالنوم أشبه بمقياس درجات الحرارة ، يمكن أن يكشف حالة الطفل النفسية** . فإذا كانت الحالة سيئة فإن الطفل كثير التقلب ، وكثيرا ما يستيقظ منزعجا .

وتقول الكاتبة إن النوم حالة من الغموض لم يستطع أحد أن يفسر سببها . فالإنسان مثل الحيوان قد يموت لو كف عن النوم عدة أيام . ولا شك أن النوم هو حالة من الراحة ، لكن علماء النفس يرون أن هذا غير كاف . فالأشخاص الذين في حالة راحة يخلدون أيضا للنوم .

وقد قسم العلماء النوم إلى قسمين رئيسين : النوم بلا أحلام ، ثم النوم بالأحلام ، والأحلام لا تأتي عادة في بداية الليل ، أو في بداية النوم . والإنسان اعتاد النوم وهو جنين في بطن أمه . ونسبة نوم الأطفال تقل كلما كبروا في السن ، وترتفع ساعات النوم عددًا منذ بداية الميلاد وحتى سن الثالثة ، ثم تنقلب الأمور ببطء حتى سن الخامسة عشرة . ففي اليومين الأولين من حياة الطفل ينام تقريبا طيلة الوقت ثم يبدأ في التنبه تماما .

وغالبا ما تبدأ متاعب النوم في الشهر الثامن من العمر حيث يبدأ في التقلب وعندما يبلغ الثانية من العمر يبدأ الطفل في رفض الذهاب للنوم . وعلى الأم أن تتبع وسائل إغراء عديدة من أجل إيوائه إلى النوم . فهناك أشياء ارتبط بها في حالة الصحيان منها الأصدقاء والأبوين والإخوة وأيضا الألعاب فهو يحس أنه إذا أخلد إلى النوم فهذا يعني أن عليه أن يفارق ما يحبه .

لذا فإن الأطفال ابتداء من هذا السن يأخذون بعض الأشياء التي يحبونها معهم إلى الفراش وبخاصة الألعاب والدُّمى .

أفعال بلا إرادة

ولأن النوم حالة طبيعية ولأن هناك عادات خاصة يجعل الأطفال يخلدون إلى الأسرة ، فإن

> ”عندما يتغلب الأطفال على مشكلاتهم بقراءة قصص الخيال الجامح!“

تغيير هذه العادات يعطي مؤشرًا أن الأمور ليس على ما يرام وغالبا ما يصحب هذا ظهور المشكلات مثل الاستيقاظ أثناء الليل، والبكاء لأنه شاهد شيئا مرعبًا، أو كابوسًا مخيفا ويرتبط هذا الأمر بارتقاء الطفل في العمر، حيث يدخل سن النضوج. لذا فإن الأم غالبا ما تحاول أن تخفف إحساسه بالخوف، فتأخذه إلى أحضانها وتحاول إعادته إلى النوم مؤكدة أن كل شيء على ما يرام.

وتطلق تسمية التبول غير الإرادي عامة على الطفل الذي يتبول أثناء نومه وهو في سن تجاوز الرابعة. فمن المفروض أنه في هذا السن قد أصبح أكثر إرادة. ويمكن أن يستيقظ في أثناء الليل فيقضي حاجته.



حتى الأطفال يخافون من رجال الشرطة .. في القصص

ويعكس هذا التبول غير الإرادي حالة غير صحية لدى الطفل بعضها عضوي، والبعض الآخر نفسي وتلعب الأم دورًا مهما في علاج هذه الظاهرة. فعليها أولا تهدئة الطفل الذي قد يحس بالانزعاج من عمله وتكشف له أن هذا يعني أنه سوف يكبر قريبا. ولا شك أن هذا سوف يساعد الطفل على أن يكبر. ولكن الأم قد تضطر أن تذهب إلى الطبيب إذا أصبح الأمر ظاهرة وسوف يحاول الطبيب أن يؤدي دوره.

أما المشكلة الرئيسة الثانية التي تهتم بها الكاتبة عند الأطفال فهي الخوف. وللخوف أسباب عديدة عند الأطفال، وغالبا ما يرتبط بالظروف التي تحوطه ولأن الطفل يجيد التعبير عن نفسه في أغلب الأحيان. فإنه إما أن يبكي أو أن يكتم أحاسيسه ومشاعره داخل إحساسه بالخجل وفي بعض الأحيان يجاهد الصغار من أجل إخفاء مشاعرهم بالخوف لأن هذا قد يسبب لهم السخرية سواء من الكبار أو من الأقران الذين يقاربونهم في العمر.

والمعاناة حالة من التوتر الشعوري تجاه كل ما هو مجهول. أو حين انتظار وصول شيء ويبدو ذلك أمرًا طبيعيا حيث إن مساحة هذا المجهول واسعة أمام الأطفال. ولذا فإن الصغار يعيشون في حالات خوف متواصلة ومتراكبة، ينتقلون من إحداها إلى الأخرى، حتى تتكشف أمامهم آفاق هذا المجهول. وكثيرا ما يبدو الطفل الخائف عصبيًا أو غاضبا أو لعله يشكو من وجود صداع لا سبب عضويًا له في رأسه.

ومن أهم أسباب مواجهة هذا الخوف درء المجهول وكشفه أمام الأطفال. وإذا كانت مشكلات الآباء قد تأتي بالخوف للأطفال فعلى الكبار إخفاء هذه المشكلات قدر الإمكان. ومحاولة صنع أمان خاصّ لهؤلاء الصغار في داخل عالمهم الوردي. وذلك من خلال إقناع الصغير أن هناك عالما آخر جميلاً يختلف عن عالم الكبار. **وقد تزداد مشاعر الخوف كلما كان الطفل وحيدًا. لكن كلما أحاطه حنان الإخوة الآخرين قل إحساسه بالخوف.**

جنون .. الخوف

وقد يصل الخوف إلى حد من الجنون يطلق عليه العلماء اسم «الفوبيا» مثل خوف الأطفال من الحيوانات أو من ركوب المصعد، أو رجال الشرطة، وما إلى ذلك وقد يلعب الآباء دورًا في زرع هذا الخوف في قلوب الأبناء من أجل دفعهم إلى الالتزام بالهدوء أو الكف عن الشقاوة. وغالبا ما يجيء هذا النوع من الخوف من أعماق ميراثنا الإنساني فالخوف من الكلب - مثلا - لأنه قد قام بعضّ أحد الأجداد، أو لأن الحيوانات قد التهمت أجدادنا يوما في الغابات.

وغالبا ما يستمر هذا النوع من الخوف حتى سن الخامسة، حتى إذا خرج الطفل إلى المدرسة واختلط بالكبار من الأطفال، ورأى بعضهم يمارس حياته عادة مع نفس الأشياء التي يخاف منها حاول أن يقلدهم، أو على الأقل حاول أن يفهم أن هذا الخوف لا أساس له من الصحة.

أما عن مشكلات الأطفال الأخرى التي يعاني منها أبناؤنا فهي التلعثم في الكلام. ولأن الكلام هو أحد وسائل الاتصال الإنسانية الرئيسة، فإن أسلوب الطفل في الكلام يعد مؤشرًا مهمًا على حالته النفسية والصحية، خاصة بعد سن الثانية.

والكلام ترجمة لما يدور في العقل. فإذا أصيب الطفل بحالة من سوء الترجمة فهذا يعني أنه في حالة غير صحية والمخ البشري على سبيل المثال يحتوي



الطفل مشكلة

على مناطق تعمل على توظيف اللسان للكلام .

وتبدو متاعب الكلام عند الأطفال في مظاهر عديدة منها التلعثم والتأتأة ، ونطق الحروف ملثوغة . ولا شك أن السخرية من الأطفال في هذه المراحل قد تحول ظاهرة مؤقتة إلى حالة مرضية من الصعب تجاوزها أو حلها . **ويجب تدريب الأطفال على الخروج من هذه الحالات مع الكثير من الصبر، والحكمة** . فالطفل في حالة تعلم ، ويجب مساعدته على الخروج من هذه الحالاة المؤقتة . . ولكن في بعض الحلات قد يلجأ الأبوان إلى الطبيب من أجل حسم هذه المشكلة التي قد يراها البعض أنها قد وصلت إلى مرحلة حرجة أو مستعصية .

ابني مزعج

«ابني مزعج ولا أعرف كيف أتعامل معه»

كثيرًا ما نسمع بعض الآباء والأمهات يرددون مثل هذه العبارة عن أبنائهم الأشقياء ، والتي قد ترتفع حدة الشقاوة لدى بعضهم إلى درجة الإزعاج . وتجيء هذه الظاهرة من رغبة الطفل في أن يفعل كل ما برأسه وما يدور في عقله ، ساعيًا إلى التحرر من قبضة الوالدين . ونتيجة لكمية الطاقة الهائلة التي تمكن بجسمه الصغير فيبدو كثير الحركة ، زائد النشاط ، وتختلف درجة الإزعاج من جنس لآخر ومن عمر لعمر . فالبنات قد يتصرفن أحيانا أشد من الأولاد وكثيرا ما يتفوق هؤلاء على الجميع . وفي بعض الأحيان فإن الطفل الوحيد يصبح أكثر شقاوة .

وتبدو هذه الحالة ظاهرة من خلال رفض الصغار للأوامر الكثيرة والمتعددة من الكبار : لا تفعل كذا، أو افعل هذا، فيلجأ بدوره إلى أن يفعل ما يحلو له ، وما لا يحلو للوالدين وقد يتمثل هذا في معارضة الأبوين أو في الغضب منهما، وأحيانا في اللجوء إلى الكذب . أو ارتكاب بعض الأخطاء الصغيرة مثل السرقة من الدواليب والملابس .

ولم توضح الكاتبة جاكلين رينو كيفية مواجهة هذه المشكلة . لكننا نرى أن محاولة إثبات هوية للطفل تتلازم مع هذه المرحلة . وغالبا ما يكون قد وصل إلى سن استيعاب القراءة لذا فعليه أن يتجه إلى القراءة والفنون وأيضا إلى أداء الصلاة والاتجاه إلى الله . ولذا فإن الإسلام قد أمر بأن تفرض الصلاة على الصغار في هذا السن باعتبارها وسيلة رائعة لإخراجهم من حالة الإزعاج التي قد يسببونها وباعتبار أن الصلاة أبرز وسائل التطهير البشري من خلال علاقة المرء بربه سبحانه وتعالى .



الطفولة . . تولي الأدبار

في الفصل قبل الأخير من كتابها توجهت الكاتبة إلى الأطفال الأكبر سنا والذين يذهبون عادة إلى المدرسة . وهناك مشكلات خاصة بعلاقة التلميذ بمدرسته ، **تتمثل أحيانا في الذهاب متأخرًا عن الموعد ، أو عدم رغبته في الذهاب إلى الفصل ، فيدعي المرض ، أو البكاء ، والبعض قد يهرب من المدرسة كما يتأخر الكثيرون منهم عن أداء واجباتهم** . ويصاحب هذه الظواهر الكثير من المشكلات العائلية . فالأطفال الذين يصابون بحالات شرود وتيه في الفصل غالبا ما يكون أفكارهم فيما جرى بالأمس أو في الصباح بالمنزل .

وقد يكون السبب أيضا عدم قدرة التلميذ على التحصيل . ويمكن أن تصل الأمور إلى حد الجنون من الذهاب إلى المدرسة ، أو ما رسمته الكاتبة بـ **«فوبيا المدرسة» . ويمكن للأبوين أن يقفا أمام هذه الظواهر دائما بالرفق واللين ، والإقناع . ولكن قد يصل الأمر إلى حد المرض ، وهنا يجب الاستعانة بالمختصين في مواجهة مثل هذه المشكلات** .

وتقول الكاتبة في الفصل الأخير من كتابها إن هناك مشكلات تكبر مع السن متعلق بالأطفال . وبعضها مرتبط بحالة الصفاء التي يفتقدها . وفي أغلب الأحيان يجد التلميذ نفسه يمارس أشياء بشعة غير مستحبة ، منها إزعاج الآخرين وتناول الممنوعات وركوب الدراجات البخارية . وهي أشياء كلها تعطي مؤشرًا إلى أن الطفل قد خرج من مرحلة إلى أخرى ، من الصبا إلى المراهقة ، ثم إلى الشباب وعلى الآباء أن يغيروا من معاملتهم تماما للأبناء وأن ينظروا إليهم الآن على أنهم أصبحوا كبارا بالفعل .

وللطفل ثقافته

تناولت جاكلين رينو مشكلات الأطفال من المنظور العلمي والنفسي ، ولم تهتم قط بالتركيز على ثقافة الطفل فتعاملت مع الصغار كأنهم حالة ثابتة غير متحركة وغير قابلة للتغير ، ولأن الطفل كيان بشري أساسا متغير وله ثقافته ، فإننا نرى أن الكاتبة كان يمكنها أن تخصص فصلا عن مشكلات الطفل الثقافية فهذا يعطي مؤشرًا على مدى التغلب على مشكلاته التي ذكرتها في كتابها . فالألوان في الرسم قد تعكس الأحلام التي يراها الطفل في فراشه ، وقصص الخيال الجامح قد تساعد على إخراج الطفل من واقعه الذي يسبب له المعاناة . **ومن هنا تجدر أهمية علاج مشكلات الأطفال بالثقافة ، قبل الذهاب إلى الإخصائي النفسي أو الطبيب** .


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة» للصحافة والطباعة والنشر. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ . تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

عندما لا تتحقق الأحلام

بقلم: د. محمد أبوبكر حميد

مع كل القسوة الظاهرية التي تتمتع بها شخصيات تشيكوف فهم جميعًا في حقيقتهم طيبون ومتسامحون وليسوا أكثر من ضحايا للظروف القاسية التي وقعوا فيها، وبالتالي فهم لا يضرون في النهاية إلا أنفسهم. وهم شديدو الحساسية لكل ما حولهم، وحساسيتهم المفرطة وعواطفهم الدقيقة أكثر ما يؤرق حياتهم وينطبق هذا على معظم شخصيات مسرحيات تشيكوف عمومًا، ولعل شخصيات مسرحية «الخال فانيا» خير نموذج لهذا النوع المتوتر دائمًا.

«يجب أن نواصل الحياة ونعمل لخدمة الآخرين دون كلل في شبابنا وشيخوختنا وعندما يحين أجلنا نستقبل الموت دون شكوى»
سونيا



تشيكوف

مأساة صاحب قلم

فمع كل ما يقال عن سير برياكوف بحيث تبدو كل شخصيات المسرحية من ضحاياه وبخاصة الخال فانيا ويلينا، إلا أننا لا نملك إلا أن نتعاطف معه مثله مثل بقية الشخصيات. فلم نر منه إلا الأستاذ المتقاعد الذي أوى أخيرًا إلى عزبته فلا نراه إلا ساهرًا يقرأ ويتألم من النقرس والروماتيزم ويشكو ضيق أهله به وهجران الناس له وتنكرهم. إنه يتساءل في غرابة بعد أن أحس بتضايق من حوله منه: **«... ما إن أفتح فمي حتى يمتعض الجميع... لنفرض أنني مقيت وأناني ومستبد، أليس لي الحق في أن أكون أنانيًا في شيخوختي؟! ألا استحق أن استمتع بشيخوخة هادئة وأن ألقى العناية والرعاية ممن يحيطون بي؟!».**

إن مأساة الأستاذ سير برياكوف مأساة صاحب القلم الذي ينكسر في شيخوخته فينطفئ بريقه ويدخل في زاوية النسيان وهو لايزال على قيد الحياة. إنه مصاب بالإحباط، وهذه شكواه: **«لقد قضيت حياتي وأنا أعمل من أجل العلم، اعتدت على غرفة مكتبي وقاعة المحاضرات والزملاء، والآن أجد نفسي مدفونًا في الحياة في هذا القبر... لقد نفد صبري! وبرغم كل ذلك فهم هنا لا يغفرون لي من أجل شيخوختي!».**

وسير برياكوف شديد الحساسية لفارق السن بينه وبين زوجته الشابة يلينا، وبالتالي فهو يخشى في داخله أن تكون قد نفد صبرها عن احتماله، وتحت ضغط الإحساس المفرط بأنه قد أصبح عبئًا على الآخرين نجده ينفجر قائلاً لها: **«إنني اعتقد أنك تشمئزين مني أكثر من غيرك... لك الحق في كل ذلك طبعًا. لست من الغباء بحيث يخفى هذا عليّ أنت شابة موفرة الصحة وجميلة، تريدين أن تتمتعي بالحياة وأنا رجل عجوز مهدم جثة متصلبة. أليس الأمر كذلك أو أنك تظنين أنني لا أدرك هذا؟ من الغباء طبعًا أن أبقى على قيد الحياة. ولكن انتظري سأريحكم جميعًا. أيامي في الحياة معدودة».**

وتضع المربية العجوز مارينا يدها على الوتر الحساس في مأساة الأستاذ سير برياكوف حين تقول **«إن الكبار مثل الأطفال تمامًا، فهم بحاجة إلى العطف مثلهم، ولكن الناس لا يهتمون بهم إطلاقًا»**. والحقيقة أن شخصيات تشيكوف جميعًا بحاجة إلى العطف لأنهم يشعرون أن أحدًا لا يهتم بهم على الإطلاق.

وقد انتهى الخلاف في نهاية المسرحية الذي وصل إلى حد إطلاق النار إلى التسامح والتعاطف، فقد قرر الأستاذ سير برياكوف وزوجته يلينا الرحيل وترك العزبة وشؤونها كما كانت في السابق للخال فانيا وسونيا وكأن شيئًا لم يكن. فهذا هو الخال فانيا قد نسي غضبه يقول للأستاذ بكل طيبة: **«سأرسل لك نفس المبلغ الذي كنت أرسله إليك من قبل، وبكل انتظام، لن يتغير شيء عما كان عليه»!**

العيش في الأوهام

وهكـذا تكـون النهـايـة في مسرح تشيكـوف كـالبداية تماما، فمسرح تشيكـوف لا يقـوم على المفاجآت والأحداث الكبيرة بقدر ما يقوم بعرض ما يحدث في النفس البشريـة، وبالتـالي يكون الحدث الدرامي تقـريرًا لتنـاقضات هـذه النفس وترجمةً لما يحدث في عقلها البطن. ويجعل تشيكوف من قدوم شخصيات إلى مسرح الأحـداث المؤثر الـذي يحرك الحياة السـاكنة ويسبر أغـوارها المليئـة بالعـواطف والمشـاعر والهمـوم. وهكـذا كـانت عودة الأستـاذ وزوجته تفجيرًا لكل ما اختزنته النفوس لما يقرب من ربع قرن، فيكتشف الجميع أنهم كـانوا يعيشون في أوهام وأحلام لا تتحقق، ولكنهم يفضلـون أحيانًا العيش في الحلم برغم معـرفة الحقيقـة، فهذا الخال فانيا يقول: **«عندما تفقد الحيـاة طعمها لابد لنا أن نعيش في الأوهـام فهـذا أفضل من لا شيء»**. وهم جميعًا يعيشـون في ملل ويشعرون بالكـآبة ولا يفهم بعضهم بعضًـا بالـرغم من عيشهم في بيت واحـد تقريبًا. إن مأساة أبطـال تشيكوف أنهم يعانون من انقطـاع التواصل الشعـوري بينهم. فـالخال فانيـا يقول في لحظـة يأس: **« إنني رجل بلا ماض... أمـا الحـاضر فيثير في نفسي الخوف بتفاهتـه... إن العواطف الساميـة التي تعتمل في صدري ستضيع هباءً كما يضيع شعـاع من النور في هـوةٍ سحيقة، وستضيع حياتي معه...»**. وتلخص يلينا لفـانيا الموقف كله بقولها: **«هناك شي غير طبيعي في هذا البيت..»** وأستروف يقول في يأس: **«إنني أبذل مجهودًا أكثـر مـن أي إنسـان... ولكنني لا أرى بصيصًـا من الضوء. لم يعـد أمـامي أي أمل...»** ويرى أستروف أن قدوم الأستاذ وزوجته كان وبالاً عليهم جميعًـا فقـد عطل الأستـاذ عمل الجميع بأمراضـه ومشكلاته ووجـه اهتمامهم إليه وعطلت يلينـا القلـوب بجمالها وأثارت العـواطف الـراكـدة وشغلت كلاً من الطبيب والخال فانيا عن عملهما، فأستروف يصـارحها بقـوله: **«... بـدلاً من أن ينصرف كل منـا إلى عمله كـالمعتاد، وبـدلاً من أن نقـوم بعمل شيء أو إبـداع شيء تخلينـا عن كل شيء، ولم نعـد نفعل شيئًا طـوال الصيف سـوى ملازمتك والاهتمام بنقرس زوجك»!**

مستقبل الإنسانية

ومع ذلك فلا يترك تشيكوف أبطاله يعيشون في ظلام دامس، وهم ليسوا عديمي النفع فهم مثقفون وعـاملون ولهم تصـورات ورؤى للمستقبل والغـد البعيـد ويفكـرون في مستقبل الإنســانيـة، فهـذا أستروف الطبيب صاحب فلسفـة ورسالة يحاول أن يؤديها، فبرغم أنـه طبيب إلا أنه يدعو للمحـافظة على البيئة وجمال الطبيعة ويرى أنـه إن استمر حرق الغابـات لحساب البنـاء فإن جمال الريـف الروسي سيفنى، فهو يعتقد **«أن الغابات تجعل الارض أكثر جمالاً وتعلم الإنسان التجارب مع كـل ما هو جميل وتغـرس في نفسه الاتجاهـات الفكـريـة الساميـة، فالغابـات تخفف من حدة الطقس»**، وهو يرى أن الطقس عامل مـؤثر على سلوك الإنسان، فـالبلاد التي تتمتع بطقس معتـدل تجد أهلهـا **«أكثر جمالاً ولينًـا وأرهف إحسـاسًـا، إن حـديثهم مهـذب وحركاتهم رشيقة. إن الفن والعلـم يزدهران هناك، ونظرتهم للحيـاة أقل عبوسًا وهم يعاملـون النساء بشكل مهذب ورفيع»**! وهم يـؤكـدون على الإيمان بالله وجزاء الآخرة وهو الإيمان الذي يدعو الإنسان إلى العمل في دنيـاه دون انتظار جـزاء أو شكـر من أحـد. فعنـدمـا يتســاءل أستروف: **«تـرى هل سنخطـر نحن الذين نضيء الطـريق أمام الاجيـال القادمـة ببال أولئك الذين سيخلفـوننا...؟»** ترد عليه العجوز مارينا أم الخال فانيا **«إن لم يتذكر بنو الإنسان فإن الله لا يضيع أجر العاملين»**.

جوركي



الحض على العمل

وتنتهي المسرحيـة بالـدعـوة إلى العمل والحض عليه، فكل الشخصيـات تتواصى بـه، وهي فكرة أساسية تلح على تشيكوف في كل مسرحياته، فنجد سير برياكوف يودع الجميع قائلاً: **«... الوداع، يجب أن نعمل، سيداتي وسادتي.. يجب أن نعمل»** ويتمتم الخال فانيا **«أشعر بانقباض.. يجب أن أبدأ العمل سريعًـــا... إلى العمـل.. إلى العمل»** فالعمل هو الخلاص مـن كل الهموم والمشكلات. وتمسح سونيـا الدمـوع من عينيها بعـد رحيل أبيها وزوجته **«... حسنًـا ياخـال فانيا دعنـا نعمـل شيئـًا»**. ولم تعد سـونيا تفكـر في شي إلا في العمل وعوض الآخرة فإيمانها بالله وتفكيرهـا في الراحة بعد الموت وجـزاء العـاملين يـدفعهـا إلى العمل وتحمل أعبـاء الحياة، فهي آخـر من يتكلم في المسرحيـة، تقـول بتفـاؤل وحماسـة وإيمان: **«... يجب أن نواصـل الحياة برغـم تعاستنا... سنعمـل لخدمة الآخرين دون كلل في شبابنا وفي شيخوختنا وعندما يحين أجلنا سـوف نستقبل الموت دون شكوى... وسيشملنا الله بـرحمته وينعم علينا أنا وأنت يـاخال فانيا بحيـاة جديدة مشرقة جميلـة سعيدة... إنني أؤمن بذلك، يـاخال... أؤمن به!... وعنـدما يتلاشى شقاء هذا العالم وشروره أمام رحمة ستشمل العـالم أجمع، وتصبح حيـاتنـا آمنة وادعـة، حلـوة كالبسمة. إنني أؤمن بذلك، صدقني، أؤمن به»** ثم تمد يدهـا بمنديلهـا للخال فـانيا الطيب تمسح دموعه بعد أن غلبه البكاء من فرط التأثر.

* * *

وعندمـا شاهد جـوركي ـ صـديق تشيكوف ـ هـذه المسرحية كتب إليـه يقـول: «لقـد شاهـدت مسرحيـة (الخال فانيـا)، لقـد بكيت وارتجفت من الإعجاب أمام موهبتك، كما ارتجفـت خوفًا لأجلنا نحن جميعا ولأجل حيـاتنا الشـاحبة البـائسة... فليرحمنا الله جميعًا».


المنهل
المجلة السعودية الاولى
شهرية للاداب والعلوم والثقافة
السائح
فلسطين
مجلاتنا الداخلية
فكر أصيل .. اداء معاصر .. توجه متميز
تقرأه الصفوة
تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة - جدة ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥

من رواد الحركة الأدبية المعاصرة

سيّد قطب.. ناقدًا وشاعرًا



بقلم: محمد سيد بركة

ليس ثمة رجل أصابه الإهمال والإجحاف مثل ما أصاب سيد قطب ـ يرحمه الله ـ، فقد أحاطت بحياته غيوم كثيفة من الغموض والإبهام مما أدى إلى حجب أدبه وحياته عن الكثيرين ممن ينهلون من منهله الإسلامي الصافي الرقراق، وليس ثمة شك في أن سيد قطب من الرواد في مجال النقد الأدبي، ومنعطف في تاريخ الفكر الإسلامي، وفي هذه العجالة التي هي جهد المقل سنلقي شعاعًا على حياة سيد قطب وأدبه وفكره.

إن المتتبع لحياة سيد قطب يجد صعوبة بالغة لأن كثيرًا من مصادر المعلومات فقدت أو أُفقدت نتيجة الظروف الأخيرة في حياته، كما أن الخوف منع الكثيرين ممن رافقوا سيد قطب أن يتكلموا عنه ولكن هيهات أن يحجب الفكر أو يموت أو ليس هو القائل «إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثا هامدة حتى إذا متنا في سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء»[1]؟!

اسمه **سيد قطب بن إبراهيم** كان **والده الحاج قطب بن إبراهيم** ميسور الحال ذا مكانة عالية في **قريته «موشا» بأسيوط إحدى محافظات صعيد مصر**، وكان متدينًا مثقفًا، وكذلك كانت والدته سيدة فاضلة متدينة تنتسب إلى عائلة معروفة.

مسيرة حياة

ولد سيد قطب في ٩ أكتوبر عام ١٩٠٦م، ودخل المدرسة في سن مبكرة ولكنه تركها خوفا من بعض العاملين بها، ثم عاد إليها حتى لا يغضب أبوه عليه، وظهر نبوغه منذ الصغر فأتم حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، وذهب إلى القاهرة حيث أتم دراسته الثانوية والتحق بدار العلوم عام ١٩٢٥م وكان ـ رحمه الله ـ مولعًا بالقراءة والمطالعة، وبدأ في التردد على الصالونات الأدبية ـ إذ كانت مزدهرة في مصر آنذاك ـ وبدأ يحضر **ندوة العقاد** وهو في سن العشرين، وتأثر به تأثرا كبيرًا، وكان يعتبره أستاذًا له، وفي تقديم الأستاذ **الدكتور مهدي علام** لكتاب سيد قطب **(مهمة الشاعر في الحياة)** لدليل كاف على ذكاء سيد وعبقريته وطموحه، منذ الصغر وشهادة فخر واعتزاز تكفي صاحبها، يقول الدكتور علام: **«ولئن كان قد قدمت المحاضر سيد قطب بأنه طالب يسرني أن يكون أحد تلاميذي فإنني أقول اليوم وقد سمعت محاضرته أنه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سرورًا وقناعة واطمئنانًا إلى أنني سأحمل أمانة العلم والأدب من لا أشك في حسن قيامه عليها... وقصارى القراء أن أقول لهم إنني أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم، وإذا قلت دار العلوم فقد عنيت دار الحكمة والأدب»**[2].

وقد تزعم سيد قطب وهو طالب في دار العلوم اتجاه الدفاع عن التجديد في الأدب ضد من رفضه فيقول: «وإننا لا نتقيد بالحدود التي سنها القدماء وغير القدماء في تقديرهم ونقدهم بينما هم لا يزالون مقيدين»[3].

غاية النقد ومناهجه

وفور تخرجه من دار العلوم عام ١٩٣٣م توالت مقالاته النقدية واشترك في بعض **المعارك الأدبية** التي كانت حامية الوطيس في ذلك الحين، لكنه نهج نهجًا فريدًا فقد تعفف عن مثل ما فعل **الرافعي** في «على السَّفُّود»، أو مافعله العقاد وصاحباه **شكري والمازني** في «**الديوان**» فكان أكثر جدوى وموضوعية، وقضية الشعر المهموس بينه وبين **محمد مندور** دليل على موضوعية **سيد قطب** في مجال النقد وذلك مما جعل أحد أساتذة الأدب في **الجامعة الأمريكية ببيروت** يقول:

«لولم ينحرف سيد قطب إلى السياسة لكان مدرسة فريدة في النقد الأدبي الحديث» **وفي كتابه «النقد الأدبي أصوله ومناهجه» يحدد غاية النقد الأدبي ووظيفته ملخصًا لها في النقاط التالية:**

- **أولاً**: تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية على قدر الإمكان.
- **ثانيًا**: تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب.
- **ثالثًا**: تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالمحيط ومدى تأثيره فيه.
- **رابعًا**: تصوير سمات صاحب العمل الأدبي من خلال أعماله وبيان

خصائصه الشعورية والتعبيرية وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوين هذه الأعمال ووجهتها الوجهة المعينة، وذلك بلا تمحل ولا تكلف ولا جزم كذلك حاسم. ويحدد أيضا **مناهج النقد الأدبي فيبين أنها تشمل المنهج الفني، والمنهج التاريخي، والمنهج النفسي ومن مجموعة هذه المناهج قد ينشأ لنا منهج أدبي كامل للنقد الأدبي ندعوه المنهج المتكامل**، ويبين أن الفصل الحاسم بين هذه المناهج وطرائقها ليس بمستطاع، وأن هذه المناهج مجتمعة هي التي تكفل لنا صحة الحكم على الأعمال الأدبية وتقويمها تقويمًا كاملاً، فإيثار أحدها على الآخر لا يكون إلا في الموضع الذي يكون فيه أحدها أجدى من



سيد قطب.. ناقدًا وشاعرًا

الآخر فلا محل للتفضيل المطلق ولا للمفاضلة الحاسمة بين هذه المناهج، وعن مناهج النقد يقول: «والمناهج بصفة عامة في النقد تصلح وتفيد حين تتخذ منارات ومعالم، ولكنها تفسد وتضر إذا جعلت قيودًا أو حدودًا شأنها في هذا شأن المدارس في الأدب ذاته فكل قالب محدود هو قيد للإبداع، وقد يوضع القالب لتضبط به النماذج المصنوعة لا لتصب فيه النماذج وتصاغ»(٤) **ويقول**



«للناقد عملان أساسيان: عمله في الجو العام، وعمله مع كل مؤلف على حدة، فأما عمله في الجو العام فهو التوجيه والتقويم ووضع الأسس وتشخيص المذاهب وتصوير أطوارها ومناهجها، وأما عمله مع كل مؤلف فهو وضع مفتاحه في أيدي قرائه الذي يقرؤون أعماله متفرقة ولا يدركون الطبيعة الفنية التي تصدر عنها هذه الأعمال، ولا يتعرفون إلى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل.

وليس من وظيفة الناقد أن يغير طبيعة المؤلف ولكن من وظيفته أن يعرف هذه الطبيعة ويبلورها ويقيس أعمال المؤلف بها ويهديه إليها إذا ضل أو انحرف في فترة من فترات الضعف والكلال»(٥) وظهر للأستاذ سيد قطب في مجال النقد الأدبي مؤلفات مثل **«التصوير الفني في القرآن»** وهذا الكتاب يتولى شرح النظرية الأساسية في طبيعة التعبير القرآني، ووضوح عنصر التصوير فيه و**«مشاهد القيامة في القرآن»** وهو تطبيق عملي لكتاب **«التصوير الفني في القرآن»** و **«النقد الأدبي أصوله ومناهجه»** و**«كتب وشخصيات»**. وقد أعد لدراسة المذاهب الفنية مع الدراسة التاريخية كتابًا بعنوان **«المذاهب الفنية المعاصرة»**(٦) لا أدري هل طبع أم لم يطبع لأنني لم أستطع العثور عليه. وهو في كتبه ومقالاته النقدية يحدد منهجًا للأديب من خلال التصور الإسلامي، وبيّن كذلك أنه ليست من وظيفة الأدب أو الفن تزوير الشخصية الإنسانية أو الواقع الحيوي وإبراز الحياة البشرية في صورة مثالية لا وجود لها، إنما هو الصدق في تصوير المقدرات الكامنة أو الظاهرة في الإنسان والصدق، كذلك في تصوير أهداف الحياة اللائقة بعالم من البشر لا بقطيع من الذئاب.

الأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي أدب أو فن موجه بحكم أن الإسلام حركة تطوير مستمرة للحياة فهو لا يرضى بالواقع في لحظة أو جيل ولا يبرره أو يزينه لمجرد أنه واقع، فمهمته الرئيسة هي تغيير هذا الواقع وتحسينه والإيحاء الدائم بالحركة المبدعة المنشئة لصور متجددة من الحياة(٧).

سيد . . شاعرًا

وبدأ يقرض الشعر وهو لم يتجاوز العشرين من عمره حيث قال وهو في التاسعة عشر من عمره تحت عنوان **«وردة ذابلة»**:

قد تولت وذوت نضرتها ... وبدت كالميت المحتضر
تفتح أجفان أو تغمضها ... فتحة الضعف وغمض الخور
وشذاها لم يزل يفعمني ... فيعيد الشجو لي بالفكر

فكان ـ رحمه الله ـ شاعرًا موهوبًا غذى تلك الموهبة بروافد ثقافية عديدة إلى جانب ثقافته العربية وعقيدته الدينية، الصافية وشعره ضاع في **زحمة القبض** على تراثه، وتحقيق شعره آمر بالغ الصعوبة حيث قام بعض النقاد بحذف ما كتبوه عنه، وابتعد آخرون عن التصريح باسمه، **وله ديوان شعر بعنوان «الشاطئ المجهول» يقال إنه موجود في الجامعة الأمريكية بالقاهرة** ومن تشبيهه لمخلوق صغير بائس بدأ ينعشه أمل جديد يقول:

زهرة قد كاد يعروها الذبول ... ثم حيتها تباشير الربيع
فهي ترنو بين صحو وذهول ... مثلما تحتار في العين الدموع

وحينما يعرب عن قلبه بعد يأس عقيم:

هذا الفؤاد الذي خلفته تعبًا ... مضنًى معنًى يُرْجَى منك مُقْتَرَبا
هذا الرجاء دهاه اليأس فانطمست ... آثاره وتوارى ضوؤه وخبا
بجلل الصمت والذكرى جوانبه ... ويطويان به الأجيال والحقبا

وتوجد قصيدة له بعنوان **«الصبح يتنفّس»** وهي من بواكير شعره يقول فيها:

نسمات زفها الفجر الوليد ... بعدما جاش بها صدر الحياة
ناعمات مثل أنفاس الورود ... بلل الطل شذاها بنداه
كانت الدنيا تَغَشَّاها السكون ... وظلام الليل والنوم العميق
طفلة قد ضمها الليل الحنون ... ضمة الرحمة كالأم الشفوق
وتراءى الصبح في سمت بديع ... فإذا الطفلة تصحو من سبات
ترسل الأنفاس فيرفق وديع ... وإذا الأنفاس تلك النسمات
وإذا الزهر يحيي في ابتسام ... ذلك الصبح ويرنو في هدوء
كابتسام الطفل في عهد الفطام ... حينما يحلم بالثدي المليء

وكان يؤكد على تناسق الخيال فيتحدث عن نغمات العود فيقول:

كأن ألحانك اللائي ترددها ... أطياف ذكر توارت ترجع الآنا
كأنها خطرات في مخيلة ... تحسها ثم لا تستطيع تبيانا
كأنها همس جن أو ملائكة ... أسر عن عالم الإنسان كتمانا

ويقول معقبًا على هذه الأبيات الثلاثة «تشبيهات ثلاثة ولكنها متآخية لا يزحم واحد منها الآخر، ولا يتنافر معه فالأطياف والخطرات والهمس تشترك جميعها في الرقة والخفوت والحنان»(١١).

واتصل بجماعة الإخوان المسلمين وأعجب بشخصية **حسن البنا** مؤسس الجماعة ويقول رحمه الله عن الدافع وراء انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين إنه

انضم بعد أن كشف مساوئ الأنظمة البشرية السائدة في العالم اليوم من اشتراكية، وشيوعية ورأسمالية فدعا جميع المسلمين إلى الاتحاد في كتلة ثالثة أطلق عليها اسم **الكتلة المسلمة** - تقوم على التصور الإسلامي الذي يلائم الفطرة البشرية ويؤمِّن العدالة الاجتماعية الصحيحة، والكرامة لكل إنسان وبعد انضمامه إلى الإخوان اعتزل الأدب كلية، وأصبح مفكر الجماعة، وتولى رئاسة قسم نشر الدعوة ورئاسة تحرير جريدة الإخوان المسلمين، وتوالت عليه المحن فاعتقل عام ١٩٥٤م وحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عامًا قضى منها عشر سنين في «**ليمان طره**» ثم أفرج عنه إثر وساطة الرئيس العراقي **عبد السلام عارف** الذي طلب منه السفر إلى العراق ولكنه رفض، وكان جريئًا في الحق فكان يقول: «**إذا كنت مسجونًا بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت مسجونًا بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل**».


حسن البنا


علال الفاسي

ومرة ثانية يلقى عليه القبض عام ١٩٦٥م وبنفس التهمة التي وجهت له من قبل قبض عليه وما وجد في بيته إلا «**الظلال**» و«**معالم في الطريق**» وعشرات المؤلفات التي أفنى فيها عمره، وعصر ذهنه لتأخذ طريقها إلى مشارق العالم الإسلامي ومغاربه بعد أن ضيق عليها الخناق في مصر - وهي الآن يقتنيها معظم المثقفين في مصر - **وكتبه الإسلامية ستة عشر كتابًا تصدر الآن ويتلهف عليها القراء وهذه الكتب هي**:

(١) «**في ظلال القرآن**» وهو لون جديد في تفسير كتاب الله تعالى، ويدور حول فكرة العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى، وقد طبع عشرات المرات وترجم إلى اللغة الإنجليزية.

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام.

(٣) معركة الإسلام والرأسمالية.

(٤) السلام العالمي والإسلام.

(٥) هذا الدين.

(٦) المستقبل لهذا الدين.

(٧) الإسلام ومشكلات الحضارة.

(٨) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته.

(٩) إسلام أو لا إسلام.

(١٠) معركتنا مع اليهود.

(١١) دراسات إسلامية.

(١٢) فقه الدعوة.

(١٣) في التاريخ . . فكرة ومنهاج.

(١٤) نحو مجتمع مسلم.

(١٥) «**معالم في الطريق**» الجزء الأول حيث تقول السيدة الفاضلة **زينب الغزالي**: «إن الأستاذ سيد قطب ألف كتابًا داخل السجن بعنوان معالم في الطريق الجزء الثاني وهو موجود وسيظهر فيها بعد»[١٢].

(١٦) «**أمريكا التي رأيت**» هذا الكتاب غير مطبوع.

وكان رحمه الله ينوي أن يؤلف كتابًا بعنوان «**في ظلال السيرة**» مماثلاً في ظلال القرآن حيث إنه في موقف من مواقف السيرة في الظلال قال: نرجو توفيق الله في «ظلال السيرة» للوقوف طويلا أمام هذه المواقف الموحية في ا لسيرة.

الشهادة

ويوم الأحد ١٠ أغسطس ١٩٦٦م تحكم **محكمة أمن الدولة العليا في القاهرة** على سيد قطب بالإعدام، ولم تشفع له شيخوخته ومرضه، وتلقى هذا الحكم بابتسامة عريضة، وعندما سئل عن الحكم قال «**إنها الشهادة**» وقامت على أثر صدور الحكم مظاهرات احتجاج في العالم الإسلامي وبعث كثير من زعماء وعلماء المسلمين برسائل إلى الرئيس عبد الناصر يطالبونه بإعادة النظر في الحكم ولكن كل هذا ذهب أدراج الرياح وبدون جدوى، تم إعدام سيد قطب فجر يوم ١٩٦٦/٨/٢٠م.

إن قضية **سيد قطب** كما قال الأستاذ **علال الفاسي** - الزعيم السابق لحزب الاستقلال المراكشي - هي قضية داعية مسلم تتشح الرؤية وتستقيم أمام ناظريه ويعرف السبيل إلى قلوب الناس بعد أن ثبت نور الإيمان في قلبه، واستقامت معالم الفهم في ذهنه، واستحال الإيمان والفهم والتطبيق في دنيا الواقع، وسطر الكلمة لتشق سبيلها ممهدًا إلى مجالها في القلوب والأذهان والنفوس»[١٣].

هل مات سيد قطب؟! إذا كان مات فقد خلف من بعده كتبًا وآثارًا ستبقى خالدة على مر التاريخ، لأنه كتبها مرتين مرة بمداد العالم ومرة بدم الشهيد. فرحم الله سيد قطب الذي سقى تربة الدعوة بدمه وغذاها بفكره، وغدا كوكبًا في سماء هذه الأمة يضيء لها الطريق، وقطبًا نهتدي به في ظلمات البر والبحر، وحاديًا تمشي قوافل الإيمان على حدائه، ورائدًا على طريق الإسلام يترسم العاملون خطاه.

المراجع

(١) دراسات إسلامية ص ١٣٩ سيد قطب.

(٢) مهمة الشاعر في الحياة ص ١٢ - ١٣ سيد قطب.

(٣) المصدر السابق ص ٢٨.

(٤) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٥) كتب وشخصيات ص ٦ - ٧ سيد قطب.

(٦) المصدر السابق ص ٨.

(٧) في التاريخ فكرة ومناهج ص ١٨ - ١٩.

(٨) مجلة «المسلمون» العدد (١١) تصدرها بالعربية من لندن «الشركة السعودية للأبحاث والتسويق».

(٩) مهمة الشاعر في الحياة ص ٤٣ - ٤٤.

(١٠) المصدر السابق ص ٥٣ - ٥٥.

(١١) المصدر السابق ٧٣ - ٧٤.

(١٢) مجلة المختار الإسلامي العدد ١٤ وكانت تصدر في القاهرة في منتصف كل شهر عربي وقد توقفت عن الصدور منذ عام.

(١٣) لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا؟ ص ٨٥ (عبدالمتعال الجبري).



موسوعة عربية عن المرأة وصحتها

عرض: عـزة عبد الوهاب

نحن نعلم ـ عـزيزتي القـارئة ـ مـدى اهتمامك بصحتك وبحياتك وحياة أفـراد أسرتك . من أجل هذا نستعرض لك كتاب (حياة المرأة وصحتها) هذا الكتاب الذي كُتب خصيصا من أجلك ، حيث قـامت بإعـداده مجمـوعة من النسـاء المهتمات بحيـاة المرأة وشخصيتهـا في عالمنـا العربي .

بـدأ الاهتمام بفكرة هـذا الكتاب الـذي تشرف عليـه د . نـاديـة فرح بـالتعـرف على مجمـوعـة من الكتابات الجديدة التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأوربـا وأمريكا اللاتينيـة ، التي تتناول قضايا المرأة المعاصرة من زوايا متعددة ، والذي يميز تلك الكتابات هو أن القائمات عليها مجموعات من النساء اللاتي يتناولن مشكلات المرأة بصورة جديدة ومن وجهة نظر النساء أنفسهن .

ومن هنا يتنـاول الكتاب الـذي استمر العمل لإنجازه أربع سنوات ، قضايا المرأة من منظور دورة الحياة أي منذ طفولتهـا إلى فترة ما بعد الإخصاب ، كما يتعـرض لبعض القضايـا العامـة التي تهم المرأة كـالتغـذية والعـلاج الشعبي والعمل والمشكـلات الصحية النسائية .

وعن طفـولـة المرأة يـرى الكتـاب أنها المرحلـة المبكـرة من الحيـاة الإنسـانيـة التي يتشكل خـلالها الإنسان ككـائن اجتماعي ، بل هي أهم مـرحلة في تكوين الإنسان صحيا وعقليا ونفسيا .

والطفل بحاجة إلى رعاية الوالدين ـ الأم والأب معا ـ وفي المراحل الأولى يكون الطفل غير قادر على التعبير عن آلامه وأمـراضه وبـالتالي يكـون في أشد الحاجة لعناية الكبار .

والأسرة هي البيئـة الاجتماعيـة الأولى للطفل ويجب أن يقـوم الأب والأم معـا بـالـدور الأكبر في تشكيل الطفل وإعــداده للتعـامـل مع المجتمع الخارجي ويتأثـر هذا التشكيل بـالعادات الأسريـة والعقـائد والمعايير السلـوكيـة ، فالأسرة هي معهـد الشخصية للابن والابنـة ، وهي الصورة الأولى التي يراها في ذهنه والتي تهيئه للمجتمع الخارجي بوصفه كلاًّ فيما بعد .

تفرقة . . لماذا ؟

يلفت الكتاب نظر الأمهات إلى خطورة التفرقة في المعاملة بين الولـد والبنت ، كما يؤكد على ضرورة الاهتمام بإعطاء الطفل كل التطعيمات الأساسية في أوقـاتها حتى يتمتع الابن أو البنت بصحة جيـدة ، ويوضح أن الإسهال والجفـاف من أخطر الأمراض التي يتعـرض لها الأطفــال والتي يمكن أن تسبب الوفاة .

ويقـدم الكتاب وصفـة طبية لتحقيق التـوافق النفسي والجنسي والعاطفي مع الزوج وكيفيـة إقامة أسرة تقوم على المودة والرحمة والحب بين طرفي الحياة الزوجية ، ويوضح خطورة بعض الأمراض كالزهري والسيـلان والإيـدز والتي تـأتي معظمهـا نتيجـة العلاقات الجنسية غير الشرعية ويحدد سبل الوقاية من هـذه الأمـراض والتـزام العفـة وتعـاليم الـدين والبعد عن تعاطي الأدوية المخدرة أو المنبهة .

هناك فصل خاص بالحمل والـولادة والرضاعة الطبيعيـة ، ويتحـدث هـذا الفصل عن المراحل المبكرة لتكوين الجنين ونموه ويوضح كيفية حساب يـوم الـولادة ، ومـا هي الـولادة المبكـرة والمتأخـرة ، فـالأولى هي التي تحدث قبـل تمام النمـو الكـامل للجنين داخل الـرحم ، والثـانية حين تتأخـر ولادة المولـود عن ٤٢ أسبوعـا . ويحذر من عـدم متابعـة طبيب في حالـة الإصابة بمرض السكـر أو في حالة حدوث زغللـة في العين أو ارتفاع درجـة الحرارة أو نزول أحد أطراف الجنين أو صعوبة في التنفس وقيء شديــد أو زادت فترة الحمل على ٤٢ أسبـوعـا ولم تبـدأ آلام الـولادة ، ويبين مــا هـو الطلق الحقيقي ومـراحل الولادة وكيف تعتني المرأة بنفسهـا في فترة النفاس والتي تبـدأ بقياس الحرارة وتقديم الأغـذية المناسبة وبخاصـة تلك التي تحتوى على الكالسيوم والغنية بالفيتامينات .

وهناك أيضـا جزء خاص بـالرضاعـة الطبيعية استشهد بـرأى الدين الإسلامي فيهـا ، كما جاء في الآيـة الكريمـة : ﴿ والـوالدات يـرضعن أولادهن حــولين كـاملين لمن أراد أن يتم الـرضـاعــة ﴾ البقرة/٢٣٣ . وإذا كان هناك معــوقات للرضاعة الطبيعية فيجب العنـاية بنظافة تحضير الـرضاعات تجنبا لحدوث نزلات معوية قد تنتهي حياة الرضيع .

ولعل أكثر الفصول أهمية للمـرأة الناضجة هو الحيـاة بعد سن الخصـوبة والـذي فيـه يرى فـريق البـاحثـات الـذي أعـد الكتـاب أن الحيـاة رحلـة يمضيهـا الإنسان على الأرض ، وهـو وحده الـذي يستطيع أن يجعل منها رحلة ممتعـة أو رحلة عذاب وشقاء ، والمرأة بوجه خاص تستطيع أن تجعل رحلة الحيـاة جميلة لنفسهـا ولأسرتها ومجتمعها إذا عـرفت كيف تحقق ذاتها وتستغـل طـاقـاتها ؛ فـالله خلق الجمال في كل شيء وتتجلى صـور الجمال أوضح مـا تكـون في الإنسان وفي مـراحل عمره المختلفـة وفيما منحـه الله من عقل وإحساس يتميـز به عن سـائر الكائنات ، فالطفولة والصبا براءة وشقاوة والشباب قوة وجمال وانـدفاع ومـا بعد الشبـاب نضج وعمق التجربة .

هناك موضـوعات تتناول التغذيـة والمشكلات الصحية والضغـوط الاجتماعية والنفسية ، وتأثير هذا كلــه على صحــة المرأة ، وكيف يمكن للمــرأة أن تتفـادى حدوث هـذه الضغـوط ، وضرورة الاهتمام بصحتها والعرض على الطبيب في الوقت المناسب ؛ لكي تحيا حياة طيبـة تنعكس على كل من حولها في الأسرة ، بل تنعكس على مجتمعها كله .

إنه كتاب يهتم بالمرأة منذ طفولتها وحتى مرحلة النضج والشيخـوخـة ويحاول أن يضع لها الخطـوط العريضة لكي تعيش كل مـرحلة في سعادة وبدون مشكلات ، هي وكل أفراد الأسرة .

مدن سعودية [٢]

ز

الزُّلْفي

عدّها في (بلاد العرب) في ديار عديّ الرباب من تميم.

والزلفي مدينة عامرة كبيرة ذات أسواق تجارية ونخيل ومزارع، وذات أحياء متباعدة نوعًا ما، وهي: **(العقدة)** و**(البلاد)** و**(علقة)**. ويحد الزلفي من الشمال رمل **(الثويرات)**، ومن الجنوب حدود **(الغاط)**، ومن الشرق رمل **(الضويحي)**، ومن الغرب **(المستوي)**.

ويلحق بها قـرى وعُقَل، فمن قـراهـا **(سمنان)** و**(الحيطان)** و**(عريعرة)** و**(السيح)** و**(الروضة)** و**(اللغف)** و**(الجردة)** و**(أميهة الذيب)**. والعُقَل: جمع عقلة، وهي قرى ومزارع داخل نفود الثويرات وبامتداده إلى نفود عريق البلدان، وسميت **(عقلا)** أخذًا من عقال الراحلة الذي يمكن أن يؤخذ الماء به من آبارها لقرب تناولها، فهي بمنزلة الأحساء في جوف هذا الرمل، والعقلة تقع في حفرة طبيعية عميقة جدًا، تحيط بها الرمال من جميع جوانبها، ثم تبقى هذه الجدران الرملية العالية جدًّا واقفة لا تردم هذه الحفر رغم أن رملها في الغالب متحرك، وهذه العقل هي: العقلة والمليويط، وتبعد عن الزلفي نحو سبعة عشر كيلا جنوبه الغربي.

ويسكن الزلفي أسر كبيرة من قبائل شتى ففيهم أساعدة من قبيلة عتيبة، وفيهم دواسر، وفيهم فضول، وفيهم عصمة، وفيهم شمامرة، وغير هؤلاء ممن لا يحضرني اسمه، كما فيهم أسر كثيرة وكبيرة من بني خضير.

وقد أنجبت الزلفي مشائخ كراما في علم الشريعة وغيرها، نذكر منهم: الشيخ فالح، والشيخ عبد الرزاق القشعمي، والشيخ ابن رومي، والشيخ الحميدان، والشيخ الذييب، والشيخ الحمين، والشيخ محمد بن ردن.

ومنها شعراء شعبيون، نذكر منهم: عبد الله الدويش، ورشيد العلي، ومقبل الخلف، وغانم الغانم، وأحمد الناصر السكران، وأحمد الناصر الشايع، والزنيدي، ومقحم المقحم.

ومن شعر الدويش:

لي صاحب ماقف طويق مقره ... بين الخشوم النايفة والزبارة
عسى مراويح السحايب تمره ... وتنثر دقاق الما على جال داره
حيثه سقاني من ثناياه مرة ... وقطفت من بستان غالي ثماره
عليه عرف كل يوم يشره ... وباقي رشوش مجدله في غضاره

ومن شعر رشيد العلي:

حنا كما طير يخفق بجنحان ... وتضرب حراوي رزقنا كل ديرة
ولا رزقنا الله فلا حنب بخلان ... من رزقنا ترزق يدين كثيرة

وحول الزلفي مناطق أثرية مثل **(الطرغشة)** و**(قصر سعود)** و**(الحطية)** و**(مرخ)** و**(المنيزلة)** و**(عشيرة)** و**(منسية)**.

وتبعد الزلفي عن الرياض نحوًا من ٢٨٥ كيلا، ويتبعها من القرى ما يقارب ٨٥ قرية ويمر بها خط الرياض/ سدير/ القصيم/ حائل/ المدينة المنورة.

س

سُدَيْر

أصله (ذو السّدْر) من أكبر أقاليم (اليمامة).

يحد إقليم سدير من الجنوب (العَتْك)، ومن الغرب مرتفعات (جبل طويق) ومنحدراته الغربية، ومن الشمال المرتفعات والقفاف المشرفة على روضة (السَّبلَة) وما حولها شرقًا وغربًا، ومن الشرق جبل (مُجَزَّل)، ويلحق بالإقليم إداريًا ما وراء هذه الحدود شرقًا وغربًا مما يحاذيها.

وينتظم سدير من الأودية الكبار عدة أودية، هي:

١ ـ وادي الفقي وروافده.

٢ ـ وادي المياه وروافده.

٣ ـ وادي جُوَي.

٤ ـ وادي المِشْقَر وروافده.

٥ ـ وادي الكلْب.

٦ ـ وادي تُمَيْر.

٧ ـ وادي الغاط.

وغير هذه من الروافد والشعاب التي تمد هذا الإقليم.

وقاعدة إقليم سدير (المجمعة). أما بلدانه فمنها: (الحوْطة)، (الرّوضَة)، (جُلاجِل)، (التّوَيم)، (العَوْدة)، (حَرْمَة)، (الغاط)، (عُشَيْرة) (تُمَيْر)، (العطّار)، (الداخلة)، (الحصون)، (الجنوبية)، (الـجُنَيْفي)، (جُوي)، (الـمَعْشبة)، (الحاير)، (الرُوَيْضة).

وسدير من بلاد تميم قديمًا، وتشاركهم فيه (ضبة).

وللإقليم في القرون المتأخرة ذكر وشهرة ومكانة، أسهم في كل مجال من المجالات الخيرة، وتفتح وعيه في العلم والتجارة والزراعة، وكان له ثقل معروف، وكلمة مسموعة. وأنجب إقليم (سدير) عددًا كبيرًا من العلماء والفقهاء والشعراء الشعبيين ومن المؤرخين والرواة ورجال الدولة.

ش

شَقْراء

سميت باسم هضبة تقع بقربها يقال لها (الشّقْراء)، فانتقلت الصفة والعَلَمِيَة إلى المدينة وأهملت الهضبة، فلا تكاد تسمى بذلك.

و(شقراء) الآن قاعدة منطقة (الوَشْم)، مدينة عامرة متقدمة تنتشر فيها مدارس البنين والبنات، والمرافق الحكومية المتعددة، ومستشفى كبير، وملتقى طرق: (الحَمادة) و(أشَيْقِر) وطريق (الرياض ـ الحجاز)، وفيها سوق عامرة، وحركة عمرانية، وتقع (شقراء) من منطقة (الوشم) في وسطها الغربي تحت (الصَّفْراء)، وأكثر قرى (الوشم) جنوبيها.

وكان لـ(شقراء) ماضٍ تجاريّ مشهور، فهي من المدن الرئيسة في (نجد) وقد اشتهرت بتجارتها وارتياد الناس لها، ولها أيضا ماض في الحفاظ على العقيدة، والغيرة على المبدأ، فقد صادمت جيوش (محمد علي) أيام غزوها (نجدا).

وفي مطلع حكم الملك عبد العزيز جعل مساعد بن سويلم أميرا على هذه المنطقة، ومركزه (شقراء)، وقد أنجبت علماء فضلاء ذوي شهرة ومكانة، وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، والشيخ عبد العزيز الحصين. ومن علمائها المتأخرين المشائخ: محمد البيز، وإبراهيم بن عبد اللطيف الباهلي، وعبد الرحمن بن عودان، ومحمد بن إبراهيم البواردي، وآل أبي بطين: عبدالله، وعمر، وعبد الله الباهلي، وعبد اللطيف الباهلي، ومحمد البصيري، وناصر بن سعود بن عيسى (شويمي)، وإبراهيم الهويش وابناه عبد العزيز ومحمد، وعبد العزيز أبو عباة، وإبراهيم بن محمد بن عيسى وغيرهم.

وأنجبت (شقراء) عدة شعراء مقاويل أمثال: إبراهيم بن سعد البواردي، وصالح السكيني، وعبد الكريم بن جويعد، وكبيرهم عبد الرحمن البواردي.

ص

الصَّمان

منطقة تقع شرقي (الدَّهْناء)، وجنوبي (وادي الباطن)، وغربي (وادي المياه) وشمالي طريق (المنطقة الشرقية)، في المفصل ما بين (الدهناء) و(الفُرُوق)، يتداخل مع منطقة (الصُّلْب) فيما أدخلته هذه الحدود، حتى لايكاد عارف يفرق بينهما، وبعضهم يرى أن (الصمان) هو الصلب والصلب هو الصمان، وحتى التسمية لا تكاد تفرق في مدلولهما بين هذا وذاك؛ فالصلب: هو ما صلب من الأرض وقسا. والصمان: كل أرض صلبة ذات حجارة حثة وعرة. وهذه المنطقة (الصمان والصلب) حزون متداخلة وقفاف، تتخللها رياض ومستقرات مياه وقيعان.

وقال ياقوت: قال أبو منصور، وقد شتوت بـ(الصمان) شتوتين، وهي أرض فيها غلظ وارتفاع، وفيها قيعان واسعة وخَبَاري، تنبت السدر، عذبة، ورياض معشبة، وإذا أخصبت ربعت العرب جميعًا. وكانت الصمان قديمًا لبني حنظلة، والحزن لبني يربوع، والدهناء لجماعتهم، و(الصمان) متاخم لـ(الدهناء).

ويذكر الهمداني (الصمان) ويفصل عن دحوله ومصانعه، فيقول: ثم (الصمان) ومياهه؛ وهي دحول تحت الأرض مخرقة في جلد الأرض، منها ما يكون سبعين بوعًا ومئة بوع تحت الأرض وأقل وأكثر، منها دحل (العِيص) ومنها الدحل (الضّبي)، يكون ماؤها من ماء السماء عذبًا. وبـ(الصمان) المصانع؛ وهي معمولة من الأرض غُدُر، مرصوفة بالصفاح جوانبها. وليس بـ(الصمان) ماء عِدٌّ إلا ما كان من مياه (العَرَمة) قربها.

وقال بعض العرب: من قاظ الشُّرَيْف، وتربع الحَزْن، وشتا الصمان فقد أصاب المرعى.

وبـ(الصمان) أعلام مشهورة منها خباريها التي يضرب بها المثل في سعتها وكثرة مائها وطيب نبتها، وأشهرها تسع خباري (خبراوات).

ض

ضَرَمَا

أصلها: (قَرَما)، ثم دخلها التحريف فأصبحت اليوم (ضرما).

قال ياقوت: (قرما) قرية بوادي (قَرْقَرى) بـ(اليمامة).

وذكر الغوري في جامعه: قرماء، بسكون الراء: قرية عظيمة لبني نمير، وأخلاط من العرب بشط (قرقرى)، وحكى نصر: قرما في بلاد (نمير)، وقال الحفصي: (قرما) من قرى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم بـ(اليمامة).

وقد سكن (ضرما) طائفة من أبناء إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي جد الأسرة السعودية.. وهذه الطائفة التي سكنت (ضرما) ــ هم

المعروفون بالشيوخ ـ أبناء عبد الرَّحمن بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، وسكن أبا الكباش أخوه سيف وهو جد آل يحيى أهل أبي الكباش، أما مرخان وعبدالله فبقيا في (الدرعية). وظلت إمارة (ضرما) في آل عبد الرحمن (الشيوخ) إلى زمن قريب.

وفي سنة (١٢٣٣م) حينما غزت جيوش محمد علي (نجدا) بقصد تخريب (الدرعية) وتقويض حكم آل سعود، وقف لهذه الجيوش بعض البلدان التي في طريقها، وجاهدوا وأبلوا بلاء حسنًا في الجهاد والنضال، وفي مقدمتها مدينة (الرس) و(شقراء) ثم (ضرما)، فقد حاصرتها الجيوش حصارًا شديدًا، وما استطاعت الاستيلاء عليها إلا بعد أن قدم (إبراهيم باشا) ألفا ومئتي قتيل من جنده، وبعد أن قتل من أهلها ثمانمائة قتيل، وبعد أن أنهكهم الحصار وفقد ما لديهم من زاد وذخيرة احتلها، وأجلى شيوخها ونساءها وذراريها إلى (الدرعية) وخربها تخريبًا كاملاً.

وفي سنة ١٢٣٥م اتخذ الإمام تركي بن عبد الله آل سعود من (ضرما) منطلقا لاستعادة نفوذه من ابن معمر، الذي كان يحكم (الدرعية)، بعد هدمها وتخريبها سنة ١٢٣٣م وقتل سرية ابن معمر في (ضرما) ومنها عاد إلى (الدرعية)، وبدأ دوره في التحرير وتوطيد الأمن.

ط

الطُّرَيْف

الحي الأول في العاصمة الأولى (الدرعية)، ومقر الحكام من آل سعود: محمد، وعبد العزيز، وسعود، وعبد الله، وبه قصورهم ومساجدهم وحصونهم. ومن معالم هذا الحي (سَلْوَى) قصر سعود، وقصر عمر بن سعود، وقصر سعد، و(الدُّرَيشَة) أرفع الحصون وأمنعها، و(بيت المال). ويحيط بالحي سور منيع، ويقع على ظهر جبل يشرف على وادي (حنيفة) من الغرب، وعلى بقية أحياء (الدرعية).

حكم (الطريف) قلب جزيرة العرب، والخليج العربي، وأطراف العراق، والشام واليمن، وعُمان زهاء خمس وأربعين سنة. ومضى اليوم على هذا الحي نحو من مئة وخمسة وخمسين عامًا، ولا تزال أطلاله ومعالمه وأعلامه قائمة تشهد بالعظمة والسمو، وتهزأ بالغزاة الذين لم يألوا جهدًا في التخريب والتدمير والإحراق؛ فبادوا وبقيت المعالم خير شاهد.

ع

العُيَيْنَة

تصغير عين: عيين بني عامر من بني حنيفة، قال بذلك الهمداني.

كانت لهذه (العيينة) دور كبير في وادي (حنيفة)، وكانت تحكم ما حولها، ولها صولة ونفوذ، وصاحبها قبول وعمران وازدحام سكان، وكانت قاعدة في هذا الوادي تخاف وترجى.

تقع في ملتقى شعاب وادي (حنيفة) الرئيسة، التي يتكون منها هذا الوادي فتستقبله نخيلها ومزارعها، وتختزن منه ما يزيد تربتها خصبًا ونموًا.

ويزيدها قوة ونماء ومتاعًا عينان تفيضان عليها: إحداهما تأتي من قبل (الأحيْسِي) والأخرى تهبط عليها من ظهر (سَدْحة)، ويحف بها شعاب يمينها وشمالها تهبها قوة واتساعًا.

انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب من (حريملاء)، ونزل (العيينة) مسقط رأسه، فاستقبله أميرها عثمان بن معمر بالترحاب والتقدير، واستجاب لدعوته وناصره في أول الأمر، وأصبح له في (العيينة) أنصار وأعوان لا يستهان بهم، غير أن ظروفًا أحاطت بموضوع نشر الدعوة، من أهمها أن ابن عريعر ألحّ على ابن معمر بإخراج الشيخ من (العيينة)، وكان لابن عريعر، آنذاك، نفوذ وسلطة ترجى وتخشى من قبل إمارات (نجد) الصغيرة، ولم يزل بابن معمر حتى نفذ إرادته، وطلب من الشيخ بكل لباقة ولطف أن يتحول إلى البلد الذي يريده غير (العينية)، فنفذ الشيخ ما طلبه ابن معمر، وآواه آل سعود في (الدرعية).

وكان للشيخ في (العيينة) دور لا ينسى من التدريس، وترسيخ العقيدة السلفية، والنفع العام، وقد تزوج في (العيينة) من (الجوهرة) ابنة الأمير عبد الله بن معمر عمة الأمير عثمان.

غ

غُبَيْرَاء

غُبَيْرَاء وادٍ في أعلى (الدرعية) من روافد (وادي حنيفة)، ينصب من مرتفعات (طُوَيْق)، وبأسفله سد أقيم لحفظ مياه السيول لتمكث في الأرض، وبها غار، وكانت جبهة من جبهات حروب (الدرعية) أمام جند محمد علي، وهي أولى الجبهات التي تكاثف عليها الغزاة، فانهارت بعد قتال مرير وجهد كبير، ومن ثم بدأ الوهن في سائر الجبهات.

ولا أرى غبيراء هذه إلا التي رسم لها ياقوت وسماها (الغبراء) قال: و(الغبراء) من قرى (اليمامة).

وقال أبو محمد الأسود: (الغبراء) أرض لبني امرئ القيس من أرض (اليمامة). وفي أسفل (وادي غبيراء) عند مصبه في (وادي حنيفة) أطلال وقنوات لتصريف سيل هذا الوادي على المزارع التي في مصبه، فهناك مزرعة (الجَوشنية)، وشعب (جزّار) و(المراشيد)، وغيرها.

وقد ذكرها الهمداني، فقال: وفوق ذلك قرية يقال لها: (غبراء)، بها بنو الحارث بن مسلمة بن عبيد.

ف

الفاو

الفاو هـو الفج بين جبلين، وأصله الفـوه، فهذا الفج بين الجبلين بمثـابة الفوه لهما ويسمى فجًا ويسمى فـاوا، وأحيانًا يعرف بـالعلمية في منطقته إذا لم يكن فيها سواه، وأحيانًا يعرف بالإضافة.

وهـذا الذي نحن بصـدده يعـرف بالعلميـة في منطقتـه، وكذلك يعـرف بالإضافة، فإذا قلت: (الفاو) وأنت في منطقة (وادي الدواسر) أو في (السُّليّل) انصرف الذهن إليه رأسًا، وإذا قلت (فاو قَرْية). فقد تعيّن للكل وعُرف.

وهو فج في جبل (طُويق) على حدود (الرُّبع الخالي)، قبل أن يندفن الجبل في تلك الرمال، يفري الجبل فريـا، ويشكل مساحة واسعة بين شقي الجبل، ووجهـه من الغرب (السـاقيـة)، ومن الشرق جنـوب (السليل) ما بينهـا وبين (الربع الخالي)، وفيه آبـار ارتوازية، وهو منفذ معتبر في تلك النـاحية يصل ما بين منطقتي جنـوب (وادي الدواسر) وجنـوب (السليل)، ويبعـد عن (وادي الدواسر) نحوًا من ثمانين كيلاً شطر الجنوب الشرقي، وعن (السليل) نحوًا من خمسين كيلا.

وأهمية هذا (الفاو) تأتي من ناحيتين: الأولى: كـونه طريقًا رئيسا في تلك النـاحيـة، والثانية: أن منطقـة أثرية شهيرة تقع في نـاحيته الغربيـة تعرف الآن بـ(قرية الفاو)، وقد اهتم علماء الآثار ومنسـوبو الهيئات العلمية بهذه المنطقة، وقاموا بـرحلات إليها، والتقطوا منهـا نماذج من مكسرات أوانٍ ومن نقود ومن نقوش وكتابات، وتتبعوا آثارها بالبحث والتحليل والتدقيق.

وقد كتبت عنها (دائرة المعارف الإسلامية). وزارتها (الفرقة الاستكشافية الأمـريكية) وزارهـا (عبد اللـه فيلبي) وتجول فيهـا، وكتب عنها بحثـا نشره في المجلة الـجغرافية (المجلد ٦٣ ـ في حزيران ١٩٤٩م) عرّبه الأستاذ حمد الجاسر.

وقبل ذلك ذكر الهمداني في كتـابه: (صفة جزيرة العرب) طـرفا من أخبار هذه الآثار.

وآثار الاستيطان القديم مترامية بـ(قرية فاو) ولا تزال الآبار تستعمل، أما الاستيطان الـدائم فقد تـوقف من عـدة قرون مضت، وإن أطـلال الاستيطان الطويل تتضمن بقايـا عدد من المنازل والمقابر وقليـلاً من الروابي ذات الطبيعة غير المتماسكة (الهشّة)، وتشييد المباني يتم بالطوب وأحجار البناء مع استعمال الجبس الموجـود محليًا، وإن القطع الخزفيـة الموجـودة حاليـا تدل على أن هـذا الاستيطان كان قائمًا في أثناء القرن الثاني قبل الميلاد، كما يستدل من بقايا أخرى سطحية، ومن تلك النقوش الموجودة في جوارها يبدو أنها كانت ذات مرة نقطة على الحدود السبئية، ويدل مـا عثر عليه بسطح المنطقة على أن الإقـامة كانت على الأقل أثناء فترة من وجودها معاصرة للأخدود نفسه.

لهذا اهتمت (جـامعـة الملك سعـود) بهذه المنطقة، وقـام قسم الآثـار بها بتشكيل فرقـة أثريـة رأسها أ. د. عبد الـرحمن الأنصاري عميـد كلية الآداب، فزارت المنطقـة، ومكثت بها مـدة، وأجرت بها حفـريات وجسـات متعددة، وتنقيبات وتحريات، فوصلت إلى نتائج طيبة جدًا، وعادت تحمل أصنافا كثيرة من آثار هذه المنطقة: أسلحة، وأواني متعددة، وأدوات زينة، وحليًا، أقامت لها معرضا بجانب الجامعة، أقيم له حفل افتتاح. وظل مثابة للمهتمين مدة.

ق

القنفذة

قال ياقوت: إنها من مياه بني نمير.

وهذا الماء الآن غير معروف، أو حل محل اسمه اسم آخر من المياه التي تقع في هذه المنطقة داخل (رمل الـوركة) أو خارجه، وقـد انتقلت الشهرة من هذا الماء إلى ما أضيف إليه، وهو هذا الـرمل الممتد من (صفراء الوشْم) شمالاً، إلى فوهة (نساح) جنوبًا بما تقرب مسافته من مائة وخمسين كيلا، في عرض قد يزيد على عشرين كيلاً في المتـوسط، فبقي المضاف يحمل الشهـرة والذكـر، ولم يعد للمضاف إليه عين أو أثر.

وهو رمل متكاثف ذو حبال وصرائم (خبب)، وينقاد منه لسانان: الأول عند طرفه من الجنوب، ويلج فوهـة (نساح) الغربية حتى يمعن فيها، والثاني يهايئ فوهة (الأوسط) ـ ويذهب مشرقًا، ويتجلل حزونًا هنالك فيكون أبارق، ثم يعود فيتكاثف بين روضتي: (الحَزّارة) و(المحليّـة) بميل نحو الجنوب، ثم يعتدل شرقا فيمعن في وادي (الأوسط) حتى يسد وسطه تقريبًا.

ل

ليلى

على صفة الاسم للمرأة، قاعدة إقليم (الأفلاج)، ومن أكبر مدن الجنوب وأكثرها تطورا وقابلية للتطور، تقع من (الأفلاج) في المنطقة الشرقية منه، ويمر بها طريق الجنوب، فهـي تبعد عن (الرياض) نحوا مـن ثلاثمائة وستين كيلا، وخلفها جنوبـا للغرب وادي (الدواسر)، يبعد عنهـا نحوا من ثلاثمائة وأربعين كيلا.

ومـدينـة (ليلى) غنية بـالتجـارة وحـركة البيع والشراء وتسـويق المنتجـات الـزراعيـة لمنطقـة (الأفـلاج)، وبها فروع لأجهـزة الـدولـة، وأهلهـا أهل تجارة وزراعـة، وقـد أنجبت كثيرا من علماء الشريعـة، ولأهلها طمـوح ملحـوظ في تحصيل العلم والسعي له.

م

الـمَجْمَعة

سميت بهذا الاسم من التجمع، إمـا لأن الأودية التي فـوقها تتجمع بها، وإما لأنها حينما بدأت عمارتها أخـذت تتجمع بها أسر من عدة قبائل، بمعنى

أنها منطقة تجمع، فيجوز هذا وهذا، مع أن هناك منطقة تدعى (المَجَامع)، يلتقي بها واديا: (بُرَيْك) و(نعَام) وروافدهما.

وإذن فالأغلب أنها سميت بذلك لأنها ملتقى أودية، خصوصًا وادي (المِشْقَر) وروافده، ووادي (الكَلْب). . وكانت منطقتها تسمى (مُنيخا)، وبها حصن على قمة جبل يتوسطها يدعى (حصن منيخ) لا يزال بارزًا ويقال إنه بني سنة ٨٣٠ هـ، بناه عبد الله الشمري، أول من بدأ العمران بـ(المجمعة) عام ٨٢٠ هـ.

وكانت بلدة (حَرْمَة) أقدم منها عمرانًا، إذ عمرت سنة ٧٧٠ هـ. عَمرّها إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي، وكانت غامرة آنذاك، بها بقايا طلول وآثار.

وقد أنجبت (المجمعة) عددًا كبيرًا من العلماء ومن شعراء الشعر الفصيح والعامي، وهي الآن مدينة ناهضة، وممثلة بها جميع أجهزة الدولة، وبها من الأعلام البارزة (برج مُنيخ) وهضبة (حطَابة) و(القُرَيْف) و(النَّصْلة) وبالأخير ين نقوش وكتابات.

و(المجمعة) هي قاعدة إقليم (سدير) كله.

و

الوشم

أصله نقش على ظاهر الكف بالإبرة والنيل حلية، وهو السّمة والعلامة أيضا، وهو إقليم من أقاليم (اليمامة) الكبيرة غربيها وشمالها، واقع بين (رمل الرَّغام) من الشرق، و(صفْراء الوشم) من الغرب، وما بين (قَرْقَرى) من الجنوب، و(الهوايج) ومستقرات سيول المُسْتَوِي من الشمال، وبعضهم يلحق به (الحمادة)، كما هي الآن تابعة له إداريًا، أي ما يليه شرقا منها، ويقال له أيضا: (الوُشوم).

ويبدو أن أرضه الملونة بالرمال، والهضاب الحمراء، والحزون الصفراء، والسهول المشكّلة، أعطاه هذه التسمية.

وهو قديما من منازل (بني تميم)، ولا تزال أسر من (تميم) تقيم في (الوشم) وقاعدته (شقراء).

وجل (الوشم) سهول ممتدة، أرضه خصبة، ونباتها طيب، ومحصولها جيد. وقد ذكر (الوشم) في كتب المنازل والديار، قال ياقوت: و(الوشم)، ويقال له (الوشوم): موضع بـ(اليمامة)، وبين (الوشم) و(قراه) مسيرة ليلة، وبينها وبين (اليمامة) ـ يقصد قاعدتها (حجر) ـ ليلتان.

ي

اليمامة

قلب جزيرة العرب، بين سراتها وعروضها، وبين رملها الكبير (الربع الخالي) وقصيمها وبلاد (طيء) منها. . ذات السلسلة الجبلية الطويلة والأنوف والهضاب والأودية والرياض والرمال والقيعان والحزون. . بلاد النخيل والحبوب، ومنابت الشيح والقيصوم والعرار، قرارة الأرومات الكبيرة من (قحطان) و(عدنان)، وحاضرة أمهات العرب البائدة من (طسم وجديس)، توالت على أقاليمها حضارات، وتتابعت على رباضها أمم وتركت آثارًا من العمران خالدة وصوى من التاريخ متأبية، وأشعارًا وأخبارًا وأياما وعظات وعبرا.

وما (اليمامة) أصلا إلا الحمامة أو نوع من جنسها، انتقل هذا الاسم إلى هذا الجزء من قلب جزيرة العرب الذي كان يُسمّى قديما (جوا)، انتقل إليها لأن (الزرقاء) الفتاة المبصرة لهجت بذكر الحمام وامتحن نظرها به.

ومن ثم سميت (اليمامة) بنت (سهم بن طسم) فهي أشهر عَلَم أبقاه التاريخ من تلك الحقبة، فأطلقت الاسم على المحل تبعًا للحال فيه، فذهب الحالّ وبقي المحل وبقي اسمه خالدًا مع مرور الأحقاب.

أقدم ما وصلنا خبره من سكان (اليمامة) قبيلتا (طسم وجديس)، نحو القرن الخامس قبل الميلاد، كان لهما شأن عظيم في هذه المنطقة، ثم تداموا وتفانوا وهلكوا، وخلفهم (بنو حنيفة)، فكانت لهم دولة عاشت قرونًا، وجاء الإسلام في عهد بني حنيفة، وارتدت (حنيفة)، فخضد الإسلام شوكتها بقيادة (خالد بن الوليد) ـ رضي الله عنه ـ. ثم ثابت وأنابت ومضت عضوًا عاملاً في الإسلام. وظلت الخلافة الإسلامية تتعهدها بالرعاية، وكذا في صدر الدولة الأموية، وفي العهد العباسي أخذت الولاية تضعف في (اليمامة) وأخذت الثورات والانقسامات يأخذ بعضها برقاب بعض، حتى قامت بـ(اليمامة) دولة (الأخيضريين) وعاصمتها (الخِضْرِمة) من (الخرج)، وعواصم (اليمامة) منذ العهود البائدة كانت تتأرجح بين (حَجْر) و(الخضرمة)، ومدن كبيرة أخرى كـ(عقْرباء) و(قرّان) وغيرهما.

وبعد أن بادت الدولة (الأخيضرية) تقاسمت (اليمامة) ولايات وإمارات وقبائل، من أهمها قبيلة (حنيفة)، فقد عادت إليها بعض سلطتها ونفوذها، ثم دخلت (اليمامة) عهودًا مظلمة متعاقبة لا يعرف لها أثر ولا خبر، حتى ابتدأ نفوذ الدولة السعودية يبسط ظله على قاعدة (اليمامة) وما حولها، ثم عزز بالدعوة السلفية التي قام بها المجدد (محمد بن عبد الوهاب) ـ طيب الله ثراه ـ ومن ثم انبسط ظل هذه الدولة على جزيرة العرب، واستتب نفوذها في فترات يتخللها ما يتخللها من ضعف إلى هذا الزمن الزاهر المزدهر بالأمن والرخاء والعلم والتقدم.

وأقاليم (اليمامة) اليوم متعددة، هي:

١ ـ (الرياض) وهي القاعدة لكافة أقاليم (اليمامة)، وعاصمة المملكة العربية السعودية.

٢ ـ إقليم (سُدير) وملحقاته: وقاعدته (المجْمعة).

٣ ـ إقليم (الزُلفي): وهو آخر أقاليم (اليمامة) من الناحية الشمالية.

٤ ـ إقليم (الوشْم): وقاعدته (شقْراء).

٥ ـ إقليم (الأفلاج): وقاعدته (لَيْلى).

٦ ـ إقليم وادي (الدواسر) و(السُّليّل): وهو طرف (اليمامة) من الناحية الجنوبية.

عن كتاب «معجم اليمامة» تأليف الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م (بتصرف)



لا.. لم يكن المتنبي مصابًا بالبارانويا

بقلم: د. إبراهيم محمد إسماعيل عوضين

لقد استطاع المتنبي أن يسلك نفسه في مقدمة الرموز العربية بما قدم من شعر، مازلنا نتلقى به النزوع الإنساني الشامل، الذي فرض له مكانا مرموقا بين الأدباء العالميين.

ولذلك فليس غريبـا أن يظل هذا الشاعر مـوضوع تحاور، ومحور اختلاف على الرغم من مضي أكثر من أحد عشر قرنا على وفاته.

وليس غـريبا ـ لذلك ـ أن تقـدم مجلتنا العزيزة (الفيصل) في العدد (١٨٧) دراستين عن هذا الشـاعر، فليس من شك في أن المتنبي وأمثـاله سـوف يظلون ملء السمع والبصر بذلك الثـراء الممتد والمتنوع، امتـدادًا وتنوعاً فـرض له من الأصالـة والمعاصرة ما يجعلـه قريبا من كـل دارس، مغريا كل بـاحث أن يعيد النظر إليه، اطمئنانا من الدارسين والبـاحثين إلى أنهم في كل مرة سوف يقدمون جديدا. وفي إحدى الدراستين قــدم الأستـاذ سلطان عبد الهـادي السهلـي «ملامح البارانويا في شخصية المتنبي وشعره».

مبالغـة المريض في تقدير ذاتـه

تحت هذا العنـوان تتبع الكاتب سيرة حيـاة المتنبي ـ سلوكـا وشعرا ـ ليقدم منها مظاهر إصابته بتلك السمة من سمات (البارانويا).

١ ـ وكان أول ما صادف من ذلك: ادعاء المتنبي النبوة.

والكـاتب في تعليقه هـذا يتجـاهل مـا أثير حول ادعـاء المتنبي النبـوة من شكـوك، وما دار حـول ذلك من جـدال امتـد من عصره إلى العصر الحديث، دون أن يقطع فيـه بـرأي حاسـم. وكان الأولى بـالكـاتب أن يبحث عن أحـد المظاهـر السلوكية أو الفكريـة المؤكدة، ما دام بصـدد تشخيص داء، يرى أن المتنبي أصيب به، ولا مجال هنا لإعادة ما قيل حول هذه الدعوى!

٢ ـ والـمظهر الثاني من مظاهر إصابة المتنبي بهذا الداء ـ فيما يراه الكاتب ـ تشبهه بالأنبياء في نحو قوله:

مـــا مقـــامي بأرض نخلـــة إلا … كمقـــام المسيح بين اليهـــود
أنـــا في أمـــة تـــداركهـــا اللــــــــه … غـــريب كصـــالح في ثمـــود

والكـاتب في هـذا المقام يجعل التشبه بـالأنبياء على الإطـلاق مظهـرا من مظاهر المبالغـة في تقدير الذات. ويبدو أن حرصه على أن يصم المتنبي بتلك الـوصمـة أعجلـه عن التفكير المتأني فيما يصح أن نتشبـه فيه بـالأنبيـاء ومـا لا يصح، وجعل أي تشبـه بالأنبياء من مظـاهر المبالغــة في تقديـر الذات، فلم يلتفت إلى أن القرآن الكريم يدعونا إلى التشبه بالأنبياء في أخلاقهم وسلوكياتهم حيث نبّــه إلى أن لنـا فيهم أسـوة حسنـة، علينـا أن نحـرص على متـابعتهـا، والسعي إلى الاقتـداء بها ﴿ قــد كانـت لكم أسوة حسنـة في إبـراهيم والـذين معه... ﴾ (الممتحنة ٤).

إن المتنبي يألَم لما تنـزل به الأيام؛ فهي لا تسعـده بوصـال أحبابه يـوما، إلا لتروعـه ثلاثـة أيام بصـدودهم وعداوتهم، حتى أصبح في عيشـه بينهم كعيش عيسى عليه السـلام بين اليهود. ولو أن الكاتب ذكـر البيت السابق على البيت المذكور، لما وجد الشاعر يبالغ في تقدير الذات، وذلك قولـه:

أيَّ يـــوم سررتَنـي بوصــــالٍ … لــم تَرُعْنِـي ثـلاثـةً بصـدود
مـــا مقـــامي بأرض نخلـــة إلا … كمقـــام المسيح بين اليهـــود

ولكن الأستـاذ سلطـان تعجل في إصــدار الحكم، ليقـرر أن المتنبي كـان مريضا بالبارانويا. ولكي يؤكـد ما يريد أن يحكم به على المتنبي قفز سبعة عشر بيتا ليذكر البيت الأخير من القصيدة في المكان الذي يقرر مقصده. ولو أنصف لأعاد النظر في هذه الأبيات السبع عشرة قبل أن يذكر قول المتنبي:

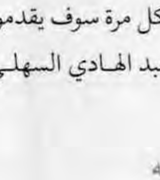
أنـــا في أمـــة تـــداركهـــا اللــــــــه … غـــريب كصـــالح في ثمـــود

فلو أنه وجّه النظر إلى تلك الأبيات لاستمع إلى المتنبي يأسى لتخاذل قومه، ويأسف لرضاهم من الدهر بـالعيش النكد، كي لا يبذلوا جهدا، حتى أصبح المتنبي ــ بطموحه وجرأته ــ غريبـا بين قومـه كغربـة سيدنـا صالح بين قـومه ثمود. **أي إن المبالغة هنا ليست في تقدير ذاته، ولكنها المبالغة في تقدير غربته بين قومه.**

من كُتّاب العدد

● **د. إبـراهيم محمـد إسماعيل عوضين**

ـ من مواليد مدينة بلقاس في مصر.
ـ دكتوراه في «أسرار الإعجاز في النسق القرآني» من كلية اللغة العربية في القاهرة ١٩٧٠م.
ـ عمل مدرسا وأستاذا في التعليم العام والجامعي منذ عـام ١٩٦٠م، وهو الآن أستـاذ في كلية اللغـة العربيـة بجامعـة المنصـورة ورئيس قسم الأدب والنقـد فيها.
ـ عـضو في عـدد من اللجان العلمية، وهو عضـو في المجلس الأعلى للشـــؤون الإسـلاميــة بمصر ورابطـة الأدب الإسلامي العالمية.



ـ لـه أكثر من ٢٥ مؤلفًا في الـدراسات الإسلامية والأدبية والتشريعية، كما حقق ديـوان الخنســاء ويحقق الآن كتـاب «تأويلات أهل السنـة» في تفسير القرآن للإمام الماتريدي.

والعجب يكون مرضا إذا كان ناشئا عن تقدير الشخص نفسه، أما إذا كان الآخرون يقدرونه ويعجبون بها يصدر منه؛ فعجبه هو بنفسه إذن يكون تقرير واقع مسلّم، وليس مظهرا من مظاهر (البارانويا).

٣ - ويرى الأستاذ سلطان أن المظهر الثالث من مظاهر المبالغة في تقدير الذات كامن في سعي المتنبي الدؤوب، ورغبته الجامحة في السلطة والنفوذ والقيادة. ولا ريب في أن التعميم في الربط بين هذا وذاك يقوم على التعجل وعدم الأناة؛ فليس السعي الدؤوب وراء السلطة، ولا الرغبة الجامحة فيها مما يعاب من كل إنسان، وإنها هذا وذاك يعاب ممن لم يُعِدَّ نفسه لشيء من ذلك. والتاريخ - على ما فيه من اختلافات - وما بين أيدينا من شعر المتنبي يؤكدان أن الرجل أهّل نفسه منذ نعومة أظفاره وهيأها لتسنم المناصب العالية، إن لم يكن أعلاها. فإذا سعى المتنبي لتحقيق ما هُيِّئَ له، فهو إنسان سويٌّ، ينطلق في الطريق المناسب. حتى لأقرر أن مثله لو قعد عن ذلك لكان وراء قعوده مرض نفسي، أو علة ذاتية، من جبن أو شعور بالنقص، أو نحو ذلك.

٤، ٥ - ويرى الكاتب أن المظهرين الرابع والخامس من مظاهر المبالغة في تقدير الذات يكمنان في إنشاده الشعر قاعدا في حضرة الملوك، وعدم تقبيل الأرض بين أيديهم، ورفع الكلفة بينه وبينهم على غير ما اعتاده الشعراء.

ولا أدري كيف رأى الكاتب في ذلك مظهرا مرضيا من مظاهر المبالغة في تقدير الذات. وغاب عنه أن المتنبي في هذا كان يعتز بعزة العربي المسلم السّويّ، الذي يرى أنَّ حاجته إلى ما في أيدي هؤلاء الملوك والأمراء من مال وسلطان لا تعني تنازل عن أعز ما منحه الله من كرامة قائمة على المساواة، وأن ما اصطلح عليه الكثيرون من الشعراء إنها هو لا يلزم؛ لمنافات القيم الإنسانية!

ولو أن ذلك كان كما توهم الكاتب من المظاهر المرضية، أو من التجاوزات السلوكية، لرفضه منه هؤلاء الملوك والأمراء. ولكنهم كانوا يدركون الحقيقة، ولا يستطيعون أن يُكْرِهُوا من اعتز بكرامته على الاقتداء بمن لم يعتزوا بها.

٦ - ويرى الكاتب أن المظهر السادس من مظاهر المبالغة في تقدير الذات يكمن في مبالغة المتنبي في مدح ذاته، ويذكر على ذلك شواهد من شعره مجردة من التعليق أو الإشارة إلى مناسبة صدورها عنه، رغبة من الكاتب في إقرار ما ينسب الرجل وتأكيده.

ولو شاء الكاتب أن ينصف المتنبي لما قطع تلك الأبيات عن سياقها ولا عن مناسبتها، ولوقف وقفة الباحث المدقق ليتعرف على مكان المبالغة في كلام المتنبي الذي قدمه، وعلى علاقته بالحقيقة.

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي	وأسمعتْ كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها	ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

فإن هذين البيتين ذكرا ضمن قصيدة قالها في عتاب سيف الدولة، أنشدها في محفل من العرب، لأن سيف الدولة كان إذا تأخر المتنبي عن مدحه شق عليه، وأحضر مجلسه من لا خير فيه. وقد عاتب المتنبي سيف الدولة على مساواته به من لا خير فيه، ومن يعلم أنه لا يحبه حقيقيا، حتى وصل إلى قوله:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي	**فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم**
أعيذها نظرات منك صادقة	**أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم**
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره	**إذا استوت عنده الأنوار والظلم**

ثم ذكر البيتين.

فالشاعر - أولا - في موقف موازنة بينه وبين غيره من الشعراء الذين يحضرهم سيف الدولة لإغاظته.

والشاعر - ثانيا - قال في التعريف بشعره وأدبه مقالة من يدرك قيمة هذا الشعر والأدب، غير متجاوز، ولا مبالغ المبالغة التي تحسب مرضا فيه، أننا ندرك اليوم - وبعد أحد عشر قرنا - أن الرجل كان بصيرا بقيمة شعره، مدركًا أثره الخالد، الذي جعلنا إلى اليوم نسهر الليالي في تبينه، ونطيل الاختصام حوله، والرجل لا يعدو حفنة من تراب موزعة بين أقطار الأرض.

أفنكون أمام مثل هذه الحقائق الفنية البارزة، ونستبيح لأنفسنا الزعم بوقوع الرجل فريسة هذا المرض؟!

عدم الثقة بالآخرين

كما حاول الكاتب أن يثبت عدم ثقة المتنبي بغيره، فأخذ في تتبع حياته من خلال الاستقراء التاريخي، والنظر الشعري؛ بحثا عن مظاهر عدم ثقته بغيره، مقررًا أن ذلك ظهر في خمسة معارض هي: قلة أصدقائه ورفاقه، وتنقله وترحاله المستمرين، واعتقاده أن الناس مجموعة من الأعداء والحساد، وشعوره بالاضطهاد من الآخرين، وحذره منهم.

بيد أن الكاتب ذكر المعرضين الأول والثاني، دون أن يفسر كيف جعل من قلة الأصدقاء وكثرة التنقل مظهرين يكشفان عدم ثقة المتنبي بغيره، ودون أن يوضح كيف رأى أن عدم ثقته بغيره - على فرض التسليم به - من ملامح (البارانويا) التي يرى أن المتنبي كان مريضا بها، على الرغم من خطورة الأمر كما هو واضح. ولا ريب في أن قلة الأصدقاء، وكثرة التنقل والترحال، كما قد يكون من مظاهر سلبية الإنسان، قد يكون من مظاهر إيجابيته. والفيصل في هذا إنها هو الرجوع إلى أسباب ذلك؛ فإذا كانت قلة الأصدقاء ناشئة من تعالي الشخص على أنداده وترفعه عن الآخرين، كانت مظهرا مرضيا. وإذا كانت راجعة إلى اشتغال الشخص بسعيه الدائب إلى النجاح في عمله، وانصرافه عن ملاهي الأصدقاء وملاعبهم؛ استجابة لما يدعوه إليه قلبه النابض، ونفسه الطُّلَعة، كانت علامة صحة وسداد وسلامة.

وإذا كان الأستاذ سلطان قد وضع يده على ما يميل بالمتنبي - في هذين المظهرين - إلى وجهة السلبية المرضية، فكان عليه أن يقدم ما لديه في ذلك، وإلا فإنني لا أرى المتنبي في ذلك إلا كبير النفس، طمّاحًا إلى المعالي، مشغولا بذلك عن السفاسف والملاهي!

أما عن معرض اعتقاد المتنبي أن الناس من حوله مجموعة من الأعداء

والحساد، فقد قدم الكاتب من شعر المتنبي ما توهم أنه قاله لعدم ثقته بالآخرين. واستشهد على ذلك بثلاثة أبيات من ثلاثة قصائد هي:

قوله: قليل عائدي سقم فؤادي ... كثير حاسدي، صعب مرامي

قوله: أزل حسد الحساد عني بكبتهم ... فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

قوله: إن كان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجرح إذا أرضاكم ألم

ولو أن الكاتب الفاضل لم يتعجل، ونظر إلى كل بيت في سياقه ومناسبته، لما رأى في هذه الأبيات مظهرا مرضيا، بل لرأى أنه أمام إنسان سوي، يدرك من أسرار الحياة ما يكشف له طوايا كثير من النفوس، ويهتك أستارها، خصوصا في تلك البيئات المفعمة بالفتن والدسائس، والسعاية والوشاية، وغير ذلك من الخسائس والدنايا.

إن المتنبي قال البيت الأول ــ مثلا ــ ضمن قصيدة تربو على أربعين بيتا، يصف فيها مصابه بالحمى. و بعد أن يعلن عن دهشته وتعجبه ممن لا يواصل النهوض إلى المعالي ويقعد عن طلبها، يعتذر بأن قعوده في مصر عن مواصلة المسيرة خارج عن إرادته؛ لأن الحمى اللعينة هي التي أقعدته ذلك المقعد الذي لا يتلقى فيه إلا ما يسوء.

عجبت لمن له قد وحد ... وينبو نبوة القضم الكهام

ومن يجدُ الطريق إلى المعالي ... فلا يذر المطى بلا سنام

ولم أر في عيوب الناس شيئا ... كنقص القادرين على التمام

أقمت بأرض مصر فلا ورائي ... تخب بي المطى ولا أمامي

وملني الفراش وكان جنبي ... يمل لقاءه في كل عام

قليل عائدي، سقم فؤادي ... كثير حاسدي، صعب مرامي

عليل الجسم، ممتنع القيام ... شديد السكر من غير المدام

إن الرجل لا يقدم في الصورة إلا حقائق واقعة ـ سواء أكانت عضوية ـ أم نفسية ـ وإلا مشاعر صادرة عن تلك الحقائق؛ فأين إذن نرى المرض ؟!

هل يشك أحد أن المتنبي في غربته تلك عانى ممن يودون إبعاده عن كافور ليخلو لهم الجو ؟! فإذا ما أقعده المرض رأى شماتة هؤلاء واضحة، وانتهازيتهم بارزة؛ فكانوا مرضا آخر ضاعف مصابه بالحمى!

ولكن يبدو أن الكاتب الفاضل لم يفرق بين الشكوى من حسد واقع، والشكوى من حسد متوهم، وظن أن الشكوى من الحسد ـ على الإطلاق ـ مظهر من مظاهر الانحراف العقلي أو النفسي، والإفراط في تقدير الذات، وفاته أن الحسد من أمراض النفس البشرية التي تتهدد الإنسان. كما يبدو أن الكاتب لم يتنبه إلى أن المتنبي كان في واقعه محسودا من الكثيرين؛ فظن أن شكواه من الحاسدين، وخوفه منهم مظهرٌ من مظاهر عدم ثقته بالآخرين.

زيف أحكامه وتناقضها

وكذلك حاول الكاتب أن يؤكد زيف أحكام المتنبي، كي يخلص من ذلك إلى أن المتنبي كان سريع الانفعال سرعة تدفعه إلى التناقض في أحكامه على الناس وعلى أمور الحياة؛ مما أفقده الدقة والصواب. ومما استشهد به على ذلك مدحه الشخص ثم هجاؤه كما صنع مع كافور وسيف الدولة.

وأرى أن العجلة في تصيد الأدلة على مرض المتنبي هي التي دفعت الأستاذ سلطان إلى ذلك. ولو أنه تمهل في إصدار الأحكام، وتروى في النظر الفاحص لتبين أن المتنبي لم يجمع بين المدح والهجاء للشخص الواحد في وقت واحد، وفي موقف واحد، فهذا وحده هو الذي يسمه بالتناقض. أما وقد مدح المتنبي

طرائف تاريخية حول أصل الشراكسة



مقالة الدكتور صلاح الدين شروخ في العدد (١٨١) عن «الشركس من حضارة الإسلام إلى حكم السوفييت» ـ ذكرتني بطرفة أردت أن أشرك الدكتور والقراء في متعة التفكه بها حول أصل (الجركس) فأقول إن لبعض مؤرخي العرَب ومؤرخي الغرب وجهة نظر طريفة فكهة لا ترقى إلى التحقيق التاريخي، ولكن فيها الطرافة والفكاهة.

ومن تخريجات مؤرخينا العرب في تفسير أصل (شركس) أو الجراكسة أن أباهم الأول «جبلة بن الأيهم» وهو فارس عربي عملاق من غسان ـ وكان أسلم أيام الخليفة عمر بن الخطاب ـ وفد في موسم الحج يطوف بالبيت العتيق، وكان له كساء طويل يمسح الأرض وكان يجرجره من فرط طوله ـ أي من طول الكساء ـ أثناء سيره. وحدث خلال طوافه أن تعثر أعرابي بكساء جبلة فغضب جبلة ولطم الأعرابي لطمة أفقدته إحدى عينيه. فلجأ الأعرابي إلى عمر ابن الخطاب يشكو جبلة، فقضى عمر ــ رضي الله عنه ــ أنه لا بدّ من القصاص، وأن العين بالعين وأن الدية غير مقبولة. فهرب جبلة من القصاص إلى الشام، حيث ارتدّ عن الدين، وقيل وقتها عن جبلة إنه الرجل الذي (جرَّ كِساهُ) ومن ثم حُرِّفت إلى (جركس) فهو أصل (الجراكسة).

ويقول بعض مؤرخي العرب إن جبلة رحل إلى القسطنطينية وهناك تزوج امرأة من الترك استولدها أبناء عرفوا فيما بعد باسم (الجراكسة) والترك، أو الجراكسة الأتراك.

أما مؤرخو الغرب فإنهم ينسبون (الجراكسة) إلى نسل يأجوج ومأجوج، وأن الإسكندر الأكبر (تركهم) خارج السدّ فسمّوا من أجل ذلك (التُّرك) أي الذين (تُرِكوا) خارج السد العظيم.

وهي و إن كانت طرائف تاريخية إلاّ أنها تحتاج إلى تحقيق وتوثيق حتى يمكن الحكم بصحة أصل (الجراكسة) الذين داخوا ودوّخوا الناس في أصل نسبهم.

عدنان أسعد

القاهرة

رجلا رأى فيه مـا يمدح عليه، فلما ازداد منه اقترابـا، رأى ما لـم يكن رآه أولا، وتبين أنه خُـدِعَ في مظاهره، وأن ما كـان يبديه من شهامـة ونجدة ومكـارم لا وجـود له في حقيقتـه الواقعـة، فلم يجد مـانعا من أن يستعين بشجـاعته هـو، ويعلن أنه خدع فيه.

إن هذا المسلك من المتنبي دليل الاستواء والصحة النفسية والعقلية، وليس كما ادعى الكـاتب دليل زيف الأحكـام الناشئ عن إحساسـه بالعظمـة، ولا دليل وقوعه تحت الضغوط الانفعالية المتولدة عن مرض (البارانويـا).

لقـد كان المتنبي في حـالتيـه على أصح ما يكـون الإنسـان نفسيا وفكريـا وشعوريـا، فقدم لنا هذه الصور الدقيقـة الواقعيـة.

العجز عن التوافق الاجتماعي

ولأن العجـز عن التـوافق الاجتماعي إحـدى سمات (البارانـويـا) كما نقل الكـاتب عن الطب النفسي، عمل على أن يقـدم المتنبي في هيئـة العـاجـز عن التـوافق الاجتماعي، ولـم يكن أمامـه إلا أن يلجأ إلى مـا أشيع عن المتنبي من ادعائه النبـوة، فجعله حكما مقطـوعا به، مؤكـدا صدوره عن المتنبي؛ صارفـا النـظر عما ذكره الباحثـون ـ على اختـلاف هوياتهم وبيئـاتهم ـ مـن أن ادعـاء النبـوة كـان مما أثـاره حولـه خصـومه، وروجـوا لـه بكل وسـائل الترويج، معتمدين في ذلك على كلمة من هنا أو عبارة من هناك، تعطي إيحاء بصدق ما يزعمون.

وفات الكاتب هنا ـ كما فاته في الملامح المرضية السابقة ـ أنه بصدد فحص مريض، ليشخص مرضه، وأن الطب ـ قديمه وحديثه ـ يفرض على الفاحص أن لا يستعجل في إصدار الأحكـام؛ لأن هناك تشابها كثيرا بين بعض المظـاهر المرضية وبعض المظاهر الصحية.

***

وأخيرًا نحن نرحب بكل جـديد، على أن لا يذهلنا هذا الجديـد عن أقرب القواعد البحثية وأوضحها؛ من الـربط بين البيت وأبيات القصيدة، والتنبه إلى مناسبة النص، وحالـة الشاعر، والبيئة ـ على إطلاقهـا ـ التي قيل فيها النص، وعلى ألاّ نغفل عن شيء ممـا اشتجر من خصـومات، ومـا يمكن أن يتولـد عن ذلك من أحكـام متناقضــة، كما نراه فيما كتبـه المؤرخـون والنقـاد عـن أدبائنـا وحكام أمتنا وعلمائها، بحيث لا نقبل الحكم ـ ولا نـصدره ـ إلا بعد التمحيص والنظر المتأني، والوصول إلى ما ترتاح إليه عقولنا، ونطمئن إلى دلالته.

يعلم الله أني مـا أردت دفاعا عـن المتنبي في شخصه، ولا قصـدت تسفيه رأي ـ فليس هذا من طبيعتي ـ ولكنـي أردت الدفاع عن المنهج العلمي المسدد الذي نحتاجه اليوم أكثر من أي يوم. وعلى الله قصد السبيل.

د. إبراهيم محمد إسماعيل عوضين
المنصورة ـ مصر

الفيصل: نعتذر للـدكتور إبـراهيم عوضين عن اختصـار مقاله لطوله ولضيق المسـاحة، ونرجو أن يكون قد اطلع ـ هو وقراء المجلة ـ على مناقشة سابقة نشرت في هذا الباب حول الموضوع نفسه، وذلك في العدد ١٩٠.

التّعَايش السّـلمي



الحياة في معظمهـا أخــذ وعطـاء إذا قسناهـا بالمصـالح بين الأفراد كما هـو واقع وملح على مستـوى الشعوب والـدول. فـلا يستطيع أحد فـردًا كـان أو جماعة التضحيـة بمصالحه لحساب الآخرين ما لم يكن هناك مقابل يحقق تـوازن المنـافع والحقوق. ولا يـلام الإنسـان عندما يتمسك بحقه ويدافع عن ممتلكاته العينية: العقارية أو المنقولة، أو حتى مـا يتعلق بالمعنـويـات فضلا عن الماديـات. ولابأس أن يستميت في استرداد ما اغتصب من حقـوقه عنـوة.

من هنا تثـار المشكلات وتستفز المشاعـر ويتعمق الخلاف، ولم يعد في وقتنا الحاضر ـ كما كان في الماضي ـ يستضعف القوي من هو أقل منه قوة أو سلطانا، بل اختلطت الأوراق وتناقضـت المفاهيم، فقد أصبح القوي أو الكبير هــو المستهـدف أيضــا بـدافع من الحســد من جـانـب الصغير المستضعف، ولهذا تقـوم الخلافـات وتتجسم المشكلات ويـدب النـزاع. وكان من اليسير أن تتحقق المطـالب لو كانت عادلـة من جانب الضعيف تجاه القـوي، أو العكس لـو جنح الجميـع للحلـول السلميـة عن طـريق التفاهم وتحكيم الـوسطاء وساد الأمن والإخاء الأفـراد والأمم والدول. وكما يحدث ذلك على المستويات العليا يقع أيضا بين الأفراد عن طريق التنافس غير المفيد بل الضـار حقا في نفوس الناس ومسـالكهم، مما يؤثـر سلبيا في تفـاعلات الحيـاة ويعوق النهـوض الفردي والجماعي، ويعـز مع كل ذلك التعـايش في وئام وسـلام دائمين

فما أجمل السـلام وما أغـلاه على أولئك الـذين فقدوه بفعل تصرفـاتهم مجتمعين أو على أيدي أفراد متهورين. وأنَّى لهم الوفاق بعد أن انفلت عنهم صمام الأمان وعز عليهم مطلب التعايش في وئام.

صالح عبد العزيز السالم

من كُتّاب العدد

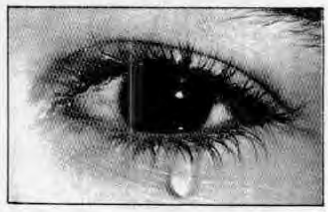
● **صالح عبد العزيز السالم**

ـ من مواليد الدرعية.

ـ ليسانس حقوق من جـامعة القاهرة، ودورة في الإدارة المحلية ونظام المقاطعات في جامعة بيرمنجهام.

ـ تـدرج في الـعمل الـوظيفي منذ عـام ١٣٨٢هـ إلى أن أصبح وكيـلا مساعدا للداخلية للجوازات والأحوال المدنية عام ١٣٩٥هـ ثم أميرا للطائف بين عـامي ١٤٠٠ و١٤٠٥هـ.

ـ يـكـتـب التعليقـات السيـاسية والاجتماعيــة، وهـو يمارس الكتـابـة الصحافية منذ أن كان طـالبا في مدرسة تحضير البعثات في مكـة المكرمـة، وهو الآن المديـر العـام لمؤسسـة الجزيـرة للصحافة والطباعة والنشر.



سبحان الله !

أصغر ما تستطيع العين البشرية تمييزه هو ٠,٠٠٠٣ من الزوايا النصف القطرية (أو ١/ ٦٠ من القطر)، الموازي لـ ١٠٠ ميكرون (الميكرون يساوي ١ على ١٠٠٠ من المليمتر) وبإمكان العين البشرية تمييز مصدر ضوء قوي يشعّ من خلال فتحة ٣ ـ ٤ ميكرون. وفي أكتوبر من عام ١٩٧٢ ذكرت جامعة شتوتجارت في ألمانيا الغربية، أن التلميذة « فيرونيكا شنايدر » تمتلك قدرة بصرية تزيد عشرين ضعفا على القدرة العادية، فقد كان باستطاعتها تمييز الأفراد على بعد ١,٦ كيلومتر، وفي أحد الامتحانات أعطيت هذه الطفلة خيطا رفيعا، وبعد أن تفحصته أعلنت أنه في الواقع عبارة عن أربعة خيوط ملتفة معًا بشدة، وتبيّن من الفحص المجهري للخيط أنها على صواب .

أبلغ رسالة

أقصر رسالة لكاتب شهير هي رسالة فيكتور هوجو (١٨٠٢ - ١٨٨٥ م) مؤلف رواية «البؤساء» التي أرسلها إلى ناشر أعماله الروائية ولم يكتب بداخلها أي شيء، وإنما وضع علامة الاستفهام «؟» قاصدًا بها معرفة عدد مبيعات روايته .

ولأن الرواية حققت رقمًا قياسيًا في المبيعات فقد أرسل له الناشر رسالة تتضمن علامة ! ! فقط .

العقيقة

من الشعائر التي يُشرع فعلها عند قدوم المولود، وهي الشاة التي تذبح عنه يوم السابع من ولادته فرحا به، وترحيبًا بقدومه، وشكرًا للمنعم سبحانه، **وقد أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ، قال : «مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دمًا وأميطوا عنه الأذى»، ومن حديث سمرة، قال : قال رسول الله ﷺ : «كل غلام رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم سابعه، ويسمّى فيه ويحلق رأسه»** .

والعقيقة تؤدى عن المولود ذكرًا كان أو أنثى، **فيذبح عن المولود الذكر شاتان؛ وعن الأنثى شاة واحدة .**

والأمر في مصرف هذه الشعيرة فيه سعة، لأن المقصود هو الذبح، فإذا حصل فلصاحب البيت أن يأكل هو وأهل بيته، وأن يهدي إلى أصدقائه وإخوانه، وأن يتصدّق على الفقراء، كما أن الدعوة إلى العقيقة أمر جائز محبوب ومعروف .

ويأتيك بالأمثال :

بَنِيكِ حَمِّرِي وَمَكِّكِينِي

أصل هذا المثل أن مجاعةً أصابت الناس، وأن رجلاً من العرب جمع شيئًا من تمر في بيته، وكان له بَنُونَ صِغار وامرأة، فكانت المرأة تَقُوتهم من ذلك التمر، تسوِّي بينهم وتعطي كلَّ واحد جمعة من التمر مثل الْحُمَّرَة، وأن الرجل لا يغني ذلك عنه شيئًا، فأرادت المرأة يوما أن تَقْسِم بينهم، فقال : حَمِّرِي بنيك ومَكِّكِينِي (أي أعطيني مثل المُكَّا، وهو طائر أكبر من الْحُمَّرة) .

ويُضرب هذا المثل لمن يُسَوِّي بين أصحابه في العطاء، ويختص به قومًا فيطمعون في تخصيصه إياهم بأكثر من ذلك .

الطبع غلب التطبع

قال الأصمعي :

دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب، فقالت أتدري ما هذا ؟ فقلت لا، قالت هذا جرو ذئب، أخذناه صغيراً وأدخلناه بيتنا وربيناه، فلما كبر فعل بشاتي ما ترى، وأنشدت :

بقرت شويهتي وفجعت قومي ... وأنت لشاتنا ابنٌ ربيبُ

غذيت بدرها ونشأت معها ... فمن أنباك أن أباك ذيبُ

إذا كان الطباع طباع سوء ... فلا أدب يفيد ولا أديبُ



لقطة من أحد شوارع مكة المكرمة بالقرب من بيت الله الحرام منذ ٧٥ عامًا، وتظهر فيها الحركة والطراز المعماري القديم المناسب للبيئة

الحياء

الحياء : حلة جمال، وحلية كمال، يُحترم في عيون النـاس صاحِبُه، ويزداد قدره، ويعظم جانبه، و إذا رأى مـا يكره غضَّ بصرَه عنه، وكلما رأى خيرًا قبله وتلقـاه، أو أبصر شرًّا تحاماه، يمتنع عـن البغي والعـدوان، ويحذر الفسـوق والعصيـان، يخاطب النـاس كأنـه منهم في خجل، ويتجنب محارم الله عـزّ وجل.

فمن لبس ثوب الحيـاء استوجب من الخلق الثنـاء، ومالت إليـه القلوب، ونال كل أمر محبوب. ومن قلَّ حياؤه قلَّ أحباؤه.

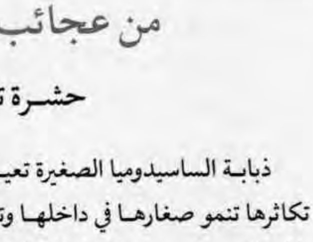
من عجائب المخلوقـات :

حشـرة تأكل أمهـا !

ذبابـة الساسيدوميا الصغيرة تعيـش على تناول الفطر، وعندمـا يحين ميعاد تكاثرها تنمو صغارهـا في داخلهـا وتبدأ بالتهـام أحشاء أمها إلى أن تنتهي منها ولا يتبقى منها سـوى غشائها الخارجي.

الأطـــول

يعد سور الصين العظيم أطول أسوار العالم، فقد اكتمل بناؤه خلال حكم تشيـــن هوان تي (٤٢٦ ــ ٢١٠ ق. م)، حيث يبلغ طولـه الإجمالي ٣٤٦٠ كم ولـه تشعبـات و إضافـات طولها ٢٨٦٠ كم، وعلـوه ١٢ م وسُمكـه ٩,٨ م، ويمتد من شانهايكوان على خليج بوهاي إلى يو مين ـ كوان ويانج ـ كوان، وقد ظلت أعمال صيانتـه متـواصلة حتى القـرن السادس عشر، وقـد تهدم نحو ٥٠ كم من هذا السور منذ ١٩٦٦ م.



روبوت يجني العنب !

ســوف تبقى الليـالي المرحـــة بالنسبة لعمال جني العنـب في فرنسا بعـد عملهم الشـاق خلال النهــار مجرد ذكرى جميلـة بعد أن تم تصميم وصنع إنســان آلـي (Robot) للقيام بهذا العمل الـــذي ينطلـق بشكل مستقـل دون الاعتماد على إنسـان أو آلـــــة، حيث يتنقـل في الأراضي الـزراعيــة ليكشف مكــان زراعــة الكـرمة فيتـوجـه إلى عناقيـد العنب ليتـابع تنقلـه على طول الخط ويقـوم بجنيها حتى آخـر الخط قبل أن يبدأ بـالخط التـالي، وتتيـح لــه الكـاميرا المثبتة فيه الاستهـداء إلى الكرمة فقط وتحديد مكـان عناقيـد العنب بدقـة متنـاهية، ثـم تُنقل المعلومـات إلى كومبيوتر يقـوم بحساب الحركة التي يجب إعطاؤهـا إلى الذراع المفصلـة للروبوت لكي يقوم بقطع العنقود من نهايته دون أن يتلف البذور.

صُمم هذا الروبوت لكي يعمل في جـــو كثير التغير ولا يخلـــو من المفـاجـآت كتقلـب الطقس وعـدم استقرار التربـة ووجود العوائق.

أرزاق



كلنا مبتـدئون في العلـم ومهما تعلمنـا فنحن نضع قدمنا لأول مرة على أول درجة، من أول السلم.

نحن مبتـدئون في بـدايــة البـدايـة في العلم ولكننا منتهـون في نهاية النهـاية في وجهـة النظر. العلم مقـدس، أمـا الـرأي فعلى «قفـا من يشيل وبتراب الفلوس»، كما يقول الإخوة المصريون.

الحقيقة يطلبها الجميع مهما كان مهرها. أما وجهـة النظر فـالجميع يـدلي بها وهي بالمجـان.

والأمر الخطير أن نفرض وجهات نظـرنا على أنها علم. فيتم تدمير الجسور مثلاً لأن مسؤولاً غير مهندس ولا يفقه في الهندسة رأى أن المتوافر من كمية الإسمنت (من وجهة نظـره) يكفي لبناء ثـلاثة جسـور بدلاً من جسرين. ولو أعطيت القوس لباريها، لما وقع ما وقع.

فالقـاعدة الأولى في الصحافة هي عـدم إقحام التعليق في الخبر. انشر الخبر كما هو حقيقة، ثم إن شئت ضع ما لديك من تعليقات أو (وجهات نظر) في مكـان آخر. ولا تخلط، لأن الخلط هـو إما تـدليس أو تخليط، أو تزوير.

القـاعـدة الثانيـة : دع الحشـو، دع الشحم وعليك بـاللحم، اجعل رصـاصتك بين العينين، فوقت القـارئ ليس من حقك إهداره وتضييعـه و إلا انقلب القارئ عليك.

اطرق الموضوع مباشرة.

صحيح أن «المباشرة» قد تؤدي إلى «خطابية»، لكن إذا طبقت القاعدة الأولى والثـانيـة فـذلك هـو «الـرزق» الفكـري الـذي رزقك الله إيـاه. والصحفيون يفرحون «بأرزاق» مخيفة مثـل وقوع زلزال أو سقوط طائرة أو ـ ذروة الفـرح ـ انفجـار حـرب من الحروب أو على الأقل معـركـة. فالـرزق الفاخر، والوليمة الأموية هي سقوط قتلى، واختطافات وانتهاكات لحقوق الإنسان، وجرائم متنوعة. مصائب قوم يعيش عليها المراسل الصحفي، واليوم البارد هـو الذي لا ينفجر فيه بـركان، أو لا يحدث فيه صراع، لكي تمتلئ الصفحات بالتغطيات الواسعة.

هذا هو «الرزق» الـذي عندنا، نقدمه إلى الزبـون (القارئ) فلا يصح أن نلعب به، كما قالوا في المثل الشعبي : لبن، سمك، تمر هندي.

فإذا لم يكن لديك أي «رزق» تقـدمه فإن تقـديمك لشيء ليس لديك هو غش، ولك أن تتخيل عدد الغشاشين الذين يملؤون الصحف بالحشو والكلام الفارغ والواجبات التي تشبه غلي الحصى للجوعى.

تتعلق بهذه القـاعــدة مسألـة أخــرى وهي أن «الأرزاق» ليست دائمًا مباشرة. مثـلاً يكون لدي الكاتب «رزق» معين يـريد أن يقدمه، فيقـدمه بصورة غير مباشرة ويكون أجمل وأقوى وأكثر إمتاعًا و إقناعًا من غيره، ولو كان مباشرًا لذهبت حلاوته.

إن بعض الكتـاب عنـدهم من الجاذبيـة بحيث يتجـاوزون القـواعـد الصحفية التي نطـرحها هنـا دون الوقـوع في تدليس أو تـزوير أو تخليط. وهذه موهبة يمتاز بها أناس، وكل «ممتاز» من هؤلاء له طريقته الممتازة عن غيره.

إذا لم تكن ممتازًا فيكفيك أن تكون مباشرًا، وأن تبتعد عن الحشو، وأن تفرق بين الحقيقة والتعليق.

محمد علي الجفري

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء :

جوائز قيمتها ٤٥٠٠ ريال تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة، على النحو التالي :

أ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً

ب ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال

ج ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً

د ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال

هـ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً

و ـ ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحًا عليها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص. ب ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

هـ ـ الأسئلة لم تعد مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك لإفساح المجال للبحث في مصادر معلومات أخرى.

● أجوبة مسابقة العدد (١٨٧) ●

ج ١ : أصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام، وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان، فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظُّلَّةِ. قال تعالى : ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلَّة ﴾ (الشعراء ـ ١٨٩).

□ □ □

ج٢ : من حقوق الزوج على زوجته : أن تطيعه في غير معصية، قال تعالى : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾. (النساء ـ ٣٤)، والقانتات هن الطائعات. والحافظات للغيب : أي اللائي يحفظن غيبة أزواجهن، فلا يخنّه في نفس أو مال، وكذلك أن تمتنع عن مقارفة أي شيء يضيق به الرجل، فلا تعبس في وجهه، ولا تبدو في صورة يكرهها. ومن حقه عليها كذلك ألاّ تصوم نافلة إلا بإذنه، وألا تحج تطوعًا إلا بإذنه، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه، وألا تُدخِل بيته أحدًا يكرهه. ومن حقوقه أيضًا ألاّ تمنعه نفسها، إلا لعذر شرعي. ومن حقه عليها أن تخدمه في بيته، فكما أن الرجل مكلّف بالعمل والإنفاق، فكذلك المرأة مكلّفة بالخدمة. ولقد كانت فاطمة رضي الله عنها ـ وهي أشرف نساء العالمين ـ تخدم زوجها. وغيرها أيضا من نساء الصحابة كن يفعلن ذلك. وحقوق الرجل على زوجته كثيرة، وكذلك حقوق المرأة على زوجها. وقد جاءت الأحاديث الشريفة ببيان ذلك في أروع صورة. قال عليه الصلاة والسلام : «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك». وقال أيضًا : «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»، وهذا الحديث يبين عظم حق الزوج على زوجته، إذ قرن طاعة الزوج بإقامة فرائض الدين وطاعة الله عز وجل. والأحاديث في هذا الباب كثيرة، فعلى نساء المسلمين أن يعرفن أن طاعة الزوج ـ في غير معصية لله عز وجل ـ هو مما تدوم به الحياة الزوجية، وتسعد.

□ □ □

ج٣ : يرث من النساء : الزوجة والبنت والأخت الشقيقة والأخت لأب والأخت لأم وبنت الابن والأم والجدة الصحيحة وإن علت والمعتقة. وقد جمعهم الناظم في قوله :

والوارثات في النساء سبع	لم يعطِ أنثى غيرهن الشرعُ
بنت وبنت ابن وأم مشفقة	وجدة وزوجة ومعتقة
والأخت من أي الجهات كانت	فهذه عدتهن بانت

□ □ □

ج٤ : أثبتت التجارب العلمية أن للثوم فوائد صحية ومنافع علاجية عديدة، فهو يفيد في تخفيض ضغط الدم المرتفع، وخفض نسبة الكولسترول في الدم، وخفض نسبة السكر ورفع مقدار الأنسولين فيه، كما أن للثوم أثرًا مضادًّا للسرطان. وهو مسكن لألم الأسنان، ومنظف للمعدة من الطفيليات، كما أنه يعوق انتشار سم الأفاعي في جسم الإنسان. ومن المعروف أن الثوم والإمساك لا يجتمعان.

□ □ □

ج٥ : جهاز كاشف الكذب، هو جهاز يسجل التغيرات التي تطرأ على أجزاء الجسم، والتي تنشأ من قول الكذب مثل : التنفس، وسرعة النبض، وضغط الدم. وكان أول من استخدمه سيزار لومبروزو سنة ١٨٩٥م، وقد أدخل عليه بعض العلماء عدة تحسينات وهم مارستن، وجون لارسن، وليونارد كيلر. وفي عام ١٩٣٦م تم اختراع الجلفانومتر النفسي الذي يسجل التغيرات الكهربية على سطح الجلد. ومع أن جهاز كاشف الكذب يستخدم في دوائر الشرطة؛ إلا أن المحاكم لا تعده أداة يمكن الاستناد قانونًا إليها، حيث لا بد من وجود أدلة أخرى، لأن هناك عوامل أخرى تعطي التأثير نفسه مثل الشعور بالذنب.



●نتائج مسابقة العدد (١٨٧)●

م	اسم الفائز	البلـــد	قيمة الجائزة بالريال
١	فهد عبد الله صالح أبو نحيط	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	أحمد أحمد زكي سليمان	المنصورة ـ مصر	٣٥٠
٣	هالة مروان موسى	أم القيوين ـ الإمارات العربية	٣٠٠
٤	سلوى عبد الرحيم العمري	الدار البيضاء ـ المغرب	٣٠٠
٥	سلوى محمد خير مختار	ود مدني ـ السودان	٢٥٠
٦	سامية موسى على الملكاوي	عمان ـ الأردن	٢٥٠
٧	نوف هاشم العلي	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	٢٠٠
٨	شميلة سليمان صالح	حمص ـ سورية	٢٠٠
٩	محمد عبد الرحمن بن أحمد	نواكشوط ـ موريتانيا	١٥٠
١٠	صلاح محمود أبو حمود	المحلة الكبرى ـ مصر	١٥٠
١١	عبد الباقي بن الطيب بن بوجمعة	تونس ـ تونس	١٠٠
١٢	عيدروس حامد عيدروس	جدة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٣	حسن عبد الواحد بن محمد	المحمدية ـ المغرب	١٠٠
١٤	عطاف محمد كليب	أربد ـ الأردن	١٠٠
١٥	ياحي مصطفى بن الشيخ	إسلام آباد ـ باكستان	١٠٠
١٦	خالد حسن عبد الله بن محمد	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٧	محمد عبد السميع السايس	المحلة الكبرى ـ مصر	١٠٠
١٨	عمر صلاح الدين عبد اللطيف	الدوحة ـ قطر	١٠٠
١٩	محمد عطية محمد نور	دمشق ـ سورية	١٠٠
٢٠	محمد مخلص حسن حميدان	حائل ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢١	أحمد عارف الفاني	بيروت ـ لبنان	١٠٠
٢٢	محمد محمد المهدي	أم درمان ـ السودان	١٠٠
٢٣	افتخار السيد يوسف علي	الشرقية ـ مصر	١٠٠
٢٤	بشير بشير محمد الأحمدي	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٥	سعيد البريدي	الدار البيضاء ـ المغرب	١٠٠
٢٦	سليم الله أسلم	السند ـ باكستان	١٠٠
٢٧	نور عمر محمد فليفل	عمان ـ الأردن	١٠٠
٢٨	عبد الله بن عبد الرحمن بن حامد	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٩	محمد عبد السلام إبراهيم لبن	كفر الشيخ ـ مصر	١٠٠
٣٠	الجيلي علي أحمد إبراهيم	الخرطوم ـ السودان	١٠٠

أسئلة مسابقة العدد (١٩٤)

● السؤال الأول :

رغّب الإسلام في الزواج بصور متعددة، فجعله آية من آيات الله تعالى، أو من سنة الأنبياء. اذكر آيتين من القرآن الكريم تدلان على ذلك.

□ □ □

● السؤال الثاني :

كان النبي ﷺ إذا زار القبور يزورها للدعاء لأهلها والترحم عليهم والاستغفار لهم. اذكر حديثين شريفين في دعائه ﷺ لأموات المسلمين.

□ □ □

● السؤال الثالث :

غاز الاستصباح، من وسائل الإنارة التي كانت شائعة قبل الكهرباء. ممّ كان ينتج ؟

□ □ □

● السؤال الرابع :

جائزة جونكور للأدب، واحدة من أشهر الجوائز الأدبية في العالم. لمن تنسب هذه الجائزة ؟

□ □ □

● السؤال الخامس :

من الاتفاقات الاقتصادية التي تعقد بين بعض البلدان ما يعرف بالاتحاد الجمركي، والتفضيل الجمركي. وضّح الفرق بينهما.

□ □ □

ربيعُ الحُبِّ

شعر: محمد أمين أبوبكر

فيحاءُ هـذا ربيـعُ الحـبِّ فاقَـتربي / وأطفـئي في فُـؤادي ثـورةَ اللَّهـبِ
تنقَّلي فـي دمـائي واسـكُني مُقَـلي / واستنبتي في زَمَاني أخْضَـرَ العُشُـبِ
يا بسمةً تنجـلي والأرضُ غـاضبـةٌ / بالفُـلِّ يسـألُ عـن نـاءٍ ومغـترِبِ
حَفَرْتُ اسمَكِ في قَلْبي وَطِرتُ بِـهِ / بينَ الطِّبـاقِ وفَـوْقَ الـبرقِ والشُّهُـب
أرْنـو إليـهِ فينسـيني اللقـاءُ بِـهِ / كُـلَّ النَّـوائِـب والآلامِ والنَّصَـبِ
في كُلِّ رمقَـةِ عَـينٍ دارَ في خَـلَدي / ما دَارَ من ذكرياتِ الحُبِّ والطَّـرَبِ
هل تذكرينَ ريـاضَ الأمس عـامِرَةً / بالحُبِّ يعبَثُ فـوقَ العُشْـبِ والحَـبَبِ
هـل تـذكرينَ غَـراماً كان يَجمَعُـنا / بين الحـدائـقِ والأنهـارِ والهِضَـبِ
فـي كل زَفْـــرةِ آهٍ يا مُعـذبتي / أرى بـوجهِك بـركـانـاً من الغَضَبِ
أتَيْتُ فيحـاءُ طَـيْراً هَـامَ أزْمِـنَـةً / في البَرِّ والبَحْـرِ بَيْنَ الموجِ والسُّحُـبِ
أتيتُ أبحـثُ عن مـاضٍ بـه عِـبَرٌ / بـينَ الـوُرودِ وبـين التِّـينِ والعِـنَبِ
فهـل نعـودُ كَمـا كُنَّـا وكَانَ لَنَـا / فَوقَ الصُّخورِ وَحَوْلَ الماءِ من شَغَبِ
فيحاءُ هل ترجِـعُ الأحـلامُ باسـمةً / في قِصَّـةٍ من ضَـميرِ العِشْـقِ لَم تَغِبِ
وهَلْ يَعودُ الهـوى حـياً بأعـيننا / من بعدِ ما غاضَ في طاحونة النُّـوبِ
لا تعتَبي بعدَ هذا اليوم وابتسـمي / فيحاءُ إن أبحرَت عيناي عَن رَغَبِ
في بَحْـــر مقلتكِ الخضراءِ واعتصمت / بـين اللُّجـينِ وبـينَ الماسِ والـذَّهَبِ
إذا شـربتك شُربَ الأرضِ ظَـامِئـةً / طلائِعَ القَطْرِ بَعْدَ القحـلِ وَالجَـدَبِ
عـلَّ ابتسـامَتـكِ الغـراءَ تسعـدني / بعد الشدائـدِ والأهـوالِ والـكَـذَبِ
حُمِّـلت في غَمْـرةِ الأسفـارِ أمْتِعَـةً / من النَّـوازلِ والأخْـطَارِ والـكُـرَبِ
مُدِّي ذراعَـكِ طـولُ البُعـدِ أرَّقـني / حتى أنَامَ وأنْسى شِـدَّةَ الـوَصَبِ

دعوة ترشيح

لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية وللأدب العربي

يسر الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية أن تدعو الجامعات ومراكز البحوث والمجامع العلمية واللغوية في جميع أنحاء العالم لترشيح من تراه مستحقاً ..

لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ، وموضوعها :

الدراسات التي عنيت بالفقه الإسلامي تأليفاً أو تحليلاً أو تيسيراً

و

لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي ، وموضوعها :

الدراسات التي تناولت فنون النثر العربي القديم

المقرر منحهما عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) وفق ما يلي :

١- أن يكون المرشح قد أسهم بجهد بارز فيه إثراء لموضوع الجائزة .
٢- أن يتميز إنتاج المرشح بالجدة والأصالة .
٣- أن يكون الترشيح من مؤسسة علمية معترف بها .
٤- أن يشتمل الترشيح على :
أ. بيان مطبوع بالآلة يتضمن الأعمال المرشحة لنيل الجائزة .
ب. بيان مطبوع بالآلة عن الحياة العلمية والعملية للمرشح متضمناً جميع أعماله المنشورة .
ج. ست نسخ من كل عمل مرشح .
د. ثلاث صور شمسية ملونة حديثة للمرشح مقاس ١٠ × ١٥ سم .
هـ. العنوان البريدي للمرشح ويشمل :
(١) عنوان العمل ورقم الهاتف والتلكس والفاكس .
(٢) عنوان المنزل ورقم الهاتف .
٥- تخضع جميع الترشيحات لقرار لجنة الإختيار المكونة من متخصصين أجلاء .
٦- يجوز أن يشترك في الجائزة فائزان أو أكثر .
٧- لا يقبل إنتاج المرشح إذا كان :
أ. قد منح جائزة من أية مؤسسة عالمية .
ب. رسالة جامعية .
ج. غير منشور .
٨- لا يقبل الترشيح إذا كان :
أ. فردياً أو من أحزاب سياسية .
ب. غير مستوف لجميع الشروط المعلنة .
ج. وصوله بعد الموعد المحدد .
٩- تتكون الجائزة من :
أ. شهادة تحمل إسم الفائز وملخصاً للأعمال التي أهلته لنيل الجائزة .
ب. ميدالية ذهبية .
ج. مبلغ (٣٥٠ ٠٠٠) خمسين وثلاث مئة ألف ريال سعودي .
١٠- تعلن أسماء الفائزين في شهر شعبان ١٤١٤هـ (فبراير ١٩٩٤ م) ، وتمنح الجائزة في إحتفال رسمي يحدد زمانه ومكانه في وقت لاحق .
١١- آخر موعد لقبول الترشيحات مكتملة ١٥ ربيع الأول ١٤١٤هـ (١ سبتمبر ١٩٩٣ م) .
١٢- لا تعاد أوراق الترشيح والأعمال المرشحة إلى مرسليها ، فاز المرشحون أو لم يفوزوا .
١٣- ترسل جميع الترشيحات وكل ما يتصل بها من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها بالبريد الجوي المسجل إلى :

الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية .
ص.ب (٢٢٤٧٦) - الرياض (١١٤٩٥)
المملكة العربية السعودية .
هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥
تلكس : 404667 PRIZE SJ
فاكس : ٤٦٥٨٦٨٥
برقياً : جائزة .

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم ؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة

الحركة الثقافية

- □ برنامج وطني سعودي لجمع الوثائق
- □ طبعات شعبية لأعمال يحيى حقي
- □ تدمير أهم مكتبة للمخطوطات في أوربا الشرقية
- □ ندوة عن آفاق العلم والطب في القرن المقبل
- □ موسوعة «المناخ» و١٢٥ عامًا من الصدور !

السعودية

اكتشاف حيوان نادر عاش قبل ٥٠٠ مليون عام

اكتشف في منطقة الحنادر شرق مدينة عين **الجواء في القصيم حيوان منقرض لا يوجد له مثيل في العالم استوطن المنطقة قبل ٥٠٠ مليون سنة**، ولا يعرفه أحد من علماء أوروبا وأمريكا .

وقال د. **عبد الملك الخيال** رئيس الجمعية السعودية لعلوم الأرض ورئيس قسم الجيولوجيا في كلية العلوم بجامعة الملك سعود في تصريحات صحافية إن الحيوان المكتشف **حيوان قشري من فصيلة المفصليات يعيش عادة في البحار ويقل حجمه عن مليمتر واحد**، وقد عثر عليه أثناء رحلة بحثية لقسم الجيولوجيا ووجد مصادفة محفوظًا في طفح طفل الحنادر، حيث أطلقت عليه البعثة اسم **«حنادر يللا»**.

برنامج وطني لجمع الوثائق المحلية



د. يحيى ساعاتي

بدأت مكتبة **الملك فهد الوطنية** بالرياض في تنفيذ **برنامج وطني لجمع الوثائق المحلية الموجودة لدي الأفراد أو العائلات عبر الشراء أو التصوير**، بهدف الحفاظ عليها وحمايتها من التلف أو الضياع، ووضعها في خدمة الباحثين .

وقد تمكنت إدارة المكتبة من الحصول على مجموعة من أصول وصور **خطابات الملك عبد العزيز آل سعود** ــ طيب الله ثراه ــ وكذلك مكاتبات باليد لبعض كبار أدباء ومفكري المملكة مثل **عبد العزيز الرفاعي، وعبد الله بن خميس، وحسين سرحان، وعلي وعثمان حافظ، وحسن القرشي** وغيرهم .

وتقوم المكتبة بواسطة مندوبين أوفدوا إلى مختلف مناطق المملكة في جولات ميدانية بمتابعة شراء الوثائق أو الحصول على صورة منها .

مؤتمر عن الثقافة الإسلامية في الأندلس

تنظم مكتبة **الملك عبد العزيز العامة** بالرياض ندوة **دولية إسلامية** في شهر ذي القعدة مايو المقبل يشارك فيها مجموعة من أبرز أساتذة التاريخ الإسلامي والدراسات الأندلسية .

تناقش الندوة عدة موضوعات في مقدمتها أثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الأوروبية، والمعالم الحضارية والثقافية في الأندلس، والدراسات التاريخية الإسلامية فيها .

ندوة النخيل الثالثة



د. القحطاني

عقدت في رحاب جامعة الملك فيصل بالأحساء خلال الفترة من ٢٤ ــ ٢٧ رجب الماضي ١٤١٣هـ ندوة النخيل الثالثة .

شارك في أعمال الندوة مجموعة من العلماء والباحثين من السعودية والبلدان العربية والأجنبية المشهورة بزراعة النخيل وإنتاج التمور، وأقيمت على هامشها معارض وحلقات بحث .

استئجار قنوات فضائية



علي بن حسن الشاعر

وقّع وزير الإعلام **علي ابن حسن الشاعر** اتفاقًا مع المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات) يتم بموجبه **استئجار قناة فضائية على الحزمة (إس) وقناتين على الحزمة (كي يو)** من الجيل الثاني للأقمار العربية التي يجري حاليًا التعاقد بين عربسات وشركة ميوز الأمريكية على تصنيع قمرين من المقرر إطلاق أولهما عام ١٩٩٥م .

يجيء الاتفاق تعزيزًا وتطويرًا للإعلام السعودي بمختلف وسائله بغية تمكينه من مواصلة نقل الشعائر الدينية والمناسبات الإسلامية إلى أنحاء



أمسية شعرية للأمير خالد الفيصل في لندن

بحضور حشد متميز، أقيمت أمسية شعرية نبطية لصاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** في المركز الإعلامي السعودي في لندن، وذلك مساء الخميس/ ليلة الجمعة ٣٢ _ ٤٢ جمادى الآخرة ١٤٣١ الموافق ٧١_٨١ ديسمبر ١٩٩٢م.

بدأت الأمسية بكلمة ترحيبية بالأمير الشاعر ألقاها **الدكتور محمد الصبيحي** مدير المركز الإعلامي، ثم تحدث السفير السعودي لدى بريطانيا د. **غازي القصيبي** عن الشعر النبطي وصاحب الأمسية، **مؤكدًا أن سموه قد استطاع أن يعبّر بشعره النبطي عن أكثر الهموم معاصرة وأشد القضايا حضورًا**، وأنه ظل مرتبطًا بالتراث رغم كونه مجددًا، إذ أورقت تعابيره على راحة الصحراء من صور القنص والنار الدافئة في الليالي الباردة والأسمار والأساطير.

بعدها تحدث سمو **الأمير خالد الفيصل** حيث بدأ بشرح أصول الشعر السعودي النبطي بشكل عام لكون الكثير من الحضور من غير السعوديين، وقد لا تتوافر لديهم المعلومة الكافية عنه، مؤكدًا أن القصيدة النبطية الحديثة تعالج مثلها مثل القصيدة الفصيحة موضوعات معاصرة.

ثم بدأ سموه في إلقاء قصائده مفتتحًا بقصيدة «**تحية إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز**» قال في مطلعها:

كل يوصينا نرد التحيّه ... المغترب ولى على الدرب رحال
يا جامع الشارات حامي الوليّه ... لك يا عزيز الجد والعم والخال
لك يا فخرنا بين كل البريّه ... لك يا فهدنا يا سعدنا بالأجيال

بعدها ألقى سموه قصيدته الشهيرة «**يا غريب الدار**» ثم قصيدة «**الضياع فوق موجة**» وقصيدة «**الخمسين**» وقصيدة «**يا صاحب هانت عليك المحبة**» وقصيدة «**النسيان**» وقصيدة «**العيون**».

وتعد هذه أول أمسية شعرية «نبطية» تقام في العاصمة البريطانية، وحظيت باهتمام الصحافة العربية في لندن.

المعمورة كافة مع كلمة الحق التي انطلقت بها رسالة المملكة العربية السعودية.

تبلغ قيمة الاتفاق نحو ٥٥ مليون دولار أمريكي.

وفاة الشيخين بيلا والكاظمي

فقدت مكة المكرمة عالمين من أبرز رجالاتها هما الشيخ **زكريا عبد الله بيلا** الذي توفي عن عمر يناهز ٨٤ عامًا والشيخ **أحمد علي أسد الله الكاظمي** عن عمر يناهز ٨٥ عامًا.

ولد الشيخ **زكريا بيلا** في مكة المكرمة عام ١٣٢٩هـ وكان والده الشيخ **عبد الله بن حسن بن زنيل بيلا** أحد العلماء الذين يتولون التدريس بالمسجد الحرام، وعلى يديه تتلمذ ولده، ثم انتقل إلى مدارس التعليم العام حتى تخرج في القسم العالي التخصصي للعلوم الشرعية والدينية بالمدرسة الصولتية عام ١٣٥٣هـ، كما درس على أيدي علماء المسجد الحرام، وعُين مدرسًا في مدرسته التي تخرج فيها، كما أجيز له عام ١٣٥٤هـ بالتدريس في المسجد الحرام، حيث كانت له حلقة درس.

وللفقيد مؤلفات عدة نذكر منها: «**الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان**»، و«**الدر المقبول نظم لب الأصول**»، و«**النزهة العلية في الأخلاق البهية**» و«**تقييد الفوائد على خلاصة القواعد**»، و«**القول الميسر في استقبال الحجر**» و«**الحلل السندسية في الصلاة على خير البرية**» وله أيضًا تعليقات ومقدمات لمؤلفات غيره.

أما الشيخ **أحمد علي أسد الله الكاظمي** فكان من رجالات التعليم الذي أثروا الثقافة بمؤلفاتهم.

بدأ الفقيد حياته العلمية مدرسًا، وتدرج في الوظائف التعليمية حتى تقاعد وهو يشغل **عمادة كلية الشريعة بمكة المكرمة**.

وخلال حياته العملية قدم الكثير من المؤلفات والترجمات، كما كانت له إسهامات كتابية في الصحف والمجلات وبخاصة جريدة «**عكاظ**» ومجلة «**المنهل**»، ومن أشهر مؤلفاته كتابا: «**تاريخ آل سعود**» و«**رحلة إلى الغرب**» وله حاليا تحت الطبع كتاب «**رحلة إلى الشرق**».

جهود لاسترداد الآثار المنهوبة

قال د. **حامد أبو درك** المدير العام للآثار والمتاحف إن **جهودًا كبيرة تبذل حاليًا مع عدة جهات معنية لاسترداد آثار مفقودة معروضة حاليًا** في بعض المتحف العالمية.

وكشف د. **أبو درك** أن بعضًا من تلك الآثار قد أمكن استرجاعه، وتتكاتف الجهود لاسترداد الباقي.

الاقتصادية

هذا هو اسم **أحدث جريدة يومية متخصصة** صدر عددها الأول في غرة ديسمبر الماضي ١٩٩٢ (١٤١٣/٦/٧هـ).

صدرت الصحيفة عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ويترأس تحريرها الصحافي السعودي **محمد التونسي**، وتهدف لأن تكون نافذة يطل منها رجال الأعمال والتجارة والاقتصاد والبنوك على ما يدور في الأسواق العربية والعالمية، فضلاً عن نشر مقالات اقتصادية للمتخصصين في عالم المال والاقتصاد.

الحركة الثقافية

الأدبية تعاود الصدور

عــادت نشرة «**الأدبية**» التي يصـدرهــا نـادي الريـاض الأدبي وتعنى بأخبار النشـاطات الثقـافية المختلفة بعد توقف دام بعض الوقت.

رئيس النادي الأستاذ **عبد الله بن إدريس** قدم للعدد الجديـد بكلمة تناول فيها خطـة «الأدبية» في المرحلة المقبلة، ومـا تعد له من أجل إثـراء الساحة الثقافية.

مسابقتان أدبيتان

ضمن اهتمامات الأنـدية الأدبيـة، تقام في أبها والمدينـة المنورة مسـابقتان، حيث أعلن نـادي **أبها الأدبي** عن فتح بـاب الاشتراك في مسـابقته الثـانيـة والعشرين في مجالات : **الشعر والقصـة والبحث**، وفتح **نادي المدينة المنورة** باب تلقي المشـاركات في مسابقته السنوية **للشعر**.

ودعا نادي أبها المثقفين السعوديين والعرب من الجنسين إلى المشاركة في المسابقة بمجمـوعة شعرية لا تقل عن خمس قصائد، ومجموعة قصصية لا تقل عن خمس قصص قصيرة أو بحث علمي أو تاريخي أو تـربـوي لا يقل عـدد صفحـاتـه عن ثـلاثين صفحة، على أن تكون المشاركات مكتوبة على الآلة الكـاتبـة من أصل وصورة وتـرسل للنـادي على صندوق بريد رقم ٤٧٨ ـ أبها في مـوعد غايته نهاية **شهر ذي الحجة** المقبل ١٤١٣هـ.

وقـد خصص النـادي لكل مجال **ثلاث جوائز** بواقـع ثلاثة آلاف ريـال للفائز الأول وألفـي ريال للثاني وألف ريـال للثالث، مع عـدم جواز الجمع بين أكثر من جائزة.

أما **مسابقـة نادي المدينـة المنورة الأدبي** فهـي مفتوحة للشبـاب من الجنسين، ويشترط أن تصور **القصيدة جـانبًا أو جوانب من آلام الأمة الإسـلامية** وآمـالها، وأن تلتــزم بشعـر التفعيلــة ولا تقل عن عشرين بيتًا ولم يسبق نشرها.

وحدد النادي **نهايـة شهر شعبـان الجاري** آخر موعد لقبول المشاركات، وسوف يمنح الفائز الأول ألفي ريـال، والثاني ألـف وخمسمائة ريال والثـالـث ألف ريال، ويحصل الرابـع والخامس على مجموعة من إصدارات النادي.

الفائزون بمسابقة نادي مكة الأدبي

أعلن نـادي مكـة الثقـافي أسماء **الفائزين** في مسابقتـه الثقافية الثـالثة بفـروعها الأربع : **الشعر، والمقالة، والقصة، والمسرحية**.

فاز منـاصفة **بجـائزة الشعـر د. عيـاد الثبيتي ومحمد سيد شريف**، وجاء في المركز الثـاني مناصفة أيضا **مــحمد فاتح محــمد عبد الغني ومحــمد بن عبد العزيز المبرد**، فيما تقاسم ثمانيـة شعراء الجائزة الثالثة.

وتحصل على **جائزة فن المقالة** مناصفة **فاطمة محـمود أحمد وزينب موسى نوار**، وجاء كل من **عبد اللطيف بن صالح عبد اللطيف وعبد الرحمن سلمان الدهمش** في المركز الثاني، وقسمت الجائزة الثالثة بين ثلاثة مشاركين.

وكانت **جائزة فن القصة** من نصيب **نورة محمد سلمان الدهمش** بـالمشـاركـة مع **فهـد أحمد محمـد المصبح**، وحلت **عفاف عبد الرحمن الدهمش ووفاء حسن منور** في المركز الثاني فيما تقاسم الجائزة الثالثة

مؤسسة الملك فيصل تنظم في لندن :

ندوة لبحث آفاق العلم والطب في القرن المقبل

التقى **الفائزون بجـائزة الملك فيصل العـالميـة في مجالي العلـوم والطب** في ندوة أقـامتها في لنـدن في الســادس عشر مـن شهــر ديسمبر الماضي **مـؤسســة الملك فيصل الخيريــة** بــالتعــاون مع **الجمعية الملكية البريطـانية للعلوم** لبحث موضوع «**العلم والطب في القـــرن الحادي والعشرين مـن منظوركوني**» بمنـاسبة مـرور عشر سنوات على بدء منح جائزة الملك فيصـل العــالميـة في مجالي العلـوم والطب.

ترأس الندوة صـاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل**، أمير منطقة عسير والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة الجائزة بحضـور صاحبي السمـو الملكي الأمير عبد الرحمن الفيصل والأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركـز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العضوين في مجلس أمنـاء المؤسسة، وعـدد من أصحـاب السمو والمسـؤولين في المؤسسة، والسير **مايكل عطية** رئيس الجمعية الملكيـة البريطانية والفائز بجائزة العلوم عام ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م.



لقطة جماعية للعلماء الفائزين بجائزة الملك الفيصل، المشاركين في الندوة

افتتح الحلقــة **السير مـايكل عطية** بتحية لمؤسسة الملك فيصل الخيريــة مثنيًــا على جهــودهــا لتشجيع العلماء والبـــاحثين، ومرحّـبًا بـالحضــور، وأكـد على أهمية التعـاون بين العلماء في شتى البلدان لما فيه خير الإنسان وفائدة العلم.

عبد الرحمن محمد طاهر وأحمد محمد إبراهيم محمد.

وحجبت الجائزة الأولى في مجال فن المسرح، ومنحت الثانية لعمر محمود عمر موسى، وتقاسم الجائزة الثالثة ثلاثة مشاركين.

كتب جديدة

● **ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي**، تحقيق **أيمن ميدان**، صدر ضمن سلسلة «من كنوز التراث».

● **السكر المر**، رواية للدكتور **عصام خوقير**.


د. عصام خوقير

صدر الكتابان السابقان عن النادي الأدبي الثقافي بجدة.

● **النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، للحافظ ابن حجر العسقلاني**، تحقيق **علي ابن حسن الحلبي الأثري**، صدر عن دار ابن الجوزي بالدمام.

● **سطر بدفء الكون**، تأليف **عبد الله الجفري**، صدر عن دار عكاظ للطباعة والنشر في جدة.

● **رحلتي مع المكتبات: مكتبات من مكة المكرمة، ظلال ولا أغصان، رحلتي مع التأليف**، ثلاثة كتب جديدة للأديب **عبد العزيز الرفاعي**، صدرت عن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع.


عبد العزيز الرفاعي

● **إنجازات الرئاسة العامة لرعاية الشباب**، إعداد **فهد محمد الباني**، صدر في الرياض.

● **الأمثال الشعبية في المنطقة الجنوبية**، جمع وإعداد **يحيى إبراهيم الألمعي**، صدر عن نادي أبها الأدبي.

● **من أعلام الشعر اليامي** - طبعة مزيدة ومنقحة، هوامش أدبية، كتابان **لعمران محمد العمران**، صدرا عن دار الشبل للنشر والتوزيع.

● **التربية العملية في دول الخليج العربية: واقعها وسبل تطويرها**، تأليف د. **حسان محمد حسان**.

● **أضواء على البيئة**، تأليف د. **عبد الحكيم بدران**.

صدر الكتابان السابقان عن مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض.

● **الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد حسن فقي**، صدر منها المجلد الثامن بمقدمة للأستاذ **حسين عرب**.


محمد حسن فقي

● **عامل المكان في الشعر العربي بين الجاهلية والتاريخ**، تأليف **د. عبد الله باقازي**، صدر عن نادي الطائف الأدبي.


د. عبد الله باقازي

● **الفلاّس: منهجه وأقواله في الرواة**، تأليف **أحمد فاضل أحمد معلوم**، صدر عن المطبعة المحمودية في جدة.

● **مرئية الاستشعار عن بعد**، تأليف د. **محمد عبد الله الصالح**، صدر عن جامعة الملك سعود في الرياض.

● **باقة من الأوراق**، تأليف **سمير حبيب**

ثم ألقى **إبراهيم الموصلي** القائم بأعمال سفارة المملكة العربية السعودية في لندن كلمة نيابة عن السفير د. غازي القصيبي أشار فيها إلى أن من سياسات مؤسسة الملك فيصل الخيرية التركيز على البحث العلمي لدعم التنمية في مختلف بلدان العالم.

بعدها أكد صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** - في كلمة ألقاها - اهتمام المؤسسة بالعلم والعلماء، مشيرًا إلى أن العلماء هم الذين فتحوا الطريق أمام التطور العلمي، ومن أجل هذا الهدف اختير عنوان الحلقة الدراسية ليكون «العلم والطب في القرن الحادي والعشرين من منظور كوني».

وبدأت أعمال الندوة بجلسة صباحية ترأسها **البروفسور أندريه كابرون** (الفائز بجائزة الطب بالمشاركة عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) تناول في بدايتها موضوع الندوة مشيرًا إلى مأساة كون ثلثي سكان الأرض لا يستفيدون من الإنجازات الكبيرة للطب، وطرحت د. **جانيت راولي** (الحائزة على جائزة الطب بالمشاركة عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) بحثًا بعنوان «**علم المورثات ينتقل بالطب من الفن إلى العلم**».

وقدم د. **ديفيد مورلي** (الحائز على جائزة الطب عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) بحثًا عن «**دور المجتمع في الرعاية الصحية**».

وترأس **البروفسور هنري روهر** (الفائز بجائزة العلوم بالمشاركة عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) الجلسة المسائية، حيث تلا البحث الأول المقدم من **البروفسور فرانك كوتن** (الحائز على جائزة العلوم بالمشاركة عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) بعنوان «**مبادئ العلم للمستقبل: وجهة نظر كيميائي**»، بعدها ألقى **البرفسور أحمد حسن زويل** (الفائز بجائزة العلوم بالمشاركة عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) بحثًا عنوانه «**أشعة الليزر والنافذة الجديدة على الزمان والمكان**»، تبعه د. **ريمون أرغل لوميو** (الفائز بجائزة الكيمياء بالمشاركة عام ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) الذي ألقى بحثًا تحت عنوان «**توجهات الكيمياء الحيوية في الطب**»، وبهذا البحث اختتمت الندوة بكلمة شكر ألقاها رئيس الجمعية الملكية البريطانية للعلوم السير **مايكل عطية** الذي تمنى أن يستفيد العالم من مثل هذه الندوة.

وقد حضر المشاركون حفل عشاء تكريميًا أقامه لهم مساء اليوم نفسه صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل**.

○ ○

بخش، صدر عن دار البلاد للطباعة والنشر في جدة .

● **أسرار في حياة الأدباء**، تأليف **أحمد بادويلان**، صدر عن دار طويق للنشر.

الإمارات
دليل للمسكوكات العربية والإسلامية

صدر عن جمعية إحياء التراث الإسلامي بدولة الإمارات دليل **للمسكوكات العربية والإسلامية**.

أعد الدليل **عبد الله محمد جاسم** بالتعاون مع اللجنة الإعلامية بالجمعية، وضم **١٠٥ صفحات و٤٥ صورة** ملونة لمسكوكات، وقسمه المعدّ إلى **ثلاثة فصول** تحدث في أولها عن النقود بصفة عامة مبيناً أهميتها التاريخية، وفي الفصل الثاني خص بالحديث النقود والمسكوكات الإسلامية، فيما قصر الفصل الثالث على المسكوكات التي تدولت في منطقة دولة الإمارات .

معرض كتاب في عجمان

ضمن نشاطات **مهرجان «مزون» الأدبي** الذي ينظمه النادي الوطني للثقافة والفنون في عجمان، أقام النادي بالتعاون مع مكتب وزارة الإعلام والثقافة **معرض عجمان السنوي الرابع للكتاب**.

اقتصرت المعروضات على الكتب ولم يسمح للمكتبات بعرض اللوحات القرطاسية .

موسوعة الشيخ زايد

بمناسبة انعقاد قمة مجلس التعاون لدول الخليج العربية الثالثة عشرة في أبو ظبي - مؤخرًا - أصدرت وزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات **موسوعة تاريخية، جغرافية، علمية، تراثية عن الإمارات تحمل اسم سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان** رئيس الدولة .

تتكون الموسوعة من **ثلاثة** كتب وتحتوي على **٦٨٠ صفحة** وأكثر من **ألفي صورة** ملونة تاريخية ونادرة تعكس الحياة قديماً في دولة الإمارات بمختلف ملامحها .

تحمل الكتب الثلاثة الأسماء الآتية : «الإمارات : الإنسان والوطن»، و«الإمارات والتراث»، و«الإمارات والتنمية» والأول تاريخي جغرافي، والثاني عن التراث الشعبي وما يبذل من جهود للحفاظ عليه، أما الثالث فيتناول جهود التنمية .

البحرين
كتب جديدة

● **التاريخ الثقافي الحديث للبحرين**، تأليف د. **سامي حنا عياد**، صدر عن وزارة الإعلام.

● **التليفزيون وتعديل الاتجاهات النفسية**، تأليف **عوض هاشم**.

قطر
موسوعة معلومات وندوة ثقافية كبرى

تعد **كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية** لإصدار موسوعة بعنوان **«موسوعة المعلومات القطرية»**، وتنظيم **ندوة ثقافية** كبرى على مستوى العالم العربي تحت عنوان **«الثقافة العربية : الواقع وآفاق**

محاضرات وندوات

● **«غزوة الأحزاب : دروس وعبر»** عنوان محاضرة ألقاها في جامع الهذال بالأحمر الشيخ **عبد الله بن سعود المعجل**.

● **«من مقتضيات لا إله إلا الله»** عنوان محاضرة نظمتها اللجنة النسائية للندوة العالمية للشباب الإسلامي .

● **«الأسلوب الأمثل في الدعوة والحسبة»** عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الأمير متعب بحي الجامعة في جدة الشيخ **محمد العثيمين**.

● **«رواد التجديد في الشعر العباسي»** عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي الدكتور **مصطفى الشكعة**.

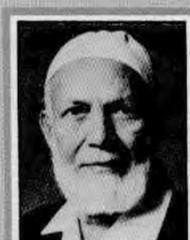
● **«الدعوة والتحديات المعاصرة»** عنوان محاضرة ألقاها في قاعة بدر للمناسبات في جدة الداعية **أحمد ديدات**.

● **«دور ومسؤولية الجامعة في النظام الدولي الجديد»** عنوان محاضرة ألقاها في جامعة قطر د. **جستين ثوريتر**.

● **«علم النص وتداخل اختصاصاته»** موضوع محاضرة ألقاها في الجمعية المصرية للنقد الأدبي بالقاهرة د. **سعيد بحيري**.



د. مصطفى الشكعة



أحمد ديدات



خليل الفزيع

● **«العلاقات العربية في أعقاب أزمة الخليج»** موضوع محاضرة ألقاها في جامعة إكستر البريطانية د. **غازي عبد الرحمن القصيبي**.

● **«موقف الفكر العربي من الغرب»** موضوع محاضرة ألقاها في مقر رابطة التربية الحديثة بالقاهرة د. **حسن حنفي**.

● أقيمت في الدمام **أمسيتان للقصة**، نظم الأولى النادي الأدبي في الشرقية، وشارك فيها كل من : **خليل الفزيع، محمد حمد الصويغ وفهد المصبح**، ونظمت الثانية جمعية الثقافة والفنون وشارك فيها الأديب **عبد الوهاب الأسواني**، وقدم لها الناقد **أحمد سماحة**.

● **«من سلسلة المعرفة الطبية للجميع : المشكلات الطبية للظهر**

المستقبل».

ينتظر أن تتضمن الموسوعة معلومات عن مختلف أوجه الأنشطة الموجودة في المجتمع القطري: تاريخيًا وثقافيًا وجغرافيًا واجتماعيًا وبيئيًا وصحيًا وإعلاميًا، وغير ذلك من مناحي الحياة، أما الندوة فمن المقرر أن تعقد في شهر أبريل المقبل (شوال ١٤١٣هـ)، وقد تم تحديد موضوعاتها ومحاورها واستكتب المفكرون في موضوعها حيث ينتظر أن تشارك في أعمالها مجموعة من أبرز المفكرين والمثقفين العرب.

الكويت: اختتام ندوة رؤساء جامعات الخليج

اختتمت - مؤخرًا - أعمال **الندوة الفكرية الخامسة لرؤساء الجامعات** ومديريها في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج.

وأصدر المشاركون في ختام اجتماعاتهم **عدة توصيات** من بينها تأصيل القيم الإسلامية الصحيحة وترسيخها في نفوس الطلاب لمواجهة الفُرقة والشقاق في الجسم العربي، وضرورة تحقيق توافق بين مخرجات التعليم الجامعي وسوق العمل وزيادة الاهتمام بالإعداد العلمي لعضو هيئة التدريس، والتأكيد على الثقافة العامة لتحقيق التكامل في شخصية الطالب الجامعي، وبحث مجالات التعاون والتنسيق بين جامعات الخليج، ودعوة المؤسسات الحكومية إلى اعتبار الجامعات بيوت خبرة ومراكز استشارية تحال إليها القضايا التي تحتاج لدراسة، ودراسة إمكان إنشاء مراكز للدراسات الاستراتيجية تهتم بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتقنية وغيرها.

معرض تشكيلي خليجي

نظمت **الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية** في مطلع شهر رجب الماضي **المعرض الثامن لشباب دول مجلس التعاون الخليجي**.

شارك في المعرض **٧٥ فنانًا تشكيليًا** من جميع دول المجلس باستثناء قطر.

«البلاغ» تعاود الصدور

عادودت مجلة «**البلاغ**» الكويتية - مؤخرًا - الصدور بعد توقف لظروف حلت بمطابعها ومبانيها إبان أزمة الخليج.

المجلة كانت تصدر أسبوعيًا، لكنها في ظل الظروف الراهنة **قررت الصدور - مؤقتًا - شهريًا**.

يرأس تحرير المجلة الصحافي **عبد الرحمن راشد الولايتي**.

مصر: تفسير للقرآن باللغة الإنجليزية

يصدر في شهر رمضان المبارك المقبل ١٤١٣هـ **أول تفسير للقرآن الكريم باللغة الإنجليزية** عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

يتميز هذا التفسير بكونه **يجمع خلاصة التفاسير التي وضعها ٢٥٠ عالمًا ومفكرًا** وأستاذًا جامعيًا مصريًا من الأئمة القدامى والمعاصرين، كما سوف يتضمن تعليقًا علميًا للتدليل على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم شارك في وضعه علماء من مختلف المجالات العلمية.

مؤتمر ابن سينا

التقى نحو **٣٠٠ عالم في مجالات الطب والكيمياء والصيدلة والزراعة** من مختلف أنحاء العالم في «**مؤتمر ابن سينا**» الذي نظمته جامعة **عين شمس** بالقاهرة لمناقشة ١٥٠ بحثًا علميًا.

تناولت أبحاث المؤتمر المركبات الكيميائية



د. إبراهيم عالم



عبد الوهاب الأسواني



الطيب صالح

وكيفية تجنبها» عنوان ندوة نظمها المركز الثقافي بالسفارة المصرية في الرياض، شارك فيها الدكتوران: **ناجي ثابت وأسامة رياض**.

● «**المضادات الحيوية وآثارها الجانبية**» عنوان محاضرة علمية نظمها مستشفى عفيف العام بالتعاون مع إحدى شركات الأدوية.

● «**مشاهداتي بالقطبين الشمالي والجنوبي**» عنوان محاضرة ألقاها في دار التوجيه الاجتماعي بالدمام د. **إبراهيم عبد الحميد عالم**.

● «**ديوان الشاعر زين العابدين فؤاد: صفحة من كتاب النيل**» موضوع ندوة شارك فيها الناقدان **مجدي توفيق وأحمد مجاهد**.

● كتاب «**فضاء الصوت الدرامي**» للدكتور وليد منير موضوع محاضرة ألقاها الدكتور **حسن البنا عز الدين**، ناقشه فيها د. **عز الدين إسماعيل**.

نظمت الندوتين والمحاضرة الجمعية المصرية للنقد الأدبي بالقاهرة.

● كتاب «**فوكوه**» للدكتور **محمد علي الكردي**، موضوع ندوة شارك فيها د. **صلاح قنصوه وإبراهيم عمر**.

● «**تجربتي مع الرواية**» موضوع محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي **الطيب صالح**.

● «**تربية الأولاد.. حزم ورحمة**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع التمار بالصالحية في الأحساء الشيخ **هارون بن محمد الهارون**.

● «**جيولوجيا المياه الجوفية تحت القاهرة الكبرى**» موضوع محاضرة ألقاها في كلية العلوم بجامعة عين شمس د. **عبده شطا**.

● «**أدب الروائية الأمريكية توني موريسون**» موضوع ندوة نظمها في القاهرة المركز الثقافي الأمريكي.

● «**الجديد في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**» عنوان محاضرة ألقاها في إدارة التعليم بالأحساء بدعوة من النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية د. **زغلول النجار**.

الحركة الثقافية

وعلاقتها بالإنسان وأثرها على البيئة بهدف الحد من الإسراف في استخدام هذه المركبات .

أعمال يحيى حقي في طبعات شعبية



يحيى حقي

تعتزم **الهيئة المصرية العامة للكتاب** جمع أعمال الأديب الراحل **يحيى حقي** لنشرها كاملة في طبقات **شعبية** بحيث تقسم حسب نوعها : جزء للقصة ، وآخر للمقالة ، وثالث للدراسات .

ويذكر أن الكاتب الراحل قد بدأ ممارسة الكتابة في سن مبكرة حيث كانت أولى كتاباته وهو في السادسة عشرة من عمره ، إلا أن أحدًا لم يلتفت إليها لكونها تجارب ، ومن أبرز مؤلفاته : **«قنديل أم هاشم»** ، **«ماء وطين»** ، **«أم العواجز»** ، **«خليها على الله»** ، **«عنتر وجولييت»** ، **«صح النوم»** ، **«خطوات في النقد»** ، **«فكرة فابتسامة»** ، **«تعال معي إلى الكونسير»** ، **«فجر القصة المصرية»** ، **«حقيبة في يد مسافر»** ، **«عطر الأحباب»** ، **«يا ليل يا عين»** ، و**«أنشودة للبساطة»** ، وله من الترجمات **«الفراش الشاغر»** ، **«هموم ثقافية»** ، و**«مدرسة المسرح»** .

مسابقة لأطفال العالم

ينظم المركز القومي لثقافة الطفل التابع لوزارة الثقافة مسابقة بعنوان **«مصر في عيون أطفال العالم»** .

المسابقة مفتوحة للأطفال من **جميع الجنسيات** الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٤ ــ ١٥ عامًا سواء أكانوا مقيمين في مصر أم خارجها ، والمطلوب أن يرسم الطفل موضوعًا يمثل تصوره عن مصر على لوحة بمقياس ٣٠ × ٤٠ سم ، ويسمح باستخدام أية وسيلة للرسم عدا القلم الرصاص العادي ، مع كتابة الاسم ثلاثيًا خلف اللوحة وكذلك العنوان وتاريخ الميلاد والجنس ، وترسل المشاركات إلى الإدارة المركزية للعلاقات الثقافية الخارجية ٤٤ شارع المساحة بالدقي مصر في موعد غايته غرة أغسطس المقبل ١٩٩٣م .

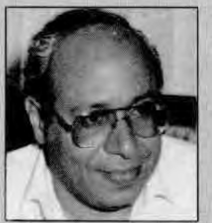
معرض للخط العربي

برعاية وزير الثقافة السيد **فاروق حسني** ، افتتح في دار الأوبرا معرض فني كبير لفناني الخط العربي .

شارك في المعرض **١٥ من كبار الخطاطين** حيث ضم مجموعات متباينة الرؤية لخطاطين حاليين وراحلين ، وزينت جدر المعرض بآيات قرآنية تأخذ أشكالاً متنوعة .

من أشهر الأسماء التي عُرِضَتْ لوحاتها الفنان الراحل **محمود الشحات** ، والفنانون : **مصطفى لطفي** ، **وأوس الأنصاري** ، **وحسين أمين عجاج** ، **ومحمد محمود عبد الغال** ، وآخرون .

عقيدتي



سمير رجب

ذلك هو اسم أحدث صحيفة أسبوعية صدر عددها الأول مؤخرًا في القاهرة ، وتعد **أول صحيفة دينية تصدر عن مؤسسة صحافية قومية** خلال سنوات .

تصدر الصحيفة عن مؤسسة التحرير للطبع والنشر التي تملك عدة صحف ومطبوعات أهمها صحيفة «الجمهورية» ، ويرأس تحريرها **سمير رجب** .

جائزة باسم الشرقاوي



عبد الرحمن الشرقاوي

قررت أسرة الأديب الراحل **عبد الرحمن الشرقاوي** في الذكرى الخامسة لرحيله رصد مبلغ ألف جنيه سنويًا لتنظيم **مسابقة تحمل اسمه في مجالات : الشعر والقصة والرواية والمقال** .

كما قررت الأسرة التبرع بقطعة أرض مساحتها ١٥٠٠ متر مربع لتقام عليها **مدرسة وبيت ثقافة** يحمل اسم الشرقاوي .

صحيفة دار العلوم تعاود الصدور

عادت جماعة دار العلوم إلى إصدار صحيفتها النصف السنوية المتخصصة في أبحاث اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية .

وتعد هذه **رابع مرة تعاود الصحيفة الصدور** حيث توقفت منذ إنشائها عام ١٩٠٧م ثلاث مرات آخرها عام ١٩٧٣م .

يرأس تحرير الصحيفة د. **محمد أحمد جاد صبح** ، ويدير التحرير د. **الطاهر أحمد مكي** .

١٦٠ فنانًا في بينالي القاهرة

شارك **١٦٠ فنانًا تشكيليًا من أربعين دولة في بينالي القاهرة** الدولي للفنون الذي أقيم مؤخرًا بعد أن تأجل عامين لظروف أزمة الخليج .

افتتحت البينالي **حرم الرئيس المصري محمد حسني مبارك** ، واشتمل على أعمال في التصوير والنحت والحفر وفن عمل المراكب ، كما أقيمت على هامشه **ندوة دولية** حول مصطلحات الفن التشكيلي .

قسم للتربية الفنية بجامعة الأزهر

قررت **جامعة الأزهر** ــ لأول مرة في تاريخها ــ **إنشاء قسم للتربية الفنية بمختلف فروعها** .

تقدم لهذا القسم ٥٢ طالبًا ينتظر أن يدرسوا المناهج نفسها التي تدرس في كليات الفنون الجميلة والتطبيقية إلى جانب المواد الدينية .

وفاة صحافي

نعت الأوساط الصحافية المصرية الصحافي **محمد العزب موسى** نائب رئيس تحرير جريدة «الأخبار» الذي توفي عن عمر يناهز ٥٧ عامًا .

وللفقيد ثلاثون **كتابًا** مؤلفًا ومترجمًا في الرواية والأدب والتاريخ ، من أبرزها **«وحدة تاريخ مصر»** ، و**«حرية الفكر»** و**«أول ثورة على الإقطاع»** ، و**«هزيمة الهكسوس»** .

لبنان

معرض الكتاب العربي الدولي

شاركت **مائة وسبع وخمسون دار نشر ومركز**

أبحاث وجامعة من مختلف البلدان العربية في **معرض بيروت العربي الدولي السادس والثلاثين للكتاب** الذي ينظمه سنويًا النادي الثقافي العربي.

تميز المعرض بحضور مكثف زاد منه التنظيم الجيد للندوات التي أقيمت على هامشه والتي من أهمها ندوة عن «**تزوير الكتب**» التي ناقشت موضوعًا حيويًا تعاني منه البلدان العربية.

وأعلنت خلال حفل افتتاح المعرض أسماء الفائزين بجوائز أفضل الكتب، حيث تقاسم **جائزة النقد** كتابا «**بنية القصيدة الجاهلية**» للدكتورة **ريتا عوض**، و«**المثقف العربي والسلطة : بحث في روايات التجربة الناصرية**» للدكتورة **سماح إدريس**.

وتوزعت **جائزة الإخراج الفني** بين الكتب التالية : «**مذكرات يسوع الناصري**» **للدكتور داهش**، و«**محمد رسول الله**» للكاتب البريطاني **جونسون ديفيد** بالإنجليزية، و«**مبادئ التربية الفنية**» للدكتور **أكرم قانصوه**، وحجبت جوائز البحث العلمي والتكنولوجي باللغة العربية والحقل الاقتصادي والاجتماعي لعدم توافر منشورات تستحقها.

كشف أثري

عثر في مغارة عاصي الحدث في وادي قاديشا بشمال لبنان على **هياكل عظمية ومجموعة من الملابس والأمتعة من القرون الوسطى**.

أهمية هذا الكشف تكمن في كونه يلقي ضوءًا للمرة الأولى على اللباس والعادات الخاصة بالطبقات الشعبية في تلك الحقبة التي كانت دائمًا حلقة مفقودة، وقد ضمت المكتشفات إلى متحف بيروت.

بيروت تودع أنيس فريحة

نعت الأوساط الأدبية والثقافية اللبنانية الأديب والباحث العلامة **أنيس فريحة** الذي توفي عن عمر يناهز ٩٠ عامًا، بعد حياة حافلة بالعطاء أثرى خلالها التراث الشعبي اللبناني والعربي بمؤلفاته التي تميزت باللهجة العامية.

والراحل حاصل على درجة الدكتوراه في العلوم السامية من جامعة شيكاغو، وقد مارس إلى جانب الأدب التدريس بالجامعات حيث عمل أستاذًا بالجامعة الأمريكية في بيروت وجامعتي فرانكفورت وكاليفورنيا.

من مؤلفاته : «**اسمع يا رضا**»، «**أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها**»، «**الأمثال اللبنانية**»، «**حضارة في طريق الزوال . . القرية اللبنانية**»، «**قبل أن أنسى**»، «**سوانح من تحت الخروبة**»، «**النكتة اللبنانية تتمة لحضارة حلوة**»، «**معجم الألفاظ العامية وردها إلى أصولها السامية**»، «**نحو عربية ميسرة**»، «**دراسة اللهجات دراسة علمية**»، «**الخط العربي : نشأته ومشكلاته**»، «**الفكاهة عند العرب**»، «**تبسيط قواعد اللغة العربية**»، و«**أسماء الأشهر العربية وتفسير معانيها**».

سورية — مقبرة من القرن الرابع الميلادي

عثرت بعثة آثارية في منطقة عمريت الأثرية جنوب مدينة طرطوس على **مقبرة من الحجر الجيري** يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي.

وُجد - أيضا - داخل المقبرة مجموعة من الأواني الفخارية وقرط ذهبي عبارة عن مثلث مزين بحبيبات ذهبية.

الأردن — جوائز شومان للعلماء الشباب

تم - مؤخرًا - توزيع **جوائز عبد الحميد شومان** للعلماء العرب الشباب في التخصصات العلمية التسعة للجوائز لعام ١٩٩١م.

والفائزون هم : **د. محمد علي خليل الأرناؤوط** - أردني (جائزة العلوم الطبية السريرية)، **د. منصور إبراهيم العبادي** - أردني (جائزة العلوم الهندسية)، **د. نائل عبد الحافظ العواملة بمشاركة د. عمر محمود عبد الرازق** - أردنيان (جائزة العلوم الاجتماعية)، **د. محمد أحمد فكيرين** - مصري (جائزة الرياضيات والحاسوب)، **د. كوثر سعد الجندي** - مصرية بمشاركة **د. أحمد محمد الرواد** - أردني (جائزة العلوم الزراعية)، د. محمد إبراهيم الحسن - سعودي (جائزة العلوم الأساسية)، **د. سيار كوكب الجميل** - عراقي (جائزة العلوم الإنسانية).

وتجدر الإشارة إلى أن قيمة الجائزة قد ارتفعت لتصبح خمسة آلاف دينار أردني في كل فرع.

متحف الشاعر عرار

ينتظر أن يفتتح قريبًا متحف الشاعر الأردني **مصطفى وهبي التل** (١٨٩٧ - ١٩٤٩م) المعروف بـ«**عرار**» الذي يعد لإقامته في منزله بمسقط رأسه مدينة إربد.

يتكون المتحف من سبع قاعات صغيرة، ويشتمل على مكتبة تضم آثار عرار وأشعاره وما كُتب عنه، وقاعة فيديو تعرض ما يتعلق بحياته، وأخرى توضع فيها حاجياته الخاصة مثل ملابسه، كما ستخصص إحدى القاعات لنجله **وصفي التل** رئيس وزراء الأردن الأسبق، ولم تتحدد حتى لحظة كتابة هذه السطور أغراض القاعات الأخرى.

من الكتب الجديدة

● **القدس في التاريخ**، إعداد **مجموعة من الباحثين**، ترجمة د. **كامل العسلي**، صدر عن الجامعة الأردنية.

فلسطين — سماح

ذلك هو اسم **مجلة جديدة** في إصدارها ونوعها صدرت في الأرض العربية المحتلة لتكون منبرًا ينطق **باسم المعاقين**، حيث تهتم باستقطاب المواهب المعاقة للتعبير عن قضاياها ومعاناتها وطموحاتها.

صدر امتياز المجلة باسم : **هيام عباس**، ويرأس تحريرها **يوسف محيسن**، وهو معاق بشلل أطفال منذ الصغر.

براءة الشاعر شفيق حبيب

برأت محكمة استئناف حيفا الشاعر الفلسطيني **شفيق حبيب** من تهمة التحريض على العنف التي سبق أن أدانته عنها محكمة الدرجة الأولى في عكا.

ويذكر أن محكمة عكا كانت قد حكمت

بتغريم شفيق ما يعادل ٣١٠٠ دولار أمريكي وحبسه ثمانية أشهر مع وقف التنفيذ لمدة ثلاثة أعوام بتهمة التحريض على العنف من خلال ديوانه **«العودة إلى الآتي»**.

السودان — مجمع اللغة العربية

افتتح في مطلع العام الميلادي الجديد ١٩٩٣م أحدث **مجمع لغوي عربي**، هو مجمع اللغة العربية بالخرطوم.

يهدف المجمع الذي **يترأسه الدكتور عبد الله الطيب** إلى تصحيح أوضاع اللغة العربية وآدابها في المجتمع السوداني بما فيه المدارس والجامعات والمعاهد العليا وأجهزة الإعلام



د. عبد الله الطيب

وكان افتتاح المجمع قد سبقته ندوة نظمتها إدارته تناولت موضوعات مختلفة تتصل باللغة العربية، والقراءات التي يتبعها السودانيون في تلاوة القرآن الكريم منذ دخولهم في الإسلام باعتبار القرآن أساسًا لأصالة اللغة العربية، وموضوعات أخرى.

من الكتب الجديدة

● **مواقف وبطولات سودانية في الحرب العالمية الثانية**، تأليف **محمد خير البدوي**، صدر عن جامعة الخرطوم.

تونس — ندوة «الثقافة والقوى البشرية»

اختتمت - مؤخرًا - أعمال ندوة «الثقافة والقوى البشرية» التي نظمتها في تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع الاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب.

تناولت الندوة عدة محاور من أبرزها **محور ثقافة الطفل**، ودعت في ختام أعمالها إلى تشجيع نشر المواد التي تنمي قدرات التفكير العلمي والتعلم الذاتي والبحث عن مصادر المعرفة، **وتأسيس نظام عربي لرعاية المعاقين** يضمن لهم الاندماج الصحيح في المجتمع، ووضع **خطة شاملة لثقافة الشباب** وندوة خاصة تعالج هذا الموضوع، والعمل على تدريب الكوادر العاملة في حقل ثقافة الطفل، وتوصيات أخرى.

صدى غرناطة في الثقافة الأوروبية

تحت عنوان «**صدى الاستيلاء على غرناطة في الثقافة الأوروبية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر**» أقيمت في تونس ندوة دولية بمناسبة مرور ٥٠٠ عام على سقوط غرناطة.

دارت أعمال الندوة عبر خمسة محاور وتركزت على التفاعلات الفكرية والثقافية بعد سقوط غرناطة.

الدراسات الأندلسية في ثلاثين عاما

يعد مركز الدراسات والبحوث العثمانية والأندلسية والتوثيق والمعلومات في تونس لتنظيم **ندوة** خلال شهر سبتمبر المقبل ١٩٩٣م **تناقش وضع الدراسات الأندلسية خلال الثلاثين عامًا الماضية**.

يعقد المؤتمر في مقر المركز العالمي للدراسات الموريسكية، وينتظر أن يتم تجميع الدراسات

رسائل جامعية

● **«اللغة العربية بين المذكر والمؤنث»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها **إبراهيم عبد المجيد حنوة**.

● **«الهجاء بين الشاعر العربي الحطيئة والشاعر التركي نفعي»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة عين شمس بالقاهرة، تقدمت بها **سحر محمد ضحى**.

● **«يوسف بن عبد الهادي وأثره في الأصول مع تحقيق كتابه : غاية السّول إلى علم الأصول»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **ضيف الله بن صالح العمري**.

● **«دراسة صوتية للأخطاء النطقية وأسبابها»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها **مصطفى صلاح قطب**.

● **«تكافؤ الفرص التعليمية بين الإناث والذكور في التعليم قبل الجامعي : دراسة مقارنة بين مصر والأردن واليمن»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدمت بها **عايدة فؤاد إبراهيم عباس**.

● **«النعمان بن بشير الأنصاري** : دراسة مسندة من خلال مسند الإمام أحمد بن حنبل» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لجمعية المقاصد الخيرية بالقاهرة، تقدمت بها **منى حسين الدسوقي**.

● « **الصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية : دراسة تحليلية تقويمية مقارنة لعينة من الصحف العربية** » عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تقدم بها **جواد راغب الدلو**.

● **«التحليل النفسي للسلوك العنفي الطائفي»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة جوسيو بباريس، تقدم بها **محمد نعمة**.

● **«مسرحيات الكاتب الأيرلندي جون أردين»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الألسن بالقاهرة، تقدمت بها **إيمان أحمد شكيب**.

● **«الشؤون العربية في الصحف المصرية اليومية في الفترة من أكتوبر ١٩٧٠م إلى أكتوبر ١٩٨١م»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية

المشاركة في كتاب ينشر في يونية ١٩٩٤م .

صحيفة بالإنجليزية

صدرت ــ مؤخرًا ــ «تونيزيا نيوز» صحيفة أسبوعية جديدة باللغة الإنجليزية .

وتعد الصحيفة الجديدة أول صحيفة تصدر باللغة الإنجليزية، حيث تصدر الصحف الموجودة حاليا في تونس باللغتين العربية والفرنسية .

المغرب — جوائز الأدباء الشباب

أعلنت أسماء الفائزين بجوائز اتحاد أدباء المغرب للأدباء الشباب لعام ١٩٩٢م في مجالات : الشعر والقصة والرواية والمسرح .

فاز بجائزة الشعر عبد الله حموش عن ديوانه «وردة النار» وحجبت جائزة الرواية مع التنويه بروايتي «الدخان» لبنبا في ميلود و«أفواه مجنونة» لحميد بوكيد .

وتحصلت لطيفة باقا على جائزة القصة القصيرة عن مجموعتها «ما الذي نفعله ؟» وفاز الزبير بن بوشتي بجائزة المسرح عن مسرحيته «الأخطبوط» .

ندوة نسائية مغاربية

تحت شعار «التحولات الاجتماعية والمرأة من خلال وسائل الإعلام المغاربية» نظم المكتب الجهوي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) لدى دول اتحاد المغرب العربي بالتعاون مع المكتب التنفيذي لاتحاد العمل النسائي ندوة علمية في نهاية شهر جمادى الآخرة الماضي ١٤١٣هـ في مدينة الرباط .

شاركت في الندوة خمسون إعلامية من المغرب والجزائر وتونس وليبيا حيث ناقشن ثلاثة محاور رئيسة هي : التحولات الاجتماعية والمرأة من خلال الصحافة المكتوبة، والتحولات الاجتماعية والمرأة من خلال وسائل الاتصال السمعية والبصرية، والصحافة النسائية في المغرب .

أعقبت الندوة مائدة مستديرة تحت شعار «أية آفاق مستقبلية ؟» وقد أصدرت المؤتمرات عدة توصيات تهدف إلى الارتقاء بمستوى المرأة في دول المغرب العربي ثقافيًا واجتماعيًا .

الجزائر — جوائز نور الدين أبا

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز مؤسسة نور الدين أبا الأدبية في عامها الثاني .

منحت «جائزة كاتب يس» لرابح بلعمري عن كتابه «نساء بلا وجوه» و«جائزة مولود معمري» لأحمد كلواز عن روايته «دروس الغياب» و«جائزة مالك حداد» لنادر سباع عن كتابه «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن» .

وقررت لجنة التحكيم منح جائزتها الخاصة لأول عمل إبداعي إلى الكاتبة حسينة علي عن كتابها «أرواح الأزهار» .

ويذكر أن جوائز مؤسسة نور الدين أبا الأدبية مخصصة للأدباء المغاربة الصاعدين الذين يكتبون باللغة العربية أو الفرنسية .

تشاد — أول جامعة إسلامية

أصدر رئيس جمهورية تشاد إدريس ديبي مرسومًا بإنشاء أول جامعة إسلامية في البلاد .

الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها عاطف صقر .

● « مهام مديري المدارس الثانوية والموجهين التربويين بمنطقة الرياض التعليمية؛ دراسة مقارنة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها عبد الرحمن بن سليمان الشلاش .

● «التداخلات الدوائية لعقار الأزرادبين مغلق جديد لممرات الكالسيوم وبعض مدرات البول» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في مركز أقسام العلوم والدراسات الطبية للبنات بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها نزهة عبد اللطيف عبدون .

● «دور موجهي الإدارة المدرسية في تنمية كفاءة مديري المدارس المتوسطة والثانوية : دراسة ميدانية » عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها سلم بن إسماعيل العثيمين .

● «إقليم مدينة الرياض : دراسة في جغرافيا العمران» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها لطيفة عبد المحسن الطويل .

● «الحلول التخطيطية لمشكلات خدمات الحجاج في المشاعر المقدسة» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عين شمس بالقاهرة تقدم بها المهندس عبد القادر حمزة كوشك .

● «نظرية التقريب والتغريب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، تقدم بها أحمد الريسوني .

● «شيوخ البخاري المهملين من خلال كتاب : تقييد المهمل وتمييز المشكل لمؤلفه الحسن بن أحمد أبي علي الغساني، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء، تقدم بها محمد أبو الفضل .

● «قطف الأزهار في كشف الأسرار لجلال الدين السيوطي : تحقيق ودراسة» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تقدم بها أحمد بن محمد الحمادي .

● «منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، عرض وتقويم» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، تقدم بها محمد ناصر السحيباني .

○ ○

الحركة الثقافية

ينتظر أن تناط بالجامعة مهمة الاهتمام بالدعوة الإسلامية وعلوم القرآن الكريم والفقه الإسلامي .

باكستان — وفاة الشاعر برواز

تـوفي ـ مـؤخرًا ـ الشاعر **ألطاف برواز**، أحد رموز الحركة الثقافية والأدبيـة الباكستانية عن عمر يناهز ٧٢ عامًا .

وقـد كـان الفقيد أحـد المنـاهضين لـلاستعمار البريطـاني، كما قـام بـدور بـارز في الـدفـاع عن الحريات والحقوق وشارك في تقديم خدمات جليلة للمهـاجرين المسلمين أثنـاء استقـلال باكستـان، ومارس إلى جانب الأدب الكتابة في الصحافة .

وله نحو أربعين كتابًا منها : **«تاريخ الحرية»**، **«حب الوطن»**، **«حركة استقلال باكستان»**، **«حركة استقلال كشمير»**، **«رحلتي في باكستان»**، **«النار»** وكتب أخـرى . ولم يمهلـه الأجل ليرى آخـر كتبـه الـذي كان يعـد لطبـاعته، وهـو **ديوان شعـر عن الرسول ﷺ بعنوان « الأسوة الحسنة »** .

البوسنة والهرسك — تدمير أهم مكتبة للمخطوطات في أوروبا الشرقية

تسبب القصف المدفعي والصـاروخي الصربي في تـدمير معهـد الـدراسـات الشرقيـة في سراييفـو وضياع مـا كان يضم من مخطـوطات ووثـائق نادرة وكتب ثمينة .

وأظهـر عدد خـاص من النشرة التي يصدرهـا المكتب الإعـلامي لحكـومـة البـوسنـة حجم هـذه الكارثة التي حلت بـالمعهد، حيث خصص العدد لعرض ما حل بالمعهد ومكتبـة المخطوطات التابعة له من دمار .

وأوضحت النشرة أن المعهد أنشئ عام ١٩٥٠م لجمع الـوثائق والمخطـوطات بـاللغات : العـربية والفـارسية والتركيـة ولغـة شعب البـوسنة وبحثهـا وحفظها وتحليلها ونشرها، وذلك في مختلف مجالات المعرفة .

وكان يـوجد في أرشيف المعهد قـرابة مئتي ألف وثيقة ترجع إلى إدارة الأقاليم التي كانت تتبادلها مع السلطات المركـزية في استنبـول إبان الحكم العثماني فضـلا عن مجمـوعــة من الصكــوك الأصليــة للممتلكات في البوسنة والهرسك يـرجع تاريخها إلى القـرن الميـلادي الماضي، ومجموعـات متنـوعـة من الوثائق التاريخية .

وتعد مكتبة المعهد التي تعرضت لتـدمير مروّع أهم مكتبـة للمخطـوطات في أوروبـا الشرقيـة إلى جانب مكتبة الغازي خسرو بك، وقد أسفر ما لحق بها من دمــار عن ضيــاع ذخيرة قيمــة من التراث الحضــاري المخطـوط، وهــو تــراث يصعب أن يعوض .

الهند — جائزة أكاديمية مير للنجرامي

منحت أكاديمية **مير الأدبية** في دلهي جـائزتها لعام ١٩٩٢م للدكتور **محمد يونس النجرامي** رئيس جمعية المثقفين المسلمين في الهنـد ومستشار رابطـة العالم الإسلامي لشؤون القارة الهندية وأستاذ الشعر في جامعة بكنو .

ويذكر أن الـدكتور **النجرامي** قد سبق لـه قبل عـدة أعوام أن تحصل على جـائزة **«امتياز مين»** كما **منحته الدولة عـام ١٩٩٢م جائزتها التقديرية في** الأدب العربي والعلوم الإسلامية .

ألمانيا — جامعة إسلامية بالمراسلة

قرر المركز الإسلامي في مدينة آخن تأسيس **أول جامعة إسلامية في العالم بالمراسلة .**

ينتظر أن تقوم الجامعة بتدريس علوم الشريعة الإسـلامية والمواد الـدينية واللغـة العربيـة والآداب والعلوم الإنسـانية، ويحصل خريجوهـا على شهادة معترف بها رسميًّا من الجهات الإسلامية والألمانية .

برلين تشتري تراث بريشت


بريشت

وقّع وزيـر الثقــافـة المحلي في برلين اتفـاقًا مع إحـدى بنـات المسرحي الألماني **برتـولت بريشت**، تشتري المدينـة بمـوجبـه **ستين ألف صفحــة من المخطـوطـات أو الأوراق** التي كتبها بريشت على الآلة الكـاتبة وكذلك عدة آلاف من الصور والأشرطة مقابل **١١ مليون مارك ألماني**.

وتغطي هـذه المخطـوطـات والأوراق مـراحل حيـاة الكاتب الكبير كلهـا ومن بينها المرحلـة التي أمضاها في المنفى (١٩٣٣ ـ ١٩٤٨م) أثناء حكم النازي .

من بين الأوراق **مسرحيات وقصائد ونصوص نثرية ومراسلات وتحليلات نظرية** ورسوم .

فرنسا — حوار حول العالم العربي والنظام العالمي


د . عصمت عبد المجيد

ينظـم **المركز العـربي الأوروبي للدراسات** تحت رعايـة الدكتـور عصمت عبـد المجيد الأمين العـام للجـامعــة العـربيــة في الثالث من شهـر شعبان الجاري مــؤتمرًا في بــاريس للحــوار الاستراتيجي تحت شعــار **«العالم العربي وتحدياته في ظل النظام العالمي الجديد»** .

يستمـر المؤتمر ثلاثـة أيام ينـاقش خلالها عـدة موضوعات من بينها : التحديات الأمنية العربية ـ الأوروبية ودور الإعلام العربي في ظل النظام العالمي الجديد، والعلاقـات الخارجية العربية ـ الدولية، و«آفــاق التعــاون الاستراتيجي والأمني العــربي ـ الأوروبي» و«العـوامل الاجتماعية والـدينية وهجـرة الأيدي العاملة والخبرات المهاجرة» و«إمكان التفكير في نظام عربي جديد» وموضوعات أخرى .

يشارك في المؤتمر مجموعة من المفكـرين العرب والأوروبيين .

اللوفر ينظم ندوة دولية عن المتاحف

يعد متحف اللـوفر في باريس لإقامـة مهرجان ثقـافي وفني ضخم بمنـاسبة مـرور مئتي عـام على إنشائه .

من أبرز نشاطات المهرجان تنظيم **ندوة دولية** في الثالث من شهر يوليو المقبل ١٩٩٣م ـ وهو تاريخ افتتاح المتحف ـ بعنوان «**أوضاع المتاحف في أوروبا وقت اندلاع الثورة الفرنسية وبدايتها**» .

يشرف على الندوة **إدوار بوبييه** المشرف الفخري العام على المتـاحف الفرنسيـة ، وتناقـش الخطوات التي اتخذتها الثـورة الفـرنسيـة لإقامـة «اللـوفـر» ، ويشارك في أعمالها **١٨ مديرًا** لمتاحف أوروبية .

مركز مصري لحوار الثقافات

تأسس ـ مؤخـرًا ـ في باريس **أول مركز مصري لحوار الثقافات**، بغيـة تنشيط الحوار بين الثقـافتين العربية والفرنسيـة من خلال تنظيم لقاءات دورية لمثقفي اللغتين وندوات ومحاضرات دورية .

يعتزم المركـز أيضا إصـدار **مجلة باسم «أفكار»** باللغتين العربية والفـرنسية ، لتعبر عن منهج المركز وأفكار مؤسسيه .

ويـذكر أن مـؤسسي المركز سبعـة مصريين من الحاصلين على درجـة الـدكتـوراه مـن الجامعـات الفرنسيـة ، وسيتم تمويل نشاطاتـه عبر اشتراكاتهم وتبرعات الجالية المصرية في فرنسا .

معرض التعبيرية في الفن الألماني

استضـاف **متحـف الفن الحديـث** في بـاريس **معرض «التعبيرية في الفن الألماني»** الذي ضم نحو **أربعمائة عمل فني** ، ويلقي ضوءًا على تاريخ النزعة التعبيريـة الألمانيـة التي ظهـرت على يـد الفنـانين التشكيليين : **بليل ، وهينكل ، وكرشنر** الذين كونوا عام ١٩٠٥م **مجموعة داي بروك** .

ومن المقرر أن يستمـر المعرض ـ الـذي وصفه نقاد فـرنسا بأنه من أجمل المعـارض ـ حتى ٣٠ من يناير الجاري ١٩٩٣م .

جائزة فرنسية لصحافية مصرية

منحت الأكـاديمية الفـرنسية **الجائزة الكبرى لإشعاع اللغة الفرنسية** للصحافية المصرية **ليتا جلاد** مديرة صحيفة «**لو جـورنال دى جيبت**» تقديرًا لما قدمته من دعم للغة الفرنسية عبر صحيفتها .

جـاء القرار بنـاء على تـوصية الأكـاديمي آلان ديكو .

ويذكر أن الصحيفـة أسسها **إدوارد جلاد** عام ١٩٣٩م ، ومنذ وفـاته تتولى زوجتـه إدارتها بحماسة وتفانٍ .

بريطانيا ▼ معرض لفن الموزاييك في الأردن

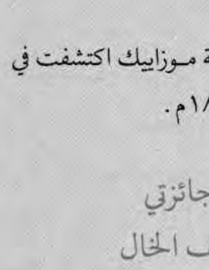
يفتتح في الثالث من شهـر شعبان الجاري (٥ ينايـر ١٩٩٣م) في صالـة مزادات دار سـوذبي في لندن معرض خاص يتضمن **٣٦ لوحـة من فنون الموزاييك الآثارية الأردنية** ، ويستمر حتى العشرين من شعبان .

يترافق مع المعـرض إلقاء ثـلاث محاضرات عن هذا الفن الأولى يلقيها **ميشيل بيكسير بللو** بعنوان «**موزاييك الأردن**» والثانية تلقيها الدكتورة **لوسي آن هنت** حول «**الموزاييك الروماني والبيزنطي في الأردن**» ، ويلقي الثالثة د . **جيفري كينج** بعنوان «**موزاييك من المرحلة الإسلامية**» .

وينتظر أن يصدر بهذه المنـاسبة **كتاب خاص** يتنـاول فن الموزاييك وتطـوراتـه في الأردن والمنـاطق المحيطة به .

ويـذكـر أن أول لـوحـة مـوزاييك اكتشفت في الأردن ظهرت علنًا عام ١٨٨٠م .

الفائزون بجائزتي الناقد ويوسف الخال


يوسف الخال

أعلـنـت ـ مـؤخـرًا ـ أسماء الفـائزين بجـائزتي «الناقد للرواية» و«يوسف الخال للشعر» .

فـاز **بجـائزة النـاقـد للـروايـة** كــل من : **علي عبد الله سعيد** عن روايته «**اختبار الحواس**» ، **وربيع جابر** عن روايته «**سيد العتمة**» **ومحمد علي اليوسفي** عن روايته «**توقيت البنكا**» .

وتحصل على **جائزة يوسف الخال للشعر** كل من **محمد متولي** عن ديوانه «**حدث ذات مـرة أن . . .**» **وخالد بدر** عن ديوانه «**ليل**» ، **وحسين درويش** عن ديوانه «**قبل الحرب ، بعد الحرب**» .

ويذكر أن عدد الـروايات التي دخلت المسابقة قد بلغ **٤٢ رواية** توزعت على ثماني دول عربية ، أما **المجموعات الشعرية** فبلغ عـددها **١٩٦** مجموعة ينتمي أصحـابها إلى **١٥ قطرًا عربيًا**، وقد قـامت شركــة ريـاض الـريس للكتب والنشر بإصـدار الـروايــات والمجمـوعــات الشعـريــة الفـائزة في المسابقتين .

إيطاليا ▼ يوم للآثار المصرية

افتتح الـــرئيس **الإيطـالي أوسكــار لـويجي سكالفارو** في مدينة روما «**يوم الآثار المصرية**» الذي نظمته وزارة الثقافة الإيطالية .

وتجول الـرئيس الإيطـالي في صـالات المعـرض الـذي أقيم بهذه المناسبـة وضم مجمـوعة نـادرة من الآثار الفرعونية وأعمالاً فنية وتحفًا تراثية قديمة تمثل مختلف مراحل تاريخ مصر .

تورنييه يفوز بجائزة المتوسط

منحت **جائزة المتوسط** السادسـة عشرة للروائي الفرنسي **ميشال تورنييه** .

ويذكـر أن الجائزة يمنحها في بـاليرمو ويشرف عليها مركز الثقافة المتوسطية .

بلجيكا ▼ جائزة الفاسي

تسلم الاقتصـادي البروفسور **باتريك غومنت جائزة محمد الفاسي** لعام ١٩٩٢ التي تمنحها رابطة الجامعـات النـاطقـة كليًـا أو جـزئيًـا بـالفـرنسيـة (أوبلف) .

وقـررت هيئـة الجائزة أن تمنـح في العـام المقبل للإسهامات العلمية في مجال تطـوير الاقتصاديات الزراعية ، حيث سيكرم الفائز في أبيدجان عاصمة كـوت ديفوار بمنـاسبة انعقـاد الجمعيـة العموميـة للرابطة هناك .

على موعد

مارد ذو عقل مهتد

أتذكر بين حين وآخر أسطورة قديمة تتحدث عن مارد ضخم نزل بقرية هادئة فأخذ يعيث فيها فسادًا، يُخرب ويُدمّر، ويضحك ويبكي بلا سبب مفهوم. فاجتمع حكماء القرية ليبحثوا أمر هذا البلاء الذي نزل بهم بغير حساب، فاستقر رأيهم على أنه لا سبيل إلى مقاومة هذا المارد المجنون إلا بإدخال العقل إلى رأسه. وانتهزوا فرصة ساعة من ليل نام فيها المارد ففتحوا رأسه وأدخلوا فيه عقلاً. واستيقظت القرية على المارد يكسر الحجر بأظافره وقوته الهائلة ليساعد الذين يريدون البناء، ويحمل أطنانًا من الماء فوق ظهره ليملأ بها الصهاريج، ويساعد النساء ويحمل الأطفال ويحمي القرية من كل من يريد بها الشر، وانقلبت النقمة إلى نعمة.

وتكاد تنطبق الأسطورة على وسائل الإعلام وأهمها التليفزيون والتي إذا تُركت بلا عقل مهتد خربت ودمرت، وإذا ساد ذلك العقل أعمالها كانت عونًا على البناء.

ذكرت ما سبق لأصل إلى نقطة رئيسة مفادها أن الحكماء المهتدين هم أولى الناس بإدارة الأمور المتعلقة بالتنشئة وتوجيه العقول وتصريفها في المجالات كافة من وسائل اتصال ومؤسسات تربوية وتعليمية... إلخ، حتى لا يتسرب بحسن النية ـ إن أحسنا الظن ـ مثل الذي نراه في إعلان يقول: « كلما أفرطت في دلال البقرة... »، ثم لا نشاهد إلا طقوسًا لا يُسر بها إلا عبدة البقر والعياذ بالله!

ويتصل الكلام في موضوع الهدم الخفي والصريح ـ بل والمستفز ـ في الوقت نفسه، أذكر يومًا ملأت إعلانات السجائر شاشات التلفاز في إحدى الدول العربية، وبلغ السيل الزبى بإعلان يُظهر رجلاً مفتول العضلات يحمل مدفعه الرشاش ـ كما يسمونه ـ وتقترب منه فتاة حسناء تحمل في يدها علبة سجائر تقدمها للرجل الذي يأخذها بعد أن يسلمها ـ وياللهول ـ سلاحه!

يومها لم يستطع أحد الصمت، وهاج من في قلوبهم مثقال ذرة من نخوة ورجولة، وطالبوا بإلغاء إعلانات الدخان من الشاشات والإذاعات والصحف والمجلات والمطبوعات كافة، وأفلحوا في التلفاز والإذاعات في بعض البلدان، وفشلوا في المطبوعات، إلا أنه أضيفت عبارة لا تُقرأ تحمل تحذيرا يقول: « التدخين ضار بالصحة وإنه مسؤولية كل مدخن! ».

هل يصدق أحد أن عبارة مثل هذه تصدر عن عاقل أو مهتد؟!

وما تزال تأتينا الرسوم المتحركة « بالبحار بوباي » الذي لا يفارقه غليونه و« البنك بانثر » يعبث بسيجارة في مقدمة عروضه.

ربنا لا تؤاخذنا بما يفعلون.

ولا تنقطع النماذج، فالهم كثير، ومنها ما يثير الاشمئزاز، جاء في إحدى الفقرات الأجنبية في تلفاز إحدى الدول العربية برنامج يتحدث عن الأطفال ـ ومن لطف الله أنه لم يُترجم ـ وفيه حوار يدور بين فتيات صغيرات ـ أقرب إلى الأطفال ـ تسأل إحداهن أحد أعضاء الكونجرس ـ مجلس الشيوخ الأمريكي ـ مستفسرة منه إن كان قانون الولاية سيسمح لها بالاحتفاظ بطفلها من أبيها! أكرر: من أبيها!

من ينصرنا من بأس الله إن جاءنا؟

إن الإسطبل الذي بلا رعاية، يُسلم الخيل للمنايا.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ الرعد ١٧.

عبد العال عبد الحميد ضوة